

الشیعه فی العصر المغولی

نویسنده: طریحی، محمد سعید

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱

ناشر: أكاديمية الكوفة

مکان چاپ: هند

سال چاپ: ۱۴۲۷ھ۔ ق

نوبت چاپ: اول

١٢٢٨٠ الشیعه فی العصر المغولی؛ ص ٧

٧:

تمهید

إن سلسلة الجبال الآسيوية الرئيسية العظمى التي تمتد من الصين شرقاً إلى شاطئ البحر الأبيض المتوسط غرباً، والتي تبلغ غايتها من الارتفاع في منطقة التبت، وبجبال الهملايا التي تعرف بسفف الدنيا على وجه التحديد هي في تشعبها وتفريعاتها، كانت تعد بحق، في القديم، حاجزاً بين الشعوب المتحضرة وقبائل التي لا تزال بآسيا لـ البداوة في الغالب، فما من شعب سكن إلى الجنوب من هذه الجبال إلا و كان له في التاريخ دور هام و في الحضارة و الثقافة نتاج قوى و إسهام كبير، ولدينا في الهند القديمة و علومها و فلسفتها، و فارس و ما كان لها من ملك عتيد و ماضٍ تليد، ما يؤيد هذه الدعوى و يقوم دليلاً عليها.

و في حين كانت الأرضى الواقعه إلى الجنوب من سلسلة الجبال الآسيوية تعج بالمدن الكبيرة و الوديان الخصبة . كانت المناطق الواقعه إلى ما ورائها شمالاً- باستثناء الصين و بلاد ما وراء النهر و ما حول نهرى سينهون و جيحون- ما تزال تتجلو في أغلب مناطقها مجمو عات عديدة من قبائل البدو، ثروتها قطعان الأنعام، و مدنها و ديارها صفو من الخيام، و دستورها العرف القبلي البدائي المتوارث.

و عرفت هذه المناطق الشمالية عند القدماء باسم بلاد السبيث ثم أطلق عليها أهل الصين من بعد ذلك اسم بلاد التسار، و يعنون بذلك بلاد الغرباء و الشعوب البعيدة و الجماعات غير المتمدينة و اللصوص، و ظل لفظ التسار يطلق على كافة القبائل التي تجاور الصين و تقطن الأقاليم الممتدة في أوسط آسيا إلى الجنوب الشرقي من أوروبا حتى ظهور جنكيز خان في

القرن الثاني عشر الميلادي. و برغم اشتهر أمر المغول من بعد جنكيز خان فقد ظل صيت التتار القديم غالباً، و صار اسمهم ساريا على المغول أنفسهم في بعض بلاد أوسط آسيا و في سوريا و مصر، وقد أطلق التسمية عليهم التجار من المسلمين الذين نقلواها بدورهم عن جيرانهم من الصينيين والأتراك.

و قد سلك كثير من المؤرخين سكان هذه المناطق الشمالية في عروق ثلاثة هي : العرق المنشوري أو المنغولي، ثم العرق المنغولي المعروف خطأ بالmongolian، ثم العرق التركي.

ص: ٨

أما المنشوريون فهم أغلب سكان الصين، و إلى الغرب منهم منازل المغول ثم مواطن الأتراك الذين يجاورون الصينيين في بعض المناطق.

و إلى الجنسين الآخرين يتسم سلاطين الدولة المغولية و كثير من القادة و الجنديين دخلوا معهم الهند و استقروا بها، وقد حكمت هذه الدولة الهند قرابة قرون ثلاثة فشهدت هذه البلاد على عهدهم أعظم نهضة و حضارة عرفتها في تاريخها تمتزج في عروقهم دماء الترك والمغول فأباوهـم ظهير الدين محمد باير، فاتح الهند و مؤسس هذه الدولة، ينتهي نسبه من ناحية أبيه إلى الخاقان التركي تيمور لنك و يمتد عرقه من ناحية أمـه إلى خان المغول الأعظم جنكيز.

و المغول والترك كلاهما قد سبق إلى غزو شبه القارة الهندية . و كان لهما شأن خطير و دور هام، في تاريخ آسيا الوسطى بعامة و بلاد الشرق الإسلامي بخاصة، و كان لغزوatthem الأولى السـيـ الصـدـىـ في ذاكرة الشعوب، فـكـمـ منـ مـدـنـ اـسـلـامـيـةـ زـاهـرـةـ اـنـتـهـيـهـاـ بـرـابـرـةـ التـرـكـ وـ المـغـولـ ثـمـ دـمـرـوـهـاـ، وـ كـمـ منـ حـصـونـ وـ قـلـاعـ أـفـنـواـ حـامـيـاتـهـاـ ذـبـحاـ، ثـمـ لـمـ يـتـرـكـوـهـاـ حـتـىـ سـوـواـ أـبـنـيـتـهـاـ بـالـأـرـضـ، وـ كـمـ منـ أـلـوـفـ كـثـيـرـةـ مـنـ السـكـانـ مـسـلـمـيـنـ نـهـبـوـاـ مـتـاعـهـمـ ثـمـ سـاقـوـهـمـ فـيـ الـغـالـبـ إـلـىـ حـتـوـفـهـمـ، وـ نـاهـيـكـ بـالـعـدـدـ الـوـفـرـيـ مـنـ أـصـحـابـ الـحـرـفـ الـذـيـنـ كـانـوـاـ يـسـوقـوـنـهـمـ مـنـ بـعـدـ ذـلـكـ لـلـعـلـمـ عـنـهـمـ.

على أن هؤلاء المخربين، حين دخلوا في دين الله أتواها وتمكن اتصالهم بالحضارة و الثقافة الإسلامية، ما غدوا أن انقلبوا في الغالب إلى حماة للعلوم و الفنون و الآداب، و إن لم يتخلوا أبداً عن ميلهم إلى سفك الدماء و إعمال السلب و النهب . فكانت تراهم في الغالب يكدسون هامات ضحاياهم على هيئة المناير و الأهرامات ثم ينصرفون من بعد ذلك إلى تعمير المنشآت النافعة الكثيرة و يبذلون المال و التشجيع للعلماء و الأدباء و أرباب الفنون. حتى كان منهم من شارك أهل المعرفة نشاطهم و دروسهم، لتشهد من بعد ذلك على أيديهم جملة من المدن، التي خربها أجدادهم من قبل، نهضة ثقافية، و حضارة فذة.

و بالعودة إلى الظروف التاريخية التي حتمت على اسلامهم الاتصال بالاسلام نجد ان الانظار تتجه نحو تأثير قوافل التجار المسلمين التي كانت تتوجل في مسالك آسيا الوسطى

ص: ٩

حتى بلغت الصين شرقاً و حوض الفولغا غرباً، فكان هؤلاء التجار من انشط الوسطاء في نشر تعاليم الدين الإسلامي، الا ان ذلك التأثير لم يكن حاسماً و قوياً إلا مع اسلام الترك الجماعي في العهد الساماني في القرن الرابع الهجري حين أسلم خان

تشعر ساتوك بغراخان امير القرن خ انبين و تسمى باسم هرون بن سليمان، و دخل معه فى دين أهل بلاده و فريق من سكان التركستان الشرقية و أقليم خطان، ثم اعتنق الاسلام السلاجقة و استطاعوا فيما بعد أن يحكموا بلاد ما وراء النهر و فارس و القوقاز، و نفذت عروق منهم و من جيرانهم الى آسيا الصغرى فقضوا على الدولة البيزنطية الشرقية بها، و فى القرنين الخامس و السادس للهجرة قامت الدولة الخوارزمية من هذه العناصر الذين كانوا يحلمون بمدّ نفوذهم حتى حدود الصين مع حلفائهم من القبجاق لو لا ظهور شخصية قوية استطاعت ان تضع بصماتها على مسيرة التاريخ، انه (تيموجين) او يسوغاي ذلك الفتى المغولي الذى اختارته قبيلة خانا عليها، و لقب بجنكيز، و سرعان ما نال الدعم و التأييد من كافة القبائل المغولية و استولى بشخصيته الساحرة و نشاطه و حيويته على مشاعر المغول و استشار فيهم الهمم و زرع فى نفوس اعداء الرهبة و الخوف حتى اقبل عليه فرىق من زعماء الترك فى اواسط آسيا يخطبون وده، و فيهن نفر من القبجاق، حلفاء شاه خوارزم و اصحابه، و معهم فريق من التجار المسلمين الذين عاونوا الخان المغولي، فيما بعد، على فتح كثير من البلاد الاسلامية و تنظيم شؤونها و سرعان ما انتشرت سمعة جنكيز خان و سادت أنظمة ه و تعاليمه فى طول البلاد و عرضها، خلال جميع اقطاع منغوليا، و شعر أفراد الشعب المغولي بأنهم أصبحوا أصحاب رسالة عالية و أنهم جبلوا فى طاقة عظمى، فأصبحوا جسما واحدا طاغيا، سرعان ما برهن بأنه قوة متفوقة على جميع الامبراطوريات المجاورة و لم يحتاج تيموجين أكثر من بضعة سنوات لإتمام التنظيمات الداخلية لدولته و للحصول على الاسلحه و التجهيزات عن طريق فتح علاقات تجارية جديدة . ثم بدأ بتسخير الحملات الحربية التي أثمرت في ارساء دعائم الامبراطورية المغولية العالمية، و توجه شرقا في أول الأمر ضد الصين، تلك البلاد التي كانت دائما تهدد آمال المغول، بسبب العلاقات الثقافية و التجارية منذ القدم. و توغلت قواته فيها، حتى أصبحت أمام عاصمة أسرة كين بعد حملتين متاليتين عام ١٢١٥ م و استسلمت له تلك العاصمة أخيرا ثم انهارت الامبراطورية

ص: ۱

الصينية الشمالية، وبدأ المغول يوطدون سلطتهم في النصف الشمالي للملكيات الصينية الهائلة، أما الإمبراطورية الجنوبية فقد بقيت دون أن تمس إنما مؤقتا فقط.

ان سرعة الاتصارات في الشرق قد عانت الكثير بالنسبة للمغول، فقد زادت مواردهم وملكون الفرصة وتشجعوا بمعامرات جديدة، وفوق كل شيء بنت روح الثقة بالنفس بهم وقوتهم، فامبراطورية الصين الشمالية مهما كانت ضعيفة، بدت قوية وعظيمة في أعين ساكني السهوب، وإذا كانوا قد نجحوا في كسر هذه الامبراطورية بسرعة فائقة، فلم يكن ذلك إلا اشارة إلهية بأن السماء قامت بإسناد حكم العالم للمغول.

وكان موقف الصينيين بالنسبة للغزو المغولي على العموم هو نفس الموقف الذى وقفه الصينيون دائماً خلال تاريخ بلادهم الطويل، فقد خضعوا لسلطة الحكم الأجنبى، ولكنهم اغرقوا هذا الحكم بقوة حضارتهم الهائلة، التى سرعان ما استسلم لها ذلك الحكم استسلاماً تاماً، ولكن الصينيون لم ينسوا أبداً أن هؤلاء الغزاة كانوا أجانب، وأن حكمهم لا يتفق مع مبدأ السيادة الصينية فى المملكة المتوسطة، إنما مع ذلك فقد التحق الصينيون بخدمة المغول، وبصورة خاصة فى العاصمة قراقورم التى ظهرت خلال تلك الفترة على الأرخون الأعلى، وأصبح أحد أبناء أسرة الخطا المهزومة و هو (يعى - لو - تشوا - تساى) وزيراً للخانات، وأنجز أعمالاً هامة فى بناء الامبراطورية المغولية، و من المؤكد انه لم يكن وحيداً فى عمله، بل كان معه عدداً كبيراً من الصينيين الذين كانوا يساعدونه كرملاء أو مرؤوسين فى الادارة، أو عاملين كحملة لرسالة الحضارة الصينية و التجارية، و كان لتسرب الثقافة الصينية أثره المثير على المغول، فقد وجدت الأفكار الصينية طريقها، إلى

الياساً أى إلى لب الحياة المغولية، وأصبح المغول يستعملون المفاهيم الصينية في فنون الحرب، كما أنهم استعملوا الأسلحة الصينية- بما في ذلك البارود- في حملاتهم الحربية التالية.

ان النجاح في الصين كان مؤشراً ونقطة انطلاق لانتصارات تالية مستمرة للمغول، وبعد سنتين فقط من انتهاء الحملة الصينية وجه جنكيز خان إهتمامه إلى الغرب حيث كانت في تلك المنطقة دولة خوارزم شاه، وكان يحكمها محمد الثاني الذي وصل آنذاك إلى قمة مجده، لكن ما أن خضع الغوريون طواعية لحكم جنكيز خان سنة ١٢٠٧، حتى ظهرت دولة خوارزم شاه بمظهر الخصم المرعب للمغول كما كانت صورة الصين

ص: ١١

الشمالية، وكانت العلاقات المغولية الخوارزمشاهية غير واضحة المعالم، وقد ذكرت المصادر الشرقية المتأخرة أن خليفة بغداد النشيط الناصر لدين الله (١١٨٠ - ١٢٢٥ م) اتصل عندما تآزرت الأمور بينه وبين محمد الثاني، بالحاكم المغولي، وحرضه على الهجوم على خوارزم شاه من المؤخرة، وتدل هذه الرواية على أن الخليفة نفسه الذي كان لا يزال- إسمياً على الأقل- هو الرئيس الأعلى لل المسلمين، هو الذي جلب ع ليهم أعظم كارثة حلت بهم في التاريخ ولم تمر الأيام حتى اكتسح المغول مراكز المدن العظيمة في خراسان و ماوراء النهر مثل مرو وبخاري و سمرقند ثم سقطت جميع ممتلكات الدولة الخوارزمية بعد مقاومة عنيفة، ولهذا ذاق أهل تلك البلاد المأساة والمذابح الرهيبة من قبل المغول بل ادت هذه الكارثة التي حلت بهم جراء هذا الغزو إلى تحطيم الإزدهار الاقتصادي والثقافي في عموم آسيا الوسطى، فلم تستطع تلك المدن، منذ تلك الكارثة أن تستعيد مكانتها السابقة كمراكز حيوية في صرح الحضارة الإسلامية، وكان من سياسة المغول أن لا يعتدو على العلماء والفنانين والحرفيين الذين يمكن أن يستفيدوا منهم و من خدمتهم، وكذلك النساء والأطفال فيما يستخدمونهم عبيداً، وقد تركوا بعض الرجال في سن الجندية أحياء أيضاً لكي يستخدموهم كبش فداء في حصار تال، أو أي هجوم . حيث كان يقذف بهم أمام الجنود المغول، و يجبرون على صدام بني جلدتهم . ولم يكن هنالك أى مهرب أو منجي لهم من تلك الورطة فإذا ما أن يهاجموا أسوار بلدانهم أو يحصدوا حصداً دونما شفقة أو رحمة.

و كان جنكيز خان يخطط للقيام بهجوم جديد على الأقاليم الشرقية، لكن في حوالي ١٢٢٧ آب عام ١٢٢٧ و افأه الأجل المحتموم، فتعطلت خططه مؤقتاً، ولكن الامبراطورية التي اسسها بقيت، ففي الأزمة التي تبع موتة لم يتجرأ أي عدو من أعدائه على رفع النير المغولي، والتخلص من تحكمه، ولكن وحدة الامبراطورية لم يحتفظ بها تماماً، فقد كان قرار جنكيز خان ووصيته أن تقسم الامبراطورية بين أبناء زوجته الرئيسي الأربعة، الذين كانوا قد اشتركونا فعلياً في الحكم أثناء حياته، وطبقاً للتقاليد المغولية القديمة كان الابن الأصغر هو الوارث الرئيسي والوصي على أملاك والده، وأخذوا بهذا المبدأ فقد أصبحت الأراضي المغولية الأساسية من نصيب الابن الأصغر. الذي كان يدعى تولوي، وأما الأبناء الثلاثة الباقون فقد كان توزيع المملكة بينهم كما يلى: أخذ جفتا الأراضي الواقعة شمال

ص: ١٢

و شمال شرق نهر جيحون والتي دعواها السكان في الغرب منطقة ما وراء النهرین، وأخذ أوكتا الأراضي الواقعة في أقصى الشرق، وأما الأكبر جوجى فقد نال الأراضي الواقعة في الغرب، أى روسيا ولم يكن هذا التقسيم دقيقاً تماماً لأن الامبراطورية لم تكن قد وصلت إلى الاتساع الذي كان يتصوره جنكيز خان، فقد كان يطمح بالتقدم نحو البحر الغربي مع

أن معلوماته عن جغرافية الغرب، كان يشوبها الغموض، و فوق ذلك فقد توفي ابن الأكبر جوجى قبل موت والده بستة أشهر، و هكذا أصبح أبناء الورثة المباشرون لجدهم.

لم يترك جنكيز خان قبل وفاته أية تعليمات بالنسبة لوحدة الامبراطورية، فهو لم يكن يقصد أن تتمزق الامبراطورية بعد وفاته، بل كان يرغب أن يمارس أحد ابنائه السيادة على اخوته كحاكم أعظم أو «خان اعظم» و كان من الواجب أن يملأ هذا المركز طبقاً لرغبة الامبراطور المتوفى، ولكن بما أن المؤسس لم يخصص أحداً باسمه، اتفق على أن يجري الاختيار عن طريق الانتخاب، و هكذا فبعدما تم عقد الجمعية الوطنية العامة «الكوريلتاي» عام ١٢٢٩ اتفق الأخوة دونماً ية صعوبات على تنصيب أوكتاي، و لكن هذا لم يرث أياً من مواهب والده الحربية، و في الروايات التاريخية التي وصلتنا يوصف بأنه كان هادئاً، و لا يميل لاستعمال القوة و كان ذا ضمير حي، و داهية ثاقب النظر، و سعّ عاصمة ملكه قره قورم و زينها بالمباني والصروح الفخمة، و عمل على استحداث زراعة الحضروات و الفواكه في ضواحيها، و نظم استيراد المؤن من الصين إلى منغوليا، و أقام علاقات تجارية بين بلاده و بلاد الهند و غرب آسيا، و كان مهتماً بتوسيع أراضي امبراطوريته طبقاً لخطيط والده، و لهذا فقد سمح للأخوه بامتلاك حصصهم من الأراضي المقطعة لهم، كما تابع تدريبات جيشه بصورة عملية، و ذلك باخضاع الأجزاء الصينية الشمالية الباقية، وكذلك بالمطاراتات التي كانت باخضاع الأجزاء الصينية الشمالية الباقية، وكذلك بالمطاراتات التي كانت مستمرة و منظمة، حتى أصبحت جزءاً من التدريبات العسكرية اللازمة للجيش.

و في حوالي عام ١٢٣٦ اكتسح المغول أوربة الشرقية بعد أن استولوا على مملكة البلغار و في ٦ كانون الثاني ١٢٤٠ سقطت مدينة كيف قلب دولة الروس القديمة و سقطت بذلك روسيا و احتلوا بولندا و مورافيا و اشتراكوا في ١ نيسان ١٢٤١ م (٦٣٩ هـ) مع

ص: ١٣

الهنكاريين فهزم ملك هنغاريا و استولى المغول على بلادهم و فيما هم عند الدانوب توفى الخان الأعظم في قره قورم و ذلك في ١١ كانون الثاني ١٢٤١ هـ فعين كبراء الدولة توراكينا ارملاً اوكتاي وصيّة على العرش حتى يكبر ولدها (كيوك)، فقاومها (باتو) لكونه من أولاد أكبر أبناء جنكيز خان.

و في نيسان ١٢٤٨ توفي (كيوك)، و لم تعد الظروف مهيّة (باتو) في تولى العرش لكنه في العام ١٢٥١ تقرر اختيار منكو مونكا و هو أحد أولاد تولوي الأبن الأصغر لجنكيز خان و كان مؤيداً لباتو على الدوام، و وجه عنايته للاستيلاء على الصين بالرغم من اشتباكاته مع أخيه (قوبيلاي) التي انتهت بوفاته في ٦ أيلول ١٢٥٩ أثناء حصار أحد الحصون الصينية . لكن الحملة إلى غرب آسيا التي بدأت باحتلال هولاكو للقوقاز عام ١٢٥٥ هـ، استمرت و ما برح أن واصل زحفه على المنطقة الجبلية جنوبى بحر الخزر حيث البلاد الخاضعة لنفوذ الطائفة الاسماعيلية الشيعية .

و حينما أدرك الاسماعيلية ما يتعرضون له من الخطر، بعد أن اجتاحت جيوش المغول، الصين و أوروبا و خراسان و العراق العجمي و آسيا الصغرى، التمسوا من الوسائل ما يدرأ عنهم هذا التهديد، و حاولوا أن يؤلفوا من جميع الشعوب المعرضة للخطر المغولي، حتى أولئك الذين يناصبونهم العداء، جبهة متحدة لمقاومة المغول . و لم تقتصر جهود الاسماعيلية على اجتذاب الأمراء المجاورين، بل امتدت إلى أوروبا . ففي سنة ١٢٣٨ أرسلوا إلى ملکی انجلترا و فرنسا يطلبون مساندتهم،

غير أنهم لم يلقوا أذانا صاغية، و من الدليل على ذلك أن أسقف مدينة و نشستر بإنجلترا أشار إلى عدم التدخل فيما ينشب من قتال بين المسلمين و المغول، لما سوف يترتب عليه من القضاء على الجانبيين، و في ذلك انتصار للمسيحية.

و لا شك أن المغول وقفوا على أحوال الاسماعيلية، و كراهية الناس لهم، فحينما أوفدوا رسلاً لهم إلى قراقوز أثناء اختيار كوك خانا، لم يلقوا معاملة طيبة . و رفع المسلمين، في قزوين الخاضعة لحكم المغول الشكوى إلى مونكو خان، لما يتعرضون له من الأذى و الضرر من قبل الاسماعيلية و أشاروا إلى أن أفراد هذه الطائفة يخالفون في عقيدتهم، ديانات المسيحيين و المسلمين و المغول!.

حاول ركن الدين خور شاه، الذي يعتبر آخر مقدمي الاسماعيلية أن يتتجنب الخطأ

ص: ١٤

المغولي بما لجأ إليه من أساليب دبلوماسية، و قد اعتصم في قلعة ميمون دز المنيعة . فلم يسع هولاكو آخر الأمر إلا أن يبعث إليه برسالة، يطلب منه التخلص عن المقاومة، و القodium عليه في معسكره، و في هدده بالمضى في القتال اذا رفض هذا العرض. و اذ أدرك ركن الدين خور شاه أنه لا سبيل إلى المقاومة و أن اليأس تطرق إلى نفوس رجاله المحاصرين، توجه إلى هولاكو، و أعلن طاعته و اذعانه، في نوفمبر ١٢٥٦ و استسلمت قلعة آن الموت في ديسمبر سنة ١٢٥٦.

و اذ كفل هولاكو لركن الدين البقاء على حياته، أراد ركن الدين أن يتوجه إلى مونكو، لعله يحصل على ما يأمل من شروط حسنة. غير أنه حينما وصل إلى مقر الخان، صحبة جماعة من المغول، رفض أن يستقبله، و قال ما كان لكم أن ترهقوا الجياد في سفارء غير مجديه. و اذ بقى من قلاع الاسماعيلية، اثنان لم تستسلموا للمغول، تقرر الاستعانة بركن الدين خور شاه في تدبیر أمر اذعنهم. و في أثناء عودته، لقي مصرعه، مع جميع رفاقه، و صدرت الأوامر إلى هولاكو بالتخلص نهائياً من هذا المذهب. فتم الإجهاز على طائفة كبيرة من أقارب خور شاه، بينما تقرر حشد عدد كبير من الاسماعيلية، بناء على طلب المغول، لإحصاء عددهم، فتعرض من هؤلاء الآلوف للقتل، و لم يبق على قيد الحياة إلا من اعتصم بجبال فارس. و أدرك الاسماعيلية في الشام ما سوف يتعرضون له من مصير.

و احتفظ الاسماعيلية في آن الموت، بمكتبة ضخمة زخرت بالمخطوطات النفيسة في شتى انواع العلوم، و عهد هولاكو إلى أمينه الجوياني مؤلف تاريخ جهانكشاي، بأن يفحص ما بها من الكتب فاحتفظ لنفسه ما اراد منها و احرق جميع ما بقى منها و خاصة ما يتعلق بالمذهب الاسماعيلي و من الكتب التي عثر عليها الجوياني كتاب بعنوان «سر كذلك سيدنا» الذي يعالج عقائد الاسماعيلية و سير قادتهم و ماذا كان يدرى هولاكو بما في تلك الكتب لو لا عزم الحقد المتعصب عطاء الله الجوياني على إفناء تلك الثروة العلمية، مثلما فعل صلاح الدين الايوبي في حرقه و تدميره لمكتبات الفاطميين في القاهرة المعزية^١.

ص: ١٥

^١ (١) «أمر صلاح الدين الايوبي بحرق المكتبات الفاطمية حتى كان يتزع جلودها العبيد و الاماء ليجعلوا منها أحذية في أرجلهم و ألقيت الكتب في العراء و سفت عليها الرياح و التراب بعد حرقها فصارت تللا و لا تزال تعرف حتى اليوم بتلال الكتب!!» المقرني 255/2.

و يحاول الجوييني نفسه ان يوهن م ن عظمة و هيبة الاسماعيلية فيرجع سبب التفاف الناس حولهم الى الخوف من رعاهم قل «فتبعد بما جرى من القضاء عليهم - أيام هولاكو».

يقول (الجوييني) في كتابه (جهان كشای) الذي سبق الاشارة اليه و هو في غاية الفرح من فتوحات سيده هولاكو:

«لقد كان ملوك الروم و الفرنجة، خوفا من هؤلاء الملائجين، صفر الوجه، و يدفعون لهم الجزية، لم يخجلوا من هذه الخزية. و الآن استراح سكان العالم، و لا سيما أهل الإيمان، من شر مكيدتهم و خبث عقيدتهم. بل إن الأنام من خاص و عام، كرام، و لئام سعداء الآن.

و غدت هذه الحكايات أشبه بحكاية رستم الخرافية القديمة، يقدرها أهل البصر، و يدركون قيمة هذا الفتح المبين، و النور الذي حل، و الزينة التي عمّت».

ولم تكن المذابح التي قام بها هولاكو لاستصال الاسماعيلية بما فيهم الأطفال و النساء و العجزة، لم تكن لتشير ضمير (الجوييني) المأجور بل كان مسؤولا لإفشاء هؤلاء الإبراء الذين و صمهم بالالحاد و الكفر قال:

«و قد كان في أصل قانون جنكيز خان و أمر منكوقا أن لا يتركوا واحدا منهم حيا، حتى من كان في المهد، و كان خدمه و حشمه محاطين بمئات بل بآلاف الموكلين الأذكياء.

و قد صدر في أثناء هذه الأقوال والأفعال (مع منكوقا آن) أن: عجلوا بالخلاص من الداعية، و أريقوا دماء تلك الطائفة. فصدر الأمر بإرسال الكتائب و الوفود إلى كل من يحتفظ بجماعة منهم، ليقتل من عنده. و ذهب قرافقى بيتكجي إلى قزوين فأحرق البنين و البناء و الإخوة و الأخوات، وكل من لاذ به أو كان من صلبه . و سلموا أنتين أو ثلاثة منهم (من أهل ركن الدين) إلى بلغان ليقتضص منهم و يثار لهم جغتاي الذي طعن بخنجر الفدائين.

و هكذا محى أثراهم، و أفنوا عن بكرة أيهم.

و أعطى أوتا كوجينا، الذي كان قائداً للجيش في خراسان، و مشغولاً بمحاصرة قهستان أمر قتل الجماعة الذين ما زالوا على الإلحاد، على أن يخرجهم بحجج جمعهم أو سخرتهم.

«قتل منهم اثنى عشر ألفا، و لم يبق هناك لهم أثرا».

ص: ١٦

ثم يقول متشفيا بعد مقتل الرعيم ركن الدين:

«ذاق و بالموت و العذاب الذي لقيه قومهم من آبائه و اجداده، فكان خبره و خبر اقربائه حديث السماء و رواة الاخبار . و هكذا تطهر العالم الملوث بخثفهم، و عاش الناس بعد ذلك بأمن و هدوء، بلا خوف و عناء، و هم يلهجون بالثناء على الملك السعيد [هولاكو] الذي أشاد لهم هذا الخير بافباء هذه الفتنة و كذلك كان هذا العمل مرهماً جراحات المسلمين، و

تدارك خللها الديني . و الذين سيأتون بعدها سيد ركون مدى أذى هذه الجماعة . و مدى ما كانوا يغرسون من الفوضى، و يبشوون من الرعب منذ أول ظهورهم حتى آخرهم».

لكن الواقع التاريخي يثبت خلاف ذلك، فقد لقى الناس من هولاكو ما هو أشد من الخوف و الرعب الذي نسبه الجويين - ظلما و حقدا للطائفة الاسماعيلية بل ان انتصار هولاكو عليهم مهد الطريق للجيش المغولي نحو احتياح عاصمة الخلافة - العباسية فقد هاجم بغداد في ١٠ شباط ١٢٥٨ م و احتل دار الخلافة، و اعدموا الخليفة، لكن جيش هولاكو هزم في معركة عين جالوت في ٣ أيلول ١٢٦٠ م و لم يكن تحت قيادته ذلك انه كان مشغول البال بأمر خلافة الخان الأعظم و مADB من خلافات في اسرته حول هذا الأمر، الذي انتهى بتنصيب (قوبيلاي) الذي كان يحظى بدعم (هولاكو) نفسه و كان قوبيلاي قد هزم أخاه (بوقا) و نفاه عن المسرح السياسي، و لكن هذا الانتصار لم يدم طويلا ذلك ان احداث العنف و المعارك المستمرة بين اطراف التراusc على خلافة الخان الأعظم شمل مجتمع العشائر المغولية الذهبية حتى اختفى اسم الخان الأعظم من على قطع العملة المسكوكة في مناطق تلك العشائر.

و استقرت مجموعة كبيرة من القبائل العازية في سهوب موغان التي تقع شمال تبريز و قد أصبحت مدینتنا تبريز و مراغة حيث استقر هولاكو عاصمة الأقليم الجديد في ايران حتى موته في ٨ شباط ١٢٦٥، و قد أصبح ابنه (أباقا) الحاكم الجديد، و شهد بداية عهده معركة مع (بركا) في القوقاز، و اثناء الحملة مات بركا في حدود كانون الثاني ١٢٦٧ ثم خضعت لسيطرته سلطنة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى و اشتict جيش بيرس و لم يحسم امر تلك المعارك، و قد شهد عهده تسامحا و افتاحا و خاصة مع البوذيين

ص: ١٧

و المسيحيين و سمح لعدد من الامارات الصغيرة الاحتفاظ باستقلالها في بلاد فارس و بالتالي استسلم للموت في ١ نيسان ١٢٨٢، و استلم السلطة نيكودار اخو اليلخان المتوفى الذي اسلم و اتخذ لنفسه اسم (أحمد) و قد توفي بعد ستين سنة ١٢٨٤ م.

و استلم السلطة (اراغون) و كان بوذيا، و كان عهده محنة للمسلمين، و بعد وفاته في ٩ آذار ١٢٩١ استلم الحكم (كيخاتو) أحد أخوه، لكن أقصى عن العرش في آذار ١٢٩٥ فاعتلى العرش (غازان) و كان هذا الحدث نقطة فاصلة في تاريخ دولة المغول في ايران لأنه حالما اعتلى العرش اعلن عن اعتناقها الاسلام رسميا و بالرغم من ان المذهب السنوي كان هو مذهب الأغلبية من السكان فقد قدم (غازان) الشيعة بتسامح كبير و لم يظهر ضدهم أى تعصب اعمى كان يتسم به أهل السنة غالبا في معاملتهم للشيعة في خلال التاريخ الاسلامي، و المعروف عنه انه زار العتبات المقدسة الشيعية في العراق و دعم المؤسسات الشيعية في بلاده و لهذا اعتبره البعض شيئا، و كان يجري هذا في الوقت الذي يخضع له (غازان) و العرش الالكhanى في ايران للسلطة المغولية العظمى التي كان يمثلها قوبيلاي الرئيس المبجل لمغول الدنيا في عصره، و لما مات قوبيلاي في بكين سنة ١٢٩٤، خف حمام الكخانات ايران لمركز القوة المغولية حتى أصبحوا انفسهم يعرفون باسم الخان، و كان حكم غازان مفعما بالنشاط الاصلاحي للبلاد التي يحكمها حتى وفاته شابا في الحادية و الثلاثين من عمره في ٣٠ آيار ١٣٠٤، فخلفه في الحكم أخيه أولجايتو الذي اتخذ نفسه اسم اسلاميا ايرانيا و هو خدا بنده و قد كان مسيحيا في صباح ثم اسلم و اعلن انضمامه لأهل السنة مع أخيه، ثم عمد الى دمج مذهبين من مذاهب السنة ثم عاد و تحول الى المذهب الشيعي حدود سنة ١٣١٠ و في هذا الوقت كان عدد الشيعة قد ازداد في بلاد فارس و ما بين النهرين و كان مقر

سلطنته مدينة (السلطانية) قرب قزوين و عرف بذوقه للعلوم و الفنون كغازان من قبله و كلها قدما خدمات جلّى في تشجيعهما للعلوم و الفنون و تأييدهما له كما أهتما با ل تاريخ و شجعوا الادب الفارسي و في عهدهم انتشرت توارييخ رشيد الدين فضل الله احد أشهر رجال الادارة المغولية المقتول في ١٦ جمادى الأولى ١٣١٩ هـ ٧١٨ م و كتابه جامع التوارييخ من المصادر المهمة عن تلك الفترة.

مات اولجايتو في ٩ كانون الأول ١٣١٦ م و خلفه ولده (أبو سعيد) و كان قاصرا

ص: ١٨

فسلط عدد من الزعماء، وكان أول أعمالهم قتل رشيد الدين المذكور و ظهرت في عهده دولة التركمان الشيعية (القراقوبينلو) و سقطت حاشية السلطان على السلطان، نفسه و سادت الفوضى في ايران و خلعت قبائل القوقاز الذهبية الطاعة للسلطان و في خضم تلك الاضطرابات اذا بأبي سعيد يوم فجأة في ٣٠ تشرين الثاني ١٣٣٥ هـ ٧٣٦ م دون أن يكون له وارث شرعى و جرت بعد وفاته أحداث كثيرة انتهت إلى تفتت الملك المغولي تماما في بلاد فارس . و ظهرت عدة امارات متنازعه كالدولة المظفرية في خراسان و الدولة السرابدارية الشيعية في سبزوار.

أما في العراق فقد تمكّن الشيخ حسن الجلائري أن يستقل بالعراق سنة ١٣٣٨ هـ ٧٣٩ م و يؤسس الدولة الجلائرية، و اتخذ من بغداد عاصمة له . و في سنة ١٣٥٦ هـ ٧٥٧ م تولى ابنه الشيخ أويس الذي بسط نفوذه على منطقة أذربيجان الغربية، و نقل عاصمته إلى تبريز، وأصبح العراق ولاية جلائرية، و لما خلفه ابنه حسين سنة ١٣٧٤ هـ ٧٧٦ م، و كان صغير السن ضعيفاً تسلط أمراء الجيش على شؤون الحكم و انضم فريق منهم إلى أخيه الشيخ على حاكم بغداد، و مال فريق آخر إلى أخيه الثاني أحمد و كان حاكماً على ولاية البصرة و نشب صراع على السلطة بين الأخوة الثلاثة انتهى سنة ١٣٨٢ هـ ٧٨٤ م بمقتل السلطان حسين و استيلاء أحمد على العرش الجلائرى لكن السلطان أحمد هذا اختلف مع اخوه ايضاً و تمكّن من قتل أخيه الآخر الشيخ على لكن الأمور لم تستتب له كما لم تستتب للدوليات المذكورة القائمة في بلاد فارس حيث شهد العالم الإسلامي في عهده موجة مغولية جديدة اندفعت من اواسط آسيا بقيادة تيمور لنك.

ص: ١٩

تيمور لنك

ينتسب تيمور إلى أحدى القبائل المغولية التركية، و اوصل بعضهم نسبة إلى أسرة جنكىز و لكن هذا الأمر مورد شك حتى في أن يكون جده الخامس قرا جانويان لكنه علی كل حال عاش أيام صباح بن قبيلة البرلاس، و نشأ نشأة إسلامية في مدينة كش في ما وراء النهر (جيحون)، و صاحب نظراً من أولاد الأمراء و الوزراء، و تدرّب على فنون القتال، و قد مكتبه شجاعته العسكرية من ضم القبائل المغولية تحت لوائه، و التخلص من الأمراء المنافسين على السلطة واحداً بعد الآخر، و أصبح حاكماً على ما وراء النهر سنة ١٣٦٩ هـ ٧٧١ م، و اتخاذ سمرقند عاصمة له . و كان الأوضاع الاقتصادية المتراجعة في بلاد ما وراء النهر، و رغبة تيمور في السيطرة، و عدم اعترافه نحو الغرب، لا سيما و قد اعتُبر نفسه وريثا

لاماك المغول، والامبراطورية الایلخانية الواسعة التي كانت تضم خراسان و بلاد الجبل و العراق العربي و اذربيجان و الاحواز و فارس و ديار بكر و آسيا الصغرى.

و هكذا غزا خوارزم أربع مرات بين عامي ٧٧٣هـ و ٧٨١هـ ثم غزا أرض المغول و صحراء القبيحاق في (٧٧٦-٧٧٩هـ) و في السنوات (٧٨٢-٧٨٣هـ) و (٧٨٤-٧٨٥هـ) غزا خراسان، وفي (٧٨٦-٧٨٧هـ) استولى على مازندران واستراباد، و في أواخر ٧٨٩هـ دخل تيمور شيراز واستمر صراعه مع توقتمش خان و ذلك في سنى (٧٩٠-٧٩٣هـ)، وفي شوال ٧٩٥هـ تحرك تجاه بغداد و أخلاها فهرب السلطان أحمد الى الشام فدخل تيمور الى قلعة تكريت التي صارت وقتها عشا للمفسدين والمطاردين و لصوص القوافل وقد فتحها بعد لأى شديد و جعل من رؤوس المدافعين عنها منارات، و استمر في فتوحاته فاخضع بلاد ارمينية و الكرج و دخل روسيا و أحمد الفتنه في آذربيجان و خلف عليها ميران شاه ثم قصد سمرقند في شوال ٧٩٨هـ و حول في السنة التالية حكم خراسان و هرآة الى شاه رخ ابنه الثاني.

وفي سنة ٨٠١هـ عاد تيمور لنك من هجوم السنين الخمس و كان أول ما فكر فيه

ص: ٢٠

بعد ذلك أن يغزو الخطأ و الختن أي ماوراء كاشغر و الصين الأصلية، لكنه لا يعرف لماذا قدم على هذا الغزو ففتح الهند في هذا الآن، و وصل الى كابل بنية جهاد كفار ذلك البلد في غزء ذى الحجة (٨٠٠هـ) و بعد قتال مع الأفغانيين في جبال سليمان عبر وادي خيبر ثم عبر السند أوائل (٨٠١هـ).

و كان حكم السند و البنجاب في هذا الحين للسلطان محمود الثاني من ملوك التغلقين أو أسرة أبناء محمد تغلق و كان مقره مدينة دهلي.

لما عبر تيمور نهر السند بدأ بحصار قلعة (بطنير) من قلاع البنجاب الهامة و بعد ستة أيام اجتاحتها في السابع و العشرين من صفر و قتل نحو عشرة آلاف من الهندو ثم اتخذ سبيله الى دهلي.

و تواجه جيش تيمور و السلطان محمود في السابع من ربيع الثاني (٨٠١هـ) في (بانى بت) على مقربة من دهلي، و في هذه المعركة التي كان النصر الكلى فيها ل蒂مور قتل نحو مائة ألف من أهل الهند بيد جنوده و هرب السلطان محمود الى دهلي و دخلها تيمور في العاشر من ذلك الشهر و أخذ جنوده ينهبون المدينة و مكتوا بها خمسة عشر يوما. و حين بلغ تيمور أبناء ثورات نشبت بايران عجل بترك دهلي فقسم بلاد آل تغلق بين قواد جيشه و عاد الى سمرقند عن طريق افغانستان.

و حينما انقلب تيمور الى سمرقند أبى أن ابنه سقط من على جواده فأصيب بارتفاع شديد في مخه فصار يصدر عنه أمور شاذة و لهذا سلك الرعايا المغلوبون في الكرج و آذربيجان و العراق طريق العصيان، فتأهب تيمور بحملة جديدة على ایران و بلادها الغريبة و زحف اليها . و غزوته هذه التي تسمى بهجوم السنوات السبع (٨٠٢-٨٠٨هـ) و هي آخر حروب له.

و مات تيمور عام ٨٠٧ هـ - ١٤٥٥ م في إحدى حروبه مع جيوش الصين عند أتار^٢ ، فاقتسم ملكه من بعده ولداه جلال الدين شاهرخ و معين الدين ميرانشاہ. حتى

ص: ٢١

إذا ما قتل الأوزبک ثانی الأُمیرین التیموریین و استولوا على أجزاء من بلاده، طلق الأول يصطنع الحيلة معهم حتى أبعد خطرهم عنه، ليعد اليه بلاد أبيه إلى حظيرته من جديد فيما عدا الشام و جنوب فارس.

و خلف الغ بک أبا شاهرخ عام ٨٥٠ هـ ١٤٤٦ م، فدخل في منازعات و حروب متواصلة من أهل بيته من الأمراء، ولم يقف الأمر عند ضياع الكثير من أراضيه حتى قضى عليه ابنه عبد اللطيف میرزا بنفسه ليقتل هو بدوره بعد قليل.

و لتن خبت عن الغ بک ملكته الحرية فقد تلأأ عنده نور المعرفة، حتى هدته بصيرته إلى أن يقيم مدرستيه الجامعتين، في سمرقند وبخارى، التي كتب على أبوابهما «طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة».

و أدى اشتغال هذا الأمير بالعلم و شغفه به إلى أن وفد إليه كثير من علماء فارس و طلبتها، فكان يشاركون في الدرس بنفسه و يدرس معهم حركات الكواكب في مرصده الذي أقامه بسمرقند.

و قد نظمت باسمه جداول للهيئة كانت آخر كلمة لهذا العلم في وقته.

و برغم اعتزال هذا الأمير بتركيته فقد كان شديد التعلق بكل ما يرجى فيه رقي الإنسانية و الفكر البشري عامه.

و جلس على عرش سمرقند من بعده الأمير التیموری أبو سعيد میرزا. بعون من الأوزبک، ليقيم له من بعد ذلك ملکا واسعاً ضم أجزاء من السند و خراسان و سیستان و امتد إلى العراق . حتى إذا ما هزم التركمان فاقتحم آذربیجان لينحدر منها إلى العراق، استطاع أوزن حسن زعيم التركمان أن يتسلل إلى جبال آذربیجان فيقطع عنه الإمدادات، لتفشی المجاعة في الجيش من بعد ذلك و ينفرط عقد الجند و ينتهي الأمر بالسلطان أبي سعيد نفسه إلى الوقوع في أسر القبائل التركمانية الشيعية المعروفة باسم قراقوينلو و أخيرا قرروا قتله و ترك أبو سعيد عشرة من الأولاد، و لكن لم يخلفه في ملکه الواسع، الذي كان يمتد من العراق إلى السند سوى أربعة منهم فولی أحمد میرزا إقليم سمرقند و بخارى، و ولی الغ بک إقليم غزنة، و ولی محمود میرزا استراباد و هرآ، ليغتصبها منه ابن عمه السلطان حسين

ص: ٢٢

بايقرا، فيستقر من بعد ذلك في الصاغانيان و بدخشان.

و كان هذا الأمير حسين بايقرا يسكن في (هرآ) و حارب عدة سنوات حتى استطاع أن يوحد تحت صولجانه قسمًا من ميراث الأجداد، و كان مشجعاً للعلوم و الفنون، و في أثناء حكمه الطويل (١٤٦٩ - ١٥٠٦) وجدت العبرية الإيرانية ملاذاً و ملجاً في أفغانستان و عند ما تقدم العمر بالسلطان حسين أصيب بعض الأمراض المؤلمة مما سبب انحرافه و لجوئه إلى

^٢ (*) يرى بعض العراقيين أن تيمور لنك مدفون عند جامع الطوسي في النجف الأشرف، و في اعتقاد المؤرخ ا لعلامة محسن الأمين ان تيمور لنك كان شيئاً، لعله اعتمد في ذلك على ما ورد في كتاب (البدر الطالع) من تفضيله عليا عليه السلام خلال حمايته العلماء راجع اعيان الشيعة 3/ 648- 671).

حياة الانحلال الخلقى، مما خلق الفوضى الداخلية فى اقليمه، كما سبب ثورة بعض أولاده ضده، و هكذا لم يستطع أن يكتب الميلو تجاه توحيد بلدان ایران التي حرضها ظهور اسماعيل الصفوى في غربى ایران، وقد كان اسماعيل هذا يعتمد على تأييد التيارات الدينية التي يرأسها، أكثر من اعتماده على القوة العسكرية، وأدى هذا الى انتصار الشيعة الاثنى عشرية نهائيا فوق اراضى جميع بلاد ایران، وقد فاز اسماعيل بالسيطرة على بلاد ایران الأصلية أثناء حياة (حسين بايقر)، و عندما توفي حسين هذا أصبح نفوذ الأسرة التيمورية ضعيفا جدا في (هراء)، حتى اضطر ابن حسين للاعتراف بسلطنة الأسرة الصفوية، و قد مات هذا أخيرا في بلاط السلطان العثماني.

و هكذا انتهت سلطة ممثلى الحكم المغولى على أراضى ایران، إذ أن أسرة تيمور لا يمكن أن ندعوها مغولية، فحكمه و حكم أبناءه يمثل الخصائص و المظاهر التركية، و ان انتصار الأسرة الصفوية عام ١٥٠٢ لم يغير شيئا من طبيعة الأمور، فقد كان هؤلاء أيضا من أصل تركى، و ظلت لغتهم مدة قرن من الزمن فى بلاطهم فى قزوين أولا، ثم فى أصفهان العاصمه الفارسية الجديدة هي اللغة التركية، و هكذا فلم تكن هذه الأسرة أسرة وطنية بالمعنى الدقيق لهذا المصطلح، و قد أجرتهم العوامل الجغرافية كما أجريت (الإلكخانات) قبلهم أن يهتموا بالمصالح الوطنية و بلاد العجم، و بعد عدء عقود من الانقسامات و الحروب الأهلية تم إعادة توحيد الأراضى الـ فارسية فى ظل حكومة ذات قاعدة وطنية مما سبب فتح الطريق نحو انبعاث قومى، وكانت الدولة الصفوية هي الأخرى تهىء نفسها للفتوحات خارج بلاد فارس و قد نجحت فى بعضها و لو الى حين من الدهر، كما وصل عدد من المغامرين و رجال العلم الذين نشأوا فى ظل هذه الدولة الى الهند و كان لهم التأثير البالغ فى حياة المسلمين فيه و منهم من صنع الممالك المستقلة كما ان منهم من

ص: ٢٣

صبح الثقافة الهندية بلون هندي لن يبلى مع كــ السنين، و مؤسس الدولة الصفوية هو الشاه اسماعيل بن سلطان حيدر بن سلطان جنيد بن صدر الدين ابراهيم، و صدر الدين ابراهيم المتوفى عام (٨٥١هـ) هو ولد سلطان خواجه على.

كان سلطان جنيد معاصر الأوزون حسن و قد لاقاه فى ديار بكر، و قد زوج الأمير حسن أخته خديجة بيكى لسلطان جنيد فأولادها ابنا هو سلطان حيدر والد الشاه اسماعيل، أما حيدر فقد بنى بأبنائه خاله أوزون حسن و كانت من أسرة أمراء يونان و اسمها مارتا او علمشاه خاتون او (بكى آغا)، فولد الشاه اسماعيل من هذه المرأة، اليونانية و على هذا فنسب السلاطين للصفويين من ناحية الأم يتصل بالأمراء اليونان بطرابزون و بأمراء التركمان الآق قويونلو من ناحية الجدة.

و قد نسب مؤرخو العصر اـ الصفوى هؤلاء السلاطين الى الامام موسى الكاظم من ناحية آبائهم و أنشأوا لهم شجرة هذا النسب، الا أن هذه النسبة كاذبة و لم ترد في المؤلفات التي ألفت قبل عهد الشاه طهماسب الأول و في أيام الشاه اسماعيل و أجداده.

و قتل الجنيد فى (٨٦٠هـ) فى حرشه أمير شروان فخلفه سلطان حيدر و تقدم الى شروان كما سبق يطلب ثار أبيه و علا فى اول الأمر على أمير شروان لكن الأمير استمد الأمان يعقوب التركمانى فأمده يعقوب برغم نسبته لسلطان حيدر، و قتل حيدر فى تلك الواقعـة فى عام (٨٩٣هـ).

كان لسلطان حيدر أولاد ثلاثة هم على و ابراهيم و اسماعيل و أرسل الأمير يعقوب هؤلاء الثلاثة لجسدهم بقلعة اصطخر بفارس فظلوا بها الى أن أمر الأمير رستم بيك في عام (٨٩٨هـ) باحضارهم. و قتل على في حوالي أردبيل و هاجر ابراهيم و اسماعيل الى جيلان و أصحاب القتل ابراهيم أيضا في هذا الأوان و بقي اسماعيل وأمضى نحو ستة أعوام بين السادات القواميين بجيلان.

و في أوائل (٩٠٥هـ) قدم اسماعيل الى أردبيل عن طريق آستان بعون مریدین کثرة كانوا يسلكون طريقة آبائه وقد انبثت جماعاتهم باسم (الصوفية) في جميع بلاد آذربيجان و أران و أرمénie و الجزيرة، وبعد ستة شهور قصد أرزنجان و فيها التف حوله نحو سبعة آلاف

ص: ٢٤

منهم و كانوا من الترك من طوائف مختلفة مثل الشاملو و الأستاجلو و القاجار و التكلو و ذي القدر و الأفشار . و كان كل واحد منهم يضع على رأسه قلنسوة من (السقلات) و هو قماش أحمر لذا عرفوا باسم القزلباش أي ذو الرؤوس الحمراء و لهذا السبب أيضا سموا من هذا الوقت بالقزلباش و القزلباشية و شملت التسمية أتباعهم و جنودهم حتى ملوك الصفوبيين .

لم يزد الشاه اسماعيل الذي ولد في الخامس والعشرين من رجب (٨٩٢هـ) عن الثالثة عشرة من عمره حين انبعث للثأر لوالده و تأسيس أسرة حاكمة، و لما اتصل به القزلباشية بدأ بموافاة أردبيل لزيارة مقابر أجداده و رؤية أمه، ثم سلك منها طريقه الى شروان، و غلب في ولاية شماخي في قرية (كلستان) أمير شروان قاتل أبيه و قتلها و استولى على مدينة (باكو) أيضا. و سمع اذاك أن ألوند بيك التكماني قد جرد جيشه لقصدته فتقدم اليه و احتاز فتحا باهرا في المعركة التي جرت بينهما في (شرور) قرب نخجوان أوائل (٩٠٧هـ) و قتل نحو ثمانية آلاف من التركمان الآق قويونلو في هذه الواقعة و لاذ ألوند بالفرار الى ديار بكر . و دخل الشاه اسماعيل تبريز مظفرا موقعا و آختار هذه المدينة عاصمة له و اعتلى عرش السلطنة رسميا و سك العملة باسمه و أقر مذهب الشيعة الاثنى عشرية مذهبها رسميأا لدولته و ارتدى علامه هذا الرسم تاجا من السقلات الأحمر.

و بعد هذا النصر جرد الشاه اسماعيل جيشه على عراق العجم و قاتل مراد بيك الآق قويونلو خلف ألوند بيك على مقرية من همدان و الحق به الهزيمة فلما فر مراد الى شيراز أتاه الشاه اسماعيل يتعقبه و في ربيع الأول (٩٠٩هـ) دخل هذه المدينة، و سقطت نتيجة هذا الفتح أسرة الآق قويونلو تماما من ايران و ضمت عراق العجم و فارس و كرمان الى بلاد الشاه اسماعيل.

و مع أن التراكمية الآق قويونلو قد زالوا عن ايران الا أنهم ظلوا يدعون السلطة في عراق العرب، و فر مراد بيك من فارس و أتي بغداد و تمكن من الأمور بها. فقصد الشاه اسماعيل بغداد بعد أن أدخل ايران في طاعته و فتح ديار بكر و قضى على من بقي من الآق قويونلو فيها و في (٩١٤هـ) سيطر على جميع العراق العربي بلا قتل أو ارقاء دماء تذكرة و تقدم بعد ذاك لفتح قلاع شوشتر و الحويزة و سخر أيضا خوزستان و عاد الى آذربيجان عن

ص: ٢٥

طريق أصفهان و امضى الشتاء في قراباغ و الدربند و باكو و بعد حصوله على بعض الفتوحات آب الى تبريز.

كانت خراسان هي البلد الوحيدة التي لم تدخل حتى ذاك الوقت في طاعة الشاه اسماعيل وكانت تحت سيطرة اولاد تيمور أولا ثم استولى عليها الأوزبک أثناء نهضة الشاه اسماعيل.

والاوزبک^٣ جماعة من أخلاف المغول أخرجوا في حدود عام (٩٠٤هـ) سلطنة ما وراء النهر عن قبضة أخلاف تيمور وفقوها في إنشاء دولة بها ويسعون بالأمراء الشيبانيين نسبة إلى شبيغان أو شيبان أحد أولاد جوجي بن جنكيز و كانوا من نسله، و شيبان بكسر الشين و سكون النون لا تتصلقط بقبيلة بنى شيبان العرب^٤.

و كان مؤسس أسرة الأوزبک هو (محمد شاهي بيک) أو (شيبك خان) الذي استصفى في (٩١٣هـ) خراسان من أولاد السلطان حسين ميرزا بايقراء، و كان شديد التحصّب

ص: ٢٦

للمذهب السنى لذا فقد آذى الشيعة، فضلا عن أنه أرسل إلى الشاه اسماعيل رسالة جريئة دعاه فيها إلى ترك التشيع و هدده أنه إذا لم يقبل دعوته فسوف يتقدم إلى آذربيجان و يدخله في المذهب السنى بقوه السيف. ولم يأبه اسماعيل برسالته فأخذ الأوزبک يهاجمون حدود كرمان فقصد اسماعيل هذه المرأة في أواسط عام (٩١٦هـ) إلى خراسان و بعد أن استولى على مشهد تعقب الأوزبک الذين لاذوا بمرو . و هاجم اسماعيل في السادس والعشرين من شعبان (٩١٦هـ) قلعة مرو و على أثر حرب ضروس قتل فيها نحو عشرة الآف من الأوزبک فتح على اسماعيل فتح مبين و لفظ شيبك خان آخر أنفاسه في المعركة.

و يعد فتح مرو من الواقئ الهامة لآسيا الوسطى لأن من هذا الوقت فما بعده أمحى فتنة عظمى كانت تهدى إيران و الهند من جانب الاتراك و نجا مذهب التشيع من خطر عظيم اذ كان لم يشب عن الطوق في إيران بعد و كان شيبك خان إلا يألهوا جهدا في محوه، كما نجا الشاه اسماعيل و ظهير الدين باير الذي كان أسس في نفس الوقت دولة كبيرة في الهند من شر خصم قوى و لهذا السبب قامت من هذا الوقت فصاعدا بين السلاطين الصفوين بإيران و الملوك الجورجان بين بالهند المودة و الألفة، و لكي يحكم الشاه اسماعيل أواصر هذه الصداقة أرسل أخت باير باحترام عظيم إلى أخيها بالهند و كانت قد وقعت أسيرة بقبضة الأوزبک و أطلق سراحها نتيجة لفتح مرو.

^٣ (١) تعنى الكلمة اوزبک سيد نفسه و المستقل وكانت نفس هذه الكلمة شائعة بين المجريين بوصفها من القاب الشرف وهي ترى في الوثائق التي يرجع إلى عام (١١٥٠م). و كان اوزبک هو تاسع الحكام من بيت جوجي حمل قومه على الدخول في الإسلام . فأصل الأوزبک اذن تركي مغولي و عاشت قبائلهم ما بين الفوجا و بحر آزاد . و كان اسم الجعثائين يطلق فيما سلف من الأئمه على الترك المستعربين المتخصصين . في حين كان لفظ الأوزبک اذ ذاك مدلولا على البربر الذين يقطنون منطقة السهوب الشمالية الغربية حتى تبدل الحال بعد اسلامهم و اتصالهم بالحضارة الاسلامية ببلاد ما وراء النهر فاصبح للفظ الأوزبک المدلول الذي كان لفظ جغتائي من قبله و بين الترك البربر غير المتخصصين يعرفون باسم القرغيز أو القازاق (و معناها الرجل البربر). انظر تاريخ بخارى 295-298 و حواشيه).

^٤ (٢) سمي الأوزبک بالشيباني نسبة إلى شيباني تحريف شاهي بك و التي حررت أيضا إلى شيبك و هو الأمير محمد شاهي بك حفيد الأمير أبي الحسن الذي استغل بالأوزبک و بلغ شأنه كبيرا، و كان الأمير محمد شاهي بيک قد نجح في لم شعث قومه بعد قتل جده ليقيم دولة على حساب التيموريين ببلاد ما وراء النهر، و كان المظهر الملحوظ للحياة الدينية عندهم هو تمجيدهم لوليهم القومي الزاهد خواجه أحمد البسوی الولي الأثير عند بدؤ سهوب آسيا الوسطى و كان الأوزبک و القرغيز يقدسون أشعاره و مواطنه تقديسهم للقرآن الكريم (راجع تاريخ بخارى 297-298).

و بعد هذا الفتح الكبير أتى اسماعيل الى هرآ و أمضى الشتاء بها هانتا ثم أعدج يوشة لضم ماوراء النهر و في ربيع عام (٩١٧هـ) وجه عنان عزمها اليها فتقديم حتى حدود جيوجون لكنه لم يتجاوزها و كر راجعا الى اذربایجان.

غزو ماوراء النهر في (٩١٨هـ):

و نتيجة للمودة التي قررت بين ظهير الدين بابر و الشاه اسماعيل قرار الطرفان مهاجمة ما وراء النهر يعاون أحدهما الآخر فيجيئا جرثومة تسلط الأوزبک كلية من هذه الأ accusaion فأندى الشاه اسماعيل أمير أمرائه المسى أحمد يار أحمد الاصفهانى و الملقب النجم الثاني بجيشه اليها و قدم بابر معينا بدوره الا انه بعد عبورهما جيوجون و بخارى لحقت بهما الهزيمة على يد خليفة شيبك خان و قتل النجم الثاني و عاد الاثنان من هذه الغزوة بخفي حنين.

ص: ٢٧:

و تساقط الأوزبک بعد هذا الفتح على خراسان و هرآ و سببوا انشقاقات بالغاة لاسماعيل و لم يعد فتح مرو بعد هزيمته شيئا الا ان اسماعيل وصل معجلا الى خراسان، و كان ان اطلع الاوزبک بتحرك اسماعيل فاخ لوا هرآ و خراسان و هربوا الى ماوراء النهر فأمنت هذه البلاد ثانية حتى حدود جيوجون و عادت الى ملكية اسماعيل.

و علينا العودة الآن الى الفاتح الكبير بابر أحد أحفاد (تيمور) و قد مر ذكره غيره مرؤ فيما سبق من ما جريات الاحداث التي تعيّر عن الثقة المتبادل بينه وبين الصفوين، و الواقع أن بابر هو ابن البارز لعمر شيخ ميرزا رابع اولاد السلطان ابي سعيد حفيد تيمور و قد مر ذكره قبل تحدثنا عن أحوال الصفوية، وقد ولد عمر شيخ ميرزا والد بابر امراة فرغانه وادي به طموحه الى ان يدخل مع جيرانه من المغول اصهاره و الاتراك اخ وته في حروب متواصلة ابتغاء توسيع رقعة ملكه، ليمضي عام ٨٩٩هـ على اثر سقوطه من اعلى حصن له، فيحمل عبي خصوماته من بعده ابنه الصبي ظهير الدين محمد بابر الذي قيض له ان يقيم أعظم دولة عرفتها شبه القارة الهندية في تاريخها.

ص: ٢٨:

() جنكيز خان

ص: ٢٩:

بابر

ولد في ٦ محرم سنة ١٤٨٣ (٨٨٨م) و نشأ في نعمة أبيه و حرص أبوه على تعليمه، فقرأ معظم العلوم الشائعة في عصره و تمهر في الفنون الحربية و توفى أبوه وهو صغير و كان ذكيا فطنًا حاد الذهن سريع الادراك قوي الحفظ فنبع في الفروسية كما في الادب و الشعر و الانشاء و الخط ، و جلس على العرش و سنه اثنا عشر عاما يوم الثلاثاء ٥ رمضان سنة ١٤٩٤ (٨٩٩هـ) في اندجان من بلاد ماوراء النهر و قد لقي الكثير من الشدائيد و الصعوبات منذ بداية عهده لكنه قهر اعداءه حيث كان ذا شجاعة لا تبارى فعندما تسلق اسوار سمرقند و استولى عليها للمرة الثانية لم يكن معه الا ٢٤٠ رجلا و كان عبوره

لجلب هند و كش فى وسط الشتاء القارص من الاعمال النظيفة، وقد استولى على افغانستان سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٤ م) و انطلق منها لتوسيع مملكته، وكانت الهند هدفه الاساسى فدخلها غازيا فى قلة من الجنود و واجه جيوشا كثيفا فى ارض متراصة الاطراف واسعة الشراء، وكانت الهند قد سادها التفكك حتى تقاسم اغلب ولاياتها الامراء الافغان المسلمين و الامراء الهنادكة، و صار الحال الى ان سعى اللووى حاكم لاھور فى الاستنجاد ببابر ضد ابن عمہ ابراهيم اللووى حاكم دلهى، و لم يتردد بابر فى تلبية تلك الدعوة الى الأرض التي سبقه اليها من قبل جاده جنكير و تيمور فسار الى دلهى باشئ عشر الف مقاتل فقط، لكنهم كانوا مزودين بالمدافع التي لم يعرفها حاكم دلهى الذي اعتمد على كثرة جنوده و كانوا مائة ألف من الفرسان مزودين بالفین من فيلة الحرب، و التقى الجيشان فى (بانيابت على مسيرة عشرة اميال شمال دلهى) فى يوم الجمعة ٨ رجب ٩٣٢ هـ يوم الجمعة (٢٠ ابريل ١٥٢٦) ولم تنفع الكثرة شيئاً أمام تنظيم بابر و مدفعه و بنادقه التي لم تكن الهند تعرف نظيرها فضلا عن شجاعة رجاله و تساندهم معا، و هكذا دارت الدوائر على جيش دلهى و قتل ابراهيم اللووى كما قتل معه الآلاف من جنده و فرّ الباقيون فدخل بابر دلهى ظافرا و جلس على سرير الملك يوم الجمعة ١٥ رجب ٩٣٢ هـ (ابril

ص: ٣٠

١٥٢٦ م) فأخذ في توزيع ما وقع بيده من كنوز الهند الكثيرة على رجاله، و بلغ من كرمه أن بعث إلى العلماء و الفقراء في أغلب المزارات الإسلامية بالعالم الإسلامي بنصيب منها، كما خص كذلك كل قاطن بقابل بقطعة من النقود الفضية تذكارا لانتصاراته هذه.

وكانت هذه الكنوز تضم فيما تضم ماسة كوهينور أكبر ماسة عرفتها الدنيا، و هي التي سرقها البريطانيون فيما بعد و زينوا بها تاج ملكتهم فيكتوريما.

ثم سار ابنه همايون على رأس جيش الى (اكرا) فاستولى عليها، و لم يرق هذا الانتصار إلى عدد من الامارات الهندوسية التي كانت ما تزال تحتفظ ببعض قوتها فتجمع ملوك الهندوس «رانا سنك» ملك جيتور و سيد الراجبوتانا و أكبر امراء الهنادكة و أعظم ابطالها حتى لا تزال الهند تترنّم في اغانيها الشعبية بذكر بطولته الى اليوم، و كان معه في تلك الحملة ملوك مارقار و أمير، و أجمير، و كواليار و تشنديري «جند بري»، و انظم إليهم محمود اللووى أخو السلطان المقتول، و وجد بابر نفسه أمام تكتل عظيم من قوى المسلمين و الهندوس معا، و هنا برزت مواهبه ال حربيّة، و قدرته في تعبئة قواته نفسيا و حربيا، فوقف يخطب فيهم مذكرا أيامهم بالنصر القريب، و مخوفا لهم عاقبة التخاذل أمام هذه القوى المتجمعة، و تقدم في التعبئة النفسية خطوة أخرى، حيث أعلن أمام جنده أنه سيطهر نفسه من شرب الخمر، و حطم كؤوسها و أراق ما كان عنده منها، ثم قال لهم : هلموا بنا إذن نقسم بالله و كتابه ألا نبرح مكاننا حتى ننتصر أو نهلك جميعا . و جابه جنده، فرفعوا المصاحف و أقسامها، و غلت دمائهم، و لعب الحماس بنفسهم، و تقدموا للقتال، فكانت الغلبة للمدفع و النفس القوية، و التنظيم المحكم، و بذلك تشتت شمل هؤلاء المجتمعين، و أخذ بابر يتعقب من يبقى منهم و يأتي على ملكه، و بذلك انكسرت قوة المقاومة أمامه، و استقامت له الأمور، لا سيما بعد أن طارد محمود اللووى الذي فر إلى البنغال و كانت تحكمها اسرة افغانية، و تابعه بابر حتى استولى على بيهار و بهذه الواقعة تم لبابر اخضاع الهند كله و حين بدأت الأمور تستقر له شرع بعض الاصلاحات فمهد الطرق و حفر الترع و أهتم بالزراعة و نظم الضرائب و أقام مراكز البريد على الطريق بين اكره و كابل لكن القدر لم يمهله طويلا فمات في ٦ جمادى الأولى سنة ٩٣٩ هـ (٢٦ ديسمبر سنة ١٥٣٠ م) بمدينة اكره و دفن في كابل، و له خمسون سنة، و لم يكن قد امضى أكثر من سنوات ستة في بلاده الجديدة.

و ما من شك ان بابر كان أحد عظماء التاريخ فقد استطاع ان يحقق انتصاره التاريخي في موقعه (باني بت) المذكورة بما لم يتحقق من سقوه من غزوة الهند المسلمين من الغزنويين و الغزنويين الذين كانوا لا يسيرون في أقل من مائة الف من الجن، واستطاع بحزم و قوة عزيمته أن يتغلب على تدمير رجاله الشديد من حرّ الهند الذي أضاع من قبل على الاسكندر المقدوني و محمود الغزنوي من بعده ثمرة فتوحاتهم الهندية فأسس ملكاً إسلامياً عاماً ازدهر أكثر من قرنين من الزمان بعده.

و كان بابر أديباً شاعراً، كتب باللغة التركية الجغتائية مذكراته المسماة (بابر نامه) أو الواقع البابري و هي سيرة ذاتية له ذكر فيها، قصة حياته و طفولته إلى آخر سنوات عمره، كان فيها صريحاً كل الصراحة فتحدث عن ضعفه و أخطائه و هزائمه، كلن فيها واقعاً بعيداً عن الانفعالات النفسية، ولم يكنقصد منها الدفاع عن النفس .

و قد اعتبرها بعض الدارسين بما فيها من قوة الملاحظة و القدرة على التحليل و الفهم لنفسية الشعوب و الأفراد . و ما في لغتها من صفاء و بساطة و وصف حافل بالألوان الجياشة بالحياة - اعتبارها من روائع النثر التركي .

و يظهر من اختلاف الأسلوب كما أشار trauH أنّ هذه المذكرات لا بد وأن يكون أملاها المؤلف على كتاب ثلاثة . و قد نشر نصها إلمنسكي iksnimII في قزان سنة ١٨٥٧ من نسخة نسخها rheK في سنة ١٧٣٧، و نشرت السيدة، «أنيت lairomeM بفردرج»: S. egdireveB. ettennA srM مخطوطاً كان يملكه السير سالار جنك الحيدر ابادي (انظر bbiG ج ١، سنة ١٩٠٥، و معه فهرسان). و ترجم «بابر نامه» إلى الفارسية عبد الرحيم ميرزا خان بن بيرام خان سنة ١٤٩٠ ثم ترجمت هذه الترجمة إلى الانجليزية بواسطة ليدن و إيسكين nedyeL W. eniksrE. J. الترجمة الفرنسية التي قام بها بافيه ده كورتيبي ellietruoC ed tevaP و طبعها في باريس سنة ١٨٩١ فهي مأخوذة عن نسخة إلمنسكي iksnimII . و في مذكرات بابر فراغ يرجع إما إلى رغبة المؤلف في إغفال ذكر بعض الحوادث التي ليس في صالحه ذكرها و أما إلى الحوادث نفسها التي حدثت له خلال حياته الحافلة بالمغامرات و قد نهج ابنياؤه من بعده نهجه هذا في تدوين سيرهم و كانوا جميعاً يقتدون في ذلك بما فعله جدهم الأكبر تيمور.

و كان بابر كما ذكرنا شاعراً مقتداً على الشعر الفارسي و التركى و له ديوان باللغتين يش تمل على الغزل و المثنوى و الرباعى و القطعة و المعنى و المفرد، و يدل هذا الديوان على أن بابر لم يكن دون أيّ من الشعراء الجغتائيين في القرن الخامس عشر. و في الديوان تقرأ أغاني الحب الصوفى و الخمريات إلى جانب موضوعات الحياة اليومية . عدا عن أن قصائد الديوان هي في الأصل باللغة التركية، فإن فيه ما يزيد على عشرين قصيدة باللغة الفارسية.

و يجهر في الديوان بأنه تركىً مشيداً بشجاعة الأتراك، و إذا عدّ بابر في التاريخ السياسي بين الملوك المظفرین المؤسسين الناجحين، فإنه يعدّ ولا شك في التاريخ الأدبي في أول الشعراء الأتراك، و لا يسبقه إلا الشاعر نوائى.

و لبابر رسالة في العروض اكتشفت سنة ١٩٢٣ مخطوطة في ملحق المكتبة الأهلية في باريس.

و له منظومة في المعرف الالهية نظم فيها رسالة الخواجة أحرار و مجموعة من المنشويات تسمى (مبين) و من مختبر عاته خط سماه بالخط البابري كتب بذلك الخط القرآن الكريم و بعث به الى مكة المكرمة، و شعره قوله:

بابر بعيش کوش که دنيا دو باره نیست

نوروز و نور بهار دمى دلبری خوش أست

كلبدن بكم ابنة بابر شاه (٩٣٠ هـ ت ١٠١٠)

و قد أنجب (همايون) الذي خلفه في الحكم وكان شيئاً و شيئاً تفصيل حياته، كما أنجب (كلبدن بيكم) من زوجته دلدار بيكم ١٥٢٣ م، والتي كانت على مذهب أخيها و من فضليات زمانها علماً و أدباً ولدت سنة ٩٣٠ هـ (١٥٢٣ م) في خراسان و قدمت الهند سنة ٩٣٦ هـ و نشأت في ظل والدها و صنوها همايون بن بابر شاه، و تعلمت الخط والإنشاء في اللغة التركية و الفارسية و بعض الفنون آخر، و تزوجت بخضر خان الخواجة الجعفري و ولدت له بنت اسمتها رقية سلطان ثم زوجتها فيما بعد بالإمبراطور أكبر، ثم رحلت إلى الحرمين الشريفين للحج وزيارة في أيام ابن أخيه أكبر بن همايون و كانت معها بنت أخيه «سليماء سلطان بيكم» سنة ثنتين و ثمانين، فحاجت أربع حجات ثم رجعت إلى الهند، و غرفت سفينتها فأقامت بمدينة عدن سنة كاملة و دخلت الهند سنة تسعين و تسعمائة.

ص: ٣٣

و كانت فاضلة شاعرة عفيفة صاحبة العقل و الرأي، و من الزاهدات العابدات لها «همايون نامه» كتاب ضخم في أخبار أبيها و صنوها همايون، و من أبياتها قوله:

هر بری روی که او با عاشق خود یار نیست

تو یقین میدان که هیچ از عمر برخوردار

توفيت سنة عشر و ألف (١٦٠٣ م) في أيام أكبر شاه، كما في «إقبالنامه» و كان من علماء عصرها العالم المجتهد السيد أبي البقاء بن عبد الباقى بن تقى الدين محمد الحسينى الخراسانى أحد العلماء المبرزين فى العلوم الحكيمية قدم الهند مصاحباً لبابر شاه و سكن بأكره و درس و افاد بها مدة من الزمان ثم خرج مع صاحبه همايون شاه إلى ايران و أقام بارض السندي معه زماناً، و كان معه حين تزوج همايون بحميده بيكم فقرأ خطبة النكاح و أعطاها همايون مائى ألف من التقدود الفضية ثم بعثه إلى بهكر بالرسالة إلى صاحبها فقتل بها سنة ثمان و أربعين، ذكرته كلبدن بيكم في «همايون نامه» و قال مرزا نظام الدين في الطبقات (إن همايون بعثه بالرسالة إلى يادكار ناصر و كان قاصداً إلى قندھار ليرجعه إلى معسکره فذهب أبو البقاء إليه ثم رجع إلى همايون، فلما وصل تحت قلعه بهكر خرجت طائفة من أهلها و رموا إليه بالنشاب فاصابه سهم و مات بها سنة سبع و أربعين)، و الصواب أنه قتل يوم الأربعاء لتسع عشرة خلون من جمادى الآخرى سنة ثمان و أربعين و تسعة مائة.

خان زاده بيكم:

شقيقة بابر و كانت تكبره بخمس سنوات، عاشت معه فى سمرقند، ويقال إنها أحبت شيبانى (انظر محمد صالح : شيبانى نامه، طبعة فامبرى yrebmaV) وقد اضطر بابر الى السماح بهذا الزواج كى يفر من سمرقند . وقد طلق شيبانى عمتها ليتزوج منها، ثم طلقها هي بعد ذلك لارتباه أنها تحابى أخاه.

و قد أعقبت منه ولدا هو خان شاه الذى أصبح والى بلخ و لكنه توفى صغيرا . ثم تزوجت بعد طلاقها من السيد شيخ هادى ييد أنه قتل فى وقعة مرو التى قتل فيها شيبانى أيضا . وقد بعث بها الشاه إسماعيل إلى بابر و تزوجت بعد ذلك المهدى (انظر حبيب السير، ج ٢، ص ٣٧٢، فى روائى لمحمد زمان) وتوفيت خان زاده بيكم فى أفغانستان عام ١٥٤٥ و عهد إليها من قبل برعاية أكبر حفيد أخيها عندما كانت أمه فى فارس، و الظاهر أن خان

ص: ٣٤

زاده بيكم كانت امرأة عظيمة يحترمها الناس كثيرا . وقد سرها أن الطفل أكبر كان يشبه أخيها بابر (انظر Huyamu fo nadabluG : sriomeM ، الترجمة ص ٣٧).

()

ص: ٣٥

همایون

و كان لبابر أربعة أولاد، كان همایون أقربهم الى قلبه، و لذا عهد إليه بالملك فى الهند، على أن يكون أخوه «كمران» واليا على كابل و قندهار، ثم أضاف إليه همایون ولاية شمال البنجاب أيضا، على أن يكون تابعاً إسمياً لدلهى، و أما أخواه الصغيران «هندار مرزا، و عسکری مرزا» فقد أعطاهم ولايات فى الهند، و كان همایون شديد العطف على إخوته حسن المعاملة معهم، لكنهم لم يكونوا معه كذلك، بل ظاهروه بالعداوة، و تفرق شملهم حتى طمع فيهم أعداؤهم، و أصبحت حياة همایون سلسلة من المصائب والمصاعب كما سيأتي.

ولد همایون ليلة الثلاثاء ٤ ذو القعدة سنة ٩١٣ هـ بقلعة كابل و نشأ في رعاية والده و أتقن الفنون الحربية و السياسية ما يليق ببناء الملوك و أضاف إلى ذلك معرفة اللغة التركية و الفارسية و علم الهيئة و الهندسة و النجوم و الشع ر و الالغاز و تبحر في علم الاصطراكبأخذ عنه نور الدين السفيدوني و هو أخذ عن السفيدوني غيرها من الفنون و أخذ عن الشيخ جلال التسوى السندي و الشيخ أبي القاسم الجرجانى و مولانا الياس الارديلى قرأ عليهما درء التاج للعلامة قطب الدين الرازى و كان دائم الاشتغال بمطالعه الكتب و مذاكرتها.

و قد جلس على العرش بعد أبيه في ٩ جمادى الأولى سنة ٩٣٧ هـ بمدينة آكره فأرخ له بعض العلماء «خير الملوك»، و وزع الأموال الطائلة على الخاصة و العامة ثم نفذ وصيّة والده و حاصر قلعة كالنجر الشهيرة بالمناعة و فتحها، و بينما هو في سعيه للسير على خطى والده و تطوير الامبراطورية اذا بسحناه الحسد تظهر في أعمال عدد من أمراء الجيش في البلاد و قد أثارتهم كثرة الغنائم و الاطماع بالملك الواسع الذي سيطر عليه الغزاء الجدد ذلك ان بابر و بسبب المدة القصيرة التي

قضها على عرش الهند لم يستطع القضاء التام على جميع الخارجيين عليه و مما فتّ في عضده ان اخوانه كانوا في طليعة من تآمروا عليه مع اولئك الامراء.

ص: ٣٦

فقد اسرع ميرزا كامران بالمجيء الى الهند مدعيا انه أتى لتهنئة أخيه بالملك، و لكنه لم يأت، في الواقع الا ليحرض أمراء البنجاب على أخيه، وقد علم همایون بالأمر و لكنه تغاضى عن فعل أخيه، لا بل فإنه زاد في إكرامه إذ أقطعه من البنجاب حتى نهر ستلچ و عهد إلى إخوانه الآخرين بوظائف رفيعة في الدولة . و بينما همایون يعمل لإطفاء هذه الفتنة العائلية قبل أن تظهر للملأ و يعسر إطفارها و إذا بالأئباء تأتيه منبهة بأن محمو د لودھی، الذي كان فرّ من أمام بابر و اختبأ في بعض نواحي البنغال، قد ظهر ثانية إلى الميدان، و استولى، بمساعدة بعض النساء الأفغانيين، على مدينة جونبور، فسار همایون إليهم و قاتلهم و استرد منهم ما أخذوه، و كان ينوي استتصال شأفتهم ليرتاح، و لكن الذي كان يخشأه من الشرق أتاه من الجنوب، و كانت ثورة الجنوب أعظم شأنًا و أشد خطراً و ذلك لأن منافسه لم يكن ثائراً عادياً بل كان ملكاً عظيماً ألا و هو بهادر شاه عاشر ملوك كجرات، الذي كانت سلطنته تضم خانديس و برار و أحمد نكر و مالوى و میوار و غيرها، كما كانت بلاده أصبحت ملجاً لناقمين و الفارين و الملتجئين من النساء الأفغانيين و من المغول المورثين و لكثير من أمراء الأسرة اللودھية، و لكل واحد من هؤلاء أنصاره و أتباعه.

و قد حرض هؤلاء السلطان بهادر شاه على الاستيلاء على شمال الهند، فأصابوا من نفسه غرضها، فجهز جيشاً يضم أربعين ألف مقاتل و أرسله سنة ١٥٣٤، بقيادة تاتار خان بن علاء الدين لودھي للاستيلاء على آكره، و خرج همایون للقاء هذا العدو، و نشببت بين الفريقين معركة على الحدود الراجبوتانية سحق فيها جيش بهادر شاه سحقاً و قبض على قائد تاتار خان فقتل. و تقدم همایون ينوي القضاء على سلطنة بهادر شاه فاستولى على سارنکبور في إمارة مالوى التابعة لبهادر شاه بينما كان بهادر شاه يحاصر قلعة جتور، الكائنة في إمارة میوار، لقمع ثورتها عليه، فلما سمع بهادر شاه بزحف همایون إليه لم يرفع الحصار عن القلعة، و لأمر ما لم يشا همایون أن يهاجمه و هو مشتبك مع عدو ه بل أخذ ينتظر، و لما فتح بهادر شاه هذه القلعة كرّ، سنة ١٥٣٥، على همایون و التقى الفريقان في ضواحي مند سور، على حدود راجبوتانا، فلما رأى الكجراتيون الجيش المغولي خارت قواهم، لا سيما وأن حصار جتور كان قد انهكهم . و قد أدرك بهادر شاه أن لا طاقة له بهمایون و جيشه فأراد اللجوء إلى الحيلة و لكنه فشل و حاصره همایون من كل جانب و منع

ص: PAGE=٣٧

عنه المدد و الأقوات حتى هلك الناس و الحيوانات و أصبحت الغنيمة بالفرار، فأخذ الناس يفرون، و فرّ بهادر شاه نفسه، و انتصر همایون نصراً حاسماً مؤزراً من غير أن يلجمأ إلى حرب سافرة و أخذ يطارد الكجراتيين حتى استولى على مالوى ثم تقدم فاستولى على محمود آباد، و بهادر شاه يفرّ أمامه من مكان إلى مكان . فلما سقطت محمود آباد بين يدي همایون لم يعد بهادر شاه يأمن على نفسه البقاء في بلاده فذهب ملتجئاً إلى المستعمرة البرتغالية «ديبو» الكائنة في رأس كجرات الجنوبي.

أما همایون فإنه بعد أن تجول في أكثر أنحاء كجرات و عين لها الولادة، نصب أخاه عسکری ميرزا واليا عاماً عليها، و ظنَّ أنَّ الفتح قد تمَّ له، فأخذ يرتاح في خانديس.

غير أن عوامل الثورة كانت لا تزال موجودة و بهادر شاه ما زال حيا و أنصاره ما زالوا يؤيّدونه و ولاته لم يقرروا بالهزيمة بل كانوا لا يزالون يستبكون بمعارك مع ولاة همایون و يدفعونهم جهد طاقتهم، ثم إن عسكري ميرزا لم يكن مخلصاً لأنبيه همایون بل كان يطبع بانتزاع كجرات منه ليكون هو عليهما ملكاً مستقلاً.

و بينما الأمور تجري في الخفاء و الناس يستعدون للعصيان من جديد و إذا بالأئباء ترد إلى همایون معلنةً موتها على جونبور جنيد برايس، و هو الوالي الاداري الحازم المخلص الذي كان همایون يعول عليه في الملمات و يتخد ذرعاً يقيه الأعداء.

إذاء كل هذا رأى همایون أن يسرع الخطى نحو آكره ليرتقى ما افتقد، و بمعادرته كجر ات طارت من يده البلاد، إذ خرج بهادر شاه من مخبئه واستعاد ملكته و وجد أنصاره ما زالوا على ولائهم له، فطرد عمال همایون، و فرّ عسكري ميرزا بعد شهور لا حقاً بأخيه في آكره.

عاد همایون إلى آكره ليواجه صعباً لم تكن في حسبانه و ذلك أن الأفغانيين في شرق الهند اغتنمو افرصه انهماكه في كجرات و ساروا، بقيادة زعيم اسمه شير خان، فاستولوا على قلاع كثيرة منيعة، و حدث أن مات سنة ١٥٥٦ أمير البنغال نصرت شاه، الذي كان مواليًا لهمایون و خلفه أمير تلقب بالسلطان محمود شاه، و لما كان لهذا الأمير أنصار و أعداء فقد اهتب شير خان هذه الفرصة و زحف إليه فحاصره في عاصمته كور و ظل يوالي عليه

ص: ٣٨

الضربات حتى أجاه إلى الفرار ففرّ ملتقطاً إلى همایون الذي كان آنذاك في بهار، فكان على همایون أن يقضي على ثورة شير خان و أن يعيد أمير البنغال إلى عرشه، و بعد أن استعاد سنة ١٥٣٧ قلعة جنار من أيدي رجال شير خان تقدم سنة ١٥٣٨ إلى كور لاسترجاعها من الأفغانيين فالتحق طلائع جيشه في بعض الطرق الجبلية بالجيش الأفغاني الذي كان يقوده ابن شير خان، و لما رأى الأفغانيون أنهم لا يقدرون على الوقوف في وجه الجيش المغولي تراجعوا ملتقطين إلى الجبال و سار همایون متقدماً حتى قارب قلعة رهتس و كان الواجب عليه أن يستولى عليها ليضمن لنفسه خط الرجعة، و لكنه لم يفعل، و كانت خطية استراتيجية ارتكيها همایون و قطف ثمارها شير خان إذ أنه لما علم بإهمال همایون هذه القلعة ترك كل شيء وراءه و رجع بطريق جبلي فاستولى عليها.

أما همایون فإنه سار حتى دخل كور و جاء فصل الشتاء فلم يعد يستطيع حرaka و بينما هو في هذه الحال و إذا بالأئباء تأتيه مخبره بأن أخيه هندال ميرزا اهتب فرصة غيابه عن العاصمة و أعلن نفسه ملكاً على البلاد، و تحرك أخوه الثاني كامران ميرزا، والي البنجاب، يقصد آكره ليتزعز الملك من أخيه، مدعياً أنه آت لنصرة همایون، و لما علم هندال بمسير أخيه إليه ترك آكره و فر إلى الوز و هكذا فقد أصبحت البلاد في فوضى واضطراب لا حدود لهما و أصبح همایون و أخيه محصور في البنغال إذ أنه لم يعد يستطيع أن يطلب نجات من آكره و لا يستطيع العودة إلى ليها و هو على حالته تلك لا سيما بعد أن أفت الأوباء، التي تفشت في جنده، عدداً كبيراً منهم.

و في هذه الفترة التي كان همایون لا يستطيع أن يأتي بحركة، كان شير خان يستولى على البلاد و يقيم عليها الولاية مكان الولاية المغول. فلما رأى همایون أن لا بد له من العودة إلى آكره ترك كور و سار حتى وصل مدينة بنارس و هناك التقى

ب شير خان و دارت بينهما معركة في (جوسه) على خمسين ميلا من مدينة آره، و انهزم همایون هزيمة منكرة، و غرق آلاف من رجاله في ماء (الكانج) و اشرف همایون على الغرق و لكنه نجا بمساعدة نظام السقاء و كان ذلك سنة ٩٤٦ هـ و هكذا كان النصر حليف شير خان و بذلك أصبح سيد البنغال و بهار غير منازع . و لما رأى الأمراء الأفغانيون ذلك بايوا شير خان ملكا على البنغال و تلقب ب شير شاه سور. أما همایون فإنه استطاع الفرار من المعركة و رجع إلى

ص: ٣٩

أكره مهيسن الجناح كسيير القواد و توالى الهزائم على المغول حتى خرجت من يد همایون أكثر البلاد الكائنة ما بين نهر جمنا و نهر الكانج و كثير غيرها.

غير أن كل هذه الهزائم لم توهن من عزم همایون و لا فلت من عضده و لا فقدته الثقة بنفسه بل أخذ يجمع الجموع، من جديد، ليحارب شير شاه، و في سنة ١٥٣٩ سار همایون إلى بلاد ما بين البحرين - جمنا و الكانج - يردد استئصال الأفغانيين فالتقى ب شير شاه عند قنوج، وكانت الظواهر تدل على أن الغلبة ستكون لهمایون على خصميه، و لكن حدث أن جاءت السماء بأمطار غزيرة أغرت معسرك همایون، إذ كان في منخفض من الأرض، فشلت حركاته و دارت الدائرة عليه و مني بهزيمة شنعاء كانت القول الفصل في تقرير مصير همایون الذي استطاع أن يفلت من أيدي أعدائه، و لكنه لم يعد يستطيع البقاء في آكره أو في دهلي لأن جيوش شير شاه كانت تطارده، فأخذ يضرب في الأرض بين السند و البنجاب عليه يستطيع تأليف جيش ليج ابه عدوه و لكن جهوده ذهبت عبثا و لم يجد له ناصرا بل لم يكن يملك إلا بغيرا ركبه مع زوجه و هي حامل حتى وصل إلى عمر كوت حيث ولد ابنه جلال الدين أكبر، و أما قومه من المغول فحين ادركوا، أنهم أصبحوا غرباء في البلاد أخذوا يغادرونها إلى البنجاب حتى ليقال بأن لاهور و ضاقت بهم، ثم لما علموا بأن شير شاه ما زال يطاردهم تركوا لاهور إلى كابل و كشمير . وكانت كابل إمارة مغولية منذ زمن بعيد، و أما كشمير فقد استولى عليها حيدر ميرزا ابن خالة بابر و مشير همایون وأسس فيها إمارة أصبحت ملجاً لكل مغولي، وقد دعا حيدر ميرزا همایون مرات عديدة إليه، و لكن همة همایون أبى عليه، بعد أن كان أمبراطور الهند، أن يعيش ضيفاً على قريبيه، و ظل أكثر من سنتين يضرب ما بين السند و الهند محاولاً استعادة ملكه دون جدوى، لما ينس غادر البلاد إلى كابل لكنه ما كاد أن يستقر فيها حتى بلغه أن أخيه خرج إليه ليأسره، ففرّ بنفسه تاركاً أبناءه مع أمه في (قندھار) و التجأ إلى أمبراطور إيران الشاه طهماسب الصفوي الذي أكرم مثواه و أحسن ضيافته.

و في سنة (٩٤٧ - ١٥٤٠ م) أصبح شير خان أو شير شاه السورى كما عرف فيما بعد هو السلطان الحقيقى للهند.

ص: PAGE=٤٠

٥

١٢٢٨٠ الشيعة في العصر المغولي؛ ص ٤٠

٠ طريحى، محمد سعيد، الشيعة في العصر المغول، ١ جلد، أكاديمية الكوفة - هند، چاپ: اول، ١٤٢٧ هـ.ق.

و ما غدا أن أحضر مالوه و البنغال لحكمه كما أنزل بالأمراء الهنادكة الرجبوتين ضربات متلاحقة شديدة. بيد أنه أصيب في إحدى المواقع بشظية من قذيفة قضى بسيتها بعد قليل سنة ١٥٤٥ م بعد أن حكم الهندستان سنين خمسة تعد من خير أيام هذه البلاد.

فقد قضى على نظام الاقطاع وأنشأ للدولة جيشاً قوياً تلتزم بدفع نفقاته من بيت المال و مدّ ما يزيد على الألفي ميل من الطرق المعبدة لتنظر لها الأشجار و زودها بمنازل للمسافرين و الدواب مما ساعد على رواج أحوال صغار التجار تبعاً لذلك. كذلك أنشأ المدارس الكثيرة و المساجد و رتب الأجور للطلبة و المعلمين على السواء، وأقام مطاعم شعبية كثيرة في أنحاء متفرقة من البلاد و أباحها للفقراء بالمجان.

و قد خلفه ابنه الأكبر، ولكن أخيه الأصغر أزاحه عن العرش و تولى الملك و تلقب بالسلطان سليم شاه و سار على خطى والده في الإصلاح، إلا أنه أصيب بالغرور و العتو، فأمر بأن توضع له منصة في مركز كل ولاية توضع عليها نعلاه فيأتي الناس يوم الجمعة ينحنون أمامها تعظيمًا و خضوعاً . ثم ازداد غروراً و رعونة و فسقاً، فثار عليه والي البنجاب هيبة خان فقضى السلطان على ثورته و لكنه لم يستطع أن يقضي على غضبة الشعب.

فأقسام الناس أحرازاً و طرائق، منهم من يؤيده و منهم من ينكر عليه، فلما مات سنة ١٥٥٤ ، ماتت معه الوحدة الأفغانية، التي عمل أبوه جاهداً كل حياته لخلقها و إحيائها، واستقلت أكثر المقاطعات، لا بل و انقرضت أسرة شير شاه لأن السلطنة انتقلت بعد ذلك إلى خاله مبارز خان الذي أزاح فيروز شاه بن سليم شاه عن العرش و تولاه هو و تلقب بالسلطان العادل لكي يستر ما كان عليه من ظلم و جور.

و لما تولى العادل ثار عليه الولاة في بهار و ما بين نهرى جمنا و الكانج فقاتلهم حتى تغلب عليهم، و ما كاد ينتهي من قتالهم حتى فوجئ بوالى البنجاب أحمد خاًن و هو يسير إلى آكره و يعلن نفسه ملكاً على البلاد و يلقب نفسه بـ سكدر شاه . و السبب الذي حدا سكدر شاه إلى ذلك هو أنه من أسرة شير شاه، و كان أحق بإرث فيروز شاه من غيره، بيد أن نتائج هذا الاختلاف لم تعد على أحد بنفع، بل أدت إلى ما تؤدي إليه جميع الاختلافات من هذا النوع إلى خسارة الجميع، و هكذا كانت هذه الانشقاقات هو الباب الذي ولج منه همایون للعوده إلى عاصمة ملكه، و خلال خمسة عشر سنة من إقامته في بلاد

ص: ٤١

فارس كان يضع الخطط المدروسة لذلك و قد حظى خلال تلك الفترة بقائد عسكري خطير و مفكر عظيم الشأن و هو بيرم خان التركمانى الشيعى الذى قاد عملية رجوع همایون إلى الهند ببراعة فائقة، فما ان تناهى إلى سمع همایون و قائد بيرم نباً الفوضى التي عصفت بخلفاء شير شاه السورى حتى انطلق بجيش جرار من بضعة آلاف محارب جهزها لهم الامبراطور الصفوى، و ساروا إلى الهند و اصطدموا أولاً بميرزا كاميران و عسكري في ارض كابل و السند حتى ظفروا بهم، و من ثم سمح همایون لأخويه بالهجرة إلى الحجاز فقياً هناك حتى آخر حياتها.

ثم انطلق جيش همایون و على مقدمته القائد بيرم خان للالتقاء بجيش سكدر شاه الذي اعدّ جيشاً قواه ثلاثون ألف مقاتل، فلما التقى الجيشان شتت بيرم خان، قائد جيش همایون، شمل هذا الجيش و صدّعه و فتح لنفسه باب الهند، إذ أخذ المغول

يستولون على القلاع القائمة على الطريق ما بين البنجاب و دهلي. و لكن سكدر شاه جمع جموعه، من جديد، و سار على رأس جيش كبير لطرد المغول، و سار همایون بكامل جيشه، فالتحق الجمعان بالقرب من مدينة سمرقند، و دارت رحى معركة شديدة انتهت بانتصار همایون، و كان ذلك سنة ١٥٥٤، و فرّ سكدر شاه إلى قلعة حصينة تقع ما بين «رهناس» و كانكري و هي القلاع التي بناها شير شاه و اتخذها مركزاً لتأديب قبائل الحدود، و من هناك أخذ يناوش ولاة شمال البنجاب و يزعجهما، و قد ترك همایون في قلعته هذه حتى فرغ من تطويق الهند ثم سار إليه بنفسه و حاصر القلعة حتى استسلم بشرط أن تترك له حياته و يسمح له بالذهاب إلى البنغال . و باستسلام اسكندر شاه زال آخر حصن أفغاني في البنجاب.

و إذا كان القدر قد أسعف همایون بأن جعله يرى الهند ثانية و أن يدخلها فاتحاً منتصراً بعد أن فرّ منها خائفاً يتربّص، فإنه لم يسعفه بأن ينعم بهذا النصر إذ سقط، قضاء و قدرًا من الطابق الأول، في قصره، إلى الأرض فمات . و في تاريخ فرشته يروى قصة وفاته على هذه الصورة، قال كان ينزل من مكتبه، و اثناء نزوله سمع الآذان فجلس على السلم و وقع مغشياً عليه، و أدركه خدمه و نقلوه إلى الحرم الملكي، و جاءوا له بالأطباء، فأفاق قليلاً، و لكن ساعته كانت قد حانت، فلم يجد الأطباء شيئاً و توفي في ١٢ ربيع الأول سنة

٤٢:

٩٦٣ هـ (يناير ١٥٥٦ م) و هو في الواحد والخمسين من عمره و خلفه ابنه جلال الدين و تلقب بـ «أكبر» و هو لا يزال في الرابعة عشرة من عمره، و بالنظر إلى صغر سنّه فقد تولى إدارة الملك القائد الحازم الأمين «بيرم خان» بوصفه نائباً عن الملك.

مات همایون و لم يسيطر إلا على الهند المركزية، و كان شرق الهند ما زال بيد أمرائه، و كان الأمراء في قتال و احتراب مستمر، و في الفترة التي مات فيها همایون كان عادل شاه، الذي ادعى حق وراثة عرش البنغال، قد فرغ من حر وبه الأهلية و انتصر على جميع الأفغانيين الثنائيين، فجمع قواه و تقدم لقتال المغول حتى وصل دهلي فتصدى له و إليها «تردي بيک» بكل ما لديه من جنود و لكنه انهزم أمام جيش عادل شاه الذي كان يقوده القائد «هيما» و دخل البنغاليون دهلي فخرجت هذه المدينة من يد المغول للمرة الثانية.

أمام هذه الهزيمة المغولية الجديدة، التي كادت نتائجها تكون خطيرة على المغول لو لم يكن فيهم قادة عظام أو لو كان قائد عادل شاه قائداً عليماً بفنون الحرب و أسرارها.

و لكن من حسن حظ «أكبر» أن «هيما» لم يكن جندياً محترفاً بل كان بدلاً وصل إلى مقام القيادة بذكائه و ماله، بينما كان قائد المغول من أحسن القواد، و هو القائد الشيعي والأمير الكبير على قلّى ابن حيدر سلطان الشيباني، و لذلك فلم تكن نتائج هذه الهزيمة لتوثر على مركز المغول الذين تلقوا النبأ ببرباطة جأش، و حينما علموا بأن «هيما» أرسل مدعيته كلها مع عدد قليل من الرجال إلى باني بنت، أرسلوا فرقةً مغوليةً تقدمتها فاستولت عليها . و لما بلغ الخبر «هيما» أسر إلى الميدان، و هناك استعمل المغول فنونهم الحربية فحطموا عدوهم في بعض ساعات، و فرّ «هيما»، و لكنه أخذ و قتل، و عادت دهلي إلى المغول بفضل قيادة على قلّى الشيباني المذكور، فزاد أكبر في منصبه و لقبه بخان زمان، و انقرضت بذلك الدولة

الأفغانية من شمال الهند ولم تقم لهم بعدها قائمة، وكان ذلك سنة ١٥٥٦. وأما عادل شاه فقد ظل في قلعة جنار مدة من الزمن لا يخرج منها خوفاً من الحرب الأهلية. ثم إنه قتل بيد الأفغانين.

استولى المغول على ما استولوا عليه من الهند وظلت مالوي بيد ولاة أفغانيين من قبيلة «سور» وكان نظام الحكم فيها إرثيا، فلما رأى الوالي «باز بهادر» اضطراب البلاد أعلن، سنة ١٥٥٥، استقلاله، فأرسل المغول جيشاً استولى على «أجمير» و«بيانه» و«كواليار»

ص: ٤٣

ولم يحرك «باز بهادر» ساكناً بدعوى أن هذه المناطق ليست داخلة في بلاده، فلما دخل المغول مالوي نهض باز بهادر لقتالهم فغلبوا في معركتين، فلما رأى أنه لا طاقة له بهم استنجد بأمير خان ديس «ميران مبارك شاه الفاروقى» فأنجده بجيشه الكبير استطاع أن يدحر به المغول ولكن المغول أعادوا الكرة وسحقوا جيش مالوي وفرّ باز بهادر هائماً على وجهه بضع سنوات ثم إنه أتى إلى «أكبر» خاضعاً طائعاً فأكرمه.

لقد قضى همایون ولكن صيته في الفضل والفروسية والجود لم ينقضي وبقى لمدة طويلة مثالاً للأفذاذ من الرجال، وكان مع المعيته في الحرب والتدبر بارعاً في عدد من العلوم شغوفاً بالعلم دائم الصحبة للعلماء كما و كان ديننا تقيناً محافظاً على الموضوع ويكره أن يسمى الله على غيره، ذكر في تاريخ فرشته : انه كان أحد كبار رجاله المسمى عبد الحى، ومرة كان همایون بدون وضوء فلما ناداه همایون لم يجترئ على ذكر اسم الله (الحى) وقال (عبد الـ) فقط، فتعجب الحاضرون وسائلوه، فقال: لم أكن متوضعاً فكرهت أن أذكر اسم الله وأنا على هذه الحالة، وأما عن طبيعته في الكرم فقد نسب إلى الإسراف جداً، وأما عن رحمته باخوانه فقد كان ذلك من أسباب نكبته مراراً، وكانوا يغدرون به دائماً وهو يصفح عنهم ويوليهم الأعمال الجليلة ولها قد كجرات والبنجاب مرتين وكان شاعراً أدبياً وسيماً اسمه اللون مات في قلعة دهلي القديمة ودفن في كيلو كهري، وشيد ولده أكبر على قبره بناء فخماً يعد اليوم من الآثار الفنية الرائعة.

()

ص: ٤٤

جلال الدين أكبر ٩٤٩-١٠١٤ / ١٥٤٢-١٦٠٥ م

السلطان المؤيد المظفر أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر بن همایون بن بابر التيموري، ثالث أباطرة الأسرة التيمورية في بلاد الهند.

ولد في قلعة امرکوت tokramU من ارض السندي في ثاني ربيع الأول سنة تسع وأربعين و تسعمائة الموافق للخامس عشر من اكتوبر عام ١٥٤٢ م، من بطنه حميده بانو ابنة أحد العلماء الايرانيين الذين كانوا بصحبة هندال أصغر أبناء جده بابر.

و كانت ولادته في المنفى في الوقت الذي انهزم فيه والده من شير شاه و لم يبق معه الا القليل من الجندي، فقصد ايران و ترك ولده هذا عند أخيه كاميران ميرزا بمدينة كابل، و لما عاد بعد مدة الى افغانستان و فتح قندهار و كابل لحق أكبر بأخيه، حتى اذا تم فتح الهند جعله أبوه حاكما على البنجاب، و معه بيرم خان خانان مستشارا له و موجها، و عندما وقعت لهمايون حادثة السلم ارسل الامراء رسولا الى أكبر في البنجاب يخبرونه بمرض والده، و لكن همايون توفى قبل أن يعود أكبر، فاعلن في البنجاب المنادي به سلطانا على عرش أبيه سنة (سنة ٩٦٣ هـ) في الرابع عشر من فبراير سنة ١٥٥٦ مـ. و كان سنه في ذلك الوقت ثلاث عشرة سنة و تسعه شهور و كان هذا الحدث ايدانا بظهور أعظم من عرفته شبه القارة الهندية من الحكام على الاطلاق منذ القدم، بل إن المؤرخين ليجمعون على أنه كان أبعد حكام العالم صيتا وأخلدهم ذكرا في عصره.

و لقد ولى أكبر العرش و هو في الرابعة عشرة من عمره عام ٩٦٤ هـ «١٥٥٦ مـ» و لكن كان من حسن طالعه أن لقى إلى جانبه قائد أخيه المذكور بيرم خان التركمانى الذى أبي إلا أن يلازم همايون طوال محتنته بالمنفى دون رجاله جميا.

وبهمة بيرم خان هذا قضى على قوات هيمو الكثيفه قائد السلطان محمد عادل سورى

ص: ٤٥

بعد أن كانت قد استولت على دهلي ثم دخلت آجرا نفسها عقب موت همايون، حتى رأى بعض رجال الدولة الارتداد من جديد عن الهند إلى كابل. إذ أمكن لهذا القائد التركمانى القدير، بقواته التي لم تكن تعدو العشرين ألفا من الجندي، أن يتربّل آخر الأمر بعده و جنوده المائة ألف هزيمة حاسمة ألت الرعب في قلوب جميع الخارجيين على السلطان الجديد من بقايا أسرة شير شاه سورى جميا.

و التفت بيرم خان من بعد ذلك في عزم إلى تنظيم وإدارة الحكم، كما عنى عناية فاتحة بستقيف أميره و حضه على طلب المعرفة، ثم بعث من بعد ذلك بالجند لاسترداد ما فقدته الدولة من أراض، فلم يمض عامان حتى عادت لها حدودها القديمة التي كانت لها أيام مؤسسيها.

و قد نشأ أكبر في ظروف عصيبة، فلم يحظ بعناية من أخيه البعيد عنه، و لم يتعلم مثل أولاد الملوك، و حينما اعتلى العرش لم يكن يحسن القراءة و الكتابة بل انصرف باختياره عن التعلم لكنه كان رجلا فريدا في حدة الذكاء و الالمعية، قويا و دقيقا في ملاحظاته، متغطشا للمعرفة، تشوق منذ صغره للدين و درسه سماعا على المشايخ الذين كانوا يحضرون عنده أو يلتقطهم في المواسم الدينية و ما أكثرها في الهند يومذاك، وقد روى المؤرخون الكثير من التوارد التي تدل على اصالة الدينية و تعلقه بالاسلام و من ذلك:

أنه تجشم الملك عناء السفر مشيا على الأقدام إلى «أجمير» شكر الله تعالى على ولادة ابنه سليم و عرج على دهلي في الرجوع منه، و زار قبور الأولياء و الصالحين.

توجه إلى «أجودهن» و زار شيخ المشايخ فريد الدين كنج شكر، «سفر إلى» «أجمير» في اوائل شعبان، و مشى سبعة فراسخ على الأقدام، حتى زار الضريح، و نذر الطبول، و قضى وقتا طيبا في مصاحبة العلماء و الصالحين، و حضور مجالس الذكر».

«و كان يستغل - باستغراق - في ذكر «يا هو» و «يا هادى» في مصلحة، و جاء في حوادث عام ٩٨٠ هـ حديث أمره لبناء ثلاث عمارت خاصه بعبادته».

«كان يطلب - كل ليلة الجمعة في مصلحة، الأشراف و المشايخ و العلماء و يحضر الملك حلقة من العلماء، و يباحثهم في المسائل و الأحكام، و صدر الأمر في هذه الفترة إلى القاضي جلال و غيره من العلماء بتفسير القرآن الكريم».

ص: ٤٦

و جاء في وقائع عام ٩٨٦ هـ مصاحبته للعلماء و المشايخ و مجالستهم، و إحياء ليلة الجمعة، في مصلحة بـ «فتح بور سيكري».

ولما خرج خان زمان على الملك أكبر، و أعلن الثورة، قام الملك إلى قبور الأولياء و الصالحين للدعاء عندها قبل أن يتوجه لمقاومة خان زمان و محاربته.

«و أطلق رجل كان يدعى فولادا سهما على الملك بإشارة شرف الدين حسين عند مروره بمدرسة «خير المنازل» التي أسستها خاضنته: «ما هم آنکه» و أصيب الملك بجرح خفيف، برئ منه - بعد معالجته لأيام قليلة - فكان بعد النجاة من هذه الحملة الباغته - كرامة أولياء دهلي، و تتباهى غيبلله».

و حضر - مرأة في طريقه إلى أجмир، في خدمة الشيخ نظام النارنولي، الذي كان من المشايخ الصالحين المعروفين، و ذات صيت زده و ورعه في الآفاق.

«و زار سنة ٩٨٠ هـ ضريح السيد حسين خنك سوار في أجмир، ثم زار - بعد سنوات - قبر الشيخ قطب جمال في إعتقداد و حب و إكبار، وقرأ الفاتحة».

«و كان يعظم الشيخ سليم الجشتى و يعتقد فيه، و بنى على قبره قبة فخمة باهتمام بالغ، و لأجل هذا الإجلال و التعظيم للشيخ سليم الجشتى سمي ولی عهده (جهانكير) الذى ولد - كما يقال - بدعائه، «سليم»، و كان الملك بعث بعقليته الملكة «جودها بائى» إلى بيت الشيخ قبل الولادة، حتى تكون موضع عنایة الشيخ و ولد ابنه مراد كذلك في بيت الشيخ سليم، و لما أصبح ولی عهده، سليم (جهانكير) فى سن يبدأ فيها القراءة و أول ما يقرأ الطفل يكون «بسم الله الرحمن الرحيم» و هي عادة تسمى «باحتفال التسمية» في الهند - طلب من المحدث الشيخ مير كلان الھروی أن يشرف بهذه المناسبة فحضر و أقرأ «سليم» «التسمية» بحضور الملك مع جمع من أعضاء الدولة و أركان المملكة.

و حينما بدأ ولی العهد يشدو في القراءة و الكتابة، أمره أن يذهب إلى بيت الشيخ عبد النبي، و كان الملك أكبر يبالغ في تعظيم الشيخ عبد النبي - حفيد الشيخ عبد القدس الكنکوھی و المتبوأ على منصب «صدر جهان» في عهد الملك أكبر حتى كان يقصد بيته، و يحضر درسه، و قام - مرتين - بوضع نعليه عند احتداء الشيخ لهما.

ص: ٤٧

»وأقطع الشيخ محمد غوث الكوالىارى- الذى كان شيخ الطريقة الشطارية المعروفة- أرضاً كان دخلها السنوى عشرة ملايين «دام» لينفقه على نفسه، و كان يتلقى ابنه الشيخ ضياء الله- بعد وفاة والده- بالإكرام والإجلال.

وقد كان الملك أكبر ورث هذا الإجلال للمشايخ الحفاوة بهم من آبائه وأجداده، فكان سلفه التيموريون يعتقدون في الشيخ ناصر الدين عبيد الله أحمرار، ويعظمونه، وكان جد الملك بابر، السلطان أبو سعيد، يذهب إليه مأشياً لا يركب، تأدّباً معه واحتراماً له، ولم يكن يقدم على عمل أو ينجز قراراً إلا بعدأخذ رأيه، وكان والد الملك بابر عمرشيخ مرتزاكذلـكـ يجلـ الشـيخـ عـبـيدـ اللـهـ وـ يـحـتـرـمـهـ،ـ وـ يـذـكـرـهـ الـمـلـكـ باـبـرـ نـفـسـهـ فـيـ كـتـابـهـ «ـتـرـكـ باـبـرـ»ـ بـتـقـدـيرـ وـ إـعـظـامـ،ـ وـ لـمـ قـدـمـ الشـيخـ يـحـيـيـ وـ هوـ مـنـ أـعـقـابـ الشـيخـ عـبـيدـ اللـهـ أحـمـرـارـ إـلـىـ الـهـنـدـ،ـ اـسـتـقـبـلـهـ الـمـلـكـ أـكـبـرـ بـحـفـاوـةـ بـالـغـةـ،ـ وـ رـفـعـ قـدـرـهـ،ـ وـ وـهـبـهـ أـرـضاـ لـنـفـقـتـهـ،ـ وـ بـعـثـهـ أـمـيرـاـ عـلـىـ قـافـلـةـ الـحـجـاجـ إـلـىـ مـكـةـ الـمـكـرـمـةـ،ـ وـ لـمـ عـادـ مـنـ سـفـرـ الـحـجـ،ـ جـهـزـ لـهـ إـلـيـقـامـةـ الدـائـمـةـ فـيـ مـدـيـنـةـ «ـآـكـرـهـ»ـ.

وكان الملك أكبر عيّن سبعة أيام للأيام السبعة من الأسبوع يتناوبون الإمامة في الأيام المعيينة لهم، وكانت الإمامة - يوم الأربعاء - موكولة إلى الشيخ عبد القادر البدايوني.

كان يبعث - كل عام - عدداً كبيراً من الحجاج إلى الحرمين الشريفين على نفقة الدولة، ويعث مع أمير الحجاج الهدايا والتحف إلى والي مكة المكرمة ويعث التقدود والغلات لأهل الحرمين الشريفين، وكان يشيع الحجاج عند توديع قوافهم محرماً كإحرام الحج، مقصراً للشعر، مليباً حاسراً الرأس، حافياً القدمين، وكان هذا المشهد المؤثر يحدث هزة في النفوس، تلين القلوب، وتدمّع العيون.

ولما قدم شاه أبو تراب إلى الهند بحجر عليه أثر قدم الرسول (صلى الله عليه وسلم)، كما يقولون - ووصل قرب مدينة «آكره» خرج الملك مع حشد عظيم من العلماء والمشائخ والأمراء والوزراء، ومشي معهم أربعة فراسخ على الأقدام لاستقبال الشيخ أبو تراب، وإجلال مقام الرسول (صلى الله عليه وسلم).

ونختم الشواهد على تدينه وتعبده بهذا التصريح، الذي جاء في «ـمـآـثـرـ الـعـلـمـاءـ»

ص: ٤٨

لمؤرخ الدولة المغولية الشهير مير عبد الرزاق خافي خان المعروف بضمّ صام الدوله شاه نواز خان (١١٧١-١١١١هـ) كان الملك أكبر يبذل جهوداً كبيرة في تنفيذ الأحكام الشرعية، والتأكيد على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان يؤذن بنفسه، ويؤم الناس في الصلاة، حتى إنه كان يكتس المسجد، احتساباً وطلبًا لمرضاة الله.

وكل تلك الأخبار عن تدين أكبر مستقاة من مصادر سنّية لا سيما عـنـ مـعاـصـرـهـ العـالـمـ السـنـىـ عبدـ القـادـرـ الـبـدـايـونـىـ،ـ وـ لـكـنـ ماـ الـذـىـ دـعـاـ الـكـتـابـ السـنـةـ بـشـكـ خـاصـ انـ يـحـولـواـ نـظـرـهـمـ وـ يـغـيـرـواـ رـأـيـهـمـ فـيـ هـذـاـ الـأـمـبـاطـورـ الـمـسـلـمـ الـمـتـسـامـحـ،ـ الـذـىـ كـانـ حـيـاتـهـ تـفـيـضـ بـالـشـاطـاطـ العـقـلـىـ،ـ وـ هـوـ الـذـىـ مـلـأـ الـهـنـدـ مـآـثـرـ وـ مـفـاخـرـ،ـ وـ اـدارـ السـلـطـنةـ الـاـسـلـامـيـةـ اـدـارـةـ قـلـ منـ سـدـدـ لـمـثـلـهـ فـيـ الـأـوـاـئـ وـ الـأـوـاـخـرـ حتـىـ جـعـلـتـ بـفـرـدـجـ A.S. egdireveB منـ اـدـارـهـ قـلـ منـ سـدـدـ لـمـثـلـهـ فـيـ الـأـوـاـئـ وـ الـأـوـاـخـرـ حتـىـ جـعـلـتـ بـفـرـدـجـ A.S. egdireveB أنـ يـعـدـ إـدـارـتـهـ الـحـازـمـةـ مـثـلـاـ لـمـ يـتـكـرـرـ وـ أـنـهـ فـيـ مـسـتـوـىـ أـرـقـىـ منـ اـدـارـهـ مـلـكـةـ الـأـنـجـلـيـزـ فـيـ ذـلـكـ الـعـهـدـ،ـ وـ لـاـ شـكـ اـنـ هـذـاـ التـحـولـ فـيـ النـظـرـةـ إـلـىـ الـإـمـپـاطـورـ اـكـبـرـ هوـ اـعـتـاقـهـ الـمـذـهـبـ الشـيـعـيـ وـ تـقـرـيـبـهـ لـعـلـمـاءـ الشـيـعـةـ الـذـيـنـ حـفـلـ بـهـمـ بـلـاطـهـ وـ بـلـادـهـ وـ سـنـائـىـ عـلـىـ عـدـدـ مـنـهـمـ بـعـدـ الـانتـهـاءـ مـنـ تـرـجـمـتـناـ لـأـكـبـرـ،ـ وـ هـكـذـاـ اـتـخـذـ مـنـ تـشـيـعـهـ وـصـمـةـ لـأـنـ تـشـيـعـ بـزـعـمـ هـؤـلـاءـ الـمـتـعـصـبـيـنـ خـرـجـ بـهـ عـنـ جـادـهـ الصـوابـ الـذـىـ يـعـنـونـهـ مـعـ أـنـ تـشـيـعـ كـمـاـ لـاـ يـخـفـىـ

يقتضى الاسلام الاصيل لأن الشيعة لم يخرجوا قط عن كونهم مسلمين، بل لقد كان والده هماليون نفسه شيعياً و جاء بعد هماليون اكبر و نسأ في وسط اكثره من القادة الشيعة و بفضل هؤلاء استتب له العرش ثم انه كان في ذاته بعيداً عن التعصب الذميم متمسكاً بروح الدين الاسلامي و لهذا عامل جميع أهل الديانات في بلاده معاملة متسامحة كريمة و حارب التمييز بين الناس في الحقوق بسبب الدين ثم انه بسبب تشيعه قرب إليه علماء الشيعة كما تقدم و كان من الطبيعي أن تتار ضده كل تلك الضجة من العلماء المتعصبين وخاصةً من الشيخ عبد الله السلطاني و الشيخ عبد النبي بن أحمد الكوكبي اللذان عفا عنهما و اخرجهما للحجاج، كما اخرج القاضي جلال الدين الملطي إلى أرض الدكن و نقل محمد بن المنتجب الامر هو إلى حكومة بكر و سيوستان، وكان بإمكانه اكبر و هو السلطان المقدّر ان يسع معاملتهم أو حتى قتلهم جراء و مؤامرتهم ضده لكنه خفض لهم جناح الرحمة فأبعدهم بهدوء كما هي عادته في التسامح مع معارضيه أو من اختلف معه من سائر الاديان الأخرى.

٤٩: ص

و المشهور عنه انه حارب التمييز بين جميع الناس في الحقوق بسبب الدين و في سنة ١٥٩٣ أصدر أمراً بأن كل من أجبر على الاسلام من الهند في مدة أسلافه يمكنه الرجوع إلى دينه، و عوضاً عن أن تكون هذه الصفات النبيلة مدار اعتزاز من شيوخ المسلمين فقد اتخذوها سبباً للتثنيع على اكبر و الطعن فيه لأنه لم يررأ لهم في اضطهاد الناس بسبب الدين و المذهب و لأنه بالاخص لم يضطهد الشيعة كما لم يضطهد السنة و كما لم يضطهد غيرهم من أصحاب الأديان.

ولكن جميع خطواته كانت من أجل استباب الأمن و النظام و الطمأنينة بين الشعب الذي يحكمه حتى اذا كان ذلك على حساب ابناء طائفته الشيعية كما في حربه للقادة الازبكي الشيعة و مقدمهم على قلی خان و قد قتلهم و انتصر عليهم بعد ان اعادوه في سلطنته بل و ماذا نقول في خذلانه للرجل الثاني في مملكته و من كان بمثابة والده و قد حافظ عليه و رياه و قاد المعارك الفاصلة من أجل حكمه و هو القائد التركمانى الشيعى بيرم خان، حين آخذه بهفة صدرت منهم، و لم يعف عنه على الرغم من كل المعاذير التي توسل بها إليه، و من يدرى لعل لأولئك الشيوخ الذى تفاصهم أكبر فيما بعد أثراً في حبك تلك المؤامرات ضد هذا القائد العظيم الذى خسره اكبر حتى أن بيرم خان هنا لم تعد تطيب له الاقامة في آخره و لهذا طلب من اكبر ان يسمح له بقتال مالوه و البنغال للاستيلاء عليهما و لما لم يوافق أحد من القادة للذهاب معه إلى هناك طلب من اكبر ثانيةً أن يسمح له بالذهاب إلى الحجاز ليقضي باقى حياته مجاورة، فأذن له، و غادر آخره ترافقه حاشية كبيرة، و قتله بعض الافغانيين في الطريق إلى كجرات سنة ١٥٦٠ م و حينها أدرك أكبر المدين هو و أبوه من قبله بعشيهما بيرم خان التركمانى الشيعى مقدار الجحود فيما فعله ببيرم، فاحتضن ولده اليتيم ميرزا عبد الرحيم خان الذي أصبح بعد ذلك يحمل لقب أبيه خنان، كما سيأتي في ترجمته مفصلاً.

حروب اكبر:

بعد أن سيطر اكبر على عصيان قائده الازبكي على قلی خان زمان توجهت انظاره إلى راجبوتانه، حيث كان لا يزال فيها بعض الامراء الذين لم يخضعوا له ففتح قلعة

٥٠: ص

«رتهنبو» و سار متقدما نحو رتهنبو و إذا به يفاجأ بخبر استيلاء بعض الأمراء التائرين على ماندور فسار إليهم ففروا من وجهه إلى كجرات فطاردهم واستولى على مالوى من غير قتال ثم استولى على مبور و قلعتها جتور، و هي أمنع قلعة في راجبوتانه، وكان يدافع عنها «جي مل»، وهي قلعة يضرب بها المثل في الم ناعة، ذهب إليها على رأس جيشه، وأخذوا يهدمون أسوارها بالمتغيرات، وفي إحدى الليالي أطل «جي مل» من فوق أسوار القلعة، فلمحه أكبر و سدد إليه رمية أطاحت به، فدب الذعر والخوف في جنوده وأهله، وأخذوا يقتلون أنفسهم ويحرقونها، ثم فتحوا أبواب القلعة و وقفوا عندها ليقاتلوا المهاجمين حتى آخر قطرة من دمائهم، و فطن أكبر لهذا فساق إليهم الفيلة فمزقتهم إربا، و دخل المدينة سنة ٩٧٦ - ١٥٦٨ م.

و لم يجد المغول بعدها أية صعوبة في الاستيلاء على امارات راجبوتانه كلها، و ما أتت سنة ١٥٧١ حتى كانت جميع امارات راجبوتانه تابعة لامبراطورية المغولية و تؤدي إليها الخارج.

ثم اتجه أكبر إلى كجرات بعد فتن و اضطرابات شهدتها عاصمتها (أحمد آباد) فدعا سلطانها مظفر شاه الثالث دعا أكبر للاستيلاء على كجرات و القضاء على الاضطرابات فلبّي «أكبر» هذه الدعوة و سار بنفسه إلى كجرات فاستقبله مظفر شاه باحترام و قدم إليه خضوعه و طاعته، و أصبح قائداً من قواده و كان يرافق السلطان أكبر إلى كجرات وإلى جونبور، و قد أحب هذا الوالي مظفر شاه، فدعاه إلى ولايته، فلبّي مظفر شاه الدعوة و نزل في ضيافة الوالي، ثم أنه زوجه ابنته، و يبدو أن مظفر شاه لم يكن مخلصاً في زنته و قد زين له بعض أمراء كجرات أن يفرّ إليها ليسترجع ملكه فاستجاب لهم و فرّ من أكبر و حين وصل إلى هناك التفت حوله كثير من الأمراء و المحاربين فعين أكبر عبد الرحيم خان خاتان ابن بيرم خان على رأس حملة لاخذاعه فلما وصل إلى كجرات انهزم أمامه مظفر شاه إلى سورت لكنه لم يسلم بل ظلل عدة سنين يحارب حرب عصابات حتى استسلامه و مقتله سنة ١٠٠١ - ١٥٩٢ م).

أما في هضبة الدكن في الجنوب فقد حدث أن اختلف بعض قواد إمارة أحمد نكر مع أميرهم مرتضى نظام شاه كما اختلف معه أخيه من قبل فتركوه مغاضبين و ذهبا

ص: ٥١

سنة ١٥٨٤، إلى «أكبر» ملتحفين يحرضونه على الاستيلاء على إمارة أحمد نكر، فرأى «أكبر»، بهذه الدعوة فرصة سانحة لتحقيق رغبة طالما اتعلجت في صدره و جهز جيشه بقيادة أخيه من الرضاع «ميرزا عزيز». و كان «أكبر» يظن بأن إرسال هذا الجيش إنما هو رمز لإرادته لأن أهل الجنوب سيتولون بأنفسهم تنفيذ ما اعتبره، و ذلك بأن يثور سكان إمارة أحمد نكر على أميرهم و يؤيدونه هو، و يهرب راجه على خان بجيشه لمساعدة الجيش المغولي، و لكنه كان مخطئاً فيما ذهب إليه لأن أمير خانديس على خان أدرك بأن القضاء على إمارة أحمد نكر إنما يعني القضاء على استقلال الج نوب الهندي كله، و لذا فإنه خيب ظن «أكبر» و هب إلى نصرة أحمد نكر لقتال المغول. فلما رأى ميرزا عزيز هذا التضامن عدل عن مهاجمة الإمارة و اخذ يستعد لكنه لم يقدم على عمل. و اتفق أن مات مرتضى نظام شاه و حدثت في البلاد اضطرابات استمرت من سنة ١٥٨٦ إلى سنة ١٥٩٥، فعجز الأمراء الثلاثة، الذين تواليوا على عرش أحمد نكر، عن إخמדتها، و لم يبر ثالثهم بدا من الاستنجاد بـ «أكبر» لطفاء نار الثورة، فأنجده بجيشه قوامه ثلاثون ألف جندي بقيادة ابنه الأصغر الأمير مراد و القائد ميرزا عبد الرحيم خان خاتان. و هنا تغيرت سياسة أمير خانديس، إذ أنه أدرك أنه لم يعد بالمستطاع إصلاح ما فسد في أحمد نكر و أن مصلحة بلاده تقضي عليه بأن ينضم في هذه المرة، إلى المغول. و هكذا سار الجيشان لنجد

أمير أحمد نكر في ظاهر الأمر، وللقضاء عليه في الواقع، وإزاء هذه الحقيقة المرأة عاد التوار إلى السكينة، ولم تعد الإمارة بحاجة إلى نجدة، ولكن الجيش لم يرجع لأنه لم يكن آتياً للنجدة بل للاستيلاء و ما النجدة إلا ستارا، وهنا أُسقط في يدي الأمير و ندم على ما فرط ورأى من الحكمة أن يذهب بنفسه للاستجادة بأميري بيجابور وكولكاده و عهد بإدارة أمر البلاد من بعده إلى الأميرة جاند سلطان، التي كانت متزوجة من أمير بيجابور على عادل شاه، فلما مات زوجها سنة ١٥٨٠ و خلفه ابنهما إبراهيم عادل شاه الثاني، رعته وأشرف على سير أمور البلاد حتى كبر، ثم إنها عادت إلى بلادها أحمد نكر، وكانت هذه الأميرة مشهورة بعقلها و حنكتها السياسية وكانت شجاعة جريئة تقاتل نفسها ان اقتضى الأمر فلما تولت إدارة أمور إمارة أحمد نكر رأت من الحكمة ألا تترك العرش شاغرا، فأعلنت إمارة ابن أخيها بهادر بن إبراهيم، و كان طفلا، وأخذت تقاتل المغول الذين كانوا

ص: ٥٢

يحاصرون أحمد نكر، ولكنها لما رأت عجزها عن الاستمرار في القتال و رأت أن النجدات لم تصل، صالحت المغول، على أن تتنازل لهم عن مقاطعة برار وأن تقاتل معهم إمارتى بيجابور و كولكاده.

فلما رحل المغول انقلب أعونان جاند سلطان عليها وأرسلوا يستدعون المغول إلى بلادهم فأجابوا الدعوة و كروا راجعين، وكانت نجدة بيجابور في طريقها إلى أحمد نكر، فالتحق الجيش المغولي، عند ضفة نهر كوداوري، بجيش بيجابور الذي كان يقوده سهيل خان، و نشب بين الفريقين معركة حامية الوطيس انتهت بانتصار المغول و قتل أمير خانديس راجه على خان في المعركة، ولكن من حسن حظ أحمد نكر أن وقع اختلاف بين الأمير مراد و بين القائد خان خanan فلم يستوليا عليها بل تركا لها استقلالها، كما سلم لإمارة خانديس استقلالها بعد أن سارت في ركاب المغول و نصرتهم على أعدائهم و قتل أميرها في سبيل قضييهم، هذا بالإضافة إلى ما كان من صهر و نسب بين أسرة خانديس و أسرة «أكبر» إذ كان «أكبر» متزوجا من أميرة خانديسية و ابنه الأمير مراد متزوجا من حفيدة راجه على خان.

ييد أن كل هذه الأمور لم تتفق بهادر خان الذي خلف أبيه، راجه على خان، على عرش الإمارة، لأنه ظنَّ أن هذه الأمور وحدها كافية للبقاء على حياة إمارته من غير أن يعززها بين حين و آخر بآية من آيات الولاء و يشفعها بدليل من دلائل الإخلاص للأمبراطورية المغولية، لا بل فإنه أتى من الأعمال ما ينفر المغول منه، و ذلك أنه لما مرَّ على الدكن المغولي ببلاده، قاصداً مقر عمله، لم يخرج إلى لقائه و لا رحب به، فساء عمله هذا الوالي، و أراد تأدبيه بمعنى ر هذا الأدب و لكن اتفق أن أتى «أكبر» سنة ١٥٩٩ إلى هاندور لترتيب أمور الدكن، فكان في برنامجه القضاء على كل من خانديس و أحمد نكر، و قد تمَّ له ما أراد من خانديس بالاستيلاء على قلعة أسيير كره، سنة ١٦٠١، بعد أن حاصرها المغول سنة كاملة فقاوم أميرها بهادر خان حتى عجز عن المقاومة، استسلم و تنازل عن العرش و عاش بعدها في حاشية «أكبر» في بلاط آخر.

و سير «أكبر» سنة ١٥٩٩، خان خanan للاستيلاء على أحمد نكر، فلما حاصرها أرادت جاند سلطان الاستسلام، فاتهمتها حاشيتها و قوادها بالخيانة و قتلوها، و امتنعوا في

ص: ٥٣

قلعتهم سنة كاملة حتى فتحها المغول سنة ١٦٠٠ عنوة، و أعملوا السيف في رقاب أهلها.

ويقال أنه لم ينج منهم أحد إلا الأمير بهادر نظام شاه الذي أخذ أسيرا فمات في أسره بقلعة (كوالياز) وبهذا قضى على هذه الامارة، ولكن بعض امرائها ظلوا نحو اربعين سنة يقاتلون هنا وهناك والمغول يطاردونهم، حتى انعدمت كل مقاومة.

في أيار ١٥٨٩ اتجه الامبراطور اكبر إلى كشمير على ظهر جواد، وركز علمه في مدينة سرينكاكار في ٥ حزيران ١٥٨٩ وقد ذكر البانديت جوكه انه وزع على الأطفال بعض الهدايا المصنوعة من الذهب ثم ذهب إلى مارتاندا فأعطى البراهمي ين بقرا مزينة باللآلئ والذهب.

مكث أكبر شهرا في كشمير زار خلاله كل بلدة وقرية واقتتلت أمامه القصائد حيضا حل.

وقد فتش أكبر شؤون الدولة والرعاية في هذه الجولة فأمر بمنع الجنود عن الاعتداء على الأهلين ومساس عواطفهم واحساساتهم بأى وجه، وقد بحث في شكاوى تقدير الضرائب وجباتها وعين لجنة لتحقيق ما يشكو منه الأهلون فترفع إليه تقريرا. وعند ما عاد الامبراطور رافقه في سفره السيد يوسف خان الرضوى المشهدى بعد أن ترك يادكار ميرزا «ناظما» يدير شؤون البلاد وقد انتهت يادكار هذه الفرصة فأعلن نفسه ملكا على كشمير . وبهذا الحادث عادت الاضطرابات إلى كشمير مرة أخرى ولكنها لم تدم أكثر من ٥١ يوما فقضى عليه واعتقل يادكار ثم قطع عنقه. ثم عين أكبر قليج خان حاكما على كشمير، وحكم هذا ست سنوات كافحة خلالها بعض الاضطرابات.

وقد أمر أكبر في زيارته الأولى لكشمير أن ينشأ حصن «ناكار - ناكار» العظيم بالحجارة الضخمة وقيل أنه أنشأ هذا الحصن لمجرد تشغيل السكان العاطلين وقيل أنه أراد إنشاء هذا الحصن ليأوي إليه المغول فلا يستطيع الجندي الاعتداء على الأهلين. كذلك أمر بإنشاء القصور الملكية وإقامة الحدائق الرائعة مما أضاف إلى جمال البلد الطبيعي على جمالاً جديداً. وفي زيارته الثانية لكشمير في ١٥٩٢ أمر بارسال حملة عسكرية إلى التبيت لاخضاع حاكمها الذي استمر على مقاومة حكم الامبراطور.

ص: ٥٤

قضى أكبر صيف عام ١٥٩٧ م في كشمير حيث أخفض ضريبة الأرض وطبق طريقة جديدة للتقدير أكثر ملائمة للسكان وعاد في أول الشتاء إلى لاھور . وفي أواخر عهد كشمير حل مجاعة مخيفة في كشمير اضطررت الامبراطور أن يبعث بالحبوب والأغذية إلى كشمير من سialkot وقد رافق الامبراطور في زيارته لكشمير خلال المجاعة أثنان من القسسين الاوربيين ذكرنا في مذكراتهما أنهما وجدا الأهلين يبيعون أطفالهم للتخلص من معيشتهم.

وقد زادت الواردات في كشمير نتيجة تطبيق طريقة التقدير الجديدة واتسعت حدود الإيالة إلى ماوراء كابل وقندهار وانشئ طريق امبراطوري يمر بكوجرات وبهيمبار وشوابيان.

و على كل حال هناك الكثير من التفاصيل التي تستوعب مجلدات ضخمة حول تاريخه الحربي الطويل استطاع في نهايته أن يكون من أعظم قادة التاريخ وبالرغم من أن تلك الاحداث قد جعلت منه جندياً عظيماً ولكن طريقة حكمه هي التي اذاعت صيتها حتى أصبح من أخلد حكام العالم صيتاً في عصره.

أكبر في أوامره ووصياته:

الامبراطور جلال الدين محمد أكبر لعب دوراً مهماً في تاريخ الهند فأصلاح البلاد والعباد و سن الشرائع و عامل رعيته معاملة العدل و المساواة من غير أن يفرق بين مسلم و غير مسلم و فيما اقتبسه لنا محمود على خان من الكتب التاريخية نبذة من أوامره و وصاياه أرسلها إلى الحكام و العمال في المملكة لتكو ن لهم كقانون أساسى يهدون بها و يعملون بمقتضاها و بهذه الأوامر و الوصايا تتضح لنا مكانة أكبر الامبراطور العظيم بين ملوك الأرض في القرون الغابرة. و هي:

١- لا بد أن تحيط علمًا بأحوال الرعية و لا تعزلن في بيتك، لأنك إن اعتزلت يخفى عليك كثير من الأمور التي يجب عليك أن تطلع عليها.

٢- قابل كبار قومك بالعزء و احترمهم احتراماً يليق بشأنهم.

٣- قم بالليل و اعبد ربك صباحاً و مساءً و بالظهيرة و عند ما يتصف الليل.

ص: ٥٥

٤- اشتغل بمطالعة كتب الأخلاق و النصائح و كتب التاريخ لتتحلى نفسك بالأخلاق الحسنة و تستفيد بعلم الأولين، و تعتبر بخطأ الأقدمين.

٥- أحسن إلى القراء و المساكين الذي اعتزلوا في بيوتهم و اغلقوا أبوابهم دون الناس ثلاثة يكونوا في مشقة من الحياة و ضنك من العيش، و هيئ لهم ما يحتاجون إليه من حياتهم.

٦- تأمل في عقاب المجرمين بالتبصر النام ليتحقق لديك من يستحق العقاب منهم و من يستحق العفو أو الاغماض، إذ يجوز أن أحداً من رجالك يأتي بذنب و المصلحة تقضي أن تسكت عوضاً من أن تتعاقب عليه.

٧- تشرف بحضورك في خدمة أولياء الله و أهل المعرفة من الصوفية و اطلب منهم أن يدعوا لك لأن ربك يسمع نداءهم و يجيب دعائهم.

٨- إذا جاءك جاسوس بنباً فلا تصدقه في أول الأمر بل تبين الخبر بنفسك كي يظهر لك حقيقة الأمر و تعمل حسبما تقتضيه الأحوال.

٩- استمع بنفسك لشكاوى المستضعفين و لا تكل جميع امورهم إلى عمالك.

١٠- عامل رعيتك بالمواساة و الأسعاف.

١١- ليكن جل مسعاك في ترقية الزراعة و إعانة الفلاحين إعانة مالية، فإنها من أهم الواجبات لعمان البلاد و سعاده العباد.

١٢- عليك أن تتوجه إلى أحوال الأفراد من رعيتك و ليكن كل فرد منها منظوراً إليه بعين عنايتك و مراقبتك.

١٣- لا تقبلن من أحد هدية و لا تقدمة.

١٤- امنع جنودك أن يدخلوا بيت أحد من رعيتك و يقيموا فيه من غير إذنه و رضاه.

١٥- شاور دائمًا أهل الخبرة في إدارة البلاد و لا تكن مستبداً برأيك؟

١٦- لا تعترض على الذين يخالفونك في معتقداتهم و تقاليدهم و يتبعون ديناً غير دينك، و لا تمسيهم بسوء بل عاملهم معاملة الأخوان و الخلان. وأعلم أن أيام الحياة معدودة

ص: ٥٦

و الإنسان لا يريد أن يتحمل الضر و الأذى في الحياة الدنيا فكيف يتحمل الجور و الاضطهاد في أمر دينه و هو يعتقد أنه على الحق. فلا يخلو إما أن يكون على الحق أو على الباطل. فان كان على الحق فلم تخالفه و إن ظنت أنك على الحق . و ان كان هو على الباطل فهو مريض بجهله و المريض يستحق منك المرحمة و المساعدة لا التعرض و التوبیخ.

١٧- أكرم أهل الصلاح و الخير و إن كانوا على غير دينك.

١٨- عليك بالسعى في نشر العلوم و الآداب و الحصول على اكمال و أكرام أرباب العلم لكي لا تضيع ملكاتهم العلمية.

١٩- عليك بمساعدة العائلات العريقة في المجد و الشرف و هبئ لهم ما يحتاجون إليه في حياتهم ليعيشوا عيشة راضية مطمئنة.

٢٠- لا تغفل عن تعبئة العساكر و الجنود و أعد لهم ما يحتاجون إليه من الأسلحة و أدوات الحرب و غيرها.

٢١- تعلم الرمي و إطلاق الرصاص و اشتغل بالتمرينات العسكرية و لا تضيع وقتك في الصيد . و ليكن صيدك لقصد التمرин في فنون الحرب لا للترهه و إضاعة الوقت.

٢٢- لا بد أن تضرب الطبول عند طلوع الشمس المنيرة للعالم و كذلك عند نصف الليل، لأن الطلوع الحقيقي للشمس إنما هو في ذلك الوقت. و يلزم إعلام الناس كلهم إذا انتقلت الشمس من برج إلى برج ليشكروا الله تعالى و ليكن هذا الإعلام باطلاق البنادق و المدافع.

٢٣- إن لم توجد في بلدتك شرطة فقم أنت بأعمال الشرطة و لا تستحي من هذه الخدمة و أحسبها عبادة لله تعالى لأنها خدمة لعباده.

٢٤- يجب على ضابط الشرطة في كل بلدة و قرية إحصاء الحرارات و البيوت و النفوس و أن يكتب أسماءهم في سجل عنده و يضمن كل واحد من السكان للآخر سلامه نفسه و ماله و صيانة عرضه.

٢٥- ليكن لكل حارة من البلدة رئيس، بيده إدارة شئونها، و كذلك لا بد من الجوايس

ص: ٥٧

ليخبروه بكل من ما يجري في الحارة ليلاً ونهاراً . ويلزم أن يكون على علم تام بكل من يولد ويتوفى و يتزوج وغير ذلك من أحوال الناس . ولابتعين رجال في الشوارع والأزقة والأسواق والجسور والقناطر والمعابر للاستخبار بكل ما يقع هناك . وتكون إدارة الطريق على وجه لا يمكن لمن يريد الفرار من البلدة أن يخرج على حين غفلة من أهلها.

٢٦ - يجب على كل واحد أن يساعد جاره في الكشف عن السرقة وإطفاء الحرائق وغير ذلك من المصائب . وكذلك رئيس الحارة وكل من يطلع على مصيبيه يلزم عليهم أن يسارعوا إلى مساعدته وإنقاذه من نكبته . ومن تقاعد عن المساعدة فهو مجرم يعاقب على جرمـه.

٢٧ - لا يخرج أحد من بلدته مسافراً ولا يأتي أحد في البلدة من الخارج ليقيم فيه إلا باذن من رئيس الحارة . وإذا نزل في البلدة تاجر أو جندي أو مسافر فعلى رئيس الحارة أن يراقبهم ولا يغفل عن أحوالهم . والمسافر الذي لا يضمن له أحد فاجعلوا له في الخان محلًا خاصاً بعيداً عن غيره من المقيمين . وإن ارتكب أحد منهم ذنبًا فلأعيان البلدة أن يعاقبوه . والمسؤولية في هذه الأمور كلها على رئيس الحارة وأعيان البلدة على السواء.

٢٨ - عليك مراقبة أموال الناس من ذوى اليسار فمن زاد خرجه على دخله فلا بد أن تكون لدخله وجوه فاسدة . وأعمل بهذه الأحكام لتنفع بها عبده الله ولا تجعلنها سبباً لجلب المنافع وكسب المال لنفسك .

٢٩ - عين الدلائل في الأسواق، ولا يكون بيع ولا شراء إلا باطلاع رئيس الحارة وصاحب أخبار الحارة . وليس جل اسم البائع والمشترى في «اليومية» أي في دفتر الأعمال اليومية، ومن باع أو اشتري خفيه يعاقب بغرامة مالية.

٣٠ - يلزم أن يكون في كل حارة من البلدة وفي كل ناحية من نواحيها خفير بالليل يراقب الأجنبي، حتى لا يبقى للسارق أو النشال أثر في البلاد، وعلى الخفيـر أن يقبض على السارق مع المسروق.

ص: ٥٨

٣١ - من مات ولم يكن له وارث، أو سافر و انقطع خبره فـأن كان عليه دين من قبل الحكومة فيلزم أو لا استيفاء دين الحكومة من ماله ثم إعطاء الباقي لورثته، فـإن لم تجد له وارثاً فسلم المال لأمين وبلغ الخبر إلى البلاط الملكي، فإن ظهر له وارث فأد الأمانة إلى أهلهـا . وليكن ذلك كله بنية خالصة وأمانة تامة . ولا تكونوا كأهـل الروم في مصادرـة أموال الناس من غير وجه شرعـي.

٣٢ - شاربـ الخمر و باعـها و مشترـيها و مـعصرـها كلـهم مجرـمون، فـاقبـضـ عليهم و عـاقبـهم أـشدـ العـقـابـ . وـلكـنـ منـ يـشـرـبـهاـ لـحـكـمةـ خـاصـةـ يـرـيدـ بهاـ تـشـحـيدـ الـذـهـنـ فـلاـ تـعـتـرـضـ لهـ.

٣٣ - الأعياد كلـهاـ أيامـ سـرـورـ وـأـبـتهاـجـ. فـليـفـرحـ النـاسـ فـيـهاـ، وـلاـ سـيـماـ يومـ الـنـيـروـزـ فـانـهـ أـكـبـرـ أـعـيـادـ السـنـةـ لـأـنـ الشـمـسـ الـمـنـورـ للـعـالـمـ تـنـتـقـلـ فـيـهـ إـلـىـ بـرـ الجـمـلـ. وـهـوـ الـيـوـمـ الـأـوـلـ مـنـ شـهـرـ فـرـودـدـينـ (٢١ـ مـارـسـ). وـالـعـيـدـ التـانـيـ يـكـونـ فـيـ الـيـوـمـ التـالـيـ اـرـدـيـ بـهـشـتـ. وـيـجـبـ تـزـينـ الشـوـارـعـ وـالـبـيـوـتـ بـالـأـنـوـارـ لـيـلـةـ الـنـيـروـزـ وـلـيـلـةـ الـشـرـفـ كـمـاـ تـزـينـ الـبـيـوـتـ بـالـأـنـوـارـ لـيـلـةـ النـصـفـ مـنـ شـعـبـانـ.

٣٤- ليس للمرأة أن تركب الفرس إلا لضرورة.

٣٥- لا يستحب الرجال والنساء على الأنهر في محل واحد بل يجب أن تكون مغتسلاتهن على بعد من مغتسلاتهن . و كذلك يكون للنساء محل خاص على الأنهر لحمل الماء إلى بيوتهن.

٣٦- لا يجوز للنجر إصدار الخيل إلى الخارج بغير إذن من الحكومة.

٣٧- يكون تعين الأسعار من قبل الحكومة.

٣٨- لا ينعقد النكاح بغير إطلاع لأعيان الحكومة . وإن كان الزواج بين عامة الناس، لا بد من حضور الزوجين أمام صاحب الشرطة، وإن كانت المرأة أكبر من الرجل بانتي عشرة سنة أو أكثر فلا تؤذن لعقد النكاح بينهما لأن ذلك يورث ضعف الرجل. ويلزم أن يكون عمر الرجل عند الزواج ست عشرة سنة و عمر المرأة أربع عشرة سنة على الأقل. و لا تؤذن لعقد الزواج بين العم و بنت الخال لأنه سبب لقلة الميل بين الزوجين و تكون أولادهم ضعفاء.

ص: ٥٩

٣٩- لا ينبغي للنساء أن يمشين في الأسواق كاشفات عن وجهوهن غير مبرقعات، فمن وجدت منهم على هذه الحال أو كانت دائماً على جدال و خصم مع زوجها فأرسلوها إلى حارة الشياطين.

٤٠- يجوز رهن الأولاد إذا مسّت حاجة شديدة ولم يوجد سبيلاً غيره . و متى وجد الراهن المال فعليه أن يفك الرهن و يستلم أولاده.

٤١- لو أجبر ولد هندوسي في صباحه على الإسلام فله الخيار متى بلغ سن الرشد، فإن شاء رجع إلى دين آباءه و إن شاء بقى على الإسلام.

٤٢- لو التجئت امرأة هندوسية إلى دار مسلم فردوها إلى أهلها.

٤٣- للناس حرية تامة في مسئلة اعتناق الدين . فمن ترك ملة آباءه و دخل في دين آخر فليس لأحد أن يمنعه أو يتعرض له.

أكبر في قفص الاتهام:

* اتهم الامبراطور (اكبر) دون اثباتات بالغور و العتو و ادعاء الالوهية و محاربة الاسلام من اعدائه و من ذلك إنه قد ابتدع ديناً جديداً اسمه بالدين الالهي و زعموا ان من معتقداً ت هذا الدين عبادة الشمس اربع مرات كل يوم و تعداد اسماء الشمس الهندية التي يبلغ عددها ألفاً و واحداً، و انه كان يقول كلما ذكرت الشمس : جلت قدرتها ! و ان الشمس هي المتصرفة في العالم، واهبة النعم، المظلة على الملك بظلال ربوبيتها و انه كان يعبد النار و الماء و ال حجر و الشجر وسائر مظاهر الطبيعة! و نسب إليه السيدة مريم بنت عمران! و عبادة الكواكب!

و وضع اعداءه ميثاقاً نسبوه الى اكبر، و قالوا انه كان يأخذه على نفسه كلمن أراد أن يدخل في هذا الدين و هو:

«أنا، فلان بن فلان .. أتبرأ من دين الاسلام التقليدي و المجازي الذي ورثته عن أبيائي و أدخل في الدين الالهي الأكبر شاهي و أقبل الأركان الاربعة التي هي من مراتب الاخلاص في هذا الدين - و هي ترك المال و النفس و العرض و الدين» قالوا:

و الذين كان يدخلون في هذا الدين يسمون (جيشه) أي (المريض) لكنه لم يدخل في

ص: ٦٠

الدين هذا الا ثمانية عشر رجلاً من بطانته كلهم من المسلمين الا واحداً و هو نديمه بيربر و انه امر باستبدال السلام بقلمه الله أكبر رمزاً الى تأليه نفسه! و ان الرد علية يكون بكلمه (جل جلاله) لكون (جلال الدين) لقباً للامبراطور!

* ألغى التقويم الاسلامي و اتخد تقويمياً جديداً و جعل بدأه سنة اعتلاءه لسرير الملك و سماه «التاريخ الالهي».

* ألغى الجزية على المشركين سنة ١٥٦٤ م، لكي يجعل المسلمين و الهنادك من رعيته سواء في التمتع « بالحقوق المدنية » (PihsnezitiC).

* ألغى الضرائب التي كان أوجبها من قبله من الملوك على مواسم الهنادك و مواطن اجتماعهم. وكذلك أذن لهم في بناء معابد جديدة، اذا شاؤوا.

و قد كان ذلك محظوراً في زمان من تقدمه من ملوك المسلمين . فبنيت معابد جديدة للهنادك و شيدت كنائس للنصارى و بيع للمجوس و دور عبادة لفرق اخرى غيرها من سكان هذه البلاد.

* أباح للMuslimين الجدد أن يرتدوا عن دينهم و يرجعوا إلى أديانهم الأولى . وكذلك سمح للنصارى أن يدخلوا في دينهم من شاء ذلك عن طيب قلب و صدق طوية.

* أصدر مرسوماً عاماً بمنع ذبح البقرة لتعظيم الوثنين ايها و عبادتهم لها، وكذلك منع ذبح غيرها من الماشية في أيام مخصوصة «سنة ٩٩١ / ١٥٨٣» ثم تقدم خطوة أخرى و حظر على الناس أكل لحوم الثيران و الشياه و المعز و الخيول و الجمال سنة ٩٩٩ هـ وأيضاً أصدر أمراً ملكياً أن يمتنع الناس عن صيد السمك حينما زار كشمير سنة ١٥٩٣ / ١٠٠٠ م.

و نقل البدايوني ان من ذبح الماشي في الأيام المحظورة فيها ذبحها، كان يعاقب بالقتل و مصادرة أملاكه، و روى البعض أنه: امتنع بنفسه عن أكل اللحوم و لم يأمر بذلك أحداً.

شارك في أعياد الهنادك و مواسمهم، و من ذلك مشاركته في احتفالات شيومراتريirtaravihS» - أحد أعياد الهنادك -

ص: ٦١

- * منع المسلمين من تزوج بنات العم و العمّة و الحال و الخالة .
- * وكذلك منعهم من الختان.
- * حلل الخمر و أباح بيعها على مرأى من الناس و مسمع.
- * أباح للبغايا و العواهر ان يتعاطين «أشغالهن» تحت رقابة الحكومة.
- * وأباح الملك لرعايته أن يتعاملوا في ما بينهم بالربا.
- * أباح للناس المقامرة و عقد مجلسا خاصا للمقامرين في القصر الملكي . بل زعموا أن المقامرين يقرضون من الخزانة الملكية بالربا!!
- * أسقط الاغتسال عن الجناية، بل رأى هو و من تدين بيديه ان الاستحمام قبل الجماع أنساب و أوفق لطبائع البشر.
- * شجع السفور و ذكر البدايوني ان الفتيات أمرن بالكشف عن وجوههن اذا خرجن لحاجة عرضت لهن.
- * أفتى بجواز نكاح المتعة كما تقول به الشيعة.
- * أصدر أمرا ملكيا بمنع تعليم اللغة العربية، وكذلك باللغ في تطهير الفارسية من الكلمات العربية الخالصة.
- * أمر بسجدة التحية للملك فكان العلماء و المشايخ و الصوفية و الامراء و الاعيان كلهم يخرّون للملك سجدا ، كلما دخلوا عليه و عرفت هذه التحية ب (سجدة التحية) و (زمين بوسى) أي نقيل الأرض و قد روج من قبله والده همايون التسليم راكعا منحنيا، وهذا الذي كانوا يسمونه ب (كورنش). وقد أصبحت هذه السجدة التكريمية اسلوبا متبعا في التسليم على الملك. وبقي العمل به جاريا زمن جهان كير بن أكبر (١٠١٤ - ١٠٣٤ هـ) أما شاه جهان بن جهان كير (١٠٣٧ - ١٠٣٨ هـ)، فاعفى العلماء منها، لكن هذه الطريقة بقيت للعامّة زمانا قليلا من عصره أيضا.
- * و قيل أن التحية الملوكية زمن أكبر كانت على ثلاثة اصناف أولها: الكورنش و هي

ص: ٦٢

ان يضع يمينه على جبينه و يطأطئ رأسه الى الصدر، و ثانية: التسليم و هو أن يضع ظاهر الكف من يمناه على الأرض و يقوّم و يضع باطنه على الرأس، و ثالثها:

السجدة كما يسجد في الصلاة.

و المعروف أن العلماء و العامّة كلهم يؤدون السجدة في عصر الملك أكبر.

و المشايخ في عصره أفتوا بجوازها، و قالوا «أن هذه رخصة و العزيمة ترك السجود».

* اختار طريق الهنادك الوثنين في الصدقة بان عمل بـ (قوله دان)، و ذلك ان الملك كان يوزن بالذهب و الفضة و غيرهما من الجواهر الثمينة و يتصدق بذلك على المساكين و الفقراء، لا فرق فيه بين المسلم و الكافر.

و أن هذه الصدقة تكون لصاحبها رداء و وقاية من نوائب الدهر .

ثم جرى من جاء بعده على خطته.

* أوجب على خاصته و رجال حاشيته أن يرتدوا الملابس الحريرية أثناء الصلوات.

* منع الصلاة و الأذان في دار الشورى الملكية «ديوان خانه ylbmessA».

* حظر على الناس أن يصوموا في شهر رمضان!

* منع الناس من أداء فريضة الحج!

* تعطلت أعياد المسلمين و انقطع الاحتفال بها في عصره.

* غير أسماء النبي (صلى الله عليه و سلم) و الصحابة التي يتسمى بها المسلمون عامه و استبدل بها أسماء أخرى غيرها، و هاک ما قاله عبد القادر البدایونی:

(لقد شق على الكفار و من في بلاده من الأمراء الوثنيات أسماء أحمد و محمد و مصطفى، حتى انه غير اسماء بعض من كانوا يتسمون بها من خاصته، أمثال بار محمد و محمد خان، فإنه كان يدعوهما برحمة نطقا و كتابة).

* تحولت المساجد على عهده إلى مرابط للخيول (اصطبات) و استولت الهنادك على كثير منها!!

* رغب الملك رجال مملكته- بل أمرهم في بعض الأحوال - بحلق اللحية. و ذكر

ص: ٦٣

المؤرخون ان الملك و رجال حاشيته كانوا يستهزؤون باللحية.

* أبیح للناس ان يأكلوا لحوم النمر و الخنازير الضواری.

هذا ما قاله البعض، و نحن لا نستطيع، بما لدينا من وثائق، أن نؤيد هذا بل نميل إلى نفي معظم هذه التهم، و دليلنا على ذلك أمران: الأول هو حسن ظن مؤرخين آخرين بـ «أكبر» و تبرئته من التهم التي أُلصقت به و تأويل بعض أفعاله بأنها ضرورات اقتضاها المحيط و الوسط . و الأمر الثاني هو الفتوى التي أصدرها العلماء في عصره و الـ تـي تـقول : عن مرتبة السلطان العادل أعظم من مرتبة العلماء العاملين و الفقهاء المجتهدـين و لما كان «أكبر» عادلا و عاقلا و يخشى اللهـ كان رأـيه مـقدـما على رأـى علمـاء المـسلـمـين و أـئـمـتهم و قـولـه الفـصلـ في كلـ الأمـورـ الـديـنيـةـ و أنـ منـ أـثـبـتـ توـقـيعـهـ و تـأـيـيـدـهـ عـلـىـ هـذـهـ الـفـتـوىـ هـمـ أـولـئـكـ الـمـشـاـخـ الـذـيـنـ عـارـضـوهـ فيماـ بـعـدـ وـ أـعـنـىـ وـ جـوـهـ عـلـمـاءـ السـنـةـ فيـ عـصـرـهـ الشـيـخـ عـبـدـ اللـهـ مـخـدـومـ

الملك و الشيه عبد النبى صدر الصدور و القاضى جلال الدين الملتنانى قاضى القضاة و الشيخ نظام الدين البدخشى و رجالا آخرين من علمائهم الكبار.

و هذه الفتوى دليل ساطع على أن «أكبر» لم يخالف أحكام القرآن فيما فعل و إنما رماه أعداؤه بما رموه.

فاختلاف الناس بأمر «أكبر» دليل على عظمته هذا الرجل، و أنا شخصيا، و إن كنت لا أتفق عن «أكبر» كل ما أصدق به من تهم، إلا أننا نبرئه من مخالفة الإسلام و دعوى النبوة أو الألوهية، و ذلك لأسباب، منها:

أولاً- ما رواه المؤرخون من أن أحد رجال حاشيته قال له ذات يوم أنه سمع الناس يقولون عنه بأنه نبى و أنه إله . فقال «أكبر»: سبحان الله كيف جاز لهؤلاء الحمقى أن يعتقدوا بان يكون المخلوق إليها أو أن يؤمنوا بمجمع نبى وقد ختمت النبوة.

ثانياً- إن أكبر لم يكن جاهلا حتى يؤمن بمثل هذه الخرافات بل كان عالما عاقلا من فحول العلماء و الحكماء، و تدل مذكراته التي تركها على علو كعبه في الأمور السياسية و العسكرية و لعله لو كان كتب بالدين لرأينا لا يقل رفعه من هذه الناحية عن الناحية السياسية، و لكنه لم يفعل، و كونه أهل هذه الناحية دليل على أن هذه الأمور الدينية لم

ص: ٦٤

تشغل حيزا كبيرا من تفكيره . كما نعتقد بانّ دينه الذى أبتدعه، إن صح ذلك، فإنما يكون لرجال القصر و الحاشية الذين كانوا خليطا من الناس و كان من الواجب أن يؤلف بين قلوبهم فى نظام خاص لا علاقة له بالمعتقد، أما و أنه لو كان يحرص على نشر هذا الدين خارج القصر لرأينا يفعل شيئا فى سبيل ذلك ثم لرأينا كثيرا من المناقفين و المتزلفين و الانبهازيين و الطامعين يؤمنون بهذا الدين، و هذا مما لم يحدث.

ثالثا- لو صح ما أتهم به لرأينا العلماء يفتون بكتبه و بقتله، و هذا ما لم يحدث أيضا.

رابعا- إذا صح أن بعض الناس قد نسبوا إليه دعوى النبوة أو الألوهية فإنه هو غير مسؤول عن عقائد الناس، و الهنادكة الذين تعودوا أن يروا آلهتهم تسير على الأرض، يسرهم بأن يؤمنوا بهذا الإله العظيم، فهم إذن الذين تحتوا له صنما و عبدوه.

و أما تقرب «أكبر» من الهنادكة و غيرهم من أهل الهند فقد فعل نابليون بعده مثل فعله، فأسلم في مصر و لبس العمّة و عاش عيشة المالك المماليك المصريين، حتى ظن الناس لا بل و ادعى كثير منهم بأنه مسلم، و قاوم البابا و الكنيسة حتى ظنّ كثير من الناس بأنه ملحد، و لكنه لما مات مات مسيحيًا مؤمنا بدینه، و لربما لو كان نابليون عاشر الهنادكة أو البوذيين أو غيرهم لصار منهم أو حسبه هؤلاء أنه منهم، فمهمة الملك مهمة عويصة لا يدرك صعابها إلا من يعيتها لا سيما في أيام كان الدين في الحياة كل شيء.

و من الجدير بالذكر أن عصر «أكبر» كان من أزهى العصور، و كانت الهند في زمانه تعج بالعلماء و الفقهاء و المرشدين العاملين و المتصوفين العاكفين، و كانت دعائم الإسلام قوية و ثابتة، و كان الهنادكة يدخلون في الإسلام أفواجا بعد ما رأوا

من الحرية التي منحها لهم الاسلام في ظل مليكهم المتسامح الفذ، و ما جرى من الاصلاحات في عهده الزاهر فقد أدار الهند ادارة ممتازة قل من سدد لمثلها في الأوائل والأواخر، لأنه إلى زمانه هو كانت سلطنة الهند غير مترکنة على قواعد ثابتة، ولا سائرة بانظمة مقررة، بل كان السيف وحده حكماً، وكانت الثورات متصلة، واهواء الاشخاص هي الغالبة . فبني أكبر دولق هذه على أصول ادارة جديدة، فارسية مغولية، غاية في الضبط والدقة، ورفع استبداد الامراء، و ازال الفوضى من البلاد، و جذب الى الابواب السلطانية أولئك الامراء والملوك

ص: ٦٥

الذين كانوا يستبدون بالرعايا فأرضاهم و اراح الرعايا من ضررهم، و شكل الدولة على النسق الحالى المتبع بهذا الوقت في العالم فهناك الوكيل أى رئيس الناظر (و الأتراك الى اليوم يسمون الناظر وكيلاً و الصدر الأعظم رئيس الوكلاء) ثم الوزير و هو ناظر المالية و خان خانان أى ناظر الحرية . و كان عنده ناظر البلاط السلطاني (نظير مشير المماليك الهمايونى عند آل عثمان) و ناظر العدلية و كان اسمه الصدر، وغير ذلك من المناصب.

و أما البلاد فكانت ١٨ ولاية كبيرة كل منها تنقسم الى ما يشبه اليوم الأولية و هلم جراً . و كانت الادارة الملكية في أيدي الفرس كما أن الجيش كان بيد المغول و الهنود . و كان عدد الجيش الدائم ١٤٠ ألفاً و هذا شئ غير معهود في ذلك الوقت و أما دخل الخزانة السلطانية فكان نحو ملليارين أى ١٠٠ مليون جنيه، و هذا أيضا شئ هائل بالنسبة الى ذلك الزمن. و عامل أكبر الهنود برفق عظيم، و رفع عنهم ضروب الاتهانات.

و صدرت الأوامر الى جباء الخراج بأن يصبروا على الفلاح بين فى استئداء الأموال الأميرية، بل يقوّهم من بيت المال في سنى القحط. كذلك توسل أكبر بوسائل ناجعة في قتال المجاعات التي تكثر في الهند في الأعوام التي يحتبس فيها الغيث . و كان يعاقب الأمراء الذين يظلمون الأكرة الذين هم قائمون بخدمة اراضيهم . و مع شدة ميله الى البراهمة، و مراعاته لهم، عارضهم في قضية احرق النساء اللاتي مات بعولتهن، و عادة ابقاء النسوة اللاتي تموت ازواجهن و هن في سن العاشرة أرامل طول الحياة لا يحق لهن أن يتزوجن . ثم منع التكبير في الزواج فكان يلا يسمح بزواج الشاب قبل سن ١٦ ولا بزواج الفتاة قبل سنة ١٤.

و كانت اللغات المعروفة في الهند، عدا لغات الهنود الأصليين، ثلاثة : العربية لغة الدين الإسلامي، و التركية لغة الأسرة التيمورية، و الفارسية لغة البلاط و الدولة . فوضع «أكبر أو شجع على وضع » لغة «الأوردو» التي تشتمل على كثير من العربي و الفارسي و التركي مع الهندي. فسهل التفاهم بين الأمم الهندية و اتسعت هذه اللغة تدريجياً حتى انه ليتكلم بها اليوم جل سكان شبه القارة الهندية.

ص: ٦٦

أكبر في نظر الغرب:

يزعم البعض بأن أكبر قد حاز رضا الغرب لتجديفه ضد الاسلام في كثير من حالاته، و الواقع ان معظم من كتب عنه من الغربيين اطبوا في ذكر المحسن و الاصلاحات التي ظهرت في عصره و خاصة ما تميز به من التسامح الديني و لكن لم تخلو كتب الغربيين من انتقادات و شطط في تفسير كثير من الحوادث المزعومة أو الصحيحة التي ذكرها الباحثون عنه، و

كتموج عن رأى الغرب فى أكبر نقتطف بعض ما كتبه عنه المؤرخ ول ديوارت، و لا يعني بالضرورة اثباتنا لآرائه بأننا نوافقه على جميع تلك الأفكار التى طرحها بل ستتجدد ان بعض هذه الآراء قد ردتنا عليها فى مكان آخر ضمن البحث و هو على كل حال لا يطبق احكامه جزاها انما ليس من السهل الوثيق بكل ما اعتمد عليه من مصادر كما انا لا نخفي ذكره لامور مهمة فى سيرة اكبر، قال : «و كانت زوجة همايون قد أنجبت له أبناء نفيه و فقره ولدا أسماه (محمد) تبركا بهذا الاسم، لكن الهند أطلقت عليه «أكبر» - و معناها «البالغ فى عظمته حدا بعيدا» - و لم يدخلوا من وسعهم شيئاً لتنشئته رجالاً عظيماء، بل إن أسلافه قد تعاونوا على اتخاذ التدابير كلها ليبلغوا به قمة العظماء، فهى عروقه تجرى دماء «بابر» و «جنكز خان» و أعد له المربون فى كثرة، لكنه رفضهم جميـعاً و أبى أن يتعلم القراءة، وأخذ يعـد نفسه بدلاً ذلك لتولى الملك بالرياضة الخطرة التي مافنى يرتاضها، فأصبح فارساً يتقد ركوب الخيل إلى حد الكمال، و كان يلعب بالكرة و الصولجان لعب الملوك، و مهر فى فن سياسة الفيلة مهما بلغت من حدة الافتراض، ولم يتعدد قط فى ارتقى ادغاله لصيد الأسد و النمور و فى تحمل المشاق مهما بلغ عناوئها، و فى مواجهة المخاطر كلها بشخصه، و لكي يكون تركياً أصيلاً، لم يضعف ضعف الإناث فيمـجـعـ طعم الدماء البشرية : من ذلك أنه لما كان فى عامه الرابع عشر، دعـى ليظفر بلقب «غازى» - و معناها قاتل الكفار - بأن قدموا له أسيراً هندـياً ليقتلـهـ، فبـتر رأسـ الرجلـ بتـراـ فى لـمحـةـ سـريـعـةـ و بـضـرـبةـ واحـدةـ من حـسـامـهـ، تلك كانت الـبدـايـاتـ الـوحـشـيـةـ لـرـجـلـ كـتـبـ لهـ أـنـ يـكـونـ مـنـ أحـكـمـ وـ أـرـحـمـ وـ أـعـلـمـ مـنـ عـرـفـهـ تـارـيـخـ الدـنـيـاـ مـنـ مـلـوكـ.

و لما بلـغـ الثـامـنـةـ عـشـرـةـ مـنـ عـمـرـهـ تـسلـمـ مـقـالـيدـ الـأـمـورـ مـنـ يـدـ الـوـصـىـ عـلـىـ عـرـشـهـ، وـ كـانـ رـقـعـةـ مـلـكـهـ تمـتدـ فـتـشـمـلـ أـكـثـرـ مـنـ ثـمـنـ مـسـاحـةـ الـهـنـدـ كـلـهاـ - فـهـىـ شـرـيطـ مـنـ

ص: ٦٧

الأرض يـبلغـ عـرـضـهـ نـحـوـ ثـلـاثـمـائـةـ مـيـلـ، وـ يـمـتـدـ مـنـ الـحـدـودـ الشـمـالـيـةـ الغـرـبـيـةـ عـنـدـ مـلـتـانـ إـلـىـ بـنـارـسـ فـيـ الجـانـبـ الشـرـقـيـ، وـ أـمـتـلـأـ بـمـاـ كـانـ يـمـتـلـئـ بـهـ جـدـهـ مـنـ حـمـاسـةـ وـ جـشـعـ، فـشـرـعـ يـوـسـعـ هـذـهـ الـحـدـودـ، وـ اـسـتـطـاعـ بـسـلـسـلـةـ مـنـ الـحـرـوبـ التـىـ لـمـ تـعـرـفـ الرـحـمـةـ أـنـ يـبـسـطـ سـلـطـانـهـ عـلـىـ الـهـنـدـسـتـانـ كـلـهاـ، مـاـ عـدـاـ مـمـلـكـةـ رـاجـبـوتـ التـىـ تـخـضـعـ لـأـسـرـةـ مـوـارـ، فـلـمـ عـادـ إـلـىـ دـلـهـىـ نـزـعـ عـنـ نـفـسـ السـلاحـ، وـ كـرـسـ جـهـدـهـ لإـعادـةـ تـنظـيمـ حـكـومـةـ مـلـكـهـ، وـ كـانـ سـلـطـانـهـ مـطـلـقاـ فـهـوـ الـذـيـ يـعـينـ الرـجـالـ لـلـمـنـاـصـبـ الـهـامـةـ كـلـهاـ، حـتـىـ مـاـ يـقـعـ مـنـهـاـ فـيـ الـأـقـالـيمـ النـائـيـةـ، وـ كـانـ مـعـاـونـهـ الـأـسـاسـيـوـنـ أـرـبـعـةـ : رـئـيـسـ الـوـزـرـاءـ وـ يـسـمـىـ «ـفـقـيـراـ»ـ وـ زـيـرـ الـمـالـيـةـ وـ يـسـمـىـ «ـوـزـيـرـاـ»ـ أـحـيـانـاـ، وـ أـحـيـانـاـ يـسـمـىـ «ـدـيـوانـاـ»ـ، وـ رـئـيـسـ لـلـقـضـاءـ وـ يـسـمـىـ «ـبـخـشـىـ»ـ وـ رـئـيـسـ لـلـدـيـانـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ وـ يـسـمـىـ «ـصـدـرـاـ»ـ، وـ كـانـ كـلـماـ اـزـدـادـ حـكـمـهـ اـسـتـقـرـارـاـ اوـ رـسـوـخـاـ فـيـ القـلـوبـ، قـلـ اـعـتـمـادـهـ عـلـىـ القـوـةـ الـحـرـبـيـةـ، مـكـتـفـيـاـ بـجـيـشـ دـائـمـ مـنـ خـمـسـةـ وـ عـشـرـينـ أـلـفـ، إـذـاـ مـاـ نـشـبـتـ حـرـبـ، زـادـتـ هـذـهـ القـوـةـ مـتـوـاضـعـةـ بـمـنـ يـجـنـدـهـمـ الـحـكـامـ الـعـسـكـرـيـوـنـ فـيـ الـأـقـالـيمـ - وـ هـوـ نـظـامـ مـتـصـدـعـ الـأـسـاسـ كـانـ مـنـ عـوـاـمـ سـقـوـطـ إـمـپـراـطـورـيـةـ الـمـغـولـيـةـ فـيـ حـكـمـ «ـأـورـنـبـزـيـبـ»ـ وـ فـشـتـ الرـشـوـةـ وـ الـاخـتـلاـسـ بـيـنـ هـؤـلـاءـ الـحـكـامـ وـ مـعـاـونـهـمـ، حـتـىـ لـقـدـ أـنـفـقـ «ـأـكـبـرـ»ـ كـثـيرـاـ مـنـ وـقـتـهـ فـيـ مـقاـومـةـ هـذـاـ الـفـسـادـ : وـ اـصـطـنـعـ الـاـقـتـصـادـ الـدـقـيقـ فـيـ ضـبـطـ نـفـقـاتـ حـاشـيـتـهـ وـ أـهـلـ أـسـرـتـهـ، فـحدـدـ أـسـعـارـ الطـعـامـ وـ سـائـرـ الـأـشـيـاءـ التـىـ كـانـتـ تـشـتـرـىـ لـهـمـ، كـمـاـ حـدـدـ الـأـجـوـرـ التـىـ تـدـفعـ لـمـنـ تـسـتـخـدـمـهـمـ الـدـوـلـةـ فـيـ شـئـونـهـاـ، وـ لـمـ مـاتـ، تـرـكـ فـيـ خـزـينـةـ الـدـوـلـةـ مـاـ يـعـادـلـ بـلـيـونـ رـيـالـ، وـ كـانـ إـمـپـراـطـورـتـهـ أـقـوىـ دـوـلـةـ عـلـىـ وـجـهـ الـأـرـضـ طـرـاـ.

كـانـ الـقـوـانـيـنـ وـ الـضـرـائـبـ كـلـاـهـماـ قـاسـيـاـ، لـكـنـهـماـ كـانـاـ مـعـ ذـلـكـ أـقـلـ قـسـوةـ مـنـهـمـ قـبـلـ ذـلـكـ الـعـهـدـ، فـقـدـ كـانـ مـفـرـوضـاـ عـلـىـ الـفـلـاحـيـنـ أـنـ يـعـطـوـاـ الـحـكـومـةـ مـقـدـارـاـ مـنـ مـجـمـوعـ الـمـحـصـولـ يـتـرـاـوـحـ بـيـنـ السـدـسـ وـ الـثـلـثـ، حـتـىـ لـقـدـ بـلـغـتـ ضـرـيـةـ الـأـرـاضـىـ فـيـ الـعـامـ مـاـ يـسـاـوـىـ مـائـةـ مـلـيـونـ رـيـالـ، وـ كـانـ إـمـپـراـطـورـ يـجـمـعـ فـيـ شـخـصـهـ الـسـلـطـاتـ التـشـرـيعـيـةـ وـ التـنـفـيـذـيـةـ وـ الـقـضـائـيـةـ، وـ كـانـ إـذـاـ

ما جلس في كرسى القضاء الأعلى، أتفق الساعات الطوال ينصلت إلى أقوال ال متخصصين في القضايا الهامة، وكان من قوانينه تحريم زواج الأطفال و تحريم إرغام الزوجة على قتل نفسها عند موت زوجها وأجاز زواج الأرامل، و منع استرقاق الأسرى و ذبح الحيوان للقرابين، وأطلق حرية العقيدة للديانات كلها، و فتح المناصب

ص: ٦٨

لذوى الكفاءة م بما يكن من أمر عقيدتهم أو جنسهم، و منع ضريبة الرؤوس، التي كان الحكم الأفغان يفرضونها على الهندوسيين الذين يأبون الدخول في الإسلام، و كان تشريعه في بداية حكمه يبيح عقوبات من قبل بتر الأعضاء، أما في نهاية عهده فربما بلغ التشريع في بلاده من الرقى ما لم تبلغه أي حكومة أخرى في القرن السادس عشر، إن كل دولة تبدأ بالعنف ثم تأخذ في طريق المدينة الذي ينتهي إلى الحرية (ذلك إن أمنت على نفسها الخطر).

لكن قوة الحاكم كثيراً ما تكون ضعفاً في حكمته، فقد كان بناء الحكم قائماً إلى حد كبير على «أكبر» بما كان له صفات عقلية و خلقيّة ممتازة، ولذلك كان من البديهي أن يتعرض كل ذلك للإنهيار بعد موته، و بالطبع قد تحلّي بمعظم الفضائل ما دام قد استأجر معظم أعلام المؤرخين : فكان خير رياضي و خير فارس و خير محارب بالسيف، و من خير المهندسين في فن العمارة، و كان كذلك أجمل رجل في البلاد كلها، أما الواقع فإنه كان طويلاً الذراعين، مقوس الساقين، ضيق العينين كسائر المنقوليين، رأسه يميل نحو اليسار، و في أنفه ثلول (زائدة جلدية)، لكنه كان يكتسب شكلًا محترماً بظافته و وقاره و هدوئه و عينيه اللامعتين اللتين كانتا تتلألآن (كما يقول أحد معاصريه): «تلاؤ البحر في ضوء الشمس» أو كانتا تشتعلان على نحو تردد له فرائص المعتمد كما حدث لفاندام أما نابليون، كان ساذج التياب يغطي راسه بغطاء مزرتش، و يرتدي صدراً و سراويل، و يرصح نفسه بالجواهر، و يترك قدميه عاريتين، و كان لا يميل كثيراً إلى أكل اللحم، ثم امتنع عنه امتناعاً تاماً تقريباً في أواخر سنين قائلًا «إنه لا يجعل بالإنسان أن يجعل من معدته مقبرة للحيوان» و مع ذلك فقد كان قوى الجسد قوى الإرادة، و برع في كثير من أنواع الرياضة التي تحتاج إلى حركة و نشاط، و استخف بستة و ثلاثين ميلاً يمشيها في يوم واحد، و كان يحب اللعب بالكرة و الصولجان حباً حداً به أن يخترع كرة منيرة ليتمكن اللاعبون من القيام بلعبتهم هذه في ظلمة الليل، و ورث من أسلافه في أسرته ميلوها الاندفاعية القوية، و كان في شبابه (مثله في ذلك مثل معاصريه) قادراً على مشكلاته بالاغتيال، لكنه راض نفسه شيئاً فشيئاً على أن يجلس على بر كأن نفسه - على حد تعبيره و دروولسن - و امتاز من عصره امتيازاً بعيد المدى في ميله إلى العدل، يقول «فرشتا»: إن رحمته لم

ص: ٦٩

تعرف حدوداً بل إنه كثيراً ما ذهب في هذه الفضيلة حتى جاوز بها حدود الحكماء «و كان كريماً ينفق الأموال الطائلة إحساناً، أحب الناس جميعاً، و خصوصاً الطبقات الدنيا، فيقول عنه مبشر جزويني «إنه كان يتقبل من أهل الطبقات الدنيا عطاياهم الحقيقة بوجه باسم، فيتناولها بيديه و يضمها إلى صدره، مع أنه لم يكن يفعل ذلك مع أفسر الهدایا التي كان يقدمها له الأشراف، و قال عنه أحد معاصريه إنه كان مصاباً بالصرع، و روى عنه كثيرون أن داء السوداء كثيرة ما كان يستولى عليه إلى درجة تسود معها نظرته إلى الحياة اسوداداً مخيفاً و كان يشرب الخمر و يأكل الأفيون في اعتدال، و لعله فعل ذلك ليكتسب واقع حياته المظلم شيئاً من البريق، و لقد كان أبوه كما كان أباًً لأبوه يشربون الخمر كما شرّبها و يأكلون الأفيون كما فعل.

لκنهلم يكونوا ي شبونه في ضبطه لنفسه و كان له حريم يتناسب مع سعة ملكه، فيروي لنا أحد الرواء «إن له في «أجرا» و في «فتحبور - سكري» - هكذا يرون بصيغة الصدق - ألف فيل و ثلاثون حصانا و ألف و أربعمائة غزال و ثمانمائة خليلة لكنه لم يكن له فيما يظهر شهوات حسية ولا ميول تدفعه إلى الانغماض فيها، نعم إنه أكثر من زوجاته، لكنه كان زوجا سياسيا، فكان يتودد إلى أمراء الراجبوت بزواج بناتهم، وبهذا كسبهم في تعزيز عرشه، وأصبحت الأسرة الحاكمة المغلولية من ذلك الجين نصف وطنية فيما يجري في عروقها من دماء، وقد أعلى رجالا من أسرة راجبوت حتى نصبه قائدا أعلى لجيشه، كما رفع أحد الراجات إلى منصب كبير وزرائه، وكانت أمينة التي يحمل بها أن يوحد الهند.

لم يكن ذا عقل واقعى دقيق له بروءة النطق كما كان لقيصر أو نابليون بل كان يتزعج بعاطفته نحو دراسة الميتافيزيقيا، ولو أنه خلع عن عرشه لكان من الجائز أن يصبح صوفياً معتزاً، كان لا يكف عن التفكير ولا ينقطع عن اختراع الجديد واقتراح الإصلاح لما هو قائم، وكان من عاداته مثل هارون الرشيد أن يمشي بالليل متن克拉ً، ثم يعود إلى مأواه وهو جياش الصدر برغبة الإصلاح، واستطاع وسط هذه المناشط الكثيرة أن يفسح بعض الوقت لجمع مكتبة عظيمة تتألف كلها من مخطوطات جميلة الخط والنقوش، دبجهما له نساخون بارعون كانوا لهم عند مترلة الفنانين، فهم في عينه لا يقلون مكانة عن

ص: ٧٠

المصورين والمهندسين المعماريين الذين كانوا يزينون مملكته، وكان يزدري الطباعة باعتبارها آلية تتجلّى فيها شخصية الكاتب، ولم يلبث أن استغنى عن العينات المختارة من الرسوم الأوروبيّة المطبوعة التي قدمها له أصدقاؤه من الجزوiet، ولم تزد مكتبته على أربعة وعشرين ألف كتاب، لكن قيمتها بلغت ما يساوي ثلاثة ملايين و خمسمائة ألف ريال عند أولئك الذين حسبيوا أن أمثال هذه الكنوز الروحية يمكن تقديرها بأرقام مادية، وأجزل العطاء للشعراء بغير حساب، وقرب أحدهم من نفسه - هو بربال الهندي - تقريراً جعله ذا حظوة كبيرة في حاشية قصره، وآخرها نصبته في الجيش قائداً، فكان من نتيجة ذلك أن قام «بربال» بحملة حربية أظهر فيها عجزاً شديداً، وقتل في جو أبعد ما يكون الجو عن خيال الشعراء : و أمر «أكبر» أعوانه من الأدباء أن يترجموا إلى الفارسية - وقد كانت لغة قصره - آيات الأدب والتاريخ والعلم في الهند، و راجع بنفسه ترجمة «الملحمة الخالدة» «ماها بهاراتا» و ازدهرت الفنون كلها في ظله و تشجيعه . فشهدت الموسيقى الهندية و الشعر الهندي في عهده عصراً من أعظم عصورهما و بلغ التصوير - الفارسية منه و الهندية - مرتبة تالية في ارتفاعها للأوج بفضل تشجيعه و أشرف في «أجرا» على بناء الحصن المشهور، و أمر أن يبني بداخله خمسة آثار، عدّها معاصرون من أجمل ما تراه العين في العالم كله، و ليس في مقدورنا أن نحكم عليها استنتاجاً من آثار العمارة الباقية من عهد «أكبر» مثل مقبرة «هـمايون» في دلهي، و الآثار الباقية في «فتحبور - سكري» حيث أقيم ضريح لصديق «أكبر» المحبوب، الزاهد الشيخ سليم شستي، و هو بناء، من أجمل ما في الهند من بناء.

ثم كان له اتجاه آخر أعمق من هذه الاتجاهات كلها، و هو ميله إلى التأمل، فهذا الإمبراطور أو شك أن يكون قادرًا على كل شيء، تحرق فؤاده شوقاً إلى أن يكون فيلسوفاً كما يشتهر الفلسفه أن يكونوا أباطرة، و لا يستطيعون، أن يسّغوا حمق القدر في حرمانه إياهم ما هم جديرون به من عروش، وبعد أن فتح «أكبر» العالم، أحسن شقاء نفسه لأنّه لم يستطع فهم لهذا العالم الذي فتحه و قد قال : «على الرغم من أنّي أسود هذا الملك الفسيح، و زمام الحكومة كلها في يدي، فلست مطمئن الفؤاد لهذه العقائد الكثيرة و المذاهب المختلفة من حولي، ما دامت العظلمة الحقيقة كائنة في تنفيذ إرادة الله، فدع

عنك هذه الأبهة الظاهرة المحيطة بي، وقل لى كيف أطيب بالا، فى مثل هذا اليأس، إذا ما حملت عبء الإمبراطورية؟ إنى لأرقب ظهور رجل حصيف ذى مبدأ ليزبح عن ضميرى هذه المشكلات التى يتعدّر على حلها ... إن الحديث فى الفلسفة يفتتنى فتنـة تصرفى عن كل ما عادها، وإنى لأنصرف عن سماعها رغم أننى حتى لا أهمل واجباتى التى تقتضيها أمور الساعة» و يقول بادونى: «كان يحج إلى قصره طوائف العلماء من كل أمّة، والحكماء من كل ملة و مذهب، وكانوا يظفرون لديه بشرف استماعه إليهم، وإذا ما فرغوا من بحثهم و تقصّيهم اللذين كانوا شغّلهم الشاغل و مهمتهم الأولى ليلا و نهارا تحدثوا في مسائل عميقة في العلم، و نقط دقيقة في الوحي، و أتعجّيب التاريخ و غرائب الطبيعة، و يقول «أكبر»: إن سيادة الإنسان تعتمد على جوهرة العقل.

دعوى الدين الالهى:

ولما كان فيلسوفا فلا عجب أن يأخذه شغف شديد بالدين، فقد أغرته قراءته الدقيقة لملحمة «ماهابهارات» و دراسته الوثيقة لشعراء الهند و حكمائهم بدراسة العقائد الهندية، و لبث حينا - على الأقل - يؤمن بمذهب التناسخ، و خيّب فيه ظن أتباعه من المسلمين حين ظهر على الملا بعلامات دينية هندية على جبهته، فقد كان له شغف بمخالفة أصحاب العقائد كلها، لذلك تودد إلى الزرادشتين بأن ليس ما يلبسوه من قبيص و منطقة مقدستين تحت ثيابه، و انصاع للجانتين حين طلبوا إليه أن يتمتع عن الصيد، و أن يحرم قتل الحى وان فى أيام معلومة، و لما سمع بالديانة الجديدة المسماة باليسوعية، التي جاءت إلى الهند مع بعثة «جوا» البرتغالية، ارسل خطابا إلى هؤلاء المبشرين التابعين لمذهب بولس، يدعوهم أن يبعثوا له باثنين من علمائهم، و حدث بعد ذلك أن قدم جماعة من الجزوئية مدينة دلهى، و حبّ بوه في المسيح حتى أمر كتابه ان يترجموا له العهد الجديد و اباح لهؤلاء الجزوئية كل حرية في أن ينصروا من شاءوا بل عهد إليهم بتربية أحد أبنائه، و في الوقت الذى كان الكاثوليك يفتكون بالبروتستنت فى فرنسا، و البروتستنت - فى عهد اليصابا - يفتكون بالكاثوليك فى إنجلترا، و محاكم التفتيش تقتل اليهود [و المسلمين] فى إسبانيا و تسليهم أملائكم و «برونو» يقذف به فى النار فى إيطاليا، كان «أكبر» يوجه الدعوة إلى ممثلى الديانات كلها فى إمبراطوريته ليعقدوا مؤتمرا، و تعهد لهم بحفظ السلام بينهم و أصدر

المراسيم بوجوب التسامح مع المذاهب كلها و العقائد كلها، و لكي يقيم الدليل على حياده، تزوج من نساء البراهمة و من نساء البوذية، و من نساء المسلمين جميعا.

و كان ألد ما يمنعه بعد أن بردت فى نفسه جذوة الشباب المضطربة، المناقشات الحرّة فى العقائد الدينية، و ضاق أكبر ذرعا بالانقسامات الدينية فى مملكته، و أفرزه الاحتمال بأن تؤدى هذه الديانات المتنافسة إلى تمزيق المملكة بعد موته، فاستقر رأيه آخر الأمر على أن يكون منها ديانة جدية، تضم أهم تعاليم العقائد المختلفة فى صورة بسيطة و يحكى لنا المبشر الجزوئي هذا النبأ كما يأتي:

«عقد اجتماعا دعا إليه كل رجال العلم البارزين و القواد العسكريين في المدن المجاورة، لم يستثن أحدا إلا الأب «رد لفو» الذي كان من العبّث أن ترجم منه شيئا غير مناسبة هذه الدعوة الدينية العداء، فلما أن اجتمعوا جمِيعاً أمامه، خاطبهم بأسلوب سياسى ماهر ماكِر قائلاً:

«إنه لمن الشر في إمبراطورية يحكمها رأس واحد أن ينقسم الأعضاء بعضهم على بعض وأن يتباينوا في الرأي .. و من ثم نشأ في البلاد أحزاب بمقدار ما فيها من عقائد دينية، وإن فلزم علينا أن ندمج هذه العقائد كلها في دين واحد، على نحو يجعلها كلها ممثلة في هذا الواحد، و تكون الفائدة الكبرى التي يجنيها كل من هذه الديانات، أنه لن يخسر شيئاً من جوانبه الحسنة. ثم يكسب كل ما هو حسن فيسائر الديانات، وبهذا وحده نجد الله و نهيه للناس سلاماً و لإمبراطورية أمنا».

و وافق المجلس مرغماً، فأصدر «أكبر» مرسوماً يعلن نفسه رئيساً دينياً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلقه، و هذه الرئاسة الدينية هي أهم ما أثرت به المسيحية على الديانة الجديدة، وكانت هذه العقيدة الجديدة توحيداً يمثل التقاليد الهندية في التوحيد خير تمثيل، مضافاً إليه قبس من عبادة الشمس والنار مأخوذاً من العقيدة الزرادشتية، و فيه عنصر شبيه بالذهب الجانبي في اياته للامتناع عن أكل اللحوم، و عذّ ذبح الأبقار كبيرة من الكبائر، مما أشد ما اغبطة لذلك الهنودس، و ما أقل ما اغبطة له المسلمين، و صدر بعدئذ مرسوم يجعل الاقتصار على أكل النبات إلزاماً على الناس جميعاً مدى مائة يوم على الأقل

ص: ٧٣

كل عام، ثم سار مع ميليينيين خطوة أخرى فحرّم الثوم والبصل، و حرّم تشييد المساجد و صيام رمضان و الحج إلى مكّة و غير ذلك من شعائر المسلمين، و لما أراد المسلمون مناهضة هذه المراسيم، نفّى كثير منهم، و أقيم وسط «محكمة السلام» في «فتح بور - سكري» - معبد للديانة المتحدة الجديدة (ولَا يزال هذا المعبد قائماً) رمزاً للأمل الذي كان يضطرم في صدر الإمبراطور، و هو أن يكون أهل البلاد جميعاً - بفضل العقيدة الجديدة - إخواناً يعبدون إلهًا لا يختلف من طائفه إلى طائفه.

و لم يكن النجاح حليف «الدين الالهي» باعتباره ديناً وجد «أكبر» أن التقاليد أقوى من أن يهدّمها بقوله إنه يجل عن الخطأ، نعم إن بضعة آلاف من الناس التفوا حول الدين الجديد، كان معظمهم ممن يريدون من وراء ذلك اكتساب حظوظه عند الدولة لكن الأغلبية العظمى ما زالت مستمسكةً بأهلتها الموروثة، و أما من الوجهة السياسية فقد كان لخطته الدينية بعض النتائج المعينة، فلئن كان «أكبر» بوطني الدين الجديد قد أبدى شيئاً من الأنانية و من الإسراف، فقد عوضَ عن ذلك خيراً العوض بإلغائه لضربيَّة الرؤوس و ضربَّة الحج المفروضتين على الهنودس، و بإطلاقه الحرية للعقائد الدينية كلها، و بإضعافه لروح التحصُّب الديني و الجنسي و ما يتبع ذلك من جمود الرأي و انقسام الطوائف، و لقد كسب إلى جانبِه بفضل دينه الجديد ولاء الهنودس، حتى أولئك الذين لم يعتنقوا منهم تلك العقيدة الجديدة، فاستطاع بذلك أن يحقق غايته الرئيسية إلى حد بعيد، و أعني بها الوحدة السياسية للبلاد . انتهى كلام ديوارنت، و يظهر انه اسرف اسرافاً واسعاً في خياله بشأن الدين الالهي، و هذا ما لا يفقدنا الثقة بما قدمناه من رأى فيه.

الخزانة الـاـكـبرـية:

من مآثر الامبراطور أكبر أنسائه في أكرا المكتبة ضخمة تحتوى على معظم ما هو موجود من عصره من مختلف الكتب وفى سائر العلوم والفنون.

و يقول أبو الفضل عن هذه المكتبة قسمت المكتبة الملكية إلى عدة أقسام، قسم يحتفظ فيه الكتب في داخل الحرير و قسم آخر يحتفظ فيه خارجه . و رتب الأقسام على حسب قيمة الكتب و متراة المواضيع التي كتبت فيها . فنجد لكل من كتب العربية و الفارسية

ص: ٧٤

و اليونانية و الكشميرية قسم مختص بها، كذلك خصص لكتب الشعر مكان و لكتب الترجمة مكان آخر . و يحضر العلماء بعض الكتب القيمة كل يوم و يقرأونها لجلالة الامبراطور، و هو يستمع إليها بسرور و شغف و عندما تنتهي قراءة اليوم يعلم جلالته في الصفحة بقلمه الخاص و يمنح القارئ من النقود أو من الجوائز الذهبية أو الفضية جائزة يختلف قدرها باختلاف عدد الصفحات التي قرأها، و قلما نجد من الكتب الهمامة كتابا إلا و قد تم قراءته أمام جلاله الامبراطور في ردهته الخاصة للقراءة، و كان من سعة أفقه أن لا يخطر على بال المرء موضوع سواء كان علميا أو أدبيا و كان الامبراطور على علم به، و انه ليس من المواريث و العبر المستفادة من تاريخ الأمم في العصور الغابرة، إلا و قد وجد الامبراطور قد سبق بها علماء، و العجب أن لم يكن يشعر بملل أو سأم و لو قرئ له الكتاب الواحد أكثر من مرأة، بل نراه ينصت و يصغي إليه في المرأة الثانية أكثر منه في المرأة الأولى.

و يقول الراهب الإسباني الأب سباتشيان متنزيك الذي زار آجرا سنة ١٦٤١ الميلادية

تشتمل المكتبة الملكية على ٢٤ ألف مجلد تبلغ قيمتها ٧٣١، ٤٦٣، ٦ روبيه. (ستة ملايين و أربعين و ثلاثة و ستين ألفا و سبعين و واحد و ثلاثين روبيه، أو سبعين ألف و عشرين ألف جنيه استرليني ٧٢٠، ٠٠٠).

الحركة التأليفية في عهده:

أمر أكبر بتصنيف و ترجمة الكثير من الكتب و منها على سبيل المثال:

١ - ترجمة حياة الحيوان الكبرى للدميري بالفارسية، ترجمه أبو الفضل بن المبارك الناكوري سنة ثلات و ثمانين و تسعمائة، ٢ - ترجمة الانجيل إلى الفارسية، ترجمه أبو الفضل سنة ست و ثمانين و تسعمائة، ٣ - ترجمة كليلة و دمنة من اللغة الفارسية الغير المتعارفة إلى المتعارفة، نقله أبو الفضل، ٤ - آئين أكبرى بالفارسية، كتاب ضخم لأبي الفضل، صفحه سنة أربع و ألف، و هو أحسن الكتب المصنفة في أيام أكبر، ٥ - «أكبر نامه» كتاب في التاريخ لأبي الفضل، ذكر فيه أحوال ملوك الهند من أولاد تيمور كور كان إلى عهد جلال الدين أكبر، ٦ - ترجمة ليلاوتى في الحساب و المساحة، نقله من سنسكريت إلى الفارسية أبو الفيض بن المبارك بأمر السلطان، ٧ - نلد من منظومة بالفارسية لأبي

ص: ٧٥

- الفيفي المذكور منقوله من اللغة الهندية، ٨ - ترجمة اثير ابن ويد رابع الكتب المقدسة في زعم الهنود في لغة سنسكريت، نقل شيئاً منه إلى الفارسية عبد القادر بن ملوك شاه البدايوني، وأعانه على ذلك الشيخ بهاون الهندي، ونقل شيئاً أبو الفيفي المبارك المذكور باعانته ثم الحاج إبراهيم السرياني حتى تم الكتاب، ٩ - ترجمة «مهابهارات» أحد الكتب التاريخية المقدسة في زعم الهنادك، ترجمة عبد القادر المذكور بشركة غياث الدين القزويني وسماه السلطان «رزم نامه»، ١٠ - ترجمة «رامائن» (الرامايان) أحد الكتب التاريخية للهنادك في لغة بهاكا، ترجمة عبد القادر سنة سبع و تسعين و تسعمائة، ١١ - منتخبات الجامع الرشيدى فى اخبار الخلفاء العباسية فى بغداد و مصر و الخلفاء الأموية و الخلفاء الراشدين، صنفه عبد القادر بالفارسية، ١٢ - «تكلمة بحر الأسماء» وهو كتاب فى الأخبار الهندية، صنف السلطان زين العابدين الكشمیری، وقد فات منه بعض القصص المفيده فجمعها عبد القادر فى كتاب و جعله الجزء الثاني من بحر الأسماء، ١٣ - «منتخبات تاريخ كشمیر» لملأ شاه محمد الشاه آبادی، انتخبها عبد القادر، ١٤ - ترجمة «ترك بابری» من التركية إلى الفارسية، ترجمة عبد الرحيم بن بيرم خان الدهلوی سنة سبع و تسعين و تسعمائة، ١٥ - «زيج مرزاپی» ترجمة من الفارسية إلى الهندية كشن جوتشی و كناکدھر و مھیش و مھاند أخبار البراهمنة باعنة الأمير فتح الله الشیرازی و أبي الفضل بن المبارك الناکوری، ١٦ - «الناجک» في «التنجیم»، ترجمة مکمل خان الكچ راتی، ١٧ - «هرپنس» كتاب في أخبار کشن، ترجمة ملا شیری بن یحیی اللہوری.
- ١٨ - ترجمة معجم البلدان من العربية إلى الفارسية، قسم أجزاءه السلطان على اثنى عشر رجلاً منهم البدايوني، والتستوى والشيخ منور و قاسم بيك فترجموه، ١٩ - التاريخ الأنفی في أخبار الف سنة، أمر السلطان بتصنيفه أصحابه و اصطفي منهم سبعة رجال: فتح الله الشیرازی، غیاث الدين القزوینی، همام بن عبد الرزاق الكیلانی، الحکیم علی الکیلانی، الحاج ابراهیم السريانی، نظام الدین الکبری آبادی، عبد القادر البدایونی، لأسبوع كامل ليكتب كل واحد منهم في أسبوع أخبار سنة، فامثلوا أمره حتى حررت من ذلك أخبار خمس و ثلاثين سنة، ثم أمر السلطان أحمد بن نصر الله التستوى فاشتغل به و حرر إلى أيام جنكیز خان ثم قتل، فأمر باتمامه جعفر بيك، فأتمه و حرر الواقع

ص: ٧٦

إلى عهد السلطان أكبر، وكتب له الخطبة أبو الفضل ابن المبارك لناکوری، ٢٠ - «الطبقات الکبریه» لمراza نظام الدين بن محمد مقیم الھروی الکبری آبادی، كتاب جمع فيه أخبار الملوك والسلطانين إلى السنة الثانية والثلاثين الجلوسية، ٢١ - «منتخب التواریخ» لعبد القادر بن ملوك شاه المذكور في ثلاثة مجلدات : الأول في أخبار الملوك من سبک تکین إلى همايون، وهو ما بين الإیجاز والإطناب، والثانية في أخبار السلطان جلال الدين أكبر إلى سنة أربعين الجلوسية، والثالث في ذكر السلطان جلال الدين أكبر إلى سنة أربعين الجلوسية، والثالث في ذكر من عاصره من المشايخ والعلماء والأطباء والشعراء، وهو كتاب مفید جداً، ٢٢ - «كتاب التسهیلات فی الھیئت» صنفه ملا جاند، ونسخته موجودة في لندن الآن ٢٣ - «بھاکوت کیتا» نقله من سنسكريت الشيخ أبو الفيفي المبارك المذكور، ٢٤ - «راک ساکر» كتاب في الموسيقى صنفوه في أيامه كما في راک دربن، ٢٥ - حل لنظم شاهنامه، جعله تقى الدين القسّطري منتشرًا بأمره.

الحركة العمرانية و الفنية:

و كان من الطبيعي ان تزدهر الحركة الفنية في هذا العهد فقد اسس اكبر عاصمة جديدة هي فتح بور سكرى، و كان يحيط بها من ثلاثة جهات سور كبير طوله خمسة كيلو مترات، و تتطل من الجهة الرابعة على بحيرة صناعية . و شيدت فيها قصور

فخمةً و دور للحكومة و مساجد و أسواق . وكان مسجدها الجامع من الرخام الناصع البياض، و يبدو من مباني هذه المدينة انه لم يراعى في تخطيطها وحدة عامة و انما شيد كل بناء منها مستقلا عن غيره . و من هذه المباني الديوان العام و قوامه خمس طبقات مدرجة تفيق كلما ارتفعنا، و منها «الديوان الخاص» للاستقبالات الملكية الخاصة و هو بناء مربع من طابقين له أربعة أبواب و أعمدة تعلوها مقرنصات تحمل السقف، و تبدو من الخارج في أركان البناء أربع قباب صغيرة . و قد كانت هذه الظاهرة المعمارية الأخيرة من مميزات القصور الهندية بوجه عام .

و مبالغة في التفنن في تشييد هذه المدينة أن الإمبراطور قد بني فيها أبراجا للحمام و طلاها باللونين الأزرق والأبيض و بني فيها ساحة كبيرة للعب «البولو» و أخرى لقتال

ص: ٧٧

الفيلة و بني كذلك ساحة واسعة مربعة الشكل على هيئة لوح الشطرنج ليتسلى الإمبراطور بهذه اللعبة المحببة إلى نفسه و بدلا من اللعب بقطع الشطرنج و تحريركها تم تخصيص فتيات راقصات يجئن و يذهبن على الطريقة التي يتم فيها نقل قطع الشطرنج . وقد أحاطت هذه المدينة الواسعة بسور عظيم من الحجر الرملي الأحمر . و عندما توفي الشيخ سليم الشيشتي دفن في مدينة فتح بور - سكري و شيد له ضريح فخم من المرمر الأبيض و أصبح مرقده مزارا للنساء العقيمات تبركا به و تيمنا .

و لقد وصف الإنكليزي رالف فتش هاتين المدينتين أجرا و فتح بور - سكري عندما زارهما في عام ١٥٨٤ (أو العام الذي تلاه) بقوله «إنهما أعظم من مدينة لندن و على نسبة عالية من السكان».

و من الفائدة أن نذكر أن الإمبراطور أكبر عندما شيد مدينة فتح بور - سكري كان قد شيد أيضا جاماذا بوابة فخمة تدعى «بلند - دروازة» و معناها «البوابة الشامخة» شيدتها تخليدا لانتصاراته و وصفها و ليم فنج الإنكليزي الذي زار مدينة فتح بور - سكري عام ١٦١٠ بأنها من «أجمل البوابات وأعلاها». و هذه البوابة تعلوها مجموعة من القباب و من الغريب أن كتب على أعلى البوابة عبارة تقول: «قال عيسى عليه السلام:

هذا العالم مثل الجسر أعبر عليه و لكن لا تبن فيه بيتك و إن هذا العالم باق و لكن لأمد قصير فاقض ه في النسك ». هذه الكتابة و بألفاظها المذكورة رواها tnulB dirfliW بالشكل المذكور . و لكن رواها ابن عبد ربه الإندرلسي في كتابه العقد الفريد بألفاظ أخرى هي قال المسيح عليه السلام لأصحابه: «اتخذوا الدنيا قطرة فاعبروها و لا تعمروها».

و مع أن الإمبراطور أكبر كان قد بني هذه المدينة باذلاً أقصى العناية و الاهتمام فإنه قد نقل عاصمة ملكه إلى مدينة أجرا و هي العاصمة القديمة و على الرأي الراجح في سنة ١٥٨٥ و يعزى سبب تحوله عنها بهذه السرعة إلى عجز في الإمدادات المائية التي تروى و تسقى مدينة فتح بور - سكري .

و من آثار الإمبراطور أكبر قلعة آكرا المشيدة بالحجر الرملي الأحمر و لهذا عرفت بالقلعة الحمراء (الآن قلعه) و لعل أعظم أجزائها الباب الكبير المعروف باسم باب دهلي، و يبدو في

ص: ٧٨

بناء هذه القلعة مجمع بين الاساليب الفنية الايرانية و الأسلالب الهندية المحلية و على صعيد ا لتصوير الفنى فقد انشأ اكبر معهدا حكوميا للرسم و التصوير الفنى التحق به ما يزيد على مائة فنان كانوا يعملون تحت ارشاد المصورين الايرانيين، و جمعت لهم الصور الفنية الرائعة من ايران ليحاكوا كثيرا منها، كما تم فى عهده ما بدأ فى عهد أبيه من تصوير قصة الامير حمزه و هي قصة ايرانية شهيرة تضمنت نسختها الاصلية على حدود ألف و اربعمائة صورة رائعة على القماش، و تفرقت هذه الصور فى عدد من المتاحف العالمية اليوم.

و شجع أكبر التصوير الاوربى أيضا و كان أول اطلاعه على هذا النوع من الفن بعد أهداء نفر من المبشرين الجزوئى نسخة من الانجيل مزينة برسوم السيد المسيح و أمه العذراء و ذلك سنة ١٥٨٠ م.

و يحتوى متحف المتروبوليتان بأمريكا عدد من صور المخطوطات الجميلة من عصر أكبر و تحمل امضاءات مشاهير الفنانين حينذاك و من بينها ثلات صور من مخطوطة (رزم نامه) و هي الترجمة الفارسية لملحمة (المهاهاراتا) و أكثر هذه الصور ابداعا صورة تمثل الاله الهندي كرشا محاولا رفع أحد الجبال فى سيلان.

و جاء فى (آئين اكبرى) قول أكبر عن التصوير:

«أن فريقا من الناس يعادون فن التصوير، و يبنون عيه و فساده، و لكن القلب لا يقبل أقوالهم و أدلةهم، بل أنّ ما دل عليه العقل، و تشهد عليه القرآن فالتصوير يكون أقرب إلى معرفة الله تعالى من غيره من الطبقات البشرية المختلفة، لأنّه عند تصويره لحيوان يأتي بشبيه لكل عضو من أعضائه، ثم حين يكمل الصورة و ينظر إليها يرى أنه رغم هذه الريشة المchorة الساحرة، يعجز تماما عن أن ينفح فيه الروح، فستجلّى له عند ذاك قدرة الخالق المطلقة، و يسجد أمام هذا الصانع العظيم».

و قد حظى الرسم بالانتعاش و الرقى بفضل عناية أكبر، أكثر مما نال في عهد غيره من الأباطرة المسلمين، و قام المعهد بأداء مهمته خير قيام، و ملأ خزائن الفن ذخرا ثمينا و لم يزل في تقدم و ازدياد مستمر.

ص: ٧٩

يقول أبو الفضل «لقد وشيت الكتب الفارسية نظمها و نشرها بروائع الصور و الاشباه، و حوت عددا و فيرا، من نماذج الفن » و بالإضافة إلى «قصة أمير حمزه» المذكورة سالفا، وشيت كتب أخرى منها جنكيز نامه، و ظفر نامه، و آئين، و رزم نامه، و همایون نامه، و نل دمن، و كلليلة دمنة، و عيار دانش و غيرها . و قد كانت الكتب المنشورة بالصور و الرسوم أكثر من أن تحصى كما كانت كثرة عدد الرسامين تدعوا إلى الأعجاب، و لعله من أهم المخطوطات المنشورة قدمه هذا المعهد في عهد أكبر، و ما يشهد على الفن فيها مع الحيوان النابضة و النشاط اليقظ، و الروح ة المدهشة، هي «بابر نامه» (النسخة المرقمة ٣٧١٤) و «درن نامه» (٤٦١٥) و «أنوار سهيلى» (١٨٥٧٩) في المتحف البريطاني بلندن، و «تيمور نامه» في المكتبة الشرقية ب « بتنه» و «رزم نامه» في مكتبة الولاية ب «جاپور» و «أنوار سهيلى» (النسخة المرقمة ١٠١٠٢) في مكتبة معهد للدراسات الشرقية و الأفريقية بلندن و «ليلي مجرون» (أبيات ٢٥٤) في مكتبة بوديليان باكسفورد و «أكبر نامه» في القسم الهندي بمتحف «فكتوريا و البرت» بلندن. و كذلك أعدت للكتب الفارسية نسخ أخرى، زينت بصورة خلابة تشهد

بجودتها. منها «خمسة نظامي» في مكتبة دايسن بيرنس و «نفحات الأنس» لمولانا الجامى (١٣٦٢) في المتحف البريطاني بلندن.

«أمر جلاله الامبراطور بتصويره كما أمر بتصوير جميع الأمراء والرؤساء الذين ضمهم بلاطه فاعد» «البوم» ضخم يشتمل على صور الذين توفوا من قبل، لتخليد ذكرى لهم، و اتبع نفس الطريقة لتخليد ذكرى الأحياء منهم، و يعتبر هذا الوقت بدء العصر الزاهي لصنع الصور والتماثيل التي تعبر للفن مساهمة ثمينة قام بها المعهد المغولي.

و نتيجة لاهتمام أكبر بفن الرسم و تشجيعه لذويه أن حاز عدد وفير من الرسامين سمعة كبيرة و طار صيتهم في أرجاء العالم من أقصاه إلى أدناه، و من أبر زهم - كما قرر ذلك أبو الفضل - مير سيد على من تبريز، و خواجه عبد الصمد، دسونت، و بسوان. و هم بجانب ثلاثة عشر آخرين حازوا السمعة العالمية، و هم كيسو لال، و مكند و مشكين، و فرغ، و قلمك، و مادهوم جكن، و مهيش، و خولش كرن، و تارا، و ساولا، و هرى باس، و رام، و أمثال هم. و لا يستبعد أن يكون هؤلاء هم دعاة للرسامين الموجودين في بلاط أكبر.

و يمتاز مير سيد على و خواجه عبد الصمد اللذين جئ بهما من فارس بأنهما من الرواد

ص: ٨٠

٦

١٢٢٨٠ الشيعه في العصر المغولي ؛ ص ٨٠

المجيدين الذين اتبق على ايديهما فجر النهضة الحديثة، اذ قاما في البلاط المغولي ببداية النشاط الفنى خير قيام، ثم لم يلبث أن توصل أكبر بفضل عنايته الواسعة إلى معرفة الفنانين الهنود أيضا، منهم دسونت و بسوان و كلابها كانوا من الهند وأرومة و جاء ذكرهما في حديث أبي الفضل بمزيد التمجيل والاحترام، و عدهما أيضا من رواد الفن و قد قيل عن دسونت، انه فاق الأقران طرا، و عد أول رسامي عصره . و أما بسوان فكان ممتازا بتخطيط المنظر الخلفي و تنفيذ الملامح و اختيار الألوان و صنع الأشياء، و ما إلى ذلك، و يقتصر أبو الفضل عن ذكر ميزات جميع الرسامين الذين سبق ذكرهم في «آئين أكبرى» معذرا بأنه لو أسهب في سردتها جميعا لطال بنا الحديث.

و عن ولع (أكبر) بهذا الفن و ما كان يجري له من المراسيم مع الفنانين ندرج ما ورد أيضا ضمن كتابات أبي الفضل، يقول:

إن التصوير هو صنع ما يضاهى شيئا من الأشياء و كان جلاله الامبراطور مولعا بهذا الفن منذ حداثة سنه . فشجعه أى تشجيع و افرد له كل تسهيل ممكن . و السبب أن هذا الفن كان في رأي الامبراطور من خير وسائل التعليم و ظنه خير ما تشتهيه الأنفس و تقربه الأعين فأصبحت هذه الغرسة بفضل عنايته أصلها ثابت و فرعها في السماء و آتتأكلها من الصيت الدائم لكثير من أهلها.

^١ طبichi، محمد سعيد، الشيعه في العصر المغولي، 1 جلد، أكاديمية الكوفة - هند، چاپ: اول، 1427 هـ.ق.

و كانت من دأب الامبراطور أن يقدم اليه المشرفون و الكتاب (داروغات) جميع التاجات الفنية كل أسبوع، فيأمر لهم بالجوائز حسب احقيتهم بها . و من ضمن الجوائز أن يأمر لبعضهم بزيادة المرتب الشهري . و أتت ذلك أن حازت المواد الأولية لهذا الانتاج تقدما ملحوظا وكانت الحاجيات و الأشياء المستعملة في العمل تختار من أرقى الأنواع و أجودها من غير نظر الى ارتفاع ثمنها . فذخر هذا المعهد بنتاج أرفع و أجود منها في العهود السابقة . فحفلت نماذج الرسم و التصوير بالجودة و الروعة التي لم يكن لها عهد بها من قبل، و بز من مهرة الفنانين من لم يوج د لهم ند و مثيل . فها هي ذخائر الفنون لبهزاد التي لا تقل جودتها و بداعتها من انتاج الرسامين الأوروبيين الذين يشهد العالم بفضلهم و لعمري أنك تجد فيها من الانسجام و دقة الصنع و توضيح الملامح، و ما الى ذلك، مما لم يشهد الفن له مثيلا . و حتى صور الأشياء الجامدة قد يخيل إليك أنها تترافق حركة و حياء،

٨١:

و الذين بلغوا منهم درجة الكمال الفني و حازوا الشهرة الفائقة يزيد عددهم عن مائة . أما الذين دونهم أو الذين عدوا من الطبقة المتوسطة فلا يحصى عددهم.

ازدهار الشعر الفارسي في عهده:

كان لأعراض الصفويين عن الشعر، ان كسد الشعر في ايران، فقد الشعرا بمدائحهم سلاطين الدولة التيمورية في الهند فلقوا من الكرامة و العطاء ما فاتهم في بلادهم و قد عد البدايوني مئة و سبعين شاعرا من أصل ايراني مدحوا هؤلاء السلاطين و نالوا جوائزهم.

و ذكر شبلي النعماني في كتابه (شعر العجم) واحدا و خمسين شاعرا هاجروا إلى الهند في عصر الامبراطور اكبر و حظوا بلقاءه و مدحه.

و قد جمع شبلي المذكور ابياتا من الشعر الفارسي تبين عن حنين شعرا الفارسية في ذلك العصر إلى بلاد الهند، و تمنيهما ان يظفروا بالسفر إليها، منها قول صائب:

«لا يخلو رأس من الفكر في حبك كما لا يخلو قلب من أمل السفر إلى الهند»

و قد كان صائب هذا أحد الشعرا الذين هاجروا إلى الهند في صباهم و اتصل بالامبراطور اكبر و توفي في الهند سنة ٩٩٩ في سن السادسة و الثلاثين، و الواقع ان هنالك مئات الشعرا الفرس الذين قدموا إلى الهند لما كانوا يسمونه من عطايا ملوكها للشعرا ذلك ان الفارسية طبعت الهند المغولية بطبعها التقافي، فكانت لغة البلاط الرسمي، و لم يكن من المستغرب ان يجد كثير من أهل فارس فرستهم في الهند و في بلاط اكبر بالذات، فشغلوا مناصب، و كان منهم وزراء و قادة و كانت الهند بارة بأبناء فارس فحققت للكثيرين منهم آمالهم، و اعطتهم في سخاء اكبر مما كانوا يتمنون في حين كانت تقدر بما مثلهم و ربما (ممن يفوقونهم علما و فكرا و لكن ينقصون عنهم مغامرة) تقدر بهم آمالهم و هم في بلادهم الأصلية عن الوصول إلى ما كانوا يتوقعون إلى تحقيقه من امنيات غالبية و شهرة و ثراء و من بين الاسماء اللامعة من أدباء و شعرا الفارسية على عهد اكبر شاه و جهان كير و شاه جهان : ظهوري، نظيري، طالب الآمل، طالب الاصفهاني، طالب كليم، ميرزا قوام الدين جعفر بيك بن آصف خان، ملا شكيبي الاصفهاني، حياته

كيلاني، نوای مشهدی، میر محمد هاشم سنجر الكاشانی، دکالی الاصفهانی، امیر الامراء شریف خان فارسی، شیدا، سعیدی الکیلانی، میر محمد أمین، محمد صوفی، حکیم حاذق، خواجه میرزا أحسن اللہ، مظہری الکشمیری، مولانا تقی الشوشتري الغیوري، کمال الدین جسمی، میر اسماعیل شاملو، عبد الباقی، تبینی، حکیم فکور لا هیجانی، قبلان بیک، مرشد خان، تاج علیا، تقی بیرزاد، حیدر عطای، شاه نظیر بیک، مولانا قدری، ندیم کیلانی، رسمي قلندر، محمد کاظم شیرازی، مولانا لطفی، محمد هاشم کیسا، اسکنڈ کیسا خان، محمد شریف معتمد خان، محمد هاشم هند و شاه، عبد الباقی النهاوندی، عبد الحق بن صفوی الدین الترك، محمد قوصی بن حسین بن موسی الشطاری، الشیخ اسکندر، حاج محمد جان قدسی، محمد قلی سالم، عبد برکات منیر، میر یحییی الکاشی، میر الالاھی، حکیم رکن الدین مسعود مسیح، مولی نسبتی تانیسر، میر حسن بیک رفیع مشهدی، محمد لسان اللہ، درویش حسین ولی ه روی، محمد طاهر خانی کشمیری، محمد علی ماھر، محسن فانی، سید خان ملتانی، حسن فاروقی، مولی حاجی لاهوری، خیالی، فاروق، دلیری، جاندرا بان برهمان، عبد الحمید الlahوری، محمد وارت، هلامی سعد اللہ خان، مدار المحامی علاء الملک التونی، محمد صادق، محمد طاهر انسنا، محمد امین بن عبد الحسن القزوینی، محمد صالح کنبو، خواجه کمکر خیرات خان، جلال الدین الطباطبائی، الشیخ عنایت اللہ، عبد اللطیف الکجراٹی الشکر کانی، ملا توکرا و غیرهم و غیرهم من مثاث الأعلام مما لا یسعنا الاحاطه بهم و اخبارهم و ان ذكرنا خلال بحثنا بعض اعلامهم فان الحديث عنهم تفصیلا یخرج عن نطاق استطاعتنا و حری بمن یطلع الى المزيد من اخبارهم مراجعة الكتب المختصة^٧:

الشعر الهندي على عهد أكبر:

كان حكم الامبراطور اكبر «عصرا ذهبيا» لا باعتبار الشعر الهندي فقط بل وبما أنه انتج عددا غير قليل من شعراء الطراز الأول الذين انخرطت دواوين شعرهم و مؤلفاتهم المنظومة الرائعة في سلك المختارات الکلاسيکية . و انما انطبع بطابعها اساليب الثقافة الهندية كما هي حركت عواطف ملaiين من الناس و أثرت في قيمها اکثر من كل شيء آخر في تاريخ العهود الوسطى بالقاراء الهندية فمن أشهر مشاهير هذا العصر تلسی داس

)sadisiluT(

^٧

) adoraB. namhaR. L. M1970yb. nahaj hahs dna rignahaJ fo emit eht gnirud aidnI ni erutaretiL naisreP*. (: luhgom eht ta erutaretiL naisreP fo yrotsihA enworB. G. E yb aisreP fo yrotsoH yraretiL* inahG ludba: yb truoc *ilbih: yb majA- lurehS *dazA niasoH damamhoM; yb sraF I natsiragiN

و سورداس) sadruS (و مان سنکھه) hsenraK (و کارنیش) gnaG (و کیشب داس) nahksaR (و تودر مال) sadvahseK (و عبد الرحیم خان خانان) laM radoT (و راس خان) nanahK (و تان سین) nesnaT (.)

أقام تلسي داس بمدينة بنارس saranaB (في معزل عن الناس و كان وحيد الطراز، محبا للخلوة، لكنه كان مع ذلك قد حاز على شهرة ادبية طائلة. و كان هو الشاعر الأكبر الذي قرب العقيدة الهندوسية المختصة بقداسة رام و مثله في ذلك مثل المهاراتا برتاب سنکھه raweM (بطل میوار) hgniS PatraP anarahaM (.)

و من أشهر المؤلفات لتلسي داس كتابه المنظوم المسمى برام جريت مناس sanaM atirahcamaR (الذي ينعت باسمى النعوت فيقال انه « كالكتاب المقدس لدى ملايين من الهندكة » و ليس ذلك مثلا اروع للادب الهندي فقط و لكنه في الواقع كان دستور الفلسفة و الأخلاق الذي يقرر في أذهان المواطنين المعانى السامية الفاضلة للحب و الاعذان . أما اللغة التي استعملها تلسي داس فهي لغة سهلة مألقة، لغة جماهير الطوائف الهندكية أو لوک بهاشا) ahsahB koL (هذا و يمثل الكتاب ضربا شتى من الأفاعيل المألهة لدى الجمهور، كدوها ahtaroS (و سوراتها) ahoD (و سوانى) maR irS (و تسبوي) iaPuhC dnahhC (ثم انه ينقسم الى سبعة أجزاء، تصور أمام القراء سيرة الورد رام تشندر) ardnahC (ملك اجودها الشهير في أساطيرهم الملفقة . و الذي يعتبر عند الهندكة مثالا جسدانيا لله و يقدم اليه تلسي داس أبي التحيات على ما معناه :

«العالم تماما ملآن من الأم المقدسة (سيتا) و من اللورد (رام) فيها انا ذا اسلم بالانحناء

ص: ٨٤

اماهمها، مطبقا لليدين».«

و انما يتلو ذلك في الأهمية و ينای بتريكا) akirtaP ayaniV (لتلسي داس ايضا، و هو مجموع يتتألف من أناشيد و أغان في الأدعية و التسبيحات . و لقد لاحظ المؤرخ اسمث) htmS (و وافقه على ذلك السير جورج جريرسون) nosreirG egroeG riS (بان كتاب الرامايانا) anayamaR (لتلسي داس واسطة العقد في الأدب الهندي و ان مؤلفه الكبير تلسي داس نابغ عبقري بلا مدافع . و بمحض رأيهما تطورت أساليب تلسي داس على اختلاف المواضيع و تغير الشخصيات التي يحوك الكلام حولها . فكل بطل متمايز بشخصية بارزة على وجه التحديد تخاله يعيش و يتحرك أمام عينيك متسمًا بسمات الكرامة و التمجيد المألهة في عصر بطولته . لقد كان الامبراطور اکبر المغولى العظيم فى ظهور اسم هذا الشاعر .

و هناك شاعر آخر يتلو شهرة، اسمه سورداس) sadruS (و هو الى جانب الموهبة الشعرية كان ايضا كاتبا قديرا و ربما يفوق تلسي داس و طار صيته و خاصة بعد تأليفه لكتابه الموسوم بسورساکر) ragaS ruS (و ما الى غير ذلك من أناشيد . و ليس هناك احد من شعراء اللغة الهندية قبل سورداس و لا بعده يكون أوسع معرفة منه بسيكلولوجيا الاطفال . و لقد رأى بعض النقاد أنه كان أكثر تفوقا من تلسي داس . و كان ملتحقا ببلاد الامبراطور اکبر الى ان اشتهر لدى الجماهير بشاعر اکرا الأعمى . و كان ابوه رام داس ايضا شاعر البلاط المغولى في عصر اکبر .

و كذلك يمتاز عصر الامبراطور اكبر بمساهمة الشعراء المسلمين فى حقل الأدب و الشعر باللغة الهندية ينوه جرييرسون من بينهم بهؤلاء: جلال الدين، و قادر بخش، و جمال الدين من سكان هرودونى (odraH) (و مبارك على و تاج و دلدار و من أكثرهم شهرة عبد الرحيم خان خanan. و ما زال اسمه مذكورة في النهاية متمنيا كالكوكب الدرى فى قبة الأدب الزرقاء فى عهد أكبر . فانه علاوة على تبحره فى اللغة الفارسية و العربية و التركية . كان من علماء الطراز الأول فى اللغة السنسكريتية و شاعرا مجيدا يفصح عن قرارات صدره باللغة الهندية مرأة و باللغة الاجستهانية مرأة اخرى . و قد وصلتنا مئات من نفحات قلمه المصبوغة فى بوتقه الشعر الهندي و على الخصوص هذه المزدوجات المعروفة فى الأدب الهندي بدوها) (ahoD) (و من بعض اناشيده تعربيه:

ص: ٨٥

«ان الحنظل المر ملأ الفم، ينبغي أولا و قبل كل شئ ان يقطع رأسه، و ثانيا ان يملح تماما و هذا هو القول الفصل فيه فإنه على مرارته لا يستوجب الا هذه العقوبة».

و كانت تربطه بتلسي داس صدقة حميّة و اتصل بعضهما بالبعض بتبادل الرسائل و المخاطبات. و عبد الرحيم خان خanan ولد في سنة ١٥٥٦ للميلاد و كان نجل الأمير الشهير بيرم خان . و كان قائدا كبيرا فاتتفق في سنة اربع و ثمانين و خمس مائة و الف للميلاد ان قاد عساكر الامبراطور اكبر ضد كجرات كما قادها في السنة التالية ضد احمد نكر.

و توا بعد ان اختلس ريب المنون الراجا تودر مال، تبوا عبد الرحيم كر سى الوزارة العظمى في سنة تسعة و ثمانين بعد خمس مائة و الف للميلاد . و بقى حيا يرزق و يخدم الامبراطور جهانكير نحو إحدى و عشرين سنة و سنأتي على ذكره بشكل أكثر تفصيلا فيما بعد.

و من نبغاء المسلمين بالهندية راس خان) nahK saR (و كان متھما في اعتقاده بقداسة اللور د كريشنا (anhsirK (droL (و له منظومات كثيرة تصف جوانب من حياة كريشنا في الغابة الشهيرة وريندين) nabdnirV (و هذا من بعض أقاويله المنظومة: «انى على تقدير كونى بشرا سويا ارضى فقط بالسكن بقرية جوكل) lukoG (و لو كنت كائنا من الانعام لأنحببت ان اسوم في مرعى خصي بقرات ناند) dnaN (.)

و كان الامبراطور اكبر نفسه يحب الشعر الهندي حبا جما و يقال انه نظم بالهندية أبعاض المقطعات و اتحل اسم اكبر راي) iaR rabkA (و منه ما وصل الينا و طالما انخرط في سلك النخب المودعة في مجتمع الشعر الهندي . و مما يكون اكثر طلاوة من ذلك ها تيك الاقاصيص التي على كثرتها تدور حول العلاقات المتواصلة بين الامبراطور اكبر و بين الشعراء في عصره و بلاطه . و انما يجدر بالذكر هنا على سبيل المثال ان الامبراطور على اقتراح الشاعر فديابتي itaPaydiV (تجاوز عن ذنب للراجا شيو سنکھہ) hgnis vihS ajaR (صاحب متهيلا) alihtiM (و ذلك بعد ان حكم عليه بالعقوبة. و كذلك يقال عن الشاعر كيشب داس) sadvahseK (انه ذات مرأة قام بمثل هذه الخدمة على حساب الراجا اندرجيپ صاحب اورتشا) ahhcrO (و بناء على اقصوصة اخرى اتفق ذات مرأة انه سافر

ص: ٨٦

الامبراطور اكبر و صحبه بيريل فسارا مستقىما من آكرا الى ماروار rawraM (كما يسعدهما الحظ بروئية ميرابائى) (و هناك اقصوصة اخرى تشير الى أن الشاعر دادو iabariM odaD (ارشد الامبراطور و هو معصوب الأعين، الى مركز الغابة و رندابن، حيثما صادفته الموهبة بمنظر اللو رد كريشنا . هذه الاقصوصات تروى عن شغف اكبر شاه و تسامحة ازاء الادب الهندي.

ولم تكن هذه الفعاليات الأدبية مقصورة على البلاط الملكي و لا على اعيان الحكومة و لكنها كانت حركة مستمرة للجمهور فكانت توجد في الأرياف المترامية الأطراف أيضا طائفة كبيرة من الأدباء و الشعراء باللغة الهندية و كانوا يتمتعون بتعضيد لجانبهم من كبار الأقطاعيين و الآثرياء الأغنياء و من شاء فليراجع صحائف الكتاب الموسوم ببندهو و نود (doniV arhsimuhnaB (تأليف السيد ميشرا) أو الكتاب المسمى «بهندي ساهتياكا اتيهاش » أى تاريخ الأدب الهندي تأليف السيد رام تشندرا شكلان alkuhS ardnahC maR (و هنالك فقط يمكن للمطالع ان يقدر قيمة الروح التي سادت ذلك العصر الذهبي في تاريخ الشعر الهندي على عهد اكبر.

وفاته و ذريته:

بعد ان الحق اكبر كلا من خانديس و احمد نكر بالسلطنة المركزية و رضى من امير بيجابور بالطاعة و الخ راج، عهد بولاية الدكن الى ابنه الأمير دانيال و عززه بالقائد خان خanan ليشد به عضده، و رجع الى آكره، و توفي على فراشه في جمادى الثانية سنة اربعة عشرة و الف ١٦٠٥ (١٦ اكتوبر ١٦٠٥) و دفن في اسكندر آباد قريبا من آكرا تاركا العرش لأبنه سليم (جهانكير) و هو ولده من زوجته البرهمية الأصل بنت بيهارى مل (راجا جيبور) التي كان قد تزوجها سنة ١٥٦٢ م، و كان لأكبر عدة زوجات آخريات منها بنت راجا بيكانير و بنت راجا جيسليمير و كان قد أقام بذلك الروابط الودية بين المسلمين و الهندوس.

ولم تكن رغبة اكبر ان يتولى العرش من بعده ولده سليم هذا و ذلك بسبب ما خلفه في نفس والده اكبر من عدم الارتياح بعد العصيان الذي أبداه سليم بمدينة الله آباد، بقصد الاستيلاء على الملك ثم تراجع عن ذلك و اعتذر لأبيه، لكنه عاد و خاصم والده الامبراطور

ص: ٨٧

و سبب له الما كييرا بقتله لأحد أكبر رجاله العلامه ابو الفضل و قد كانت بين سليم و بينه جفوة بسبب نصيحته اياه بالاقياد المطلق الى طاعة ابيه، فأشار الى أحد اتباعه المسمى (راجا رام) والى «بندهيل كند» أن يقتله، فقتلته سنة ١٤١١ - ١٤٠٢ (١٤٠٤ م) فغضب اكبر و حزن حزنا صادقا و انتقم من القاتل شر انتقام، و في أثناء الحم له على الدكن توفى ولده (مراد) و في سنة ١٤١٣ - ١٤٠٤ (دانیال) في الدكن أيضا، فاغتمّ كثيرا، فسلم (سليم) الملك و لم يكن يخلو الأمر من المتاعب فقد رأى رجال البلاط ان يبعدوه عن العرش و ان يولوا ابنه خسرو لكن الأمور لم تتفق لولده خسرو و من معه من رجال البلاط بل انتهت الى فراره سنة ١٤٠٦ م، فأرسل سليم وراءه اثناء عشر الف رجل و لا قوه في لاهور فاقتتلوا فـ خسرو من المعركة و لكن ألقى عليه القبض و أتى به الى اكره فسجن فيها، و بقى في سجنه الى أن مات سنة ١٤٢١ م، و بذلك استتب الأمور للامبراطور سليم جهان كير.

من أعلام الشيعة في عهد الامبراطور أكبر:

الأمير على قلی خان الشیبانی الأزبکی ت ۹۷۴ ه

أمير الأمراء بیرم خان خانان التركمانی ت ۹۸۵ ه

أمير الأمراء عبد الرحيم خان خانان التركمانی (۹۶۴-۱۰۰۰) ه

الأمير منعم خان التركمانی ت ۹۸۳ ه

الأميرة خنان بيكم بنت عبد الرحيم خان خنان ت ۱۰۷۰ ه

من العلماء الذين رعاهم أمير الأمراء عبد الرحيم خان خنان:

کاظم بن عبد على الكيلاني ت بعد ۱۰۱۵ ه

تقى الدين التستري ت ۱۰۲۰ ه

محمد رضا الاصفهانی ت ۱۰۲۳ ه

محمد على الكشميری ت ۱۰۲۵ ه

عبد الباقی النهاوندی (۹۷۸-۱۰۴۶) ه

و من العلماء في عصر أكبر:

ص: ۸۸

العالم الأمير الوزير فتح الله بن شكر الله الشيرازی (۹۲۰-۹۹۷) ه

القاضی محمد اليزدی (ت ۹۹۸) ه

الوزیر العالم شریف الاملى (ت بعد ۱۰۰۳) ه

الوزیر شمس الدين الخوافی (ت ۱۰۰۸) ه

الوزیر الشاعر آصف خان میرزا بک (۹۵۸-۱۰۲۱) ه

العالم الطیب صدر الدين بن فخر الدين الشیرازی (ت ۱۰۶۱) ه

الطيب مسيح الملك الشيرازي

همام بن عبد الرزاق الكيلاني (ت ١٠٠٤)

نقى الدين الحسيني الشيرازي

أسرة آل الناكوري

حضر بن موسى اليماني (٩٣٤ - ٩٥٤)

مبارك الله الناكوري (٩١١ - ١٠٠١)

أبو الفيض الناكوري (٩٥٤ - ١٠٠٤)

أبو الفضل الناكوري (٩٥٨ - ١٠١١)

أبو المكارم الناكوري (٩٧٦ -)

أبو تراب الناكوري (..... - ٩٨٨)

عبد الرحمن بن أبي الفضل (٩٧٩ - ١٠٢٢)

عبد الله بن على الشيرازي (القرن ١٠)

نور الدين محمد عبد الله الشيرازي (ت بعد ١٠٣٨)

و من أمراء الشيعة المعروفين في هذا الدور:

على قلى خان الشيباني قتل سنة ٩٧٤ / ١٥٦٧ م

الأمير الكبير على قلى بن حيدر سلطان الشيعي الشيباني أحد الأمراء المشهورين . قدم الهند صحبة همایون شاه التیموری عند رجوعه عن العراق مع من رجع معه من كبار

ص: ٨٩

القادة الاذابكة و هم فرع من التیمورین انشقوا عنهم في عهد اميرهم شیبانی خان حتى صاروا كأنهم لا ينتسبون إليهم، وقد قام هؤلاء القادة و كلهم من الشيعة و بزعامة على قلى خان ببذل كل امكاناتهم القتالية من أجل فتح الهند و لذلك أقطعه همایون شاه المذكور البلاد و القلاع بناحية سنبل، فضبط تلك البلاد و احسن السيرة في الرعية، و لما قام بالملك اكبر شاه و خرج عليه همایون الهندي و قبض على دهلي تقدم اليه و سار معه الى دهلي، فلما قرب من دهلي خرج من

العسكر و معه عشرة آلاف مقاتلة، فقاتل هيمون المذكور اشد قتال و هزمه فلقبه أكير شاه بخان زمان و زاد في منصبه، و اقطعاه فرجع إلى سنبهل و اقام بها زمانا ثم ولى على جونبور و نواحيها فضبط تلك البلاد و فتح الفتوحات العظيمة و تحسس منه أكير شاه شيئا لا يرضيه تحسس على قلى من صاحبه شيئا خاف نفسه فخرج عليه، و التف حوله كثير من الجند و القواد و الأمراء، و انتهز فرصة ذهاب أكبر لأخضاع ثورة البنجاب و هجوم أخيه حكيم مرزا عليها، فاستولى على قنوج و أوده، لكن أكبر رجع بسرعة إلى آكرا، و كان الموسم موسم الامطار و السيل و فيضان الأنهار، و ب رغم ذلك سار أكبر حتى وصل إلى شاطئ «كتكا»، و كان خان زمان على الشاطئ الآخر غارقا في بحار الأمن، مطمئنا إلى أن أكبر لا يستطيع أن يصل إليه في مثل هذه الأيام، و لكن أكبر كانت له همة تتغلب على كل ما أمامه من صعاب، فعندما وصل إلى الشاطئ و لم يجد سفنا تنقله إلى الشاطئ الآخر ألقى بفليه إلى النهر و هو يركبه، و الأمراء و القواد من حوله يعارضونه في هذه المجازفة الخطيرة، و لكنه لم يبال بالمعارضة و لا بالخطر، وأخذ معه عددا قليلا من الجند، و عبروا النهر ليلا، و ما إن أصبح الصباح و اشرقت الشمس حتى كانت طبول الحرب تدق على أبواب «كره مانك بور» التي كان خان زمان يتحصن فيها، فذهل هو و جنده من هذه المفاجأة، و فقد السيطرة على الموقف، و هجم أكبر بجنده القليلين، فقتل خان زمان و تفرق جنده، و استولى أكبر على البلدة و كانت من أعمال الله آباد و سماها (فتح بور) و غنم الغنائم و قضى على خصم عنيد . و قد أرخ بعض الفضلاء - كعادتهم - لهذا النصر الغريب بهذه الكلمات «مبارك فتح أكبر» سنة ٩٧٤ هـ - ١٥٦٧ م. و لم تكن معارك أكبر مع هؤلاء القادة معارك بسيطة أو مناورات كما يحدث بين رجال الأمن و العصابات، بل كانت معارك ذات شأن كبير، اذ

٩٠: ص

بلغ عدد الفيلة التي اشتركت في المعركة الأخيرة نحو ألفي فيل.

و كان الشيليفي رجلا شجاعا مقداما بأسلا ذا جرأة و نجدة يقتحم في المخاوف و يفتح الأبواب المغلقة عليه بهمه و نجده و كان يحب العلماء و يحسن إليهم و يقربهم إليه و يبذل الصلات الجزيلة عليهم و على الشعراء.

كما كان شاعرا مجيد الشعر، له أبيات رائقة بالفارسية منها:

جون طره خويشتون بريشانم كرد

عيسي نفسي که راز او حیرانم کرد

وز مصحف روی خود مسلمانم کرد

از کفر سر زلف خودم کافر ساخت

- مآثر الأمراء، نزهه ٤/٢ - ٢٨٤ - ٢٤٩ رقم ٣٨٢.

بیرم خان خانان استشهاده في ٩٨٥ هـ ١٥٧٧ م

(خان خانان) لقب كان يخلعه أباطرة دهلي على أكبر موظف في الدولة، و هو مقابل اللقب التركي بكلر بك، و كان هذا اللقب مستعملا في عهد بابر فقد منح لدولار خان ولد دولت خان، و من الألقاب المماثلة لهذا اللقب هو (خان دوران) و

(خان جهان) أئي سيد العالم، و أشهر رجل حمل لقب خان خانان هو الأمير الكبير بيرم خان بن سيف على بن يار على بن شير على التركمانى البلخى الشيعى، و ولده من بعده الأمير عبد الرحيم خان.

كان الأمير الشهير بيرم خان من أسرة تعرف بـ (البهارلو) أحدى الفروع القوية لقبيلة قره قويونلو، و هي قبيلة تركمانية شيعية سكنت منذ القديم شمال بحيرة (وان) و عرفت بهذا الأسم نسبة إلى لون علمهم و بقول بعض آخر لون خرافهم، لهذا يطلق عليهم هؤلاء أسم قبيلة الخروف الأسود، أو قبيلة الشاة السوداء و التي قاد كتائبها الحربية الرعيم الطموح قره يوسف منذ عام ١٣٩٠ ثم كان له و لا سلافه الدور الكبير في الأحداث التاريخية التي شهدتها المناطق المجاورة لارمينية و آذربيجان و العراق و غيرها، و كان الجد الأكبر للمترجم له بيرم، و المسمى على شكر التركمانى صاحب املاك واسعة في همدان

ص: ٩١

و غيرها اما ابنه أو حفيده شير على المذكور والد جد بيرم فكان يعرف أيضا باسم شير على و هو أحد قادة ميرزا جهان شاه برانى الذى ترجم قبيلة قره قويونلو، بعد قتل الرعيم أسكندر القرءة قويونلو، و الذى حكم آذربيجان و حصل على اعتراف السلطان شاه رخ التيموري، و رافق بير على التركمانى جميع الخطوات الناجحة التى قام بها الرعيم ميرزا جهان شاه و خاصة بعد وفاة شاه رخ و تقدم قبيلة القرءة قويونلو باحتلالها مساحات واسعة جنوب و غرب آسيا و خصوصا في الفترة ما بين ١٤٥٢ - ١٤٥٦، و مع أنه اصطدم فيما بعد بمعارضة أبي سعيد التيموري (السلطان الذى خلف شاه رخ) الا انه احتفظ لنفسه بحكم آذربيجان و ميديا و ما بين النهرين (بعد أن كسر شوكة حكامها الذين كانوا من نفس قبيلته) و كذلك كرمان و حتى شواطئ عمان في بلاد العرب الشرقية، و لكن ثورات ابنائه عليه عكّرت صفو حكمه، و مع ذلك بقي صامدا حتى عام ١٤٦٦، عندما كسره اوزون حسن و قتله و بعد سنتين من هذا الحادث قضى نهائيا على دولة قره قويونلو و بالقضاء على هذه الدولة أصبح شير على (والد جد بيرم) واحدا من قادة السلطان أبي سعيد التيموري و حين قتل أبو سعيد عام ١٤٦٩ م أصبح شير على واحدا من قادة ابنه السلطان محمود ميرزا، و مكث معه في حصار (شادمان) حيث تزوج السلطان محمود من ابنته باشا بيكم. و سار شير على من حصار إلى كابل ثم إلى شيراز حيث هزم ملوكها و حاول الفرار، بيد أن خدم السلطان حسين صاحب هرآه قبضوا عليه و قتلوا . و استقر ابنه جان على بك في بدخشان التي كانت تشمل فندر، و التحق بخدمة بابر و كذلك فعل ابنه سيف على الذى توفى و هو عامل على غزنة كما ذهب إلى ذلك فرشته . و جان على هو الذى أشار إليه بابر في مذكراته (طبعه enikarE ، ص ٣٥٠) عند حديثه عن الأعوام ٩٠٣ و ٩٠٥ و ٩١٠ و ٩٣٣ و ولد بيرم في بدخشان، و يقال إنه التحق هو الآخر بخدمة بابر، و هذا القول إن صح فلا يمكن أن يكون إلا وقت صباح، و تعلم في بلخ، و يظهر أنه كان من طلاب العلم المجدين و المتابرين ثم وفد بعد ذلك على كابل و صحب همایون إلى الهند و حضر وقعة «قنوح» المنشورة، و التجأ مع زميندار الهندي إلى سمهيل التي كانت من أملاك همایون، و لم يسمح له بالبقاء هناك فقد أرسل إليه شير شاه و أغراه على خدمته. بيد أن بيرم أبي و قال في معرض الجواب على شير شاه إنه لا يوجد من يخلص لمولاه ثم يرتضى

ص: ٩٢

العار - و حاول الفرار صحبة زميل له فقبض عليهم، و لم ينقذ بيرم غير تضحية زميله إذ أقنع الذين قبضوا عليه بأنه بيرم و قيل أن نصير خان أحد قادة شير شاه شفع له، ففر المترجم له إلى كجرات حيث مد له السلطان محمود يد المساعدة، و

لكنه تظاهر بالرغبة في الحج فسمح له بالتوجه إلى سرت، ثم عاد أدراجه ولحق بهماليون في السند في ٧ محرم سنة ٩٥٠ وحضره على السفر إلى ايران، وبرز في بلاط الشاه طهماسب بمهارته في الفروسية، و كان قائد هماليون في أفغانستان والهند . وليس من شك في أنه كان السبب في استعادة هماليون لملكه، و كسب وقمة «ما شيفاره» في إقليم لدهاته عام ١٥٥٥ م، و ربما يعود إليه كما يعود إلى هماليون الفضل في صدور الأمر الرحيم الذي أحال استرفاقي نساء الأفغان المدحورين وأطفالهم . وكان بيرم مع أكبر في البنجاب عندما باعثت الموت هماليون، و ما إن وصل إليه نعيه، و كان في «كلانور» حتى نادي بأكبر سلطانا وأجلسه على العرش في فبراير عام ١٥٥٦ م (٩٦٧) و لما حاقت بتردي بك الهزيمة المنكرة على يد «هييمو» في دهلي، أمر بيرم بقتله، و برر فرسته صنيعه هذا، و شهد بيرم مع أكبر وقعة بانيت في نوفمبر عام ١٥٥٦ م . ومن المؤسف أن نقول إنه هو الذي قتل بيده الأسير الجريح هييمو الرواري . و نستعين من مسلك بيرم في شأن تردي بك وأوامره الدقيقة فيما يتصل بملاهي أكبر انه لم يخرج على حقوق الوصاية (خافي خان، ج ١. ص ١٣٤) و الحق أنه كان يعتبر نفسه في مكان الوالد من أكبر، ولذلك كان يلقب، بـ «خان بابا» أى والد الخان.

وفي عام ١٥٥٧ و في أكبر بما كان أبوه قد وعد فزوج بيرم من ابنة عمه سليمية بيكم، و احتفل بالرفاف احتفالا فخما في جالندر. وكان بيرم قد تزوج قبل ذلك بابنة مسلم هندي اسمه جمال خان المواتي و هي أم ولده المشهور عبد الرحيم (الآتي ذكره)، ولم يكن له ولا لأكبر ولد من سليمية . وقد أدت تصرفات بيرم وتأثير «ماهم أنه» خاصته أكبر إلى حدوث وحشة بين الوصي وبين تلميذه، فاضطر بيرم أول الأمر إلى التسليم والتخلّي عن سلطنته بيد أن سلوك خصومه أدى به إلى العناد . وأخفق بيرم في نضاله فعفا عنه أكبر بما جبل عليه من علو النفس . و سار يقصد الحج إلى مكة و لكنه قتل في فتن من أعمال كجرات في عراك مع رجل من الأفغان، و كان ذلك في سنة ٩٨٥ ه الموافق (١٥٦١ يناير) و أرخ لعام وفاته بعض العلماء «شهيد شد محمد بيرام» و نقل ابن أخيه رفاته

ص: ٩٣

إلى مشهد المقدسة بجوار مرقد الأمام الرضا عليه السلام.

قالت egdireveB بفردق: كان بيرم شيئاً، و من الأدلة على عظمته أن رجالاً سنياً متعصباً مثل البداءون قد أكثر من مدحه، وكانت له مشاركة في الأدب، و لا يزال ديوانه موجوداً . وقد نقل البداءون و فرسته مختارات منأشعاره، و هناك شيء من أخباره في أكبر نامه و في فرسته (عند تاریخه لوفاته) و في ما ثر الأماء للشاه نوازخان (ج ١، ص ٣٨١) و من هذا المصنف الأخير استمد بلوخمان nnamhcolB فذلكته في ترجمته لكتاب «آئين أكبرى» (ص ٣١٥). و هناك فقرة طويلة هامة عن بيرم في كتاب ألفه بالهنديانية شمس العلماء محمد حسين عنوانه «دربار أكبرى» (ص ١٥٧ - ١٩٦).

و ذكره عبد الحى و اثنى عليه جداً و مما قاله الأمير الكبير صاحب السيف و القلم و الشهامة و الكرم بيرم ... و كان أكبر قواد الدولة التيمورية لم يكن له نظير في الشجاعة و الكرم و جعل إليه هماليون شاه ثم ولده اكبر شاه الاشراف على الديوان و استنابه في الحضور مع الحكام عند فصل الخصم و جعل إليه ولائه بعض البلاد، و له من كمال الرياسة و حسن مسلك السياسة و المهابة و الصرامة و الفطنة بدقةائق الأمر و الاطلاع على احوال الجمهور و جودة التدبير و الخبرة بالخفى و الجلى ما لا يمكن وصفه مع النقاوة التامة و الشهامة الكاملة و بعد الهمة و كثرة المعرفة للأدب و مطالعة كتبه و الاشراف على كتب التاريخ و محبة أهل الفضائل و كراهية ارباب الرذائل و النزاهة و الصيانة و الميل الى معالى الأمور، و كان شاعرا مجيد الشعر بالفارسية و التركية، و من شعره قوله:

شهی که بکندرد از نه سبهر افسر او

اکر غلام علی نیست خاک بر سر او

و هذا في مدح الأئمّة على (ع) ترجمته: «إنّ الْمَلِكَ الْكَبِيرَ الَّذِي يَبْلُغُ عِلْمَهُ عَنْ سَمَاءٍ، إِذَا لَمْ يَكُنْ خَدْمًا عَلَى فَقْدِ تَرْبِتِ
يَمِينِهِ، وَرَغْمَ أَنْفِهِ».

- دائرة المعارف الإسلامية / ٤ - ٣٨٤ / ٦٤ - ٣٨٥، نزهة / ٤ / ٦٦ رقم ١١٤.

- مستدرکات ٢ / ٧٠ - ٧١.

ص: ٩٤

عبد الرحيم بن بيرم خان (ولد ٩٦٤)

الأمير الكبير البطل الأعظم صاحب السيف والقلم مبارز الدين ميرزا عبد الرحيم بن بيرم خان الشيعي الدھلوی خانخانان سپهسالار الذى لم ينهض من الهند أحد مثله ولا من غيره من الأقاليم السبعه من يكون جامعا لأشتات الفضائل.

جاء في النّزهه: ولد يوم الخميس الرابع عشر من صفر سنة أربع و ستين و تسعماه بمدينة لاھور من بطنه ابنة الأمير جمال خان الميواتي، فلما طعن في الرابعة من سنة قتل أبوه سنة ثمان و ستين و تسعماه بمدينة فتن من بلاد كجرات، فحملوه إلى آکره فتربي في مهد السلطنة، و خصه أكبر شاه ابن همايون التيموري بأنظار العناية و القبول، وقرأ بعض الكتب الدرسية على مولانا محمد أمين الأندجاني و بعضها على القاضي نظام الدين البدخشي، و استفاد فوائد كثيرة عن الحكيم على الكيلاني و الشيخ العلامه فتح الله الشيرازي، و لما وصل إلى كجرات أخذ عن الشيخ وجيه الدين بن نصر الله العلوى الكجراتى، و حيث كان مربيا للعلماء جمع لديه من رجال العلم ما لم يجتمع عند غيره من ال ملوك والأمراء فلم يزل يستفيد منهم في كل باب حتى تبحر في العلوم.

و كان من أهل التفتن في الفضائل و اللغات، مقدما في المعارف متكلما في انواعها، ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها، و يجمع الى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة و لين الجانب و الحلم و التواضع و الشجاعة و الكرم، جعله أكبر شاه مؤدياً لولده جهانكير سنة اشترين و سبعين و تسعماه و لقبه مرتا خان و له ثمان و عشرون سنة، و أعطاه النقارة و أربع قباب من لوازم السلطنة، و زوجه بابنة الأمير الكبير شمس الدين محمد الغزنوی، و لم يزل في ازيد من الرقي حتى نال منزلة في الإمارة لا يرام فوقها، و فتحت على يده بلاد كجرات و بلاد السندي و أقطع من إقليم الدكن، و لقبه أكبر شاه المذكور بخانخانان أى أمير الأمراء.

و كان له من النقاوة التامة و الشهامة الكاملة و علو الهمة و الكرم ما لا يمكن وصفه مع المعرفة للأدب و مطالعه كتبه، و الإشراف على كتب التاريخ، و محبة أهل الفضائل، و كراهة

ص: ٩٥

أرباب الرذائل، والزراة و الصيانة و الميل إلى معالى الأمور، حتى لم أجد من كان قبله أو بعده من يأويه في مجموع كمالاته، و كان مع ذلك لا يغفو نفسه عن مطالعة الكتب، فإذا كان على ظهر الفرس وقت طعنة أو نهضة رأيت الأجزاء في يده، وإذا كان يغسل رأيت الأجزاء في يد خدامه يحاذنه وهو يطالعها ويغسل.

قال عبد الرزاق الحوافى في «ماثر الأمراء»: إنه كان أوحد أبناء العصر في الشجاعة و الكرم، ماهرا باللغات المتنوعة من العربية و الفارسية و التركية و الهندية و غيرها، وكان يتكلم في كل من تلك الألسنة بغاية الفصاحه و الطلاقه، و ينشئ الأبيات الرائقة، و يكرم العلماء و يبذل عليهم الأموال و يعطيهم الصلات و الجوائز سرا و جهارا، و يرسل إليهم في البلاد النائية، و قال في موضع آخر من ذلك الكتاب : إنه كان مغناطيس القلوب، جمع حوله من العلماء و الشعراء و غيرهم من أرباب الكمال ما لا مزيد عليه - انتهى.

و قال السيد غلام على الحسيني البلاكمي في الخزانة العامرة : لو وضعت عطاياه في كفة من الميزان و عطايا الملوك الصفوية كلهم في كفة أخرى لرجحت كفته انتهى . و من مصنفاته ترجمة «تزرك بآبى» نقله من التركية إلى الفارسية سنة سبع و تسعين و تسعمائة، و من أبياته الرقيقة الرائقة قوله:

جز این قدر که دلم سخت آرزو مند است

شمار شوق ندانسته ام که تا جند است

- نزهه ۵ / ۲۲۱ - ۲۲۳ رقم ۲۳۵

منع خان بن بيرم خان خانان ت ۹۸۳ ه

كان من الأمراء المشهورين في الهند خدم همایون شاه ثم ولده اکبر شاه التیموری مدة طولیه حتى ولی امراء الامارة و لقبه اکبر شاه خانخانان و معناه امير الأمراء سنہ سبع و ستین و تسع مائے فاستقل بها اربع عشرہ سنہ، و من آثاره جسر على نهر کومتی بمدینہ جونبور

ص: ۹۶

بناه سنہ احادی و ثمانین و تسع مائے و هو من عجائب الزمن و نوادر الهند ارخ لبناه بعض الناس «صراط المستقیم».

و كان منع خان موضع ثقة الامبراطور اکبر، و لما كان أمر البنغال لم يستقر بعد لأکبر فقد أوعز (أکبر) لقائده منع التحرك لضمان خضوع البنغال لسلطته فطلب منع خان و كان يومها واليا لجنوبه، طلب من ملك البنغال سليمان خان کرانی الاعتراف بسيادة «اکبر» على البنغال، فكان سليمان خان لا يرفض صراحة و لا يعترف صراحة بل يساير رغبة منه بإقامه صلات حسنة مع المغول، فلما توفي سليمان خان سنہ ۱۵۷۴ و خلفه ابنه داود خان، ترك هذه المصانعه و رفض الاعتراف صراحة، كما أسلفنا، فنشبت بين الفريقين معركة، و لما رأى لودی خان قائد داود خان أنه لا طاقة له بجیش «اکبر» عرض الصلح، فغضب داود خان على قائده و اتهمه بالخيانة و أخذه فقتله، ثم إنه استنفر الناس للقتال فانشق عنه كثير منهم و سار بمن تبعه للقتل، و التقى الفريقان عند ملتقى نهر السون بنهر الكانج، و كان يقود جیش «اکبر» منع خان فدارت الدائرة

على داود خان و جنده ففر متوجها إلى قلعة بنته فحاصره منعم خان فطلب الصلح على أن ينزل عن كل شيء في البنغال شريطة أن يظل أميرا على ارسيه فقط وعلى أن يكون تابعا للمغول يؤدى إليهم الخارج، فصالحة منعم خان على ما طلب. لكنه عاد إلى عصيانيه بعد وفاة منعم خان و انتهى عصيانيه بقتله في معركة كبيرة قرب مدينة بها كليور وبذلك خضعت البنغال للسلطة المركزية.

توفى منعم خان بيلاة تاندۀ من بلاد بنكاله سنة ثلاثة و ثمانين و تسعمائة كما في «آثار العلماء».

الأميرة جانان بيكم (ت ١٠٧٠ هـ)

بنت الأمير الكبير عبد الرحيم بن بيرم خان خانخانان المشهور، ولدت و نشأت في مهد

ص: ٩٧

الأمارء، و بلغت من العلم والكمال رتبة لم تصل إليها الرجال فضلا عن النساء، زوجها السلطان جلال الدين أكبر بن همأيون الكوركاني بولده دانيال و وجهه إلى أرض كجرات فمات بها، فعاشت بعد ذلك مدة طويلة و لم ترغب إلى النكاح قط حتى قيل إن السلطان جهانكير بن أكبر شاه المذكور أراد أن يستنكحها فلم تقبله، و تشرفت بالحج و الزيارة، و لها تفسير على القرآن الكريم وأبيات رائقة بالفارسية منها قوله:

عasher خلق عشق تو بنهاي جان كند
بيدا است از دو جشم ترش خون كريستن

توفيت سنة سبعين و ألف كما في مرآة كهان نما

المراجع: نزهة ١٢٤ / ٥ رقم ١٧٧

و من العلماء الشيعة الذين رعاهم عبد الرحيم خان خانان:

كاظم بن عبد على الكيلاني

و هو الشيخ كاظم بن عبد على الكيلاني التنكابني، المعاصر للشيخ بهاء الدين العاملی (٩٥٢ - ١٠٣٠ هـ) و تلميذه وقد شرح كتاب تشريح الأفلاک بأمر استاذ البهائي في ١٠٠٧ هـ و سماه نهاية الادراك أو «برهان الادراك» و كان كثير المناقشة مع المحقق المير الدمامد دفاعا عن البهائي، و له أنم وذج العلوم الموسوم بالاثنى عشر ألفه ١٠١٥ باسم الشاه عباس (٩٩٤ - ١٠٣٨) في اثنى عشر علمًا ثم اخرج منه الفقه و الحديث ١٠١٥ و سماه العشرة الكاملة و أهداه إلى عبد الرحيم خانان، او زاد عليه العلمين في التاريخ المذكور و كان قبله عشرة مهداتا إلى أحد امراء الهند . و له الحاشية على «المحصول» للفخر الرازي و كتاب «اللوح المحفوظ» و غير ذلك . ترجمته في «الرياض» ٣: ١٦١ و جعل اسمه في «العشرة الكاملة» عبد الكاظم و في «الاثنى عشرية» محمد كاظم.

المراجع: طبقات اعلام الشيعة القرن ١١ هـ (ص ٤٦٢ - ٤٦٣).

٩٨:

تقى الدين التستري (ت ١٥٢٠ هـ / ١٦١١ م)

الشيخ الفاضل الكبير تقى الدين التستري، أحد العلماء المشهورين فى التاريخ و الإنشاء و الشعر و الفنون الرياضية، قدم الهند و تقرب إلى عبد الرحيم بن بيرم خان ثم إلى السلطان جلال الدين أكبر، و تدرج إلى الإمارة حتى ولى الصداره فى أيام جهانكير، و لقبه الملك المذكور مؤرخ خان، مات فى سنة عشرين و ألف، كما فى «يد بيضاء».

محمد رضا الاصفهانى (١٥٥٦ هـ / ١٦١٤ م)

الشيخ الغواچه محمد رضا بن عبد الله الأصفهانی الشاعر المشهور المتلقب بالشكبي، كان من ذرية الشيخ عبد الله بن أمين الدين حسن الإمامي، ولد سنة أربع و سنتين و تسعمائة، وقرأ بعض الكتب الدراسية على أساتذة شيراز وبعضاها على أهل اصفهان، ثم قدم الهند و تقرب إلى عبد الرحيم ابن بيرم خان و صاحبه مدة من الزمان، ثم سافر إلى الحجاز فحج و زار، ورجع إلى الهند بعد ثلاث سنوات، فولى الصداره بدھلی فاستقل بها مدة حياته، و كان شاعراً مجیداً للشعر، من أبياته الرائقة قوله:

درد است متاغم نه طرب نرخ جه برسي
 دائم که تونستانی و من هم نفووشم

مات سنة ثلاط و عشرين و ألف، كما في «نتائج الأفكار».

محمد على الكشميرى (ت ١٥٢٥ هـ / ١٦١٦ م)

الشيخ الفاضل محمد على الكشميرى، أحد العلماء المبرزين في العلوم الأدبية، سافر إلى

٩٩:

بلاد الدکن و دخل أحد نکر فتقرب إلى سعادت خان أحد ممالیک نظام شاه و لبیت عنده زمانا، ثم تقرب إلى برهان شاه ثم إلى عبد الرحيم بن بيرم خان التركمانی، فوظف له عبد الرحيم و أقطعه أرضا و أمره أن ينقل الكتاب «حافش» للعلامة ضیاء الدين التركمانی من العربية إلى الفارسیة، فنقله سنة خمس و عشرين و ألف، فاستحسنـه و قربـه إليه قربـا لا مـزيد عليه، مات في خامس عشر من ربيع الثاني سنة خمس و عشرين و ألف بملکابور، كما في «ماثر رحیمی».

.٦٤٦ رقم / ٥ نزهه

عبد الباقی النہاواری (١٥٧٠ هـ / ١٦٣٦ م)

الشيخ الفاضل عبد الباقى بن آقا بابا الشيعى النهاوندى، أحد العلماء المبرزين فى العلوم الأدبية، ولد و نشأ بقرية جولك من أعمال نهاوند و تربل فى أيام أبيه و صنوه آقا خضر، و ولى الأعمال الجليلة بهمدان و لما قتل صنوه المذكور سنة ١٠١٦ سافر إلى الحجاز فحج و زار، و قدم الهند سنة ١٠٢٣ فقرب إلى عبد الرحيم بن بيرم خان بمدينة برهانبور و صنف فى أخباره «ماثر رحيمى» فى مجلد كبير، ثم تقرب إلى مهابت خان الجهانكيرى فولى على ولاية بهار.

و كان شاعراً مجيد الشعر، و من أبياته الرقيقة قوله:

تا بکی سوزم بحسرت داغ حرمان نیستم	عندلیب باع عشقم لیک در کنج ققس
سوزشی دارم که محتاج کلستان نیستم	کر بشاخ کل زنم آتش نه بیدادی بود
منکه مجنون کلم از باع و بستان نیستم	تا نشان یام ز لیلی جانب حی میروم

ص: ١٠٠

در عراق بر نفاق این آرزو می سوزدم	ورنه دلکیر از سوم این بیابان نیستم
	کز سخن سنجان بزم خانخانان

و هذه الأبيات انشأها بهمدان سنة ١٠٠٧ قبل قدومه إلى الهند و مات في أيام شاه جهان سنة اثنين و اربعين و ألف، كما في تاريخ محمدى.

نزهه / ٢٠٠ رقم ٣١٥ و فيه وفاته ١٠٤٢ هـ - مطلع انوار ٣٠٤، قاموس المشاهير - تاريخ أدبيات فارسي ٤ / ٥٠٨.

و أما العلماء في عصر الإمبراطور أكبر فمنهم:

فتح الله الشيرازي (٩٢٠/٩٩٧-١٥١٤/١٥٨٩ م)

الشيخ الفاضل العلامة فتح الله بن شكر الله الشيعي الشيرازي أحد العلماء المتبحرين في العلوم الدينية و الفلكية و الرياضية و الطبية و الحكيمية، ولد و نشأ بشيراز وقرأ العلم في مدرسة العلامة جمال الدين محمود و مولانا كمال الدين الشروانى و مولانا كرد بضم الكاف و المير غياث الدين منصور الشيرازي و لازمهم مدة حتى صار أوحد أبناء العصر و اشتهر ذكره في

الآفاق، فطلبها على عادل شاه البيجابورى الى بلاد الهند، و طابت له الإقامة بمدينة بيجابور مدة طويلة . و لما قتل على عادل شاه المذكور و تولى الملكة ابراهيم عادل شاه و كان صغير السن فصار لعبه في ايدي الوزراء فنفى احدهم فتح الله الشيرازى عن بيجابور فدخل آكره سنة احدى و تسعين و تسعمائة فنال الحظ و القبول من اكبر شاه و ولى الصداره سنة ثلاث و تسعين و تسعمائة، و لقبه اكبر شاه بأمين الملك ثم بعهد الدولة ثم بعهد الملك و ادخله في ديوان الوزارة و كان قد رفع هذا العلامه الى الهند بركه على النظام التعليمي الاسلامي و باعثا جديدا، و حافزا على التقدم في التعليم . و أمر راجه نو درمل ان يستصوبه في مهامات الدولة و لكن الموت لم يمهله فاغتم بموته اكبر شاه، و قال

ص: ١٠١

لو كان وقع في اسر الا فرنج و كنت افديه بالاموال و الخزائن كلها لكنت ربحت باطلاقه من ايديهم بتلك الفدية و وكانت هذه الصفقة رخيصة و رابحة.

ذكره اصحاب دانشوران ناصري في اثناء ترجمة الشيخ ابو الفضل ابن المبارك اليماني الهندي و وصفوه بعلامه الزمان الحكيم فانهم بعد ما ذكروا ان الشيخ شمس الدين السلطانبورى الملقب بمخدوم الملك و الشيخ عبد النبى الملقب بالصدر كانت في اوائل سلطنة اكبر شاه في الهند تدير امور السلطنة برأيهما و كانوا في غاية التعصب فتوصل الشيخ ابو الفضل إلى أن صار في أعلى مراتب القرب عند اكبر شاه، و كان علامه الزمان الحكيم فتح الله الشيرازى و آخرون من علماء و امراء العراق و شيراز قد جاؤوا بكثرة إلى بلاد اكبر شاه فاتفق الشيخ ابو الفضل مع العلامه المذكور و آخرون من العلماء على طريق واحد و كلمة واحدة لتدارك الشدة و ارقاء الدماء من ذينك المتعصبين المذكورين و تحزموا لذلك بحزام همهم المحكم فوجدوا السلطان نفسه قد رجع عن مذهبة و عدل عن طريقته الأولى في الانقياد لرأى هذين الرجلين فأرسلهما إلى مكة إلى آخر ما ذكره و ذلك في سنة ٩٨٧هـ، و قد مر ذكر ذلك الحادث في ترجمة اكبر.

و قال الأمير شكيب ارسلان في كتاب حاضر العالم الاسلامي فيما حكااه عن مؤرخي الافرنجة: انه كان من اكابر علماء الشيعة جاء من فارس و اوطن بيجابور فاستدعاه اكبر شاه جلال الدين محمد بن همایون بن بابر ظهير الدين محمد بن عمر الشیخ بن میرانشاہ ابن تیمور لنک الکورکانی الشہیر و صار مستشاره الشرعی (١٥).

قال ابن المبارك و لم يكن له نظير في الدنيا قال و لو أصبحت أسفار القدماء في العلوم الحكيمية كلها لكان مقدرا على ان يخترع العلوم و يبدع من تلقاء نفسه انتهى.

و قال عبد الرزاق في «آثار الامراء» (انه كان مع اقتداره في العلوم المتعارفة ماهرا بالنيرنجات و الطلسمات، قال و من مختر عاته رحى كانت تتحرّك بنفسها بلا تحريك و تدوير يطعن الحبوب، و منها المرأة يتراءى فيها الأشكال الغريبة من القريب و البعيد، و منها انه اخترع بندقية كانت تطلق اثنتي عشرة طلقة في الدورة الواحدة، و منها أنه أحدث التاريخ الجديد و وضعه على الدورة الشمسية انتهى)).

ص: ١٠٢

قال البلاكمي في «آثار الكرام» هو الذي دخل الهند بمصنفات المتأخرین كالمحقق الدواني و الصدر الشيرازى و غیاث الدين منصور و مرتضی جان فأدخلها في حلقة الدرس و تلقاها العلماء بالقبول (انتهى).

و من مصنفاته منهج الصادقين تفسير القرآن بالفارسي و تكملة حاشية الدواني على تهذيب المنطق و حاشية المنطق و حاشية على تلك الحاشية و شارك في تأليف التاريخ الألفي مات سنة سبع و تسعين و تسعمائة عند رجوعه من كشمير دفن على جبل سليمان.

(نر_٤ / ٢٥٤ - ٢٥٥ رقم ٣٩٢، اعيان ٨ / ٣٩٣، آثار الكرام ٢٣٦ و ما بعدها، مطلع انوار ٣٩٩ - ٤٠١، بي بها ٢٧٨، منتخب التواريخ، تاريخ فرشته، حاضر العالم الاسلامي).

محمد اليزدي (ت ٩٩٨ / هـ ١٥٨٩) (م)

الشيخ الفاضل القاضي محمد الشيعي اليزدي أحد العلماء المبرزين في المنطق و الحكم، ولد و نشأ بيزد من بلاد الفرس و سافر للعلم فقرأ على الفاضل مرتضاً جان الشيرازي و قدم الهند سنة ثلاط و قيل أربع و ثمانين و تسعة مائة و تقرب إلى أكبر شاه و لبث عنده زماناً ثم ولـى القضاء بمدينة جونبور سنة سبع و ثمانين أو ما يقرب ذلك قال البدايوني : و كان شديد التعصب على أهل السنة و الجماعة.

ولما خرج محمد معصوم الكابلي على أكبر شاه في بلاد بنكاله و أراد معز الملك بجونبور أن يساعدهم في الخروج عليه افتاه القاضي محمد اليزدي و قيل أنه وافقه في ذلك و كان الحكيم أبو الفتح بن عبد الرزاق الكيلاني قد جونبور عند رجوعه عن بنكاله فوق على ارادتهم فلما وصل إلى الحضرة أخبر أكبر شاه بذلك فأمر السلطان أن يأتيا بهما م قيدين مغلولين فاخذوهما و ركبوا بهما على الفلک في ماء جمن فلما وصلوا إلى اتاوية غرق الفلک في الماء، و قيل أن أكبر شاه أمر باتلافهما فاغرقوا الفلک في ماء جمن و كان ذلك سنة ثمان و تسعين و تسعة مائة.

(مطلع انوار / ٤٥٠، نر_٤ / ٣٢٩ رقم ٤٩٤، منتخب التواريخ للبدائيون (الترجمة الوردية ص ٤٤٠)، مقالات مولوي محمد شفيق ج ٤).

ص: ١٠٣

شريف الآملى (ت بعد ١٠٠٣ / هـ ١٥٩٤) (م)

الشيخ الفاضل مير شريف الآملى، أحد العلماء المبرزين في العلوم الحكيمية، قدم الهند و تقرب إلى أكبر شاه، و ولـى الصدارـة بـكـابل سـنة ثـلاـث و تـسـعين و تـسـعمـائـة فـأـقامـ بـهاـ زـمانـاـ، ثمـ ولـىـ الصـدارـةـ، بأـرضـ بـنكـالـهـ لـعلـهـ فـيـ سـنةـ تـسـعـ وـ تـسـعينـ أوـ ماـ يـقـرـبـ منـ ذـلـكـ، وـ أـقـطـعـ أـجـمـيـرـ سـنةـ ثـلاـثـ وـ أـلـفـ، وـ كـانـ موـهـانـ مـنـ أـقـطـاعـهـ، مـاتـ وـ دـفـنـ بـهـاـ.

زعم الخوافي في آثار الأمـراءـ : إنـهـ خـلـطـ التـصـوـفـ بـالـفـنـونـ الـحـكـيـمـةـ، وـ كـانـ يـقـولـ لـكـلـ شـئـ يـرـاهـ : إـنـهـ هوـ اللـهـ، وـ لـسـعـةـ مـشـرـبـهـ صـارـ مـقـبـولاـ عـنـ السـلـطـانـ المـذـكـورـ وـ حـصـلـ لـهـ الرـسـوخـ فـيـ قـلـبـهـ - انتهىـ.

(نر_٥ / ١٦٩ - ١٧٠ رقم ٢٦٨).

شمس الدين بن علاء الدين الخوافي (ت ١٠٠٨ / هـ ١٥٩٩) (م)

الشيخ الفاضل خواجه شمس الدين بن علاء الدين الخوافي، أحد الرجال المعروفين بالسياسة والتدبير، قدم الهند و تقرب إلى الإمبراطور أكبر، و ترقى درجة بعد درجة حتى نال الوزارة الجليلة.

و كان رجلا فاضلا عادلا كريما صادق اللهجة طيب النفس، لم يزل مشغلا بتعمير البلاد و إرضاء النفوس و إيصال النفع إلى الناس.

مات في سنة ثمان وألف. بمدينة لاهور، كما في «ماثر الأمراء».

(نرمه ١٧١ رقم ٢٧٠).

ص: ٤٠

آصف خان ميرزا جعفر بك (٩٥٨ - ١٥٥١ / ١٠٢١ - ١٦١٢ م)

هو الميرزا جعفر بك المعروف بآصف خان بن الميرزا بدیع الزمان بن الآغا ملا شاعر هندي ينظم بالفارسية، و مؤرخ، و من أمراء بلاط المغول في عهد أكبر و جهانكير.

كلن أبوه و جده من كبار رجال الحكم في العهد الصفوي بأيران، كما كان عم الميرزا غياث الدين على آصف خان من أمراء بلاط أكبر شاه (١٥٥٦ - ١٥٠٥ م) وقد سافر المترجم من ايران الى الهند في شبابه سنة ٩٨٨ - ١٥٧٧ م) و اتصل بالبلاط البابري عن طريق عمه، و عين في وظيفة في لم ترضه فترك البلاط، ثم أرسل من قبل أكبر شاه في مهمة إلى البنغال فأدى مهمته العسكرية في فتح (بور سكرى) و عاد إلى العاصمة لعدم استقرار الأحوال هناك، ملازماً البلاط، وبعد وفاة عمه ميرزا غياث الدين سنة ١٥٨١ م عين وزير خزانة البلاط (منصب بخشىكري) مضافاً إلى منصب عسكري و لقب بـ (آصف الدولة).

و في عهد (أكبر) برزت كفاءته العسكرية فيما عهد إليه من مهام فأعطي ولاية كشمير، ثم منصب (ديوان كل)، و هو منصب الوزارة ثم عين واليا على (بهار).

و لما تولى جهانكير الملك عهد إليه بالشرف على تربية الأمير (برويز)، ثم - بصفته مشرفاً عليه - إلى الدكن لقمع الفوضى هناك. ولكنهم لم ينجحوا لأنهم انتصروا في شهواته و اختلاف الامراء. ثم توفي المترجم في برهانبور.

كان يخلص في شعره بـ (جعفر) أو (جعفرى) و بلغ ما نظمه ثلاثة آلاف بيت فيها مقطوعات غزلية و قصائد و مثنويات . و له مدائح في النبي (ص) و على بن أبي طالب (ع)، كما مدح محمد أكبر و هانكير.

و هو من ساهموا في تأليف كتاب تاريخ الفى (التاريخ الألфи) الذي ألف سنة ١٥٨٥ م بأمر من محمد أكبر في حلول الذكرى الألفية للهجرة النبوية . و كان الذين عهد إليهم بتأليف هذا الكتاب هم : احمد التتوى و تقى خان و عبد القادر البدايوني، و لما توفي التتوى انتدب المترجم ليحل محله فتولى تسجيل الأحداث حتى سنة ١٥٨٩ م. و قام عبد

ص: ٥٠

القادر البدايوني. بمراجعة الجزء الأول والجزء الثاني من الكتاب، و أكمل المترجم الجزء الثالث.

كما كتب كتابا في ترافق الشعراء بـ (تذكرة آصف خانى).

و للمترجم حفيد اسمه جعفر بن الميرزا زين العابدين كان من شعراء عصر شاه جهان و كان يتخلص في شعره كجده بـ (جعفر). و له حفيد آخر اسمه ميرزا إيزد بخش كان من شعراء عهد أورنگ زیب و فضلائه، و كان يتخلص في شعره بـ (وسا) أو (رسا)!

(البدائنى: منتخب التواريخت، ج ٣، ص ٢١٦ و ما بعدها، noswoD -ttoilliE :aidnI fo yrotsiH ج ٥، ص ١٥٠ و ما بعدها، دائرة المعارف الإسلامية /٢، مستدركات ٧ /٩٠ -٩١ و كررها في ٨ /٥٨ -٥٩).

صدر الدين الشيرازي (ت ١٠٦١ هـ ١٥٥٠ م)

الشيخ العالم الكبير ميرزا صدر الدين بن فخر الدين الشيرازي الlahori المشهور بمسيح الزمان أو حكيم صдра، كان من ذرية الحارث بن كلدة طبيب العرب، ولد ونشأ بشيراز، وقرأ أكثر العلوم المتعارفة على الشيخ بهاء الدين العاملى، وقرأ بعض الكتب الطبية على محمد باقر بن عماد الدين محمود الشيرازي . و قدم الهند سنة إحدى عشرة وألف، و كان عمه زنبيل بيك دخل الهند قبله و تقرب إلى صاحب الهند فجاء و اخذ عن الحكيم على الكيلاني و تطب عليه، ثم وظفه أكبر شاه و أدخله في زمرة الأطباء، ثم لقبه جهانكير بن أكبر شاه مسيح الزمان، وأضاف في منصبه شاهجهان بن جهانكير حتى صار ثلاثة آلاف له، ثم استقره المسيح المعالجة لاحتمال المرض تورعا، فولاه شاهجهان على العرض المكرر، فاستقل به مدة، ثم اشتاق إلى الحج و الزيارة- و كان حج و زار قبله أيضا في أيام جهانكير - فسافر إلى الحرمين الشريفين و حج مرة ثانية، و رجع إلى الهند فولاه شاهجهان على بلدة سورت و استقام أمره في ذلك، كما في «بادشاه نامه».

قال شاهنواز خان في «آثار النساء» إنه كان عالماً كبيراً ماهراً في الطب وسائر الفنون الحكيمية شيعياً في المذهب ديننا تقى، سافر إلى الحرمين الشريفين فحج وزار، وعاد

ص: ١٠٦

إلى الهند و اعتزل بلاهور و عكف على الدرس و الإفادة، و وظفه شاهجهان بخمسين ألف روبيه في كل سنة- انتهى.

و قال الداغستانى فى رياض الشعراء : إنه قدم الهند فى عنفوان شبابه و نال المنصب، و سافر إلى الحجاز سنة ثلاث و ثلاثين و ألف ثم عاد إلى الهند، و من أبياته قوله:

بکذر از خود هر که رهانی یابد
کر بصد قید کرفتار بود آزاد است

توفى سنة إحدى و ستين و ألف بكشمير، كما في «آثار النساء».

(نرٰهه ۱۸۳ رقم ۲۸۸، مطلع انوار ۲۸۱، مآثر الامراء ۱ / ۵۷۴. بی بها ۱۹۲).

مسيح الملک الشيرازى (القرن ۱۱ ه)

مسيح الملک الشيرازى ولد بشيراز و نساً و تربى لدى الحكيم نجم الدين عبد الله بن حسن الشيرازى وأخذ عنه حتى بلغ مبلغ الرجال من اهل النظر و الحكم، ثم قدم الهند و أقام ببلاد الدكن مدة طويلة، ثم دخل آكره، فاجزل عليه اکبر شاه عطایاہ، و جعله نديما لولده مراد، ثم وجهه إلى كجرات، مات بأرض مالوہ و كان طبيبا ممتازا له يد بيضاء في معالجة امراض البشر في الهند.

- (نرٰهه ۷ رقم ۶۸۹، منتخب التواریخ).

همام بن عبد الرزاق الكيلاني: (ت ۱۰۰۴ هـ ۱۵۹۵ م)

الحكيم و القاضي الكبير الشيخ همام بن عبد الرزاق الكيلاني، كان شقيق أبي الفتح ابن الرزاق الحكيم المشهور، قدم الهند مع صنوه أبي الفتح و نال حظا وافرا من عناءة السلطان

ص: ۱۰۷

اکبر و التقاطه إليه، و كان اسمه همايون فبدله السلطان بهمايون قلى ثم بالهمام تأديبا لأسم والده، كما في «مآثر الأمراء». و ذكره البدايونى و غمزه كما هي عادته في ذكر مخالفيه في المذهب، مات في سادس ربيع الأول سنة أربع بعد الألف. (نرٰهه ج ۵ رقم ۷۴۵ - مآثر الامراء).

السيد تقى الدين الشيرازى (القرن ۱۱ ه)

الشيخ العالم الكبير العلامه تقى الدين فارغى الحسينى الشيرازى، كان ابن أخي الشيخ العلامه فتح الله الشيرازى، أخذ عنه العلوم الحكمه و درس و أفاد زمانا، قال البدايونى في تاريخه إنه كان عالة الهمه، أخذت عنه شطرا من «بست باب» في الاصطراب - انتهی.

و في النرٰهه نقلًا عن المنتخب أن المترجم نسب نفسه إلى السنة و الثابت أنه من أسرة شيعية، و لا يعرف الأمر على وجه التحقيق.

حضر بن موسى اليماني (۸۳۴- ۹۵۴ هـ ۱۴۳۵- ۱۵۴۷ م)

الشيخ حضر بن الشيخ موسى اليماني، من علماء الهند نزع والده إليها فنبع المترجم له في ظل والده الذي كان يسكن في (ناكوره)، وقد غالب عليه و على ابيه التصوف الذي شاع في عصره جدا و قد عاش المترجم له ۱۲۰ سنة و كان قدقرأ في أحمد آباد كجرات على نخارير العلماء و أخذ من كل فن بسند عال و عرف المذهب المالكي و الشافعى و الحنفى و الحنبلي و الإمامى أصولا و فروعا و وصل الى درجة الاجتهاد و هو و ان كان منتسبا الى المذهب الحنفى لكنه في الحقيقة

كان نابذا للتقليد و متباوزا علم الظاهر الى الحقائق المعنوية و سالكا مسلك التصوف و الاشراق و عارفا بأساليب التصوف خصوصا مسلك الشيخ محبي الدين بن العربي و ابن الفارض و الشيخ صدر الدين القوноى و من

ص: ١٠٨

جلائل النعم الإلهية عليه اختصاصه بملازمة الخطيب أبي الفضل الكازروني فاتخذه بمنزلة الولد فقرأ عليه التجريد و كثيرا من غواص الشفاء و الإشارات و دقائق التذكرة و المخططي و تلمذ على مولانا جلال الدين الدواني و أخذ في جزيرة العرب انواع العلوم التقليدية عن الشيخ السخاوي المصرى تلميذ ابن حجر العسقلانى و طوق فى اوائل المئة العاشرة مع جماعة من خواصه فى الهند لأجل رؤية الأولياء و التقى بالسيدى حبي البخارى الذى له نصيب وافر من الولاية المعنوية وبالشيخ عبد الرزاق القادرى البغدادى من أولاد الشيخ عبد القادر الجيلى المشهور و بالشيخ يوسف السندي و سافر الى السندي و أخذ عن الشيخ فياض البخارى و توفي سنة ٩٥٤ هـ.

مبارك الله الناكورى اليمانى (٩١١-١٥٩٢ / ١٠٠١-١٥٠٥ هـ)

الشيخ مبارك الله بن الشيخ خضر بن الشيخ موسى اليمانى، من اسرة عربية يمانية كريمة، نزح جده الشيخ موسى الى الهند و أقام فى مدينة ناكوره و هي من جهة أجмир.

وفى ناكوره ولد الشيخ مبارك سنة احدى عشرة و تسعمائة، و سافر لطلب العلم الى كجرات فاشتغل به اعلى عدد من اساتذة عصره من امثال:

الخطيب أبي الفضل الكازرونى، و الشيخ عماد الدين محمد الطارمى و غيرهما و كان مفرط الذكاء يحضر المجالس و المحافل فى صغره فيتكلم و يناظر و يفهم الكبار و يأتي بما يتحير به أعيان العلم، و جد فى البحث و الاستغفال حتى برب بين اقر انه كأحد اكبر علماء الهند فى عصره و اشتهر امره فى كافة اصقاعها، و كان على عادة اسلافه من اعلام الشيعة يدرسون و يتعمقون فى فقه جميع المذاهب الاسلامية حتى لا يكاد يميزهم احد فى اجاباتهم المعمقة و سعه افقهم و تفكيرهم عن أى واحد من فطاحل العلماء من غير الشيعة، و الشيخ مبارك تأهل للفتوى للأغلبية السننية شأنه شأن نور الله الشوشترى الذى جاء من بعده حتى اشتهر امره و بلغ صيته امبراطور الهند اكبر شاه فاستدعاه الى عاصمه اكبر آباد فسافر إليه سنة ٩٥٠ هـ و كرمه الامبراطور غاية التكريم و اعزه غاية الاعتزاز و اختاره ان يكون سيد

ص: ١٠٩

العلماء فى بلاطه فأخذ بقيه العلماء يخطبون وده و الاستفادة منه، لكنه ما كاد أن أطمأن الى ثقة الامبراطور به و بعلمه و معرفته بتسامحه المعهود فى معاملة جميع اصحاب الديانات فضلا عن بقية أتباع المذاهب الاسلامية، فكان ان قرب فئة من علماء المذهب الامامي الشيعى، ثم كان لا يأبه بجواب سائليه بأمر فتاواه بحسب مذهب السائل و ما هو أدنى لمعرفته و افضل مسلك لحل مشكلته فزاد بذلك تعظيم العامة لأمره و هو مع ذلك مشتغل بالتدريس و الافادة، و المناظرة و المساجلة، و هذا ما أثار حقد بعض ضعاف النفوس من علماء و قتها، فأخذوا يكيدون له كيد الشياطين، و يوصونه بكل شين، كونهم قد تبين لهم تشيعه، و أخذه بمذهب أهل البيت عليهم السلام، و هو الذنب الذى لا يغفر لدى هؤلاء النفر الوابض المتعصبين، و من هؤلاء عبد القادر بن ملوك شاه البدايونى الذى طالما غمز فى تاريخه اهل الشيعة رغم اعترافه

بعلميتهم و ورعيهم لكنه لا يفتأ بعد قليل الا و يكيل التهم بلا ورع ولا دين ولا أخلاق جريا وراء تعصبه الذميم، و انظر لما ذكر عن المترجم له في بداية سطوره ثم انظر ماذا يختتم به حديثه من التهم الباطلة، و امثال هؤلاء في التاريخ كثير و خاصة لدى اصحاب الترجم منهم و اسيق منه الخطيب البغدادي، والذهبي و امثالهما من ابْنِهِم شيعة أهل البيت عليهم السلام، وهذا ما قاله البدايوني في تاريخه:

إنه كان ذا اطوار مختلفة، لحق بالمهدوية و صحب الشيخ علاء بن الحسن البيانوي مدة مديدة، فلما شاعت الطريقة النقشبندية في أوائل عهد أكبر شاه صار يقتفي آثار تلك الطائفة العلية، و كان ينتسب إلى المشايخ الهمدانية، و لما رأى أن أهل ايران غلبوا و نالوا في الدولة أعز متال صرف إليهم عنان العزيمة.

و كان عالما كبيرا بارعا في الفقه وأصوله عارفا بدقائق العربية ماهرا بالتصوف والشعر واللغز وفنون أخرى، و كان يقرأ القرآن بالقراءات العشر و يدرس «الشاطئي»، و كان كثير المطالعة دائم الاستغال بالدرس والإفادة سريع الإدراك قوي الحفظ لم يكن يحفظ شيئاً فينساه، و لما ضعف بصره لكبر سنه و عجز عن المطالعة اشتغل بتفسير القرآن وصنف تفسيراً كبيراً في أربع مجلدات كبيرة سماه «منبع نفائس العيون»، واظب في آخر عمره على الثانية لأبن الفارض، و قصيدة البردة للبوصيري، و قصيدة كعب بن زهير، و قصائد أخرى كانت محفوظة له فيقرأها كل يوم عن ظهر قلب.

ص: ١١٠

و في كتاب نزهة الخواطر لعبد الحى الذي لا يكاد ان يظفر بأحد من أعلام الشيعة إلّا و يضع في سيرته ما يفيد التشنيع ثم لا يخفى تضايقه منه بأية وسيلة حتى اذا كان ذلك مداعاة للطعن بدين ذلك الشخص و ورعيه، بل انه نسب الى المترجم له و هو بعيد عن عصره كل وبعد ما هو برئ منه و مما لم يذكره عنه حتى المعاصر له البدايوني المذكور.

قال عبد الحى «و قد انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل والرهد والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يستطيع أحد من الأماء أن يحضر في مجلس تذكيره و عليه ملابس حمراء أو من الحرير أو في يده خواتم الذهب أو إزاره مسبل، و كان في ذلك الزمان شديد النكير على السماع حتى إذا قفع صماخه في أثناء الطريق صوت الغناء يتجرج عنه و يتبا إلى غير ذلك المكان».

و ما ان ينتهي من هذه الفقرة وكل ما فيها من وصف ورع المترجم له و تدينه فلا يجد ذلك مقنعا مع تشيعه، فيستتبع ما ذكره بهذه الوصمة و يقول:

«ثم رغب إلى السماع في آخر امره و قلما يخلو عنه و ربما لا يستريح بدون الغناء والمزامير».

و البدايوني على تعصبه اكثر انصافا من (عبد الحى) فقد اقرّ و اعترف في ترجمته المذكورة السابقة للشيخ الناكوري بأنه اشتغل في اواخر عمره بتفسير القرآن و بعد ان ضعف بصره و اظبط على قراءة ما يحفظه من مطولة المديح النبوى .. الى آخر ما ذكره فبای كلام نصدق، أبکلام عبد الحى (الندوى) و هو يصف أواخر أيام تلك الشيبة المقدسة وسط المزامير و آلات الغناء و هو بعيد عن عصره اربعة قرون متطاولة، أم نصدق بقول البدايوني و قد عاصر المترجم له و برغم حسده له و انكاره عليه اخذه لمذهب الشيعة لكنه لم ينسب اليه ما نسبه عبد الحى بل وأشار الى انه ختم عمره بين الصحف المطهرة حتى وفاته اجله فلحق بالخالق الباري رحمه الله تعالى، فقد كان هذا الشيخ كأسمه مباركا مقونا بالخيرات فقد خلف اسرة

علمية ممتازة فيهم من العلماء الاجلاء الذين خدموا شريعة الاسلام **أجل خ** دمه و اعظمها لكنهم لم يخلصوا من تشنيع الحاذقين و تزييف المدلسين فأجرهم عند ربهم و هو أعلم بسرار الخلاق ظاهرها و باطنها.

ص: ١١١

و بعد عمر قضاه بالبر و التقوى و خدمة الاسلام توفى الشيخ مبارك الله الناكوري في السابع عشر من ذي القعدة سنة احدى و الف بمدينة لاهور و دفن بها كما في منتخب التواريخ، و في سجدة المرجان دفن بأكابر آباد و خلف ثمانية اولاد ذكور كلهم من العلماء منهم انتان ولدا في بطن واحدة بعد وفاته بأشهر و هم الشیخان ابو حامد و ابو راشد و لا يزال بعض المنتسبين الى هذا البيت العلمي الرفيع في باكستان، و خلف أيضا عدّة بنات منهن : لا دطلی بیکم زوجة خداوند خان الشیعی، و بنت هي زوجة ابن راجا على خان، و بنت كذلك تزوجها الشیخ عبد الله بن على الشیرازی و انجبت له نور الدين محمد الشیرازی المتوفی بعد ١٠٣٥ھ.

و تعرف مقبرته اليوم ب (روضۃ لا دطلی) وقد اهتم ببنایها ولده (ابی البرکات) و جاءت على عمارته الكتابة التالية:

«هذه الروضۃ للعالم الربانی و العارف الصمدانی جامع العلوم شیخ مبارک قدس سره و العزیز قدوقف بنیان بحر العلوم شیخ ابو الفضل سلمه الله تعالیٰ فی ظل دولة الملك العادل یطلبہ المجد و الاقبال و الکرم جلال الدین و الدنیا اکبر باد شاه غازی خلد الله تعالیٰ ظلال سلطنته باهتمام حضرت أبي البرکات فی سنة اربع و الف».

أما كتبه فالمعروف منها تفسير كبير في أربع مجلدات كبار سماه : «منع عيون المعانی أو «منع النفائس العيون في تفسير كتاب الله المکنون»، كان من ضمن مخطوطات مكتبة السيد محمد تقی (الدلداری) ممتاز العلماء بمدينة لكھنؤ.

و من كتبه أيضا: ترجمة كتاب حیاة الحیوان.

المصادر:

- دربار اکبری ۴۰۷، تذکرة علماء هند ۱۷۴، بوستان أخیار ۱۴۷، منتخب التواریخ ۶۰۲، مطبع انوار ۶۱ - ۶۲، منتخب التواریخ ۳۲ و ۲۸۸ و ۲۷۰ و ۷۲ / ۳.

- صبح صادق، الورقة ۵۰۵، آثار الكرام ۱۹۷، تذکرہ رحمان علی / ۱۷۴، منتخب الباب ۱ / ۲۴۱، طبقات اکبری ۲ / ۲، النزہہ ۵ / ۳۳۰ - ۳۳۱ رقم ۵۳۹، الأدب العربي في الهند ۲۳۶. طبقات اعلام الشیعہ ۶ / ۴۸۶ (القرن ۱۱ھ).

ص: ۱۱۲

[أبو الفیض الناكوری \(٩٥٤-١٥٩٥ھ\)](#)

العلامة الجليل ابو الفیض بن المبارک الناكوری المعروف بفیض و ب (العلامی) كان من العلماء الفضلاء المفسرين.

ولد في اکبر آباد (آکره الحالیة) لیلة الخامس من شعبان ۹۵۴ھ و توفى بعد مرض عضال في ۱۰ صفر ۱۰۰۴ھ.

ترجم له غلام على آزاد تحت عنوان «ملك الشعراء الشيخ ابو الفيض المتخالص بفيض الابكي آبادی» قال:

هو عالم جيد و شاعر مفلق بالفارسية، ولد بمستقر الخلافة أكبر آباد سنة أربع و خمسين و تسع مائة، و تلمذ على أبيه الشيخ مبارك صاحب التفسير المسمى بمنع عيون المعانى المتوفى سنة إحدى و ألف و أخذ عنه الفنون المتداولة و حصل الفراغ من تحصيلها و هو ابن أربع عشر سنة و خاض كثيرا في الحكمة و العربية و لما وصل صيت كماله إلى مسامع السلطان أكبر أرسل منشورا في طلبه سنة أربع و سبعين و تسع مائة فذهب إلى السلطان و أمه و اختص بمزيد القرابة و المصاحبة و لقبه السلطان بملك الشعراء.^٨

و له قصيدة فارسية في مدحه . و أبيات ديوانه الفارسي خمسة عشر ألفا . و له تصانيف أخرى مثل موارد الكلم بالعبارة العربية و هي رسالة غير منقوطة في الأخلاق^٩ و ترجمة ليلاوتى - بكسر اللام و سكون التحتانية و اللام و الألف و فتح الواو و كسر الفوقانية.

بعدها تختانية ساكنة - كتاب في علم الحساب و المساحة، مصنفه باسکر البیدری من علماء الهند و بيدر - بكسر الموحدة و سكون التحتانية و فتح الدال المهملة آخرها راء - كان عالماً عديم المثل في الرياضي. و ما ذكر في ليلاوتى تاريخ تأليفه و لكن له كتابا آخر أخر أرخ تأليفه بالتاريخ المعمول في الدكن، و هو مطابق لسنة اثنين و عشرين و ست مائة الهجرية . و أجل تصانيف الشيخ فيضي «سواطع الإلهام» و هو تفسير القرآن الغير المنقوط.

ص: ١١٣

و صنفه في عرض سنتين و أتمه في سنة اثنين و ألف و وجد أمير حيدر المعماي^{١٠} الكاشاني في تاريخ اتمامه : سورة الإخلاص من أولها إلى آخرها. و أعطاه الشيخ فيضي صلة التاريخ عشرة آلاف ريبة.^{١١}.

و قال شبل النعmani عن سيرته و نبوغه:

«لم ينجب الشعر الفارسي في الهند في عمره الطويل الممتد على ستة قرون سوى شخصين، أذعن لهما، طوعا أو كرها - أصحاب هذا اللسان، هما خسرو و فيضي».«

تتلذذ فيضي على خواجه حسين المروزى، و بربز فى كل علم و فن، و دخل بلاط الملك عام ٩٧٤ هـ، العام الثاني عشر من تربع السلطان، على عرش الدولة - و نال الشرف و التقدير، و لم يزل يتقارب إلى السلطان إلا أنه لم ينسلك فى وظيفة من الوظائف في البلاط، كان طبيباً نطايسياً، و كان شاعراً مجيداً، و كأن مؤلفاً قديراً، يقضى وقته في هذه الأعمال العلمية، و أُسند إليه تأديب أبناء الملك و تعليمهم و تنقيفهم، ففي العام الثاني عشر من تولى السلطان عهد إليه بتعليم ولد العهد

^٨ (١) لقبه أكبر مملك الشعراء". راجع منتخب التواريخت 248/2 و مأثر الأئمّة 2/584 و سر و آزاد 15/2.

^٩ (٢) صرف في سنة 985. النزعة 31/5.

^{١٠} (١) هو المير رفيع الدين حيدر المعماي الرفيعي كان تخلصه "كاشى" و في مأثر رحيمي: أحياناً اختار تخلصه "رفاعي" ترك وطنه و قدم الهند سنة 999 هاريا من سلطان ايران، و كان ماهراً في فن المعجمي و لذلك يلقب بالمعجمي و كان يُؤرخ في الشعر بطرز طريف . كان أصله من سادات طباطبا. مات سنة 1032. راجع طبقات اكبري 2/99، و مأثر رحيمي 3/620 و ميخانه للملأ عبد النبي فخر الزمان الغزوبي (راجع هدایت حسين على حاشية مأثر رحيمي) و نتائج الأفکار: 263 و صبح صادق الورقة: 501 و مأثر الكرام ضمناً: 199.

^{١١} (٢) و جازاه أكبر على هذه الخدمة بعشرة آلاف روبيه(مأثر العلماء 2/587).

دانيال، و علمه فيضي - في فترة و جيزة - مبادئ العلوم، و ألقى أكبر - هذا العام - خطبة في المسجد ادعى فيها الاجتهد و الإمامية، و كان فيضي مؤلف هذه الخطبة، و قلل أكبر من نفوذ الشيخ عبد النبي و حدّ من سلطانه، و فرق الصدارة - الرئاسة - في عدة شعب، فأسند عام ٩٩٠ هـ رئاسة آكره ولكلاجر و كالبي إلى فيضي، و لما بعث الجيوش لمقاومة قبيلة يوسف زئي، أنفذ معهم فيضي لقيام بهذه المهمة معهم، و في عام ٩٩٦ هـ هو العام الثالث و الثلاثون من تولى أكبر للحكم، لقب فيضي بملك الشعراء، و عين سفيرا في «خانديس» عام ٩٩٩ هـ الموافق للعام السادس و الثلاثين من حكمه - فقام بهذه الخدمة خير قيام، و نجح فيها نجاحا

ص: ١١٤

كبيرا، و توفي في شهر صفر ١٠٠٤ هـ الموافق للعام الأربعين من ولاية السلطان.

و قال البدايوني المعاصر له:

«كان نسيجاً وحده في الفنون كالشعر والألغاز والعروض والقوافي والتاريخ واللغة، و الطب و الأنساء».

و نظرا لاختلافه في المذهب و عداوته له فالبدايوني يخرج عن طوره كع ادته مع كافة من ترجم له من الشيعة، فيوصم المترجم بكل ما هو قبيح و يرميه باللحاد و الزندقة.

قال: حتى كانت اليهود و النصارى و الهنود و المجروس يفوقونه ألف مرة في هذا الباب فضلاً عن التزارية و الصباحية، و كان يحل المحرمات الشرعية على رغم الدين و يحرم الفرائض و المباحثات، .. و صنف القرآن في حال السكر و الجنابة و كانت الكلاب تطاً ارواقها حتى مات أي تطاً اوراقها التي كتبها في تفسير القرآن، فانتظر إلى أي حد بلغ التهور في حقده على المترجم له و مثله حال زميله عبد الحق بن سيف الدين الدھلوی و لا يحلو لعبد الحى (الندوى) الا ان ينقل امثال هذه الاتهامات جزافاً تشفيماً من ابي الفيض لا لشيء الا لكونه شيئاً مواليًا لأهل البيت عليهم السلام.

و بلغ من حقد اولشك النفر انهم شمتوا حتى في موته بعد مرض عضال الله فيه و قالوا في مرض موته انه كان يعوي كالكلاب! و استخرجوا له توارييخ فظيعة الالفاظ بعيدة عن الرحمة قالوها تشفيا في موته، و قد اثبتتها (عبد الحى) من باب الاستئناس و الغمز بالشيعة، و من تلك التوارييخ (فيضي ملحدى) و (خالد في النار) و (قاعدء الحاد شكتست) و قوله الآخر:

شد مقرر بجار مذهب نار

سال تارييخ فيضي مردار

و أمثال ذلك، و الدليل على انه اثبتها حقداً و غيضاً ان ولده «ابو الحسن الندوى» جعل هذه التوارييخ مع انها صادرة من اداء المترجم له و بعيدة عن اخلاق العلماء و ما ينبغي ان يكونوا عليه من الانصاف و العبرة في الموت فان هذا الناصبي جعلها شاهداً على كفر المترجم له و الحاده و بذلك أفحى عما أراد به والده في اثباته لتلك التوارييخ الرخيصة التي لا تصدر الا عن صاحب قلب أسود فاسمع ما يقول الندوى و ما سيذيعه من سرّ خطير،

يقول هذا المفترى:

«و يبدو ان افكار فيضي و آراءه الملحدة انتشرت في الآفاق، و ذاع صيتها في الأطراف في حياة فيضي نفسها، فان التواريخ التي استخرجت منظومةً بمناسبة وفاته تدل على ذلك، و قصة وفاته تحمل في نفسها العبرة و الدرس - كتابه السر هندي ص ٨٩.»

حتى تفسير القرآن الكريم الذي ألفه فيض، لم ينجو من قلم الندوى بالتوهين والتقليل من شأنه و بالرغم من أن والد الندوى (عبد الحفيظ) اعترف في النزهة ٢٨ / ٥ «بأن هذا التفسير يدل على طول باعه في اللغة العربية » يأتي ابنه فيقول حسدا و حقدا:

«ألف فيضي هذا التفسير - الذي التزم فيه بأن لا يستعمل أيا من الحروف المعجمة و الذي طار صيته في عصره، و تحدث به القاصي و الداني - لاثبات فضلها و نبوغها، و الود على اتهامه بالانصراف عن العلوم الدينية، و لكن هذا العمل - مهما أثبت له من قدرته على اللغة العربية، و امتلاك لناصية البيان فيها - لم يضف شيئا علميا مفيدا، و انما مثله مثل بعض الكتب البارعين في الخط، الذين كانوا يتظاهرون بدقة خطهم و جمال فنهم، بكتابه سورة الاخلاص - كاملة - على حبه واحدة من الأرز، فجاءت - نتيجة ذلك - عبارة متكلفة لا لذة لها و لا جمال و لا طراوة».»

قال الشيخ أغاثة بزرگ عن المترجم له: و هو الذي روج التشيع .. بوسيلة اكبر شاه، و أجاب عن اعترافات عبد الله اوزبک على اكبر شاه و الأجبوبة موجودة في منشأته.

[مؤلفاته:](#)

- ١- سواطع الالهام (و سنخنه ببحث خاص).
- ٢- (مركز ادوار) و (نلدمن) مزدوجتان له على نهج مزدوجتي النظماني الكنجوي من خمسة.
- ٣- موارد الكلم مخطوط في مكتبة ندوة العلماء ٧٦ ص برقم رديف ١٣٥.
- ٤- منها: لطائف فيضي، و هو مجموع رسائله جمعها ابن اخته نور الدين محمد بن عبد الله بن على الشيرازي.

١١٦:

٥- منها (طباشير صبح) و هو ديوان شعره و فيه تسعهآلاف بيت، و له ديوان آخر في قصائده و هو الذي أشار له غلام على آزاد في ترجمته - كما يبدو - و عرف رحمه الله بعنایته فى جمع الكتب النفيسة، حتى تجمعت له خزانة كتب عامة زاده على اربعةآلاف من الكتب المصححة المضبوطة اكثراها كانت مكتوبة بأيدي مصنفتها، و بعضها كانت قريبة العهد من عصر التأليف كما في النزهة، و فيه ايضا نسب له هذه الأبيات بالفارسية:

غافل نیم زراه ولی آه جاره جیست

آن نیست که من هم نفسان را بکذارم

این رهنان که بر دل آکاه می‌زنند

یا آبله بایان جه کنم قافله تیز است

و له:

که کهتی بس ماندکان عشق منزل

کعبه را ویران مکن ای عشق کآنجا

المصادر:

- دربار اکبری ۴۴۵ طبع لاهور ۱۹۴۷.

- نکارستان فارس / الطبعة الثانية لاهور ص ۱۲۶، منتخب التواریخ ۲۱۲-۲۴۸ / و / ۳۹۳ و ۲ / ۴۰۵ و مع الشعراً ۲۹۹ و طبقات اکبری ۴۸۶ / ۲ و منتخب اللباب ۲۴۱ / ۱ و مآثر الكرام:

۱۸۹ و مآثر النساء ۵۸۴ / ۲، و تذكرة رحمان على : ۴ و مفتاح التواریخ : ۲۰۰ و نتائج الأفكار: ۵۳۳ و أبجد العلوم ۸۹۳ و الأدب العربي في الهند : ۲۰ و تذكرة علماء محمد حسين آزاد : ۲۵. الأعيان ۴۰۲ / ۲، مطلع انوار ۶۲-۶۴ مستدرکات ۶۸ / ۵، سبحة المرجان ۱۱۷-۱۱۹ / ۱. النزهة ۲۷-۳۲ / ۵ رقم ۴۹، (طبقات اعلام الشيعة «القرن ۱۱») ص ۴۴۵ و فيه ارخ وفاته شیر على خان الذريعة ۸۵۵-۸۵۶ / ۹ في مرآة الخيال بعنوان أبي الفیض. وكتاب زید أحmd ۶۸ و ما بعدها.

ص: ۱۱۷

تفسیر القرآن المسمی سواطع الالہام

وأجل و أخلد ما ألقه (فيضي) هو تفسيره سواطع الالہام، فسر القرآن الكريم بكلمات غير منقوطة، قام فيه بشرح و توضیح معانی كتاب الله العزیز كله و لم يكتب فيه إلا كلمات مهملة، فهذا الكتاب الخالد - إلى جانب ما يدل على غناه اللغة العربية و دقة فوائدتها و غزاره مفرداتها و خصب مناهجها و سعة صدرها حیال الاظهار و التعریف و توحیها الوصول إلى الغرض من أكثر الطرق - يدل على اضطلاع المؤلف باللغة و معرفته التامة بمفرداتها و تراکیبيها، و إدراکه أساليب بيانها و قدرته الباهرة على تعبیراتها.

و زین المؤلف كتابه بمقدمة بسيطة حدث فيها عن نفسه و عن أقاربه و عن مسقط رأسه و أنه كيف تنسى له الوصول إلى بطانة الملك، و قسمها و جعلها قسمین أجمل في الأول ما سنج له من الأحوال، و اهتم في القسم الثاني بتجلیة علوم

القرآن ففسره او شرحها و ذكر مبادئها و أصولها ثم قسم القسمين إلى ابواب متعددة، و سمي كل باب بساطة و هذه السواطع يختلف بعضها عن بعض، فمنها ما تطول إلى ثلاثة سطراً و منها ما تقتصر دون سطر واحد . و وضع ساطعا طويلاً يمدد فيه أبوابه . و الحق المقدمة منظومة يصف بها كتابه.

و يأتي باسم أبيه و أسماء أخوته في كتابه مرموزا بالأحاجي و الألغاز، إتباعاً للصنعة المهملة و تفادياً من العروض المنقوطة، و هذه الأحاجي غامضة، ربما لا يهتدى إلى حلها من لا علم له بتلك الأسماء من قبل . لكن الخبر بها بدوره لا يدركها بسهولة . إنها تسبعه . ستة منها معimitات و ثلاثة إلغاز . و الفرق بينهما أن الأول يصح برد واحد . و الآخر يصح بردود عديدة، فالأسماء التي أغز بها الواضع ثلاثة . أبو الفيض و أبو الفضل فيضي (الواضع نفسه) و أبو الخير . و هي بكلمات ليست بقطيعة المدلولات، و من الطريف أن اسم المؤلف كذلك منقوط . و نرى أن نقبس هنا من مقدمته، و نبذة من تفسيره، و ذلك قبل أن نتكلّم على الكتاب نفسه.

«الله لا إله إلا هو لا أعلم ما هو ما أدركه كما هو»

احمد المحامد و محمد الأحمد لله مصعد لوعي العلم و ملهم سواطع الالهام : مرصص أساس الكلم و موسس محكم الكلام . مرسل الكلام سهماً سهماً أصالح الحصص و أكامل

ص: ١١٨

السهام و محدر السور كلاماً صالحًا للمصالح و المهام، ملوح معالم الدرك و ملمح مدارك الأعلام، مصلح اسرار الصدور، و مطلع وساوس الأوهام، مطهر الواح الأرواح و مصور صور الأرحام . محول أحوال الدهور و مدور أدوار الأعوام . محرك سلاسل الأسار و معطر دماء الارام . مطاوع عادل أمره السوام و الهوام، و مهلل حرم طهره الرمال و السلام .

اللهم صل و سلم رسولًا مودوداً محمداً مهوداً لصوالي الأوصاف و الأحكام مصلحاً للآلام
محدواً لحدود الحال و الحرام و اوحاه طرساً معلوماً و لـ و حـا مرسوماً لاصلاح الكل، و إسعاد العام . حصار امره لامر
ما صاكه صوامع الاعدام . و سور حكمه الا حكم ما دكه صوامع الاعدام . حرم سده مصمد الدعاء و مصمم الاحرام، و هو
رسول و ما صار آدم مودماً و ما وسوسه المارد اللوام، و هو سام و حام للعالم، و ما ولد سام و حام، و طاوـعـهـ الكلـ وـ ماـ
سادـ هـوـدـ وـ ماـ عـصـاهـ عـادـ، وـ ماـ اـطـاحـهـ الـصـرـصـرـ وـ السـهـامـ .

اعلموا رهط رؤساء العلوم و العلماء الاعلام، أحرر مدلول الكلام كلام الله الملك العلام، و ارسم محصول ما اوله الكمل و
حاوله الكرام . و احكم مادل سورة و مدلول دواليه كمال الاحكام و الاحكام . و اسطر ما هو اصل المروم واس المرام . و لما
طار اسم المحرر حوم الدهر و حام . و كساه الطالع ملجم العلم موسع الأكمام . و اراد اولو الكمال مراه و اروع كلامه و رام .
سد المسطر و حرک المرسام . و اسال المداد كما هطل الركام . و صور كلامه عواظل مع روع مسرع و مسجل كهام . و إما
لأكمي الكلم و اكرم الكلام . لا الله الا الله محمد رسول الله و هو مدار الامر و ملاك الاسلام . و اهل حاصلها ما صلا رسعا
للأسام و سرع لسيطره اصحابها و أصحابها عدو العوام . و لاكماله كما هو مصور الصدر و ملهم السر رکع و صام . كل امره رأه
إهمالاً و لا إهمال له حار و هام . و ما وهطه إلا الحاسد العاصد و الآم . ما اووهطه إلا المطر المصر السمسم . ما وصمه إلا
صاد العواور و حساد اللوام .

والحسد لسماع السداد كالسداد والدسام. وسماعه لصدورهم كضم المداعس ومرط السهام. كلامه وكلامهم كالسلسل والرمام. وعلمه وعلمهم كالداماء والرها م واصفهم سوء وهمهم كسد الصمام، ولا مسلك لهم . حال سماعه مآل الا الارمام. ولله در سطره صار طرسا طاما لرسوم كل رسام. ودارسا لمراسيم كل وصام

ص: ١١٩

ساطعه: محرر سواطع الالهام موم اسم والده الواطد لعدم الورود مصرحا و هو : أساس العلم و اصل الروع و مطلع الالهام و راس الرؤس و امام الكرام علا اسمه و مسماه

و اختتيم هذه المقدمة البديعية بأشعار هي كذلك مهملة فارغة عن الحروف المنقوطة، وإليكم بعضها:

لأسرار روح للسواطع ملهم

ألواح سحر أم طلس مكرم

و ما هو سحر أو طلس محرم

لسحر حلال و السطوط طلسمه

سوداد لكل الكل طلس مطعم

صواح لأصل الأصل طرس مظهر

لاعلام أسماء العوالم آدم

و ما العلم إلا و هو اصل لكله

صلاح سداد للسلام مسلم

إمام همام للكلام ماؤل

ملوك كلام للمعاليم معلم

مدار مراد للمدارك مطرح

صراط سداد للأكارم أسلم

كلام كمال للأكمال مسلك

دعاء سماء للصوماع محرم

مال كلام للمدارس أعود

لواء ولاء للمعارك احکم

حسام سماح للمصارم اسطع

و دماء أسرار السماء مطحوم

سماء سعود السر للروح مصعد

عماد أساس الأمر و العدل محكم

دعاء حصار الحول و الطول موظد

إدراة آلاء المكارم مكرم

إعلانات أعلام الصوالح أصلح

لكلم سهمام الوهم و الصرع مرهم

لبرسم اطلاق الوساوس مصلح

كساء علو للكرام موسم

دواء سمو للوسام مطلّس

لسطر سطور الروح و العمر مرسم

لكحل عروس الحلم و الدرك مرود

لسطح سماء العلم و الروع سلم	لકأس حسأء الصحو و السكر سكر
مصدر أرواح حماها مطلسم	مراصه ألماح وعاها مهلهل
مطالع أشجار لها اللمع أدوم	طوالع آصال لها السطح أكمل

ص: ١٢٠

لسطط و صدر أو سوار و معصم	لحوراء علو الطهر حال دلالها
و ما هو للأوهام درع مردم	ألا هو للأرواع صرح مرد
مراحم إرسال هو الله أرحم	سواطع إلهام مكارم سودد
ملاح لها سدلا سدوس مسهم	عواطل أعراس حلاها دلالها
ركام و دماء السواطع أكرم	وها كل لوح سطروه مكرما
لكسر لهام الوهم طرا عرم	و مدلوتها المعهود مما أراده
لرد و ما كل الأعاور أعصم	ولو طار ملّاك الكلام مطاره
لأطلع سر الله للعلم عالم	محرره الله در كلامه
و أسعده هم و ساد مصم	لادركه كد و صدر موسع
و ساعده الدهر الحصور المحضرم	و أمهله العمر الطهور المسارع
له طأطاً الأعلام طوعا و طرسموا	له هرول الأحلام لوعا و ولوا
مال أمور السرّ الله أعلم	لعمرك علم الكل مطموس علمه

و نرى أن نشير إلى حل بعض الألغاز التي وردت في هذه المقدمة.

١- أساس العلم، أصل الروع مطلع الالهام رأس الرؤوس، غمام الكرام، و يزيد الواضع بهذه الكلمات المهملة اسم «مبارك» فان الميم اساس للعلم و الباء اساس للقلب الذى يرافق الروع و الألف محل طلوع كلمة إلهام و الراء راس للرؤوس . و الكاف إمام للكرام و هكذا يتكون اسم «مبارك».

٢- مدلول الوالد و المكارم معه. و هو ليس بغامض بل يمكن أن يفهمه كل واحد، فان مدلول الوالد هو الأب و يضيفه إلى المكارم فتصبح أبو المكارم لا محالة.

٣- الأمل الروع الوع الروح المكرر الروع المرح (بطر). فاذا أخذنا أوائل هذه الكلمات لوجدنا اسم أبو تراب.

٤- الحال الطود (الجبل) الطول الصحو الروع (البال) السمو الحدس، فاذا أخذنا الوسط من هذه الكلمات لقرأنا اسم أبو حامد.

١٢١: ص

١٢

١٢٢٨٠ الشيعه في العصر المغولي : ص

٥- الطاء، الروع (القلب) الهدوء الأمر الطس المرسوم، الرأى، الأمد، فاذا ربنا أواخر هذه الكلمات لرسمنا كلمة ابو راشد.

و لا أرى من الحاجة في شيء إلى أن أقول أن المؤلف يختار كلمات رائعة عند التعبير عن أسماء أخوه، و هم أبو تراب، أبو حامد و أبو راشد . و يشير المؤلف إلى أعمارهم أيضا، فان الأسبق هو الأكبر، و أعجب منه أنه اختار للسابق أوائل الكلمات و للمتوسط أواسطها و اللاحق أواخرها.

و معلوم أن المسلمين في الهند كانوا و لا يزالون يهتمون باللغة العربية كلغتهم الدينية، و مع أن اللغة الفارسية أصبحت مركبة رسمية للبلاد، إلا أن حبهم و شغفهم للعلوم العربية ما زال كما كان، و ما برحوا عاكفين على دراسة كتاب الله العزيز، و مع ذلك كان منهم من نبغ في اللغة و الأدب، و لعل بهما ولعا بالغا، و منهم من كرس حياته للنحو و الصرف و منهم من اهتم بالشرح و التأويل، و يسرنا أنه كان - و لا يزال - من بينهم من جمع بين الأدب و الدين و اللغة و الفلسفة و أثبت بأن الهند لهم اليد الطولى في الإنشاء و الفهم، و لعلنا لا نبالغ أن مولفنا هذا كان منهم.

فلما انتهى المؤلف من ذكر حاله و ملوكه . بدأ بذكر ما يحتاج إليه دارس للقرآن الكريم من مبادئ و اسس تفسيرية، و لا شك أنه أجاد في شرح هذه المعاني. و نكتب فيما يلي بعضها.

السواطع اللوامع لعلوم كلام الله العلام و أسراره الصوالح لصدر المرام.

^{١٢} طبعي، محمد سعيد، الشيعه في العصر المغولي، ١ جلد، أكاديمية الكوفة - هند، چاپ: اول، ١٤٢٧ هـ ق.

ساطعه، أصل المراد و أَسْ المراد هو الله وحده و له رسول ارسلهم، لصلاح العالم و هم موصلو المراد لا حصر لاعدادهم أولهم آدم و أُمدهم و حماداهم محمد صلعم و لله طروس و الواح أرسلها للرسل للحكم و المصالح كلها كلام الله أرسل لآدم الواحا و لمحمد رسوله صلعم طرسا.

ساطعه، علم كلام الله لا ساحل له، و طود لا مسلك له و كل واحد أراد وصوله و ما وصل أمهه و رام سلوك دركه و ما أدرك حده.

ساطعه، الماول هو العالم لعلم مدلول كلام الله، و هو إعلام ما أراده الله و إما لاما

ص: ١٢٢

و وراء سهما اسطاع و هو أكرم العلوم كلها لحصول علو العلم معلومه أكرم كل معلوم.

ساطعه، للماول روم المدلول لدواي كلام الله عما ورد محلا سواه ما اسطاع، و الارام كلام رسول الله صلعم، و الاعد و صمد كلام الرحماء لما لهم علم كامل و عمل صالح.

ساطعه، أما علوم كلام الله ١ - علم ما وحده و هو علم الماسور كله، و علم أسره و مصوريه مع الأسماء ٢ - علم ما وعد و اوعد و ادكار دار السلام و دار الألام ٣ - علم الأحكام و هو الأمر و الردع و ما سو اهما و للممحه سموا الحمد لله أم كلام الله لما عم صروع مدلوله، و هولاء أصول كلام الله المرسل.

ساطعه، أصل الارسال الهام الله كلامه، و إعلامه للملك مصاعد السماء و هو عال مما حل المحل و الملك أداه للرسول (ص) و ورد هو سماع كلام دال معلم عما هو أصل كلام الله.

ساطعه، الرسول صلعم صار كالملك و سمع كلاماً أورده الملك أو الملك صار كأحد ولد آدم و أداه للرسول صلعم و هما مسلكا الارسال و الأول أغسر.

ساطعه، المرسل إما هو الكلام و مدلوله . و هو كلام الله الرسل المرسوم طرسا واحدا و إما المدلول لا الكلم و هو كلام رسول الله (صلى الله عليه و سلم) كله.

ساطعه، لكلام الله موارد و مراسيل كام رحم و ما حولها و مصر رسول الله صلعم و ما حوله كاحد و سلع و الصرط و المسالك و المراحل و المراميك و مصاعد السماء و الهواء حال صعوده و حدوره صلعم آصالا و اسحارا و حررا و صردا.

و يبدأ المؤلف بعد ذلك كله في تفسير القرآن الكريم وهذا نموذج من تفسير (الفاتحة) المباركة:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

الاسم أصله سمو، كعلم و مصدره السمو، وهو العلو واحد الأسماء . و ورد أسم وسم أو وسم، وأسمه اعلمه، و الموسم المعلم و الاسم العلم. والأول أصح لعدم ورود الأوصاف مكسرًا و عامله أصدر، و الاسم إما مسماه ما سواه أو هو مسماه لا ما سواه أو مسماه لا

ص: ١٢٣

هو ولا سواه . ولكل واحد اصل و أهل الرسم طولوا أولها اعلاما لما هو المطروح أو اكراما لصدر كلام الله الاحكم الاكمل. الله: اصله الا له و هو الماليه أو هو مصدر الله مكسور اللام و لوها و لوها حار، والاصل ولاه اعل واه كما عل او وعاء حل محل الاسم كعدل و ورد اصله مصدر الله كسمع اولع و العالم كله مولع له . و ورد الله حار او ركد او عال، و الهم رعاه و لاح لها واحد او احد و ورد اصله لاه مصدر هو العلو و ورد اصله هاء و صلوها لام الملك، و اللام للعهد و هو الاله المعهود و المولود محمود، و ورد هو علم لا اصل له و لا مصدر له كمسماه و هو اصل الكل و مصدره، و هو اصح ما اوردوه. الرحمن الرحيم: مصدرهما الرحيم و هو روم صلاح الامر لاهله و مدلولهما و ساع الرحيم، راحم الكل احاط الصور و الاسرار مرحمة، و عم الالواح و الارواح مكارمه، و الاول اعم مدلولا، مصدره لما صار كالعلم لله . و الحمد و هو معكوس المدح. و ما هو الا للعطاء و مورد الحمد هو المسجل و حده، أصله احمد او احمدوا حمدا و عدوله للدؤام، و لامه للعهد و المراد هو الحمد الكامل و هو حمد الله لله أو حمد الرسل أو كمل أهل الولاء أو للعموم، و حاصله المحامد كلها لله و هو محمود اصلا و المدوح عدلا. و رووا الحمد لله مكسور الدال مطاوعا لللام، و رووا و اللام مطاوعا للدال عكسا للاول. رب العالمين: مكمل العالم و مصلح الكل طورا طورا او ملكهم او ملكهم و هو مصدر مدلوله اكمال الامر مرارا و صار اسم الله اطراة كالعدل. و العالم اسم لما اسره الله و علم لكل ما سواه و ورد هو عالم الملك، و أصله العلم او العلم . الرحمن الرحيم: من مدلولهما، اعادهم اعلاه لكمال مرحمة . ملك ملك الامور كلها و ما سواه مملوكة و ما سوره و محكومه، و اصله الملك مكسورا رواه عاصم، و رووا ملك و هو الاصح لما ورد كل ملك مالك و لا عكس، و كل مالك مامور ملك لا عكسه، و ملك كحكم، و ملك كعدل و مالكا مدحا او حالا و مالك و ملك محمولا لمطروح و ملك مدحا و هو الملك المالك له الملك و الامر و الحكم و العدل. يوم الدين: و هو الموعود المحدود، و المعاد لاهل الصلاح و الطلاح، و المال لكل و لاحد اطاع الله او عصاه، صرحة لاكرامه و اعلاه حاله اول ما لا ملك و لا مالك له احد الا الله و الملوك اولوا الامر كلهم معطلوا اوامرهم و احكامهم. ايak لا ما سواك لعبد طوعا لا كرها كما هو مامودك و مراك و هو حصر لكمال الطوع و الهكوع، امال الكلام و عدل عما هو المسلوك لسرور

ص: ١٢٤

السامع و ورح المسامح، و هو اطراة لا داء المرام، و وروه مكسور الاول . و ايak لا ما اعادك كرره امحا و لوهـم عدم الحصر. نستعين: حال اداء اوامرـك و طرح محارـمـك و مـكارـهـك و ما لاـحد مـسـؤـل لـمـصالـحـ الـامـورـ و صـوالـحـ الـاعـمـالـ الاـعـوـلـكـ و اـسعـادـكـ حـالـاـ و مـالـاـ و روـوهـ مـكسـورـ الاولـ كـالـاـولـ و هـمـ لـمـ رـامـواـ الـاسـعـادـ لـعـلـ اللهـ سـالـهـمـ ماـ مـرـومـكـ و مـماـ اـسـعـدـكـ سـالـوـهـ. اـهـدـنـاـ سـوـالـ لـلـاسـلـاكـ و دـعـاءـ لـوـصـولـ الـأـصـلـ، اـرـادـوـ اـكـمـالـهـاـ و دـوـامـهـاـ اوـ رـامـوـهاـ مـالـاـ كـمـاـ حـصـلـوـهـاـ حـالـاـ. الـصـراـطـ الـمـسـتـقـيمـ. اـسـوـاءـ مـمـرـ طـرـحـ مـكـارـهـكـ و مـسـلـكـ مـكـارـهـكـ اوـ كـلـامـ اللهـ و اوـ اـمـرـهـ و اـحـكـامـهـ اوـ صـراـطـ دـارـ السـلـامـ اوـ هـوـ عـامـ، و لـلـهـ صـرـطـ لـاـ حـصـاءـ لـهـ و اـصـلـهـ السـرـاطـ صـارـ اـولـهـ صـادـاـ و إـمـاـ لـلـطـاءـ و سـمـاهـ سـرـ اـطـ لـمـاـ هـوـ سـارـطـ لـسـالـكـهـ كـمـاـ سـرـطـ اـحـدـكـ الطـعـامـ. صـراـطـ الـمـلـاءـ الـذـيـنـ انـعـمـتـ عـلـيـهـمـ و هـوـ الرـسـلـ اوـ اـهـلـ الـاسـلـامـ كـلـهـ اوـ الـمـلـكـ، اـعـادـ الـصـراـطـ و كـرـرـ الـعـالـمـ حـكـمـ حـكـمـ لـمـاـ اـكـدـ و اـعـلـمـ الـصـراـطـ السـوـاءـ هـوـ صـراـطـ اـهـلـ الـاسـلـامـ لـاـ سـواـهـ . غـيرـ المـغـضـوبـ عـلـيـهـمـ. المـرـومـ

اصرهم او الملوم علهم عموماً او هم الهدى . و لا الضالين: هم ما سلكوا مسالك هداه، و هم اهل الاعمال السوداء كلهم او رهط روح الله و اما المرrom صراطهم هم رهط و الاهم الله ولاء كاملاً و وصل لهم آلوه و هم سلموا مما حردهم و ما هم اهل الصدود و العدول عمداً.

آمين مدوا و الاصل لا مد له و هو اسم لا سمع و المراد اللهم امسع الدعاء. أو هو اسم الله علمه الملك رسول الله صلعم حمادها و ما هواه الامام اورد امد الكلام اكمالاً للمدعوه.

و إليكم بعض ما فسر به المؤلف من سور قصيرة:

سورة الكوثر. موردها أم الرحيم محصول اصول مدلولها اعداد آلاء اعطاء الله لا يكره الرسل محمد صلعم و الامر له لما صلاه و لسطح الداعر و اعلام العلاك الاعداء له.

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) لما رحل ولد رسول الله صلعم و أدركه السام و سمعه العاص و وصمه صلعم و كلام و هو عسور لا ولد له، لو ادركه السادس و هلك حسم اسمه صلعم ارسل الله له. انا أعطينك الكوثر. العطاء الكامل علماً و عملاً او المورد الامراء ماء و احمد هواه ورد ماءه المدام و هو مورد رسول الله صلعم اعطيه. الله له صلعم كرماً أو المراد الاولاد او علماء الاسلام او كلام الله المرسل. فصل دواماً لربك الله لا لما سواه كما هو عمل مرء مراء عمداً لا سهوا. و انحر و اسدح لله و اعطه اهل السؤال و هو عكس الكلام

ص: ١٢٥

الأول المصرح لا حوال أهل السهو و الصد و اعمالهم. إن شانك عدوك - هو الابت.

المعدم لا ولج له و ادم الله اولادك و مراسم اوامرک و مکارم عصرک و محامد اسمک.

سورة الاخلاص - موردها أم الرحيم محصول اصول مدلولها اعلام وجود الله الواحد الصمد و اعلاء علوه مما ولد و ولد و سموه عما عادله احد و ساهمه.

بسم الله الرحمن الرحيم. لما سال الحمس رسول الله صلعم و ارادوا اعلاء محامد الله ارسل الله قل محمد هو الله احد . واحد لا مسامح له و لا الله سواه اصله وحد و رروا هو الله الواحد و وروا احد. الله موصولاً الصمد. المصمود المعهود املاً و اعملاً لكل ما عداه و هو المالك الحكم لما اراد و لا مرد لحكمه و لا رداً لامرته . لم يلد احداً و هو رد للهود. و لم يولد ما هو ولداً مولوداً لا احد و معلوم كل احدخل كل مولود اول و لا اول له . و هو رد لرهط روح الله . و لم يكن له لله كفوا مساهماً معادلاً و هو حال او محمول. أحد. حالاً و مآلًا و هو رد لاهل عدول و همموا لها مساهماً له عملاً و امراً علاً اسمه و مسماه عما هو مدرك الاوهام و ورد هو عدل لكلام الله كله و مدلوله ملائكة كل موحد.

و لعلنا لا نرى حاجة بعد ما قلنا و كتبنا إلى أن نقول أن كتابه من حيث النقد الفنى يدل على نبوغ المؤلف فى الأدب وسعة نظره فى اللغة، إلا أن الالتزام الغريب حتم على المؤلف ايجازاً مخلاً أو شرحاً مملأ، فان جلّ همه عند كتابته كان ان يتفادى

الكلمات المنقوطة و يتحاشى كل اسم و فعل منقوطة، فاضطر إلى ايراد الغرائب أو إلى ايجاز أصبح أعقد من المتن أو إلى شرح مطلب يملأه القاري.

و من ميزات المؤلف أنه يحاول أن لا يترك شيئاً من معانٍ القرآن إلا و يفسره و يشرحه، و لا يحفل في ذلك بما يكتب قلمه من الالتزام الغريب المستحق الثناء.

أبو الفضل الناكوري (٩٥٨-١٥٥١ / ١٠١١-١٤٠٢ م)

الشيخ أبو الفضل بن المبارك بن خضر الناكوري، كتب صاحب النزهة في وصفه:

ص: ١٢٦

الشيخ العالم الكبير العلام، أعلم وزراء الدولة التيمورية وأكابرهم في الحدس والفراسة وإصابة الرأي وسلامة الفكر وحلوة المنطق والبراعة في الإنشاء.

ولد ليلة الأحد السادس شهر المحرم سنة ثمان و خمسين و تسعين و تسعين و كان أبوه المبارك قد فتح له أبواب خزان العلم منذ نعومة أظفاره، فتعلم الخط و الحساب و الإنساء و استغل بالعلم، وقرأ أياماً في العربية على صنوه الكبير أبي الفيض بن المبارك و على أبيه، و فرغ من تحصيل العلوم المتعارفة في الخامسة عشر من سنه، ثم أقبل على العلوم الحكمية إقبالاً كلية، و استفاد بعض الفنون عن الشيخ حسن على الموصلى، و درس و أفاد نحو عشر سنين حتى فاق فيه أهله المنسوبين إليه، و دعاه السلطان أكبر بن همایون التيموري بمد ينة أكبر آباد مع والده، فادركه في حدود سنة إحدى و ثمانين و تسعين و مئة أولى، و أهدى إليه كتابه في تفسير آية الكرسي، ثم أدركه في حدود سنة اثنين و ثمانين مئة أخرى، و أهدى إليه كتابه في تفسير سورة الفتح فاستحسنـه السلطان و قربه إلى نفسه، فتدرج إلى نهاية القرب حتى نال الوزارة الجليلة.

كان من الطبيعي أن يجد مثل هذا العالم الترحيب والرعاية عند سلطان شغوف بالدرس والتحصيل بدوره مثل جلال الدين أكبر حين قدموه إليه عام ٩٨١ - ١٥٧٤ م. وفي هذا يقول أبو الفضل في كتابه أكبر نامه الذي ضمنه تاريخ التيموريين:

«لقد زاد كثرة تلاميذـي من الغرور في نفسي، و دفعـي الإمعانـ في الدرسـ و التـ تحصـيلـ إلى طـلبـ العـزلـةـ . وـ لكمـ كـنتـ أـشـعرـ بالـسعـادةـ وـ الرـضاـ وـ أناـ أـقضـيـ اللـيـاليـ مـنـفـرـداـ بـطـلـابـ الـحـقـ وـ الـبـاحـثـينـ عـنـ الـحـقـيقـةـ الـمـجـرـدـةـ بـمـاـ يـعـمـرـ ذـهـنـيـ وـ يـشـرـحـ صـدـرـيـ، لـتـفـتـحـ مـنـ بـعـدـ ذـلـكـ عـيـنـيـ عـلـىـ مـدـىـ الـأـنـانـيـةـ وـ الـجـشـعـ الـذـيـ يـكـمـنـ فـيـ نـفـوسـ مـنـ يـدـعـونـ الـعـلـمـ وـ الـمـعـرـفـةـ. وـ لكمـ كـنـتـ أـشـتـاقـ لـلـوـقـوفـ عـلـىـ الـحـكـمـةـ عـنـ الـمـغـولـ وـ دـرـوزـ لـبـنـانـ أـوـ مـنـاظـرـ لـاـ مـاتـ التـبـتـ وـ قـساـوـسـ الـبرـتـغالـ وـ الـاسـتـمـاعـ إـلـىـ كـهـنـةـ الـبـارـسـيـينـ وـ حـمـلـةـ الـأـبـسـتـاقـ. وـ لـقـدـ ضـقـتـ ذـرـعاـ بـعـلـمـاءـ بـلـادـيـ حـتـىـ نـصـحـنـيـ أـخـىـ وـ بـعـضـ أـقـارـبـيـ آخـرـ الـأـمـرـ بـأـنـ التـحـقـ بـالـبـلـاطـ، وـ قـدـ أـمـلـواـ بـذـلـكـ أـنـ أـجـدـ عـنـ السـلـطـانـ الـهـدـاـيـةـ مـثـلـ الـفـكـرـ السـنـيـةـ . وـ لـئـنـ كـنـتـ قـدـ عـارـضـهـمـ فـيـ ذـلـكـ أـوـلـ الـأـمـرـ إـلـاـ أـنـيـ وـجـدـتـ، لـحـسـنـ طـالـعـيـ، مـنـ بـعـدـ ذـلـكـ، فـيـ السـلـطـانـ خـيـرـ رـائـدـ وـ مـرـشـدـ لـىـ فـيـ دـنـيـاـ الـوـاقـعـ مـاـ بـعـثـ السـكـيـنـةـ فـيـ نـفـسـيـ وـ أـشـاعـ الـطـمـانـيـةـ فـيـ وـجـدـانـيـ. فـيـهـ اـجـتـمـعـ لـىـ

ص: ١٢٧

شوقى للتحصن بالإيمان و تتحقق أملى فى أن أقوم بالدور الذى قدر لى القيام به فى دنياى.

فهو المشرق الذى تبزغ منه أنوار الإبداع و المثل، و هو الذى علمنى أن العمل الدنىوى، على تعدده و تنوعه، لا يتعارض مع جوهر الحقيقة».

قد رماه صاحبه عبد القادر بن ملوك شاه البدايونى (بغضا و حسدا) بالإلحاد و الزندقة و قال فى المنتخب : إنه دس فى قلب السلطان أشياء منكرة، و رغبه عن الملة السمحنة البيضاء - (كذا). و لا بد ان هذا الاتهام صدر عن البدايونى بعد أن أحتل الشيخ مبارك الناكورى وأولاده المكانة اللائقة به ما فى بلاط أكبر و بعد أن ظهر تشيع الامبراطور اكبر و توضّح تشيع المبارك و أسرته للعيان، جاء فى كتاب دانشوران ناصري:

«و من أمعان النظر الدقيق و أعمال الفكر العميق يعلم أن الشيخ مبارك و الشيخ أبو الفضل كان كل منهما باطنًا شيعي المذهب امامي المشرب و من هذه الجهة كان علماء و رؤساء المخالفين لهما في المذهب يعادونها عدواً قبيحة و الشيخ أبو الفضل في وقت رياسته العظمى سعى في تفريق كلمة هؤلاء الجماعة و السلطان أكبر شاه قصر أيدي المتعصبين عن الخلق».

و قد فصل السيد غلام حسين الطباطبائى قصة أولئك المتعصبين مع اسرة آل المبارك على النحو التالى:

ان الشيخ عبد الله ابن الشيخ شمس الدين السلطانيbori الذى كان يلقب فى عهد شير شاه بصدر الاسلام و فى زمان همايون بشيخ الإسلام و فى وقت أكبر بمخدوم الملك كان طالبا للجاه غاية الطلب متعصبا محبًا للدنيا كما ذكره الشيخ عبد القادر البدايونى فى كتابه مع اتحاد المذهب فيما و المناسبة التامة فى العمل و الطبيعة . و لما مات مخدوم الملك و كان بينه و بين السلطان منافرة ظهرت له خرائن و دفائن كثيرة منها عدة صناديق فيها قطع من الذهب بشكل اللبن كان قد دفنها فى المقبرة فأخرجت و أدخلت مع كتبه إلى الخزانة ا لعammera السلطانية. و الشيخ عبد النبي الصدر كذلك كان رجلا متعصبا طالبا للجاه و هو من أولاد أبي حنيفة الكوفى و فى أوائل عهد اكبر وصل أقتداره الى حد أنه كان أحد وزراء الملك يقدم له نعله و الافاغنة يحبونه كثيرا و أكبر كان صغير السن جدا و جاءته السلطنة فى

صفحة ١٢٨

الطفولية و كانت عامه الدعاوى و أكثر أمور السلطنة تدبر برأى هذين الرجلين بمقتضى حب الجاه و النفس و شدة التعصب كلما رأوا رجلا هو محل التفاتات السلطان و السلطان يميل إلى مشربه و مسلكه يتولى قتله بكل حيلة باسم حماية الشرع و حراسة الاسلام و لا يدعى أحدا يرفع رأسه كما أن الشيخ أبو الفضل و أبوه الشيخ مبارك و أخيه الشيخ فياضي وقعوا في بلية هذين الرجلين و بالتأييد الإلهي نجوا من هذا البلاء و وصلوا إلى أوج العزة و الاختصاص و وصل الحال إلى أن خلقا كثيرا يفوقون حد الحصر قتلوا بغير حق بسعى أولئك الفساق . و الذي يستفاد من مجموع الحكايات و تقريرات نقله أخبار ذلك العصر ان كلا هذين القدوتين كانوا في الظاهر في نهاية التعصب و التصلب للدين لكن لمجرد حب الجاه و النفس و اتباع الهوى، ولم تصل إلى مشام روحهم رائحة الإيمان لا هم ولا أتباعهم كالشيخ عبد القادر البدايونى و غيره، و من شدة تعصبهم أصدر أحدهم بمخدوم الملك على ما ذكره الشيخ عبد القادر البدايونى فتوى عجيبة و هي : أن الذهاب إلى الحج في أيام الحج غير واجب حيث انه سأله فأخبرا : أن طريق الحج منحصر إما في طريق العراق أو طريق البحر و

طريق العراق يسمع فيه كلام غير ملائم من الفزلياشية «و يقصدون الشيعة» و طريق البحر يلزم أن يؤخذ فيه جواز من الأفرنج و هذا الجواز قد صوروا فيه صورة مريم و عيسى عليهما السلام و انه إله فإذا السفر على كلا الطريقيين منع.

و البدايوني عند ترجمة أحوال نفسه يقول إن الشيخ مبارك و ان كان له على حق عظيم من جهة انه استاذى لكن حيث انه وأولاده مغالون في الانحراف عن المذهب الحنفي لم تبق له على حجة و أيضاً لجلب تأييد مدعاه نقل عن مخدوم الملك أنه كان كلما رأى الشيخ أبو الفضل في أوائل عهد أكبر شاه يذمه و يذم أبوه الشيخ مبارك و يقدح فيهما.

قالوا و بسبب هذين الشخصين المرائين المحبين للدنيا اريقت دماء كثيرين من عباد الله لا سيما على التشيع و وصل التعصب في العوام إلى حد انه في أوائل سنة ٢٣ في سلطنة أكبر كان رجل من أرباب المناصب اسمه فولاد برايس و كان رجل يسمى الملا أحمد شيعي المذهب للعداؤ المذهبية استدعاه ليلاً من منزله و ضربه بخنجر، و كان أكبر شاه في تلك الأيام قد خرج من قيد العصبية، فأمر أن يربط برايس في بلده لاهور حتى هلك و توفي الملا أحمد المجرور بعد وفاة قاتله بثلاثة أيام و بعد دفن الملا أحمد أقام الشيخ فيضي و أخيه

ص: ١٢٩

الشيخ أبو الفضل حراساً على قبره خوفاً من أن ينبعش و مع هذا الاهتمام فإن أهل لاهو بعد سفر عسکر أكبر شاه إلى كشمير نبشو قبره و أخرجوا جسنه و أحرقوها و حيث ان مؤتمن الدولة الشيخ أبو الفضل صار في أعلى مراتب القرب عند أكبر شاه و علامة الزمان الحكيم فتح الله الشيرازي و آخرين من علماء و أمراء العراق و شيراز جاؤوا بكثرة إلى ديار أكبر شاه اتفق الشيخ أبو الفضل مع العلامة المذكور و آخرون من العلماء على طريق واحد و كلمة واحدة لتدارك الشدة و ارادة الدماء من قبل أولئك المتعصبين المعاندين المذكورين و تحزموا لذلك بحزام هممهم المحكم فوجدوا السلطان نفسه قد رجع عن مذهبة و رأى أن المذهب الذي هو عليه و البناء الذي أحكمه من مدة طويلة يؤدي إلى فناء الخلق فلم يجد بدا من الخروج عن قيد التتعصب و خلص عباد الله من مخالف أولئك و أتباعهم و أبدل الشدة بالرخاء و اطلع شيئاً فشيئاً على خبيث نيات أولئك و حبهم لجمع المال و طلب الجاه.

و لما دخلت السنة الرابعة والعشرون من جلوسه جرى يوماً في مجلسه حديث بين القضاة و العلماء في المسائل المختلفة فيها بين المجتهدين و انجز الكلام إلى أن السلطان هل يمكن ان يجتهد في بعض الأمور؟ فكتب الشيخ مبارك والد معتمد الدولة الشيخ أبو الفضل الذي كان أعلم علماء زمانه حسب الأمر تذكرة بهذا الخصوص و ختمها بخاتمة و حاصلها أنه بعد التأمل و امعان النظر في معنى الآية الكريمة (أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ مِنْكُمْ) و أحاديث واردہ في ذلك فقد حكمنا بأن مرتبة السلطان العادل عند الله تعالى أعلى من مرتبة المجتهدين لأن نص آية أولى الأمر يؤيد وجوب اطاعة السلاطين و موافقتهم على رأيهم لا معارضته المجتهدين و السلطان أعدل و أفضل و أعلم بالله تعالى فإذا وقع الاختلاف في مسائل الدين بين العلماء و اختار السلطان أحد القولين لأجل تسهيل معاشبني آدم و صلاح حال أهل العالم فحكم به وجبت اطاعته على كافة الأنام و أيضاً إذا حكم بحسب اجتهاده بحكم لا يخالف النص لأجل المصلحة العامة فمخالفته هذا الحكم موجبة للسخط الإلهي و العذاب الآخرى و الخسارة الدينى و الدینی و ختم الجميع هذه التذكرة بخواتيمهم وبعد هذا أحضر مخدوم الملك و عبد النبي الصدر و أمرهما بختمتها و أمضيائهما بخطهما فختمتها و أمضيائهما بخطهما طوعاً أو كرها و كان ذلك في شهر رجب سنة ٩٨٧ من الهجرة المقدسة فلما كتب هذا المحضر شرع السلطان في اجراء ما يصلح

العبد شيئاً فاما مخدوم الملك و الشيخ عبد النبي بالسفر إلى الحج و عين العلماء المتعصبين قضاة في الأمكانية البعيدة وبهذا التدبير استراح الخلق من أضرار الأشرار و تفرغوا لأمور معاشهم و معادهم فإن السلطان يلزم أن لا يكون متعصباً و يلزم أن تكون الرعايا في ظله سواء فلما وصل مخدوم الملك إلى مكانة المكرمة كان ابن حجر صاحب الصواعق المحرقة حياً موجوداً في مكانة و باعتبار تناسبه مع مخدوم الملك في التعصب استقبله و احترمه كثيراً و فتح له باب الكعبة و كان ذلك قبل أيام الحج و باع مخدوم الملك شعيره باسم الحنطة فإنه كان في الصورة من أهل الدين و في الحقيقة من طلاب الدنيا فأخذ في ذم السلطان و الأمراء في المجالس و المحافل بسبب ما ناله حتى نسبهم إلى الارتداد عن الدين و الرغبة في الكفر فوصل ذلك إلى مسامع السلطان و الشيخ عبد النبي لما سمع بخبر بغي محمد حكيم مي رزا أخي السلطان أكبر شاه و فتحه مدينة لاهور عزم هو و مخدوم الملك على الرجوع إلى الهند طمعاً في الرياسة و حباً للجهاد فعادا إليها و وصلاً إلى أحد آباد كجرات فوجداً أن أكبر شاه بتمام الاقتدار فخافاه على أنفسهما و كان بعض نساء السلطان قد ذهبن إلى الحج في تلك السنة و عدن منه و وصلن أحد آباد فتوسلاً بهن ليشفعن لهما عند السلطان ففعلن و لما كان السلطان غاضباً عليهما أشد الغضب لسوء أفعالهما أظهر لنسائه أنه قبل شفاعتهن وأرسل بعض رجاله خفيةً للقبض عليهما ففعلوا فتوفى مخدوم الملك في الطريق فحمل محبوه نعشة خفيةً و دفونه و استخرج السلطان من داره أموالاً عظيمةً و حملها إلى خزانته. و أما الشيخ عبد النبي وبعد وروده حول إلى الشيخ أبو الفضل لمحاسبته فتوفي بهذه الأثناء و للعداوة التي بينه وبين الشيخ أبو الفضل أنهم بقتله و بقي الحال على هذا و الناس في أمان و راحة من التعصب على عهد جهانكير و في عهده شرع التعصب المذهبى في الظهور و اشتهر في عهد عالمكير (اورنك زيب)، هذا باختصار ما ذكره أحد المؤرخين الشيعةُ صاحب (سير المتأخرین)، وهذا المؤلف من المؤرخين المنصفين المعروفين بتراثهم لكننا ما تقدیرنا لما كتبه عن حادثة ابعاد علماء البلاط المغولي، نريد أن نستطلع رأي الجانب الآخر من طرفى الصراع، لا سيما إذا كان هذا المتحدث، و عن هذه القضية بالذات أحد شيوخ التعصب ضد الشيعة في هذا العصر و هو (أبو الحسن الندوى) و من يکفر الشیخ مبارک و أولاده و ينسبهم إلى الالحاد و الزندقة مع اعتراضه بأنهم كما يقول

أفضل وأعقل و أرقى نتاج للمناهج الدراسية المطبقة في ذلك العصر، و اسلوب البحث و التحقيق و التدريس، و العلوم و الثقافات المفضلة السائدة في عصرهم، و لو كانوا قد جمعوا إلى هذا الادراك الدقيق، و العقلية النابعة و القريبة الفياضة و القلم السيال و اللسان الذرّب الطليق - استقامه في الدين، و رسوخاً في الإيمان ... لكان لهم دور أى دور، و قاموا بما آثر جليلة .. إلى آخر ما كتبه في كتابه عن السرهندي ص ٨٢ و الاستقامة و الرسوخ في الإيمان اللذان شكك فيها الندوى كونهما من اتباع أهل البيت عليهم السلام الذين يدعى الندوى الانتساب إليهم!، لأنّ الجنة خلقت له و لإمثاله بس و هس و لس، و لهذا يستخدم اسلوب اللعن و التكفير كلما عنّ له ذكر أحد الموالين لأهل البيت أو الآخذين من بحر علومهم و فكرهم و هذا الداء المزمن في فكر الندوى و امثاله فرق المسلمين و شتتهم و آذن للناسية ان تتجم بقرونها على من أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً.

وللكلام الذي نقلناه اشباء كثيرة فيما ورد في كتابات الندوى و كم اتي هذا الناصبي فيها من آراء تتجاذب مع خلق العلماء و يتنافى مع الاسلام. فهو حين يتحدث عن فيروز تغلق (٧٥٢-٧٩٠) يتبااهي بأن هذا الملك اضطهد الشيعة و شتمهم في كتابه (فتوات فيروز شاهي) فهو ينقل عنه قوله مؤيداً له في هذا القول : «شرعـتـ الرـوـافـضـ فـىـ نـشـرـ عـقـائـدـهاـ الـبـاطـلـةـ وـ

دعوة الناس إليها و استعنوا في مهمتهم الواهية هذه بتأليف كتب و رسائل » إلى أن يقول فيروز تغلق «فأخذناهم باعمالهم المنكرة و عاقبناهم عقابا و أمرنا بحرق كتبهم على مرأى من الناس و مسمع حتى انعدمت هذه الطائفه عن بكرة أيها ».

و يعلق الندوى على ذلك قائلا:

«تبين من هذا ان الشيعه كان قد نجم قرنها في الهند في المائة الثانية للهجرة او قبلها، على انها ما انبت و ازدهرت و اصبح لها صوت مسموع في المجتمع الاسلامي إلّا في عصر همايون (٩٣٦ - ٩٦٣) هـ و بعده».

و يقول الندوى بعد ذلك في مكان آخر : «مات الملك (اكبر) و تولى ولده سليم و تلقب بنور الدين جهان كير . فاقتني اثر ابيه و حذا حذوه في عدم الاعتناء بالدين، بل زاد الطين بلة . في عصره بان تطاولت الشيعه باعنقه او تطلعت إلى تسلم زمام الامر و النهي في الملك

ص: ١٣٢

لمكانه حظيه نور جهان من قلبه، حتى ان كبير دعاء الرفض، نور الله الشوشتري (١٤١٠ / ٥ / ١٦١٩ م) عين رئيس لقضاء» ثم يعلق في الحاشية عند ذكر نور جهان: «يقال أنها هي التي كانت تسيير دفة الحكم و قوسس البلاد و جهان كير غارق في بحار الملذات، وكانت شيعه ذات جمال بارع و ذكاء مدهش توفيت سنة ١٥٥٦ / ٥ / ١٦٤٥ م.

و لا ندرى كيف يبيح الندوى لنفسه ان يسمى الزوجة (حظيه) فنور جهان كانت زوجة جهان كير . و مع كل ما يظهره الندوى من التعصب فان الله سبحانه يظهر على فلتات لسانه الكثير من الحق ما يدعم به موقفنا و موقف صاحب (سير المتأخرین) إتجاه علماء البلاط الذين مر ذكرهم من اساءوا الى الاسلام فى تصرفاتهم الهوجاء و وجهوا سهام حقدهم و ظلمهم للشيخ المبارك و اولاده و قبل ان يذكر الندوى رأيه فى مشايخه الاذى يستطرد بنقل تلك الحادثة التي ادت إلى ابعادهم معتدما على معاصرهم المؤرخ البدايوني [فى كتابه منتخب التواریخ ٢: ٢٠٣ - ٢٠٢، ٢٠٥]، و الذى صور علماء البلاط بريشه البارعة (كما يقول) هذا التصوير المثير:

كان (الامبراطور اكبر) يدعو العلماء و المشايخ، و الأشراف و الأمراء كل ليلة جمع ة إلى مصلحة فكان العلماء و المشايخ يتسابقون إلى المقاعد، و يتنافسون في الحصول على مكان أقرب إلى السلطان، فعالج السلطان هذه المشكلة، فأمر الأمراء بالجلوس في الجانب الشرقي، و الأشراف في الجانب الغربي، و العلماء في الجانب الجنوبي، و المشايخ في الجانب الشمالي، و كان السلطان يخرج عليهم في حلقة من خاصته فيبحث معهم المسائل و يتحقق فيها».

و يقول البدايوني: إن العلماء - ذات ليلة - بدأوا يرفعون أصواتهم في الجدال و المباحثة، فتکدر خاطر الملك، و اعتبر منهم ذلك سوء أدب، و تنافسا في الدنيا، و يقول:

«كادوا يتقاتلون بأسنة اللسان، و بلغ التفرق و الاختلاف بينهم حتى جعل بعضهم يكفر ببعضًا، و يضل بعضهم بعضاً، و انتفخت أوداجهم و ارتفعت أصواتهم، و كدر ذلك صفو خاطر السلطان».

و خاطب الملك الشيخ عبد القادر في غضب و تألم و تکدر بال، و قال : «أى عالم يخالف آداب المجالس، أخرجوه من هناك».

ص: ١٣٣

و كان الشيخ عبد الله السلطانفورى يحتل مكانة كبيرة في كبار أصحاب المناصب الدينية و كان لقبه و منصبه «مخذوم الملك» فأصدر فتوى عدم فرضية الحج على مسلمي الهند لحيلولة البحر، و عدم تحقق شرط من استطاع إليه سبيلا «حتى لا يتجمش هو مشاق السفر في الحج، و كان يستخدم الحيل «الشرعية»^{١٣} ، في إسقاط فريضة الزكاة، و يتخلص من أدائها كل عام، و قد اقتني في عهد الملك أكبر و في أوج و جاهته و شهرته أموالا طائلة، حتى عثر على عدد من الصناديق المملوءة ذهبا في المقبرة الخاصة بآبائه، و كان قد دفنتها بحيلته و شطارته مع دفن العوتي^{١٤} .

و كان يلى مخدوم الملك في المنزلة و الواجهة عند السلطان، و نفوذه الكلمة في البلاد «صدر الصدور» الشيخ عبد النبي، الذي كان يعد أكبر عالم في الهند، و من أهل الاختصاص في فن الحديث، و لكن تفيد بعض التصريحات الواردة في «منتخب التواريخ» أنه لم يكن عالي الكعب، راسخ القدم في العلم، و كان يجهل بعض الألفاظ العربية و لا يعرف صحتها من خطتها، و لم يقف على التحقيق فيها^{١٥} ، سلم إليه الملك أكبر منصب «صدر الصدور» و نال من الإجلال و الاحترام، و عظمة المكان و الجاه و السلطان، بحيث لم يكن لأى ركن من أركان الدولة أن يتقدم على يه، و يتغوه لديه، و قد قدم إليه الملك عليه أديبا و تواضا عده مرات، و كان كبار العلماء و الأعيان ينتظرون ساعات طويلة على بابه ليؤذن لهم بالدخول عليه، و كان بيده إجراء رواتب العلماء و المشايخ و شيوخ الطرق، و إعطاؤهم الأمالاك، و إقطاعهم الأراضي، و ضرب في ذلك أمثلة رائعة للأريحية و السخاء، و العطاء الكثير، مما لا يوجد له في الحكومات السابقة نظير.

ولكن العلامة عبد القادر - الذي كان صديقه و معاصره و زميله في علماء البلاط -

ص: ١٣٤

يصرح بأنه كان عاطلا عن الأخلاق الرفيعة، و تقاليد أسرته و خصائصها الطيبة، بل عن النقاقة العامة، و تقدير الظروف و المناسبات، و يمكن أن يكون هذا التغير في سجاياه نتيجة هذا المنصب السامي، فكان تأثير هذه الأخلاق المتجلية فيه على الملك و أركان البلاط تأثيرا سيئا، و يتهمه العلامة عبد القادر باستغلال سلطنته و نفوذه، و استخدام منصبه في الأغراض الشخصية، يقول:

«إنه اضطر الإقطاعيين الدينيين في طول الهند و عرضها أن يتربدوا إليه، و يتظروا فتح الباب لهم حتى لم يجد الوافدون عليه من هؤلاء الإقطاعيين بدا من أن يعطوا الرشوة لنواب الشيخ، و كناسيه و حجابه، و سواق أفياله و منظفي حماماته، فما كانت تتجز الأعمال إلا عن طريق هذه الرشوة».

^{١٣} (1) و هي أنه كان يعطي المال الذي يفرض فيه الزكاة زوجته أو بعض أقربائه قبل حلول الحول عليه، ثم يسترد فيما بعد، و يتخلص بذلك من فريضة الزكاة و هكذا يعيد كل عام هذه الحيلة إذ ان حلول الحول على المال شرط لوجوب الزكاة

^{١٤} (2) و يذكر انه اكتشف في هذه القبور لبنات من ذهب كانت قيمتها ثلاثة ملايين روبيه

^{١٥} (3) من ذلك خطأه في بعض الألفاظ البسيطة، فكان يقرأ (حجر) بتقليم الحاء بدل حجر بتقديم الجيم فيقول حمرا و القول للبدائيون.

كان لا يراعى الحال ولا يأخذ بالحكمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحسنة الدينية، حتى كان يواجه الملك أحياناً - بما لا يليق بشأنه ويعتبر من الخرق وإساءة الأدب، كما جاء في «آثار الأماء»:

«إن العلماء والمشايخ والأمراء كانوا يهنتون الملك بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاده، وكان الملك لا يسا - آنذاك - لباساً معصراً مصوغاً بلون الزعفران فاعتراض عليه الشيخ، وأكده عليه بتغيير هذا اللباس، وشدد في ذلك وتحمس حتى ارتفعت عصاه، وقع طرفها على ثوب الملك، وتحمل الملك منه ذلك، ولكن شعر بإهانته، ودخل قصره، وشكى إلى والدته ما لقى من الشيخ، وكانت والدته سليلة أسرة طيبة معروفة بالفضل والصلاح، فأهدأت ثائرة الملك وقالت أن احتماله هذه الشدة من الشيخ سوف يكتب في سجل مناقبه في التاريخ، وبروى أن عالماً من العلماء من رعية السلطان ضربه بالعصا، فصبر على ذلك وتحمله إجلالاً للشرعية وتعظيمها لها».

و كانت رزيقة أخرى - علاوة على ما تقدم - أن «مخذوم الملك» والشيخ عبد النبي، أصبحا عدوين متنازعين، فكان «مخذوم الملك» يرميه بالجهل، فينقسم نتيجة ذلك أتباعهما وخلفاؤهما في معاشرين متنازعين، ويقفون وجهاً لوجه.

ص: ١٣٥

أسرة الشيخ مبارك الناكورى العلمية الشيخ خضر بن موسى اليماني (٩٥٤ - ٨٣٤ هـ)

(١)

ص: ١٣٦

و على ضوء ما تقدم من سيرة «مخذوم الملك» والشيخ عبد النبي - يقرر الندوى ما يلى: «أنهما لم يكونا جديرين بتمثيل الدين الإسلامي تمثيلاً صحيحاً، وخلافة الأنبياء، وأداء رسالتهم في ذلك العصر الدقيق الحرج - عهد الملك أكبر - وفي تلك البيئة المعقدة الخطيرة - بلاط الملك أكبر - لا في العلم والثقافة، ولا في الفهم الصحيح للدين، ولا في هدوء النفس وسمو الأخلاق» و هكذا يتساوى الجنادل والضحية لدى الكاتب الندوى فلا آل المبارك مبرأون من الكفر والضلالة ولا مشايخه جديرون بتمثيل الدين وبهذا يتبيّن ان عقدة مركب النقص xelPmoc ytiroirefnI و مركب الاستعلاء xelPmoc ytiroirePuS اللذان اطلقهما الندوى على آل المبارك جديران به و لائقان على شخصيته المحبولة على معارضه العلماء و ظلم ذوى الاصل، ممن لا يرى رأيه.

و هنا ننتقل إلى ندوى آخر و لعله أدهى و أمر و هو (مسعود الندوى) وهو واحد من أعداء أهل البيت المجاهرين ببغض شيعتهم و لا يجد منها سبباً في كتابه (الدعوة الإسلامية في الهند) لذكر الشيعة إلّا و يردد و يزيد متهدداً متهوراً و هو يرى «دخول الشيعة في الهند مستظللة برأية المملكة المسلمة فتنّت عمياً و جرحاً على الوحيدة الإسلامية أشد و أنكى و من غيرها (كذا) - قال: و مازال يستفحّل أمرها و يشتند خطبها في العصور التالية حتى أصبحت من اعقد العقد استعصى على الحذاق و الدهاء حلها و أعيها تداويها النطاسيين العارفين بأدواء الأمة و آلامها » انظر كتابه المذكور ص ٥٦، وقد تعمدنا ذكر هذا النص من كلامه ليتبين مقدار حقده على الشيعة و لكونه أيضاً من المحسوبين على النفر الم تعصب الذين اتهموا آل المبارك بتأثيرهم على الأمير اطور اكبر فانحرف بزعمهم مع أن انهم ما جاءوا إلّا منقذين للامة من شرور ائمة السوء الذين

كانوا يحيطون بأكبر و يشوهون صورة الاسلام لديه اعني من مرّ ذكرهما من رؤوس علماء البلاط الاكبرى امثال عبد النبي الكنكوهي و مخدوم الملك الملا عبد الله السلطان بورى، فتعال معى و انظر بنفسك ما رأى صاحبها (مسعود الندوى) فى هذين البطلين و أنا اقل اليك كلامه بنصه عن علماء السوء هؤلاء كما سجله فى كتابه (ص ٦١ و ما بعدها) فاقرأ سيرتهم بقلم أحد المحسوبين عليهم و لا تعجب بعد ذلك لو القى هذا الكاتب الافاك تبعه جرائمهم على اسرة آل المبارك الطاهر و كان الأجرأ أن يشكرا جراء تصحيحها للمسار الخاطئ الذى انقض عرش المملكة الاسلامية المغولية من بلاء اسلافه من علماء البلاط الافاكين، قال و الكلام له من موضع كتابه المذكور.

ص: ١٣٧

علماء السوء في عصر (أكبر):

.. ان الملك [أكبر] نشأ على حب الاستطلاع - و كان اميا - فعقد مجلسا سماه بيت العبادة (عبادت خانه) و دعا اليه العلماء من كل طائفة من السنة و الشيعة و البراهمة و اليهود و النصارى و المجوس . و لما جرى الكلام بين يدى الملك و تجادلوا حول الحديث، ظهر له ان علماء المسلمين جامدون على ماورثوه من مشايخهم من مسائل الفروع، منقسمون في ما بينهم لا يكادون يتتفقون على شيء.

و لم يكن هذا الخلاف منحصرا في دائرة الفروع، بل و للأسف كانت آراءهم و مذاهبهم متضاربة و متشعبه في اصول الدين ايضا. و مما يسييل له القلب حزنا و دما من أمر علماء السوء اوئك، ان اول نزاعهم بين يدى الملك كان على تبوء المقاعد و الدنو من مجلس الملك، كل منهم يود ان يكون من الملك على قاب قوسين او ادنى . و لا يكاد يرضي ان يؤثر غيره عليه.

و لو كان لهم رأى و اباء في نفوسهم و شرف في خلقهم، لصبروا على أمر تا فه مثل هذا و لما بدوا لمن حولهم ما في نفوسهم من حب الدنيا و الانانية . و لما ارتفعت أصواتهم انكشفت سوءات أخلاقهم و علا صريحهم بين يدى الملك، الذي أمر باخراجهم من مجلسه و جعل يسىء الفتن بالدين الذي لا يعرف حملته حتى و لا آداب الجلوس و الأخذ بأهداب الكلام. و ما ظنك بالذين يقولون احدهم - و هو الحاج ابراهيم السرهندي - ان الشباب المصطبغة باللونين الاحمر و الاصفر، لا يأس بهما للرجال . ثم يقوم آخر منهم و هو سيد محمد مير عدل ^{١٤} - فيرد على الأول و ينكر عليه قوله و يشتمه بين يدى الملك شتما.

و جملة القول ان الشیوخ قد کفّر بعضهم بعضا و تبادلوا في ما بينهم الشتائم، فكان من ثمرات تنازعهم و جدالهم في ما بينهم ان الملك بدأ يجح شیئا فشیئا الى عدم التدین بدين الحق و أخذ يركن الى ما كان يلقنه نواب الطوائف الایخرى من آرائهما و معتقداتها المتضاربة.

ص: ١٣٨

^{١٤} (١) مير عدل، معناه رئيس العدل أو حارسه. و كان هذا لقبه الرسمي. و منصب مير عدل كان عبارة عن رئيس مصلحة الاحتساب الشرعي. و ذكر بعض المؤرخين ان مصلحة الاحتساب الشرعي قد فقدت بعدها و اضاعت حسن سمعتها بعد محمد الامروسي هذا.

و مما غض من شأن الدين و حط من كرامة أهله في عين الملك و حاشيته أعمال علماء السوء المزريء بالدين، و لا سيما رؤساؤهم أمثال عبد النبي الكنكوهي (ت سنة ٩٩٣ هـ) و مخدوم الملك الملا عبد الله السلطان بوري (ت سنة ٩٩٠ هـ) و من نحا نحوهما من أقرانهم وأحزابهم.

و عبد النبي هذا كان حفيداً للشيخ العارف عبد القدس الكنكوهي (ت سنة ٩٤٤ أو ٩٤٥ هـ)؛ و كان يعد من كبار العلماء والمحدثين في عصر اكبر. و بلغ من تكرييم الملك اياه انه كان يقوم له تجلة و اكراما كلما دخل عليه و يقدم له تعليمه اذا اراد الانصراف.

لكن هذا الرجل كان يقرأ الحديث النبوي «الحزم سوء الظن» دائمًا بالخاء و الراء (بدلاً من الخاء و الزاي). لما تولى منصب صدر^٧ الصدور، نفع في أولاده شيطان الغرور فجعل يتسمخ بأنفه و يتطاول على المساكين الذين كانت وظائفهم و أرزاقهم منوطه بالمصلحة الدينية، ففشت الرشوة و جعل المشايخ و العلماء من أصحاب الاقطاعات و لجرایات الشهرية يتربدون على باب «صدر الصدور» و يتوددون إلى نائبيه و خدمه و بوابه بتنوع من التزلف و الرشوة، حتى أصبحت المصلحة الدينية في عهده^٨ عاراً و سبة على المملكة.

و أما ثانى اثنين من كبار مشايخ العصر - و هو مخدوم الملك الملا عبد الله السلطان

ص: ١٣٩

بورى، فقد بلغ الغاية في حب المال و اكتناز الذهب و ادخاره و تجاوز الحد في تحريف الدين و تلقيق الباطيل، و ان تعجب، فعجب أنه أفتى بسقوط فريضة الحج^٩ لثلاثة يقول الناس ان مخدوم الملك لم يتشرف بزيارة بيت الله الحرام على ما به من نعيم الدنيا و الاموال الطائلة، و أدهى من ذلك و أمر انه كان يهب أمواله لزوجه قبل تمام الحول وكانت هي تهبه تلك الاموال نفسها من جديد بعد مضي ستة أشهر. فراراً من أداء الزكاة، كأنه أراد بحيلة الملعونة ان يخدع الله و رسوله، و هيئات ان ينال بغيته (و ما يخدعون الا انفسهم و ما يشعرون) (البقرة: ١٠) و لما توفي مخدوم الملك سنة ٩٩٠ هـ في أحمد آباد أمر الملك بداره في لاهور فحفظت و عين رجالاً خاصاً للتحقيق في أمر خزاناته و كنوزه، فانكشف التنصيب عن القناطير المقنطرة من الذهب و الفضة مما ينوه بحمله العصبة أولوا القوة.

و مما عثروا عليه من ذخائر كنوزه قبور مزورة اصطمعها لامواله و أودعها صناديق مملوئة بالذهب الخالص لثلاثة تصل إليه أيدي الناس. و لا يجترئ أحد على نি�تها، ظناً بأنها قبور للأموات من أهل بيته و أسرته.

^٧ (١) و لما احس الملك بان مصلحة صدر الصدور لا تؤدي وظائفها كما يرجي من مثلها من المصالح الدينية عقد العزم على التضييق من دائرة نفوذها فبدأ بتعيين ستة صدور في مقاطعات مختلفة لثلاثة تكون للصدر الواحد الكلمة في جميع البلاد. و ذلك سنة ٩٨٩ هـ / ١٥٦١ م ثم بدأ له بعد البحث و التنصيب ان الاقطاعات و الاراضي التي منحت للعلماء كانت اوفر بكثير من حاجاتهم: و ان رئيسهم عبد النبي، صدر الصدور هو الذي استبد من دون غيره بقسط عظيم من الاقطاعات و ملك من الاراضي ما لم يملكه أحد قبله، فاضطر إلى ان يدير الامر من جديد و جعل الامر تحت حوزته رأساً.

^٨ (٢) و من غريب أتعجب الدهر انه لما ساءت الملك اعماله و اغضبه الاعتداء على حقوق الناس نفاه إلى مكة المكرمة ثم رجع إلى الهند بعد قليل و شاهد ما آل إليه امر الملك من المزء بالدين فاحترا ذات يوم على ان يرفع عقيرته بالنكير امامه فلكلمه املك لكتمة بيده .. و في مثل ذلك عبرة من اعتبر. قتل بأمره سنة ٩٩٣ و هناك من يرى انه مات قبل لقياه أكبر - كما تقدم.

^٩ (١) و من صنع الله في حلقة ان لا يمضي يوم الا و قد اتي من العجائب ما يدهش له الناس و منها ان الملك أكبر لما ساء ظننا بعيد النبي و مخدوم الملك نفاهما معاً إلى مكة المكرمة ليأمن الناس شرهما لكثهما ظلاً يتنازعان في الطريق و في الحرم الشريف و ما استطاعا أن يمكنما بما أكثر من ثلاثة سنتين فرجعا معاً إلى الهند فذاقا و بالأمرها نفس ما عادوا إليه بعد النفي الذي يسر لهم التوبة و الرجوع إلى الله العزيز الغفور.

و من سيّات هذين «العلميين» من اعلام عصر اكبر انهم ما زالا يتنازعون في ما بينهما و يتجادلان بالرسائل و الفتوى، فربما يفتى احدهما بان الصلاة لا تجوز خلف خصمه، ثم يأتي الآخر بحيلة أخرى مثلها و يعارضه بها . و لذلك كان يدور بينهما الجدال و النزاع. يأتي هذا في الوقت الذي كان اكبر يرى فيهما أنهم أرسخ علماء وأطول باعا من الغزالى (المتوفى ٥٠٥) و الرازى (المتوفى ٦٠٦).

فلما رأى من أعمالهم و صنيعهم بأخوانهم و تنازعهم في ما بينهم ما رأى، جعل يشك في ما يروي من حسن سيرة من تقدم من أعلام الإسلام و الأئمة المعروفين بالصدق و النزاهة و اباء النفس.

١٢٠:

و الذى كتبناه عن ذينك الشخصين الكبيرين يصح فى أتباعهم ومعاصريهم ومن كانوا يتربدون على باب الملك و يختلفون إلى مجالسه.

و ان شئت ان أضرب لك مثلا، فدونك الحاج ابراهيم السرهدى «صدر» مقاطعة كجرات، أخذ بالارتشاء و عزل عن وظيفته. و كذلك «القاضي» جلال الدين الملتحاني زور مرسوما ملكيا ليكتسب به نصف مليون «نثكة»^{٢٠}.

قد قلنا آنفًا أن علماء السوء في عصر أكبر، هم الذين عليهم جل تبعه ضلالته و تتکبه عن محجة الحنفية السمحاء . وهذا مما اتفق عليه الجميع.

والأمر أشهر من نار على علم . و هاك ما يقوله بهذا الصدد الشيخ أحمد السرهندي (٩٧١-١٠٣٤هـ) : رأى أحد من يعز علينا في ما يرى النائم ان الشيطان الملعون جالس بهدوء و سكينة، لا هم له في تضليل الناس و غوايابهم، فاستفسر عنه الأخ - الأنف الذكر - عن ذلك. فقال - لعنة الله - ان علماء السوء في هذا العصر أنفسهم قائمون بهذه المهمة دوننا، فتحنن اليوم في غنى عن السمع فيها.

و مما لا مجال فيه للشك ان كل ما وقع من المداهنة والتخاذل في الاحكام الشرعية في هذا الزمان و ما ظهر من الفساد و الوهن، انما يرجع سببه الى «علماء السوء» الذين هم لصوص الدين و شر من تحت أديم السماء - اولئك حزب الشيطان، الا ان حزب الشيطان «هم الخاسرون».

و ذكر الاميني أنه بسبب تشيع المترجم له فقد كان ينافر المتعصبين ممن لم يكونوا على مذهبه لكنه كان يدعو الملك إلى جمع الكلمة و توحيد صفو المسلمين فكان من ذلك لمذهب أهل البيت عليهم السلام تقديم ظاهر و قصرت عنه عادية المرجفين قال: و قد نشأ نشأة راقية، و حوى علوماً جمّة على غضاضة من شبيبيت هـ و أخذ العلم عن أبيه فكان يؤلف له مختصرات في العلوم و يلقها إياه و قد افرغ هو و سعه للتعلم فحسب حتى نال من

١٢١

^{٤٠} (١) عملة من الذهب والفضة كليهما. كانت رائحة بهذا الاسم في عصر ملوك المسلمين بالمند. و اول من أجرها محمود الغزنوي (ت 421 هـ)، ثم تغير اسمها في عصر أكبر و سمي "مهر". دائرة المعارف الإسلامية: مقالة aknat الطعنة الانكليزية.

العلم مقامه الشامخ، و تسنم ذروته المنيعة، و حصل على جاه عريض عند العامة و خصوص الملك بعد أن عاثت في المملكة ايدي الدجالين، و عبث بها سماسة الأهواء لما خلى لهم الجو، على حين أن الملك المذكور تمكّن من عرش الملك على غرة منه و ميل مع سكرة الشباب، و لهنية العيش، فعمل القوم ما شاء لهم الهوى، و حدتهم اليه الشهوات، و بدت الضغائن، و اريقت دماء زكية، و هتك الحرمات، و شاءت الفتاوي المنكرة، لكن «المترجم» تمكّن بحكمته العملية و زلفته إلى السلطان من كبح جماح القوم و كلائه النفوس المحترمة و تفريح المفسدين إلى بلاد شاسعة و حرية المذهب غير أن المراجل كانت تغلّى عليه و القوم يرتطمون في حقدهم و غلوائهم حتى قتلها على التشيع (raghe nra سنكه ديو) بامر من (الأمير) جهانكير في غرة ربيع الأول سنة ١٠١١ بين قصبة (انتري) و محل القاتل المذكور خرج عليه مع لفيقه مناجزين له فثبت لهم الشيخ و احتمم النضال حتى استشهد رحمه الله بطعن الرمح و قتل معه رفاقه و قطع القاتل رأس الشهيد و أخذه إلى (الأمير) في (الله باس) فجزع له السلطان غاية الجزع و لطم وجهه و حكم باعدام القاتل و قتل ذويه و هدم دوره و عقاره.

و جاء في مجلة (الحقائق) الهندية ما ملخص معناه: انه الوزير الاعظم في القارة الهندية على عهد السلطان اكبر شاه قد احيا بغزاره فهمه آلافا من الشيعة الهندية و هداهم الى الصراط المستقيم و قد اشتبه امره على جمع و بهته بما هو براء منه من التصوف و غيره و يستفاد من تأليفه القيمة أنه كان رجلا دينيا روحيا من الفرقه الناجية الاثني عشرية و كان يعتقد في ليالي الجمعة بمحضر الملك المذكور نادي المناظره في المذاهب يجتمع فيه علماؤها و زعماء الملل المختلف ة و يقيم كل منهم براهين و ادلة على صحة مذهبه بزعمه و كان لشيخنا المترجم و أخيه الشيخ فيضي قصب السبق في المناظره و قد كتب المؤرخون جملة من تلك المنشآرات و من شدة عمله بالحقيقة توهّم بعض انه ليس بامامي كما صرّح به شمس العلماء مولانا محمد حسين المعروف ب (آزاد) في كتابه (دربار اكبرى) ص ٤٩١ و نص على ما يرمي به المترجم في مذهبه بعيد عن ساحته و لا يقتضيه غزاره علمه و يدل على صحة مذهبة ما كتبه إلى (خان خanan) في طريق تعليمه ابنه (ايوج) العلوم الدينية، و روى البعض قصة استشهاده بأنها كانت بأمر سليم (الذى عرف بجهان كير فيما بعد) ابن

ص: ١٤٢

الامبراطور اكبر، و كان سليم هذا مطرودا من أبيه بعد ثورته ضده في «اله آباد» فجاء إليه سليم بعد ذلك معتذرا و صفح عنه اكبر و في ذلك الوقت رجع ابو الفضل من الدكن و كان مستشارا للامير دانيال ابن اكبر و لما كانت بين ابي الفضل و سليم جفوة فخشى ان يحرض أباه عليه فأشار الى أحد اتباعه المسمى (راجا رام) والى (بندهيل كهند) أن يقتلها قبل ان يصل فقتلها سنة ١٠١١ - ١٦٠٢ م فغضب اكبر و حزن كثيرا، و انتقم من القاتل شر انتقام.

و في النّزهه قتلها راجه نرسنكه ديو أحد مرازبته اندجه بأمر جهانكير بن اكبر شاه حين مراجعته من أرض الدكن في غرة ربيع الأول سنة إحدى عشرة و ألف في أيام جلال الدين اكبر . فتأسف السلطان بمותו تأسفا شديدا و بكى عليه، و في تكمّله اكبر نامه لعنابة الله (مجموعة اليوت و داوس ج ٦ (ص ١٠٦، ١٠٧، ١١٣) تفاصيل عن مقتله و عن مبلغ الحزن الذي استبد بالامبراطور اكبر حين علم بمقتل وزيره و صديقه و شيخه أبي الفضل حتى اعتزل الناس أياما عدّة، ليصرّح من بعد ذلك بأنه ودّ لو كان هو المقتول مكانه، فتوابع العلماء على حد قوله لا يوجد بهم الزمان إلا في القليل النادر بخلاف الملوك إن صلحوا.

و أرخ لوفاته كثير من اليس، فمنهم الأمير الكبير عزيز الدين محمد الخان الأعظم، أرخ لوفاته من قوله :

«تَبَعَ اعْجَازَ نَبِيِّ اللَّهِ سَرِّ بَاغِيْ بَرِيد».

و في مطلع انوار: انه قتل في بلدة كوالياز في طريقه الى جهان كير و دفن في (انترى).

و في شهداء الفضيلة أن بين سليم والمترجم له عداوة سابقة و قتله على التشيع و من ذلك أنه : دخل (سليم) يوماً من الأيام دار الشيخ المترجم على حين غفلة منه فرأى اربعين كتاباً يستنسخون تفاسير القرآن المجيد فشبّت فيه نار الغضب و أمر بالكتاب و آلات كتابتهم أن تحضر عند الملك و شكر المترجم للسلطان و أخبره بالقضية و أعلمه أن الشيخ أبا الفضل يكتم خلاف ما يظهره و يبرز عندنا ما لا يوافق مذهبة و عقيدته، قال: و هذه القضية أيضاً مما يدل على صحة مذهبة.

ص: ١٤٣

و قد نشر رحالة هولندي يدعى دى لايit edirbhteL taeaL eD عاصر هذا الحادث بالهند تفصيلاً له ذكره الأستاذ E فى

weiver attacalac, tsIH naidnI fo stnemgarF ١٩٧٣

. و من مصنفاته المشهورة:

١ - «أئن اكبرى» و هو كتاب عجيب لا يكاد يوجد مثله كتاب في كتب الأخبار، ذكر فيه نظام السلطنة و آدابها في الأمور المالية و الملكية، و بيان اقطاع الهند و ما يختص بها من الحرف و النسل و غير ذلك، و ذكر فيه أموراً من عادات الهند و البراهيم في تقسيم الأزمنة و الساعات، و ضبط التواريخ و الأوقات، و اعتقاداتهم في ابتداء خلق الفلكيات و العنصريات من تقادم عهده إلى ما ينتهي من بعده (مطبوع) و سيأتي عرض شامل لهذا الكتاب النفيس كتبه الدكتور أحمد محمود السادس.

اعتماداً على القسم الثاني منه، في نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية.

٢ - و من مصنفاته المشهورة «أكبر نامه» و هو أيضاً كتاب كبير ذكر فيه أخبار ملوك الهند من أولاد تيمور كوركان إلى عهد جلال الدين أكبر، و قد خلط بينها الجليبي في كشف الظنون فذكر «أئن اكبرى» و وصفه بما يوصف به أكبر نامه و الآئن و كلاهما (مطبوع).

٣ - دفتر أبو الفضل و هو (مجموع الرسائل و المكاليم) جمعها ابن اخته عبد الصمد بن أفضل محمد التميمي الكبير آبادى في ثلاثة أجزاء، و هي متداولة في أيدي الناس يدرسونها في المدارس.

٤ - ترجمة حياة الحيوان الكبرى للدميري، ترجمة بالفارسية سنة ثلث و ثمانين و تسعمائة بأمر السلطان، و قال البدايوني في المنتخب إن هذه الترجمة لوالده المبارك عزاهما إلى ابنه.

٥ - ترجمة الإنجيل بالفارسية ترجمه نحو ست و ثمانين و تسعمائة بأمر السلطان.

٦- عيار دانش و هو ترجمة كليلة و دمنة بالفارسية الشائعة في ذلك العصر، نقله من الفارسية القديمة بأمر السلطان سنة ٩٩٦ (مطبوع).

٧- ديباجه رزم نامه - ترجمة ملحمة المها بهاراتا الهندوسية إلى الفارسية مع مقدمة (سنة ٩٩٥ هـ).

ص: ١٤٤

٨- رقعات ابو الفضل، مرتبه نور الدين محمد (مطبوعة).

٩- مناجات (أشعار فارسية سنة ٩٩٣) مطبوعة.

١٠- مكتبات علامى.

آயین أكبری:

من آثار أبي الفضل الأديبية التي بقيت لنا حتى اليوم كتاب «عيار دانش» و هو ترجمة بالفارسية الإسلامية رصينة الأسلوب لكتاب كليلة و دمنة عن الفارسية الدرية التي كان قد نقل بها هذا الكتاب عن العربية أبو المعالى نصر الله في القراءة السادس الهجري، ثم مجموعة من رسائله البليغة تشتهر باسم «مخاطبات علامى و رقعات شيخ أبي الفضل». هذا فضلاً عن مشاركته في تأليف «تاريخ ألفى» عن وقائع التاريخ في الألف سنة الأولى من الهجرة، و إشرافه على نقل بعض الكتب السنسكريتية إلى الفارسية، لسان الثقافة في الهندستان لوقته، على ما نشير إليه في التمذج الأول بالصفحات التالية.

على أن أعظم أعماله الأدبية التي أذاعت من شهرته هي مجموعة الموسومة بأكبر نامه.

و هي تنقسم إلى قسمين رئيسيين : فالقسم الأول منها تناول المؤلف فيه تاريخ أسرة تيمور منذ أول ظهورها على مسرح التاريخ ثم تأسيس الأمير التيموري ظهير الدين محمد بابر، جد أكبر، للدولة المغولية بالهند، و عهد ابنه همايون، و حكم أسرة شير شاه سورى. حتى إذا ما وصل إلى عهد سلطانه أكبر خصه بالقسم الأكبر من كتابه و فصل فيه الحديث عن ستة وأربعين عاماً من حكمه. و يقع هذا كله في ٣٨٦ ورقة (أى ٧٧٢ صفحة^{٢١}).

أما القسم الثاني من هذه المجموعة فهو الموسوم بـآயین أكبری، و هو كتاب قائم بذاته، و يقع في مجلدين بالأول ٢١٧ ورقة و بالثاني ٢٧٢ ورقة (أى ٩٧٨ صفحة معاً)^{٢٢}.

و يعد آயین أكبری هذا من أعظم ما كتب مؤرخو الهند المسلمين على الإطلاق. و لئن

ص: ١٤٥

^{٢١} (١) و هو مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٨- م تاريخ فارسي.

^{٢٢} (٢) و هو مخطوط في مجلدين بدار الكتب برقم ٥٥ تاريخ فارسي و هو المرجح في هذا العرض.

كان هذا الكتاب لا يعد في الواقع تاريخاً بالمعنى العام، فهو يعطينا على كل حال صورة مفصلة وواحدة لنظم حكومة أكبر ومجتمع بلاده إذ ذاك. والآيين اصطلاحاً، هو العادات والعرف والتقاليد والشائع و النظم، وهذا كله هو ما قصد به أبو الفضل من وراء تأليف كتابه هذا.

و يقع هذا الكتاب في خمسة أجزاء.

و يبدأ أبو الفضل في مقدمته هذه بشرح كلمة الملك و واجباته. فيقول في تفسير كلمة شاه، أي ملك، أن المقصود بها أصلاً التفوق على القرآن، و يبين أن هناك فارقاً كبيراً بين الحاكم الجدير بالملك الخادم لأمته و الحاكم الذي لا هم له إلا إشباع غرائزه و شهواته. فهو حين لا يتعلّق بأسباب القوة و الجاه و الثراء بقدر ما يجعل شغله الشاغل هو القضاء على الظلم مع إحقاق الحق في كل شيء على أكمل وجه، يتّبع على صنيعه هذا إشاعة الأمان في الناس و إقرار العدل بينهم و ذيوع الفضائل عندهم و تمكن الإخلاص من نفوسهم. في حين يؤدي تعلقه بمظاهر السلطان و التفاته إلى أغراضه الخاصة و مآربه فحسب إلى إشاعة الفتنة في الناس و انتشار الظلم بينهم و تسرب الخيانة إلى نفوسهم و انعدام الولاء عندهم.

و يرى من بعد ذلك أن الحاكم العادل لا بد و أن تتوفر فيه صفات أربع:

الأولى: أن يحب رعاياه كما يحب أبناءه، و بذلك يجد الناسطمأنينة و الراحة في عهده، و يستطيع هو بدوره أن يصل بحكمة إلى تحقيق أهدافه.

والثانية: أن يكون صاحب قلب كبير، رحب الصدر، يغلب عليه الحلم، شجاعاً لا يخشى في الحق لومة لائم، فلا يحابي مخطئاً لحسبي أو نسيبه، و لا يمل الاستماع إلى شكاوى الخلق أو يتوانى عن تحقيق أمانهم.

والثالثة: أن يكون على صلة وثيقة بربه يزداد اعتقاده فيه يوماً عن يوم و يؤمن قوياً بمشيئته في إبرام الأمور و قضائها و أنه هو الفعال لما يريد.

والرابعة: أن يوازن على تأدية الفروض و العبادات لا تلهيه عنها مفاتن الحياة أو تصرفه تصارييف الزمان و غيره عن ذكر الله، و يسعى على الدوام إلى ما فيه صلاح الناس و رضاء الله، و لا يتوانى عن إنصاف المظلوم.

ص: ١٤٦

و هو من بعد ذلك يسلك الناس في طبقات أربع كذلك:

الطبقة الأولى: هم رجال الجنديّة، و لهم في الكيان السياسي طبيعة النار التي تحرق ما تزرعه الفتنة من الخبث، و تضيئ ذلك مصابيح الطمأنينة في هذا العالم المضطرب.

أما الطبقة الثانية فهم أصحاب الحرف الحرف و التجار، و هم بمنابع الهواء، وبفضل أسفارهم و جهودهم تعم الناس نعم الله و تزدهر شجرة الحياة الموردة بنفحات الرضا و السادة.

أما الطبقة الثالثة فهم العلماء، وفيهم الفلاسفة والأطباء والمستغلون بالرياضيات والفلك، وهم بمثابة الماء. فيما تجري به أقلامهم و ما ينطقون به من الحكمـة يفيض نهر الحياة في هذه الدنيا القاحلة و ينتعش بستان الخلية أيمـا انتعاش.

و الطبقة الرابعة هم الزراع و العمال، و هم بمثابة الترى، فبكـدهم و جـدهم تنمو شجرة الحياة و تشيع القوة و السعادة في الناس.

لذلك وجب على الحاكم أن يضع كل واحد من هؤلاء جميعـا في مكانه اللائق به، فـفى تنسيق جـهود هؤلاء جميعـا معاً صلاح الدنيا و تقدمها.

ولما كان الكـيان السياسي لا يستمد وجودـه عنده من هذه الطبقات الأربع وحدـها فهو يرى لذلك أن الحكم بدوره لا يستكمل مـقوماته إلا إذا ارتـكز كذلك على طـوائف أربع:

الـطائفة الأولى: هـم رجال الدولة، و بنـقة السلطـان فيـهم و اعتمـادـه عـلـيـهم تـسيـر الأمـور عـلـى أـحـسن وجـهـ، و هـم الـذـين يـبيـعون أـروـاحـهم فيـ حـوـمة الـوـغـى بـعـدـ السـماـحـ . و عـلـى رـأـس هـؤـلـاء الـوـكـيلـ (كـبـيرـ الـوـزـراءـ) و هو نـائـبـ السـلـطـانـ فيـ إـدـارـةـ شـؤـونـ الدـوـلـةـ. و مـثـلـ هـذـا الرـئـيسـ يـجـبـ أنـ يـكـونـ مـمـنـ حـنـكـتـهـمـ التـجـارـبـ يـتـسـمـ بـالـحـزـمـ وـ الـحـكـمـ وـ سـعـةـ الـأـفـقـ، مـيـالـاـ إـلـىـ السـلـامـ، يـعـاملـ النـاسـ جـمـيعـاـ عـلـىـ قـدـمـ الـمـساـواـةـ سـوـاءـ فـيـ ذـكـ خـ صـومـهـ مـنـهـمـ أوـ أـصـدـقاـوـهـ، لـاـ يـلـقـ القـوـلـ عـلـىـ عـوـاهـهـ، مـتـمـرـسـاـ بـوـاجـبـاتـهـ، أـمـيـناـ عـلـىـ أـسـرـارـ بـلـادـهـ، يـرـىـ أـنـ وـاجـبـهـ قـضـاءـ حـقـوقـ النـاسـ، وـ يـبـذـلـ لـهـمـ الـبـشـاشـةـ وـ الـاحـتـرامـ مـاـ وـسـعـهـ ذـلـكـ حـتـىـ يـكـتـسبـ مـحـبـتـهـمـ جـمـيعـاـ.

وـ إـلـىـ جـانـبـ الـوـكـيلـ يـذـكـرـ أـبـوـ الـفـضـلـ طـائـفةـ مـنـ كـبـارـ موـظـفـيـ الـدـوـلـةـ وـ هـمـ بـمـثـابـةـ خـاصـةـ

ص: ١٤٧

الـسـلـطـانـ، كـحـامـلـ الـأـخـتـامـ وـ عـارـضـ الشـكـاوـىـ وـ مدـيرـ الـمـارـاسـمـ، وـ مـاـ يـنـبـغـىـ أـنـ يـتـوفـرـ فيـهـمـ مـنـ الـكـفـاـيـةـ وـ حـمـيدـ الـخـصـالـ.

أما الطـائـفةـ الثـانـيـةـ: فقد جـعلـ أـبـوـ الـفـضـلـ عـلـىـ رـأـسـهـاـ الـوـزـيرـ وـ يـعـرـفـ بـالـدـيـوـانـ . وـ هـوـ نـائـبـ السـلـطـانـ فيـ شـؤـونـ الـمـلـكـ، وـ يـشـترـطـ فـيـهـ أـنـ يـكـونـ قـدـيرـاـ فـيـ الـحـسـابـ مـقـتصـداـ مـنـ غـيرـ بـخـلـ، صـادـقاـ غـيـورـاـ فـيـ عـمـلـهـ.

وـ يـسـلـكـ معـهـ أـبـوـ الـفـضـلـ جـمـلةـ مـنـ كـبـارـ عـمـالـ الدـوـلـةـ كـالـمـسـتـوـفـىـ وـ الـخـازـنـ وـ الـمـشـرـفـ عـلـىـ مـصـانـعـ الدـوـلـةـ^{٢٣}.

وـ مدـيرـ الـشـؤـونـ الـمـالـيـةـ لـلـجـنـدـ وـ كـبـيرـ الـكـتـابـ.

وـ أـمـاـ طـائـفةـ الثـالـثـةـ فـهـمـ خـاصـةـ السـلـطـانـ . وـ هـمـ يـزـينـونـ الـبـلـاطـ بـأـنـوارـ حـكـمـتـهـمـ وـ غـيرـ عـلـمـهـمـ مـعـ مـعـرـفـتـهـمـ الـمـكـيـنـةـ بـطـبـائـعـ الـبـشـرـ فـضـلـاـ عـمـاـ جـبـلـوـاـ عـلـيـهـ مـنـ الـصـراـحةـ وـ الـأـدـبـ الـجـمـ.

وـ بـهـمـ تـشـرـحـ صـدـورـ الـبـشـرـ وـ تـزـدـهـرـ الـحـيـاةـ . إـذـاـ كـانـواـ عـلـىـ غـيرـ مـاـ ذـكـرـنـاـ مـنـ الصـفـاتـ اـمـتـلـأـتـ الـدـنـيـاـ بـالـشـرـورـ وـ اـجـتـاحـتـهـاـ الـمـصـائبـ وـ عـمـهاـ الـخـرابـ.

^{٢٣} (1) يـذـكـرـ كـثـيرـ مـنـ الـمـؤـرـخـينـ أـنـهـ كـانـ عـنـدـ أـكـثـرـ مـنـ مـئـةـ مـصـنـعـ ضـخـمـ لـلـنـسـيجـ وـ الـصـبـاغـةـ وـ الـأـسـلـحـةـ

و على رأس هذه الطائفة يقف الفلاسفة الذين ترقى بحكمتهم و مثليهم نواميس الأمة الأخلاقية . و تضم هذه الطائفة القدر (المفتى) و أمير العدل، و هو المنوط به تنفيذ الأحكام، ثم القاضي، و هو المنوط به سماع الدعاوى.

و أما الطائفة الرابعة فهم خدم السلطان، و هم إذا أحسنوا الخدمة كانوا بمثابة ماء الحياة للبدن، و إلا كانوا آفة و بلاء و مصدرًا لقدر العيش.

و هو بعد إذ يصرح أن هؤلاء جمِيعا إنما يستلهمون في أعمالهم ما أوتى سلطانهم من الحكم و رجحان العقل و علو الهمة، يعلن أن يخرج للناس على ذلك كتابه هذا و فيه يحاول أن يسجل فعاله العظيمة و مآثره العجيبة الـ تى تنبئ عن عظمته كسلطان.

و القسم الأول من كتابه، و يشتمل على تسعين آيناً، يتحدث فيه عن بلاط السلطان و خاصته، فيذكر لنا ما عند الباشا من أموال و كنوز و جواهر كريمة، و ما يجرى ضربه في

ص: ١٤٨

دار المسكوكات من العملات الذهبية و الفضية و التحاسية، و معايير كل نوع منها، و طبيعة المعادن التي تستخدم فيها . كذلك يتحدث عن حريم السلطان و مضاربه و اختاته و مراسيم الخدمة في البلاط، ليذكر لنا بعد ذكـر ثبتاً طويلاً بين فيه أنواع المحصولات المختلفة و مواسمها و أسعارها و العطور و طرق استخراجها، و مصانع النسيج من الحرير و القطن و الصوف و مبلغ اهتمام الباشا بتقدم العمل فيها . ثم يشير من بعد ذلك إلى الأيام التي كانت كثيرة . كما يكتب كتابة خير كذلك عن الألوان و طرائق تركيبها و مزجها، ليفرد بعد ذلك في كتابه باباً طريفاً ممتعاً يتحدث فيه عن الخطوط و تاريخها، مع الإشارة إلى كيلر الخطاطين، و حركة التأليف و الترجمة بالبلاط . و يختتم هذا الفصل بالكلام عن فن التصوير و ندواته التي كان يعقدها السلطان بالبلاط مع ذكر كبار النقاشين في عصره و رأى الباشا القيم في هذا الفن . ثم ينتقل بعد ذلك إلى بيان مختلف الأسلحة التي يستخدمها الجيش و صنوف دوابه، و منه الفيلة و الجمال و الخيول، و فصائلها و أنواع علفها و طرق العناية بها . كما يتحدث عن مبادئ المذهب الإلهي الذي ابتكره أكبر و مراسيم التحية فيه، و يختتم هذا القسم من الكتاب بذكر مواد البناء و أسعارها و أجور العمال المستغلين بها.

و في القسم الثاني من الكتاب، و يشتمل على ٣٠ آيناً، يتحدث أبو الفضل عن أقسام الجيش و قواته و قادته و نظمه و طرائق تدريبه، ثم يذكر لنا من بعد ذلك ما يقوم به الكتاب من أعمال في الدولة، و النظام الذي يقوم عليه توزيع الصدقات، لينتقل من بعد ذلك إلى وصف حفلات الأعياد و منها الاحتفال بوزن السلطان و الأمراء و أبنائه و أحفاده . و يجرى هذا الاحتفال مرتين في العام يوزن الواحد منهم عدة مرات في كل دورة بما يعادل تقله من الذهب أو الفضة أو المعادن الأخرى و الحبوب و الأقمشة و يبذل ذلك كله للفقراء صدقة . و هذا التقليد تمارسه اليوم معدلاً طائفة إسماعيلية بإزاء زعيمهم.

كما يتحدث كذلك عن نظم التعليم، و يفرد باباً يصف فيه حفلات الصيد و طعام الوحش و الحيوانات البرية، و فنون الرياضة التي كانت تمارس في عهده و منها لعبة «جوكان» التي كانت تنتشر في الهند انتشاراً واسعاً، و قد طورها الأوروبيون عندهم فيما

ص: ١٤٩

بعد فكانت الهوكى أو البولو. و لا يزال أبناء شبه القارة الهندية من باكستانيين، و هنود هم أبطالها في العالم حتى اليوم.

و يبدأ القسم الثالث: و هو يشمل على ١٦ آيناً، ببيان التقاويم المختلفة منذ عرفاً البشر حتى اليوم، و منها التقويم القبطي و التقويم الرومانى و التقويم المسيحي و تقويم يزدجرد و التقويم الجلالى الذى وضعه عمر الخيام لملكشاه السلاجوقى و التقويم الإلهى الأكبرى و يقارن بعضها بعض . ثم يذكر من بعد ذلك أصحاب المناصب الكبرى في الدولة و منهم القواد و أمراء العدل و القضاة و عمال المكوس و خزنة بيت المال و رؤوساء الشرطة و يفصل في ذلك ما يضطلع به كل واحد منهم من أعمال، لينتقل من بعد ذلك إلى الكلام عن إمارات الدولة و ولايتها و هي اثنتا عشرة : البنغال و معها أوريسة ثم بهار و الله آباد و أوده و آكرا و مالوه و دانداش (خاندش) و بدار و الکجرات و آجمير و دهلي و لاہور بالإضافة إلى إقليمي كابل و كشمير . و هو يذكر لنا في ذلك الأقسام الإدارية لكل ولاية و مساحتها، كما يصف موقعها الجغرافي، و ما يجري فيها من روافد و أنهار، و ما بها من المدن و الحصون و القلاع، و ما تغله من الحالات، و ما يحصل منها من أموال الخارج، و ما بها من قوات حرية من الفرسان و المشاة، و يقدم ذلك كله بمجمل يذكر فيه تاريخ كل ولاية من هذه الولايات منذ أقدم عصورها حتى وقت تأليف كتابه.

أما القسم الرابع: فيستهل بدراسة الفضاء و الأفلاك و البروج السماوية و مواقعها و النجوم و الكواكب و مسالكها . ثم يذكر من بعد ذلك أقسام العالم السبعه و ما يقع بكل قسم منها من الأقاليم و البلدان مع الإشارة إلى عرق السكان و الأجناس في تلك المناطق جيّعا . و ينتقل من بعد ذلك إلى الحديث عن الفلسفة الهندية فيذكر لنا أن بالهند ستين و ثلاثمائة من المناهج الفلسفية المختلفة، و أنه قد وقف على ذلك من أفواه رجال مختلف مدارس الهند الفلسفية و بطون كتبهم، و حصر تلك المدارس الفلسفية في تسع، ثمان منها تؤمن بالبعث و النشور و التاسعة تتذكر وجود خالق للكون و لا تعترف ببداية الخليقة أو نهايتها. و هو لا يكتفى بالإشارة إلى ذلك كله حتى يتحدث عن مؤسسي تلك المدارس و طرائقها في البحث و مبادئها و معتقداتها و يقارن بينها و بين ما عند غيرها عن الأمم الأخرى كاليونان و فارس . و يعدد من بعد ذلك فصلاً يتتحدث فيه عن الآلات الموسيقية

ص: ١٥٠

على اختلاف أنواعها، ليفضي إلينا من بعد ذلك بمجمل يذكر فيه من وفد إلى أرض الهند من مشاهير الأعلام و الغزاء مبتدئاً بقصة نزول آدم في جزيرة الياقوت (سيلان) و من ورد ذكرهم كذلك في أساطير الهند من الأبطال، إلى أن ينتهي بذكر الغزاة المسلمين وأولهم محمد بن القاسم الثقفي ثم الغزنويين و الغوريين من بعده حتى دخول تيمور الهند و قدوم بايه جد السلطان أكبر إليها، و يختتم هذا القسم بذكر الأولياء الذين عاشوا في الهند و الطرق الصوفية التي عرفتها تلك البلاد و يعودها أربع عشرة طريقة.

أما القسم الخامس من الكتاب فهو صفحات قليلة ضمنها أبو الفصل مأثور أقوال السلطان أكبر هي و حكمـاً كثيرة ينسبها إليه.

و يضم الكتاب جداول بيانية كثيرة و خرائط تخطيط مصارب السلطان و ما بها من طرقـات و دروب و ما يقوم بها من أسواق. و يزين المخطوط، الذي اعتمدنا عليه في هذا العرض، مجموعة كبيرة من اللوحـات الفنية الدقيقة المذهبـة تحـوى

أشكال الأسلحة المختلفة والدروع والرايات والبنو د فضلاً عن صور السروج الفاخرة والآلات الموسيقية والطبلول العسكرية. و منها ما يعرض علينا كذلك صوراً للدور الصناعي إذ ذاك و حفلات الاستقبال و المباريات الرياضية المختلفة.

و قد نقل بعض المستشرقين أجزاء من هذا السفر الضخم إلى لغاتهم . و الترجمة الوحيدة الكاملة التي ظهرت له هي التي بدأها المستشرق الإنجليزي H. J. terraB nnamhcol و أكملها S. H. ظهرت بكلكتا عامي ١٨٧٣ و ١٨٩١ م في مجلدين ضخمين يضمان ألفا و سبعمائة و اثنتين و خمسمائة من الصفحات، وقد أحق بها مجموعة من الصور تمثل جانباً كبيراً من لوحات المخطوط.

و ما يعيّب أبا الفضل في كتابه هذا هو أنه يجعل الباشا محور حديثه على الدوام، فكل ما يجري في الدولة عنده هو رهن مشيئته، وكل ما ينتهي إليه من نتائج و فعال هي جميرا مستمد منه . على أن هذا لا يقلل بطبيعة الحال من قيمة ما كتب و لا يبخس من شأن تلك المعلومات المفصلة الدقيقة التي ذكرها لنا عن نظم الدولة الإسلامية الهندية و طرق حكم تلك البلاد المتراوحة الأطراف، و ما بها من مصادر الثروة و مختلف الصناعات،

ص: ١٥١

و ما لأهلها من معتقدات و تقاليد، و ما اشتغلوا و يشتغلون به من مختلف صنوف المعرفة.

كتب ذلك كله في أسلوب يعد من أمثله النثر الفارسي بالهند و ينم عن علم واسع غزير و جلد في الدرس و البحث مكين شديد.

المصادر:

- مطلع انوار / ٦٠ - ٦٢، ترجمة آثار الامارات / ٢ / ٦١١ .
- دربار اكبرى / ٥٧٠، نكارستان فارس ١٣٤، منتخب التواريخ ٢ / ٢٠٢ - ٢٠٥ .
- شهداء الفضيلة ٢٠٩ - ٢١٢، السر الهندى / ٨٢ و ما بعدها.
- نزهه ٣٨ - ٤٨ رقم ٤٠٢، اعيان ٢ / ٣٩٩ - ٤٠٢ .
- طبقات اعلام الشيعة القرن ١١ هـ ص ٤٤١. نامه دانشوران ٢ / ٦٣٩ - ٦٦٢، مجلة الحقائق (الهند سنة ١٣٥٣ هـ)، سير المؤتأرين للطباطبائي. كتاب تراث الإنسانية (مقال للدكتور أحمد الساداتي).

أبو المكارم بن المبارك الناكوري (ولد ٩٧٦ - ١٥٦٨ م)

الشيخ الفاضل الكبير أبو المكارم بن المبارك الناكوري، أحد العلماء المبرزين في المنطق و الحكم، ولد في الثالث والعشرين من شوال سنة ست و سبعين و تسعمائة، وقرأ أكثر الكتب الدراسية على والده و بعضها على الشيخ فتح الله بن شكر الله الشيرازي الأستاذ المشهور، كما في «آئين أكبرى».

- نزهه ٥/٥ رقم.

[عبد الرحمن بن أبي الفضل بن المبارك \(٩٧٩-١٠٢٢ هـ / ١٤١٣-١٥٧١ م\)](#)

الشيخ الفاضل عبد الرحمن بن أبي الفضل بن المبارك الناكورى سماه جده الشيخ مبارك، أحد العلماء المبرزين فى العلوم الحكيمية، ولد لأنشته عشرة خلون من شعبان سنة

ص: ١٥٢

تسع وسبعين و تسعمائه، وقرأ العلم ولازم أباه، وخدم الدولة مدة حياته قام مقام والده الشهيد ١٠١١ هـ و ولد له ابن سنة ٩٩٩ سماه بشوتون. لقبه جهانكير بن أكبر شاه التيموري بأفضل خان، وولاه على إبالة بهار وأقطعه كوركهوبر، فصار صاحب العدة والعدد، ومات في سنة اثنتين وعشرين وألف.

- نزهه ٢٢٠ رقم ٣٣٢ طبقات أعلام الشيعة ٦/٣١٧.

[أبو تراب بن المبارك \(ولد ٩٨٨ هـ / ١٥٨٠ م\)](#)

الشيخ العلام أبو تراب بن الشيخ مبارك بن خضر المولود سنة ٩٨٨ هـ، ترجمته أخوه أبو الفضل في تاريخ أكبرى.

- طبقات اعلام الشيعه ٦/٩٢ (القرن ١١).

[عبد الله بن على الشيرازى \(القرن ١٠ هـ\)](#)

عبد الله بن على الشيرازى صفى الدين عين الملك، كان من العلماء المبرزين في الصناعة الطبية، أخذ عن والده الحكيم عين الملك وتقن عليه بالفضائل، وتروج باخت الشيخ أبي الفيض بن المبارك الناكورى وكان له ولد تسمى بمحمد.

[نور الدين محمد بن عبد الله الشيرازى \(ت بعد ١٤٢٨ هـ / ١٠٣٨ م\)](#)

الشيخ الفاضل نور الدين محمد بن عبد الله بن على الشيرازى الحكيم عين الملك، كان ابن أخت الشيخ أبي الفيض بن المبارك الناكورى، ولد ونشأ بأرض الهند، وقرأ العلم على خاله أبي الخير بن المبارك و على غيره من العلماء. ثم تقرب إلى شاه جهان بن جهانكير

ص: ١٥٣

الدهلوى فلقبه بعين الملك. له ألفاظ الأدوية في المفردات - صنفه في أيام السلطان المذكور سنة ثمان وثلاثين وألف، وله طب دار شکوهی - صنفه لدار شکوه بن شاهجهان، وله لطيفة فيضي - جمع فيه رسائل أخواله الشيخ أبي الفيض و أبي الفضل و أبي الخير، صنفه سنة خمس وثلاثين وألف.

(٤)

جهان كير نور الدين محمد سليم (٩٧٧ - ١٥٧٠ / ٥ ١٠٣٦)

هو الامبراطور نور الدين محمد سليم الملقب بـ جهان كير ولد يوم الاربعاء ٢٣ ربيع الأول بأكابر آباد، و امه من الراجبوت وهي بنت الراجا بهارط امل كجلاهي راجا جيبور . وقد لقت فيما بعد باسم (مريم الزمانى) و كان اسمه سليم سماه به والده على اسم الشيخ سليم بن بهاء الدين السيكروى، لأن الشيخ بشر به والده قبل ولادته و دعا له، فلما استقل بالملك يوم الخميس ١٤ جمادى الأولى سنة (١٠١٤ - ١٦٠٥ م) لقب نفسه نور الدين محمد جهان كير و كان له من العمر ٣٦ سنة و في بداية حكمه ثبت رجال القصر فى مراکزهم ليكسب ثقهم و اخلاصهم، ثم توجه للقضاء على تمرد ولده خسرو سلطان^٤ الذى كان قد اعلن العصيان فى لاھور مع جيش يزيد على ١٣٠ الف رجل، فارسل جهان كير اليه من القوى عليه القبض و فرق الجموع من حوله، وأتى بولده الى آكره فسجن بها حتى وفاته سنة ١٦٢١ م و فى راجستھان كان الراجا ران سنك متمردا ايضا فارسل اليه جيشا بقيادة مهابت خان فلم يوفق الى كبح جماح هذا المتمرد، فارداهه بجيش آخر او كل قيادته لولده خرم و ذلك سنة ١٠٢٣ - ١٦١٤ م فاستطاع أن يحاصره و يقضى على تمرده.

و في الجنوب كانت الممالك الإسلامية في الدكن تحاول قطع علاقاتها بالباطل المغولي، و وجدت في قلائد العسكري الحبسى (عنبر) بغيتها، فاستطاع هذا ان يفرج البعثات ال مسلحة المرسلة اليه لتأديبه فصمدت بفضل مدینة اورنک آباد، و مدینة أحمد نكر، ولم يهدأ لجهان كير البال حتى قضى عليه و على ثورته المسلحة بفضل ولده (خرم) ايضا و تم ذلك سنة ١٠٢٥ - ١٦١٦ م بما تحدثنا عنه تفصيلا في حديثنا عن المملكة النظامية شاهية.

قالت بيفردج:

ولم يكن (جهانكير) خلوا من الكفایات فقد كان يحب الطبيعة حبا صادقا كما كان ميلا إلى الإنصاف و لكنه كان سكيراً يتعاطى الأفيون، و لا يمتاز حكمه بأى مأثرة حررية أو مأثرة عامة اللهم إلا تشييده طریقا مظللا من آكره إلى لاھور . و قد استولى الفرس على قندهار في السنة السابعة عشرة من حكمه (١٦٢٢). و تسبب و هو أمير في مقتل أبي الفضل وزير أبيه، كما أنه انغمس في الشهوات لدرجة جعلت أكبر يفكر في تخطيه و جعل ولده خسرو ولی عهده . و قد خرج جهانكير أيضاً على أبيه، و لعل تراخيه و جبنه لا العاطفة البنوية هي التي حالت دون تحقيق مشاري عه. و كان جهانكير أسوأ من معاصره جيمس الأول ملك إنجلترا كما كان أقبح منه نشأة، و لكن ثمة تشابها عجيباً بين الرجلين.

فكلاهما يحب العلم و الصيد و كلاهما ضعيف الإرادة يخضع لسلطان محظياته كما أن في كل منهما شيئاً من الطيبة و حلاوة الشمائ. و كان كلاهما أيضاً يبغض التبع أشد البغض.

^٤ (١) "حسرو سلطان" أكبر أبناء جهانكير من زوجة ابنة راجا بمكون داس، ولد في لاھور عام ١٥٨٧. و كان خسرو أثيرا لدى جده أكبر، و لعله رغب في أن يجعله خليفة له. وقد حرج خسرو على أبيه في السنة الأولى من حكمه، و لكنه هزم و سجن و تأمر عليه مرة أخرى في افغانستان، و لكن كشف امره فسجين بقية حياته ما عدا فترة واحدة. وتوفي خسرو في أسير كمة بالقرب من برهانبور بالدكن عام ١٦٢٢، و الرابع أنه قتل على يد شاه جهان، و قامت أخيه بدن جشانه في خسرو باع عنده الله آباد أما ولداته داور بخش- أو بلاقي- و كرشاسب فقد قتلها شاه جهان عند اعتلاء العرش . انظر عمل صالح (و هو مخطوط): و مذكرات جهانكير، ج ١، ٢، في المجلة الآسيوية الملكية سنة ١٩٠٧ عن [بيفردج egdireveB H]

وقد بيّن ما كولى أن جيمس يشبه الإمبراطور كلوديوس Cuidual و هذا يؤدى بنا إلى القول بأن جهانكير كان يشتهر مع كلوديوس فى بعض الصفات . و لعل مما يؤسف له أن أكبر لم يسمح لولده و هو فى شبابه بالزواج من نور جهان . و لو حدث هذا لكان خليقاً أن يحدث فيه أثراً طيباً، صحيح أنه تزوج نور جهان بعد أن أصبح ملكاً و لكنه اضطر أن يسلك فى ذلك مسلكاً شبيهاً بمسلك داود مع أوريا فيدبر هلاك زوجها . و لم يعقب جهانكير من نور جهان ولدا فقد كانت فى واقع الأمر عالياً في السن عند ما بني بها . و كان لها ابنة من زوجها الأول . و كان لتعلق نور جهان بشهريار أصغر أبناء جهانكير و شجارها مع شاه جهان نتائج وخيمة على الهند وقد وصفت هذه الواقع وصفاً بلغاً في كتاب

ص: ١٥٧

«ماثر الأمراء» (ج ١. ص ١٣٣) في الإشارة الواردة عن أبيها غيات بك . و من أشهر الأحداث التي وقعت في عهد جهانكير وقوعه في الأسر و خلعه عن العرش على يد مهابت خان عام ١٦٢٦ وانتهى الأمر بان خلصته نور جهان من الأسر . و كان لجهانكير خمسة أبناء و ابنتان . و قد خرج عليه سلطان خسرو أكبر أبنائه في مستهل عهده و لكنه هزم و أسر و توفى في الدكن بعد أن طال سجنه . و كان سلطان برويز أميراً حلو الشمائل و لكنه ورث عن أبيه رذيلة الإدمان على المسكر ، و توفي قبل أبيه . و ثار سلطان خرم الذي عرف فيما بعد باسم شاه جهان في وجه أبيه و لكنه خضع آخر الأمر و خلف أباً . أما سلطان جهانكير الذي ولد وقت اعتلاء أبيه العرش ، و من ثم عرف باسم «سلطان تحت» (سلطان العرش) فقد كان معتوها منذ ولادته على ما يظهر ، و كان سلطان شهريار رجلاً تافهاً و لذلك عرف بأنه لا يحلى ولا يمر . و قد حاول أن يعتلي العرش بعد وفاة أبيه و لكنه قتل .

و هنا نتوقف لذكر بعض الحقائق التي ذكرها ديورانت عن هذا الامبراطور اذ قال أن جهان كير لم يكن متوسط القدرات و المواهب بقدر ما كان منحلاً قادراً، فقد ولد لأب تركي و أميرة هندية، و افتتحت الفرصة كلها التي تسنح لولي العهد، فانغمس في الخمر والدعارة، وأطلق لنفسه العنوان في التمتع السادي بالقصوة على الآخرين، وقد كان هذا الميل مجبولاً في فطرة أسلافه «بابر» و «همایون» و «أکبر» لكنهم دسوه دسا في دمائهم التترية، فكان يمتعه أن يرى الناس في سلخون أحياء، أو تنفذ فيهم «الخوازيق» أو يقذفون إلى الفيلة تمزقهم تمزقاً: و هو يروى لنا في «مذكراته» أن سائسه و طائفة من الخدم قدموا ذات يوم إلى ساحة صيده، و كانوا من عدم الحذر بحيث أدى ظهورهم هناك إلى فزع الطرائد التي كان يتربص لها في صيده، حتى أفلتت منه تلك الطرائد، فأمر بالسائب أن يقتل، و بخدم السائب أن تخلخل ركبهم فيعيشوا أعمارهم كساحراً، و هو يقول إنه بعد أن اشرف على تنفيذ أمره هذا «مضى إلى صيده»، و لما تأمر عليه ابنه «خسرو» جاء بسبعيناً من أنصار الماثور و أنفذ فيهم «الخوازيق» و صفهم صفاً على امتداد الشوارع في لاهور، و هو يذكر لنا في نشوء من السرور كم انقضى على هؤلاء الرجال من زمن حتى فاضت أرواحهم، و كان له حرير من ستة آلاف امرأة يرعين له حياته الجنسية لكنه فيما بعد انصرف إلى زوجة مفضلة، هي «نور جهان»، التي ظفر بها بقتل زوجها، و كان

ص: ١٥٨

يسود حكومته عدل محايده لكنه قاس، غير أنه إلى جانب ذلك قد أسرف في نفقاته إسرافاً أبهظ أمهـةـ كانت قد أصبحت أغنى أمـمـ الأرض طـراـ بـفـضـلـ ماـ أـبـدـاهـ «أـكـبـرـ»ـ فيـ سيـاسـتـهـ لهاـ منـ حـكـمـةـ،ـ وـ ماـ أـسـدـاهـ عـلـيـهـ أـمـنـ طـالـ أـمـدـهـ أـعـوـامـ كـثـيـرـةـ.

ولما دنا عهد «جهان كير» من ختامه، زاد الرجل انعماساً في خمره، وأهمل واجباته الرسمية في الحكومة، فكان من الطبيعي أن تنشأ المؤمرات لملء مكانه، وحدث فعلاً سنة ١٦٢٢ أن حاول ابنه «جهان» أن يعتلي العرش، ثم لما فاضت روح «جهان كير» جاء «جهان» هذا مسرعاً من الدكن حيث كان مختفي، وأعلن نفسه إمبراطوراً وقتل كل إخوته ليضمن لنفسه راحة البال، وقد ورث عن أبيه صفات الإسراف والضيق الصرد والقسوة، فأخذت نفقات قصره والرواتب العالية التي كان يتلقاها موظفوه الكثيرون تزداد نسبتها بالقياس إلى دخل الأمة التي كانت تتوجه لها صناعة مزدهرة وتجارة ناقفة، ومع تلك الصورة البشعة التي صور منها ديورانت هذا الإمبراطور يأتي المؤرخ المسلم السيد عبد الحفيظ ليصفه بما يلي:

يقول «كان جهان كير رحيمًا كريمه شاعرًا لطيف الطبع حسن المعاشرة ظريف المحاضرة حسن الصورة، سليم الذهن، باهر الذكاء، فصيح العبارة له يد بيضاء في التحرير والتحبير».

وبالرغم من أنه قد ذكر ادمانه للخمر فقد وصفه بالعدل وصحة العقيدة والدين وسماع الحديث الشريف أيضًا قال : «افتتح أمره بالعدل والسخاء وقرب إليه العلماء، وكان صحيح العقيدة خلافاً لوالده، وهو سمع الحديث من الشيخ محمد سعيد الهروي المشهور بمير كلان، وقرأ عليه شيئاً من العلم بأمر والده، وسمع أيضاً من المفتى صدر جهان البهانوي».

و لعله يزيد بلفظة (صحة العقيدة) رجوعه عن مذهب الشيعة، وعندي أن هذا الرجل الغليظ القلب لا يرعى حرمات الدين ولا ثمة خير في نسبته إلى أي مذهب من مذاهب الإسلام إذ أنه تعدى حرمات الله في كثير من الأحداث التي مرت في حياته وفي مقدمتها عدم رضا والده عنه وغضبه عليه لسوء تصرفاته وعصيانيه حتى وفاته، ومن الأفعال الشنيعة

ص: ١٥٩

التي سود بها تاريخه قتله العلامة أبي الفضل ابن المبارك والعلامة السيد نور الدين الشوشترى وتقريبه للمبشرين الجزوينيتين الذين قدموا مع المستعمرين البرتغاليين ومنحه الامتيازات للإنجليز في سورتو آكره وأحمد آباد وكان هذا الباب الضيق الذي عبروا منه إلى الاستيلاء على الهند، ومع كل ما اقترفه هذا الإمبراطور يقولون أنه كان مؤمناً وكان يحافظ على الشعائر الدينية ولا يرضي بالاستهانة بها، يقول عبد المنعم النمر، وهو من لا يتورع في كتاباته من اللعن والغمز والوقوع بالشيعة أينما ورد ذكرهم، يقول في تركته لهذا الطاغية «هذه التربية مع تأثير الشيخ سليم فيه قد وجهته غير وجهه أياً، فكان صحيح العقيدة في الإسلام يحترم العلماء ويكرهم «[الإسلام في الهند ٣٠٠]. أما الفتنة والاضطرابات على عهده فيحملها (عبد المنعم النمر) زوجته نور جهان (ص ٣٠٤) لكنها شيعية إيرانية لا غير، ويطيب للمتزوجين من أمثال هذا الكاتب أن يوقعوا في هذه الزوجية الشرعية التي أحبها وتزوجها زواجاً شرعاً أمام الملأ بل لا بد أن يكون أحد أسلاف من ينتقدونه من أولئك المشايخ قد قاموا بواجبهم في إجراء صيغة العقد الشرعي وأذوا ما يليق من الانحناءات أمام ولد الأمر حتى إذا كان جائراً!

وبالرغم من كل ذلك توصف هذه الزوجة المثالية القوية في شخصيتها والتزامها وتعلمتها توصف بمعشوقة السلطان لدى الشيخ عبد الحفيظ الحسني (نـ ١٢٢ / ٥) وتوصف بحظيرة السلطان لدى مسعود الندوى واعجب من ذلك أن الندوى هذا يعتبر عصر جهان كير من عصور الشيعة الذهبية مع ماعانوه من اضطهاد وقتل لعلمائهم فهو يقول عن جهان كير (ص ٩١):

فاقتفي نهج ابيه و هذا حذوه فى عدم الاعتناء بالدين، بل زاد الطين بلة بان تطاولت الشيعة باعناقها و تطلعت الى تسلم زمام الامر و النهى لمكانة حظيته (كذا) نور جهان من قلبه - و كانت تسير دفة الحكم و تسوس البلاد و جهان كير غارق في بحار الملاذات - وكانت شيعية ذات جمال بارع و ذكاء مدهش .. حتى ان كبير دعاء الروافض نور الدين الشوشترى عين رئيسا للقضاء «ثم يستشهد بقول ولی الله الدهلوى احد النواصب الذين اطالوا لسانهم فى سب السلف الصالح من اتباع مذهب أهل البيت (ع)، يقول عدو نفسه هذا: (و عظمت الفتنة و تولى جهان كير فرفعت الهنود رؤوسها، و نصبت الروافض

ص: ١٦٠

رؤوسها (كذا) وضيّعت الديانات» (تاریخ الدعویة الاسلامیة ص ٩١ - ٩٢).

و على عهد جهان كير تطلعت النواصب باعناقها للنيل من مذهب اهل البيت (ع) فكتب احمد بن عبد الاحد السرہندي الذى يسمونه بمجدد الالف الثاني كتب كتابا في التفرق و الفتنة بين المسلمين تحت اسم «رد روافض» بالفارسية دعا فيها كما يقول النواصب الى «ررق الفتق و ظهر الدين المبين في ارجاس الوثنية و نقى ثوبه الظاهر من ادران الرفض و الالحاد .. الخ، و لما حدثت الفتنة في البلاد طلب جهان كير هذا المفرق بين الجماعات الى قصره و عاقبه بالسجن في مدينة کوالیار»، و لا أدري ماذا يريد الندوی على تلك الفعلة الشنعاء، هل يطلب تكريمه أو الاحتفاء به مع ان واجبات الملك تحتم على السلطان العدل بين الرعية و نحن نحمل علماءسوء عدم اعتناء او لئک السلاطین بالدین و اهله لوقوفهم وقفۃ المتفرج الراغب في العطایا، و ان كل ما ظهر من الفساد في تلك الايام و حتى اليوم انما هو بسبب سوء اعمال علماءسوء و قبح سيرتهم و تهانئهم فهم في مثل هذه المواقف المخزية لصوص الدين لأنهم لا يتبعون الا التقرب الى الملك و الكرامة في اعين الناس و الكربلاء في ارض الله و بسببهم انتكست رأیة الاسلام و خفق لواء الكفر و عمت الفوضى الدينية.

نور جهان بیکم (ت ١٤٤٥ / ه ١٥٥)

اسمها مهر النساء و هي بنت اعتماد الدولة غیاث الدين بن محمد شریف الطهراني، انتقل والدها غیاث الدين من طهران إلى بلاد الهند بعد ما توفى أبوه محمد شریف سنة أربع و ثمانين و تسعمائة، فلما وصل إلى قندهار ولدت مهر النساء و جاءت مع والديها إلى فتحبور في أيام أكبر شاه التیموری و نشأت في مهد العفة و الطهارة، و تعلمت الخط و الحساب و فنونا أخرى، وكانت نادرة في الجمال فافتتن بها جهانکیر بن أكبر شاه، فلما علموا ذلك زوجوها على قلی الأصفهانی، تولى الملكة جهانکیر ولاه على بردون و لقبه شیر أنکن خان و ولی قطب الدين أخاه من الرضاعة على بلاد بنکاله، فلما وصل قطب

ص: ١٦١

الدين إلى بردون استقبله شیر أنکن خان و لكنه أساء الظن به فوق فیه و قتله ثم قتل، و كان ذلك سنة ست عشرة بعد الألف، فقبضوا على أهله و أمواله و أرسلوها إلى جهانکیر، فأراد أن يتزوج بمهر النساء فأبانت ثم رضيت فتزوج بها، فحببت إليه حتى ألقى بيدها زمام السلطة و لقبها نور جهان بیکم و أمر أن يضرب الدر衙م و الدنانير باسمها فضررت، و مما كتب على تلك العملة:

و كانت من خيار النساء حسناً و جمالاً و علماً و عقلاً، اخترعت أموراً كثيرة في الزينة واللباس والحلوي والأشياء العطرة، وكانت ماهرة بالرمي والفروسية والسياسة والتديير، دبرت لختتها شهريار بن جهانكير من بطن آخر ليوليه الملك بعده، ورغبت زوجها جهانكير عن ابنه خرم الذي دبر جهانكير بولايته بالملك بعده، فوقع الخلاف بينهما حتى آلت إلى الحرب، وتفصيل ذلك هو أنه كان لجهانكير أربعة أولادهم: خسرو، خرم، ولكن نور جهان كانت تخشى، وازدادت خشيتها منه بعد أن مات أبوها اعتماد الدولة، وزير جهانكير، وخلفه في الوزارة أخيه أصف خان، وكان لهذا الأخ بنت من أشهر بنات عصرها جمالاً وفتنة، وكانت مخطوبة للأمير خرم فأيقنت نور جهان أنه إذا ما تولى خرم العرش وكان سينقاد لامرأة ما فإنه لن ينقاد إلا لزوجته وستكون هي كمية مهملة إلى جانبها وهذا ما كان يزعجها ويقض مضجعها ولذا فإنها أخذت تباعد بين زوجها وابنه صاحب الحق وزوجت بنتها لها من زوج سابق، من الأمير شهريار ثم صارت تسعى لدى السلطان ليعهد إليه بالملك لتبقى لها سيطرتها على ابنته الملكة المقبولة وعلى زوجها الملك معاً.

وقد استطاعت أن تنفذ إلى قلب جهانكير فغاظ قلبه على ابنه خرم وشاعت هذه الأخبار في البلاد فخشى خرم بطش والده و خاف جهانكير عصياني ولده عليه، وصار كلما طلب خرم إلى أبيه الأذن بالرجوع إلى آكره يرفض جهانكير هذا الطلب خيفةً أن يستولي على العاصمة. وحدث أن زحف الإيرانيون سنة ١٦٢٢ إلى مدينة قندهار يريدون الاستيلاء عليها لأنها كانت موضع نزاع بينهم وبين الهند، منذ عهد أكبر، وكل من الفريقين يدعى بها، فأمر جهانكير ابنه خرم بالسير إلى قندهار لرد الإيرانيين فلم يجب طلب والده واحتاج بكثره للأمطار، فاستولى الإيرانيون على قندهار، وإذاء تلكر خرم عن تلبية أوامر أبيه وجدت نور

ص: ١٦٢

جهان ببابا عريضاً تلجه إلى قلب زوجها لتغره على ابنه، فتأثر جهانكير بقولها وأمر الجيش المرابطة في مالوى بقيادة خرم بالعودة إلى آكره وسار السلطان إلى لاھور لإعداد حملة لاسترجاع قندهار، وبينما هو في لاھور وإذا بالأنباء تأتيه مخبرة بأن ابنه آت بالجيش للاستيلاء على آكره، ولعل ذلك من دسائس الأعداء، لأن خرم لم يفعل إلا ما أمره به أبوه، أي برجمع الجيش إلى آكره، وبدهى أن الجيش لا يعود بدون فائدة.

ومهما يكن من أمر، فقد أزعج هذا النباً السلطان، وجهز جيشاً سيراً للقاء ابنه ومنعه من السير نحو آكره، فلم يأْلم خرم بمسير هذا الجيش أبداً أن يقاتل والده بل ترك جيشه وعاد وحده إلى الدكـن، ولكن عاد طريداً شريداً، وظل سنوات يضرب في البلاد فاراً بروحه من ولاة أبيه الذين كانوا يطاردونه، فلما ضاقت عليه الأرض بما رحبت عزم على الاستسلام لوالده وأرسل إليه أولاده رهينة وسـلم له القلـاع التي يسيطر عليها، وكانت الأمور تعود إلى صفائحه لولا وسوسـة نور جهـان. ويبدو أن وزير جـهـانـكـيرـ،ـ أـصـفـ خـانـ،ـ كانـ منـ أـنـصـارـ إـصـلاحـ ذاتـ الـبـيـنـ،ـ لأنـ خـرمـ شـاهـ هوـ زـوـجـ اـبـنـهـ،ـ فأـغـضـبـتـ سيـاسـةـ الـوزـيرـ أـخـتـهـ الـمـلـكـ نـورـ جـهـانـ فـحـرـضـتـ زـوـجـهاـ عـلـىـ عـزـلـ اـخـيـهـ مـنـ الـوـزـرـاءـ،ـ فـعـزـلـهـ وـعـيـنـ مـكـانـهـ القـائـدـ مـهـابـتـ خـانـ وـ هوـ مـنـ أـخـصـاءـ جـهـانـكـيرـ وـ أـتـبـاعـهـ الـأـمـنـاءـ،ـ وـ قدـ ظـنـتـ نـورـ جـهـانـ بـأـنـ الـوـزـيرـ الجـدـيدـ سـيـعـيـنـهـ عـلـىـ تـحـقـيقـ بـرـنـامـجـهـ،ـ وـ لـكـنـهـ لـمـ رـأـتـ أـنـ يـمـيلـ إـلـىـ الـأـمـيـرـ بـرـوـيـزـ غـضـبـتـ عـلـيـهـ أـيـضاـ وـ حـرـضـتـ السـلـطـانـ عـلـىـ عـزـلـهـ فـعـزـلـهـ وـ أـذـلـهـ وـ أـهـانـهـ،ـ فـكـتـمـهـاـ فـيـ

نفسه، حتى كان في يوم من الأيام، في سفر بمعية السلطان في جند قليل، تآمر عليه و سجنه، ولم يعد يسمح له بأن يمضي أمراً بغير مشورته لأنه رأى بأن نور جهان هي التي أصبحت تسيّر أمور البلاد على هواها وأنها سائرة بها إلى هاوية سخيفة في سبيل تحقيق رغبة قد تجرّ على البلاد بلا كثيرة.

ولم ينسِ مهابة خان إلى السلطان قط، بل كان يوفيه حقه من التعظيم والاحترام، ثم إن السلطان ذهب إلى كابل و من هناك استطاع أن يرفع عن نفسه هذا الحجر، فلما علم مهابة خان بالأمر فر إلى الأمير خرم.

و حدث بعد ذلك أن مرض السلطان فزع على الرجوع إلى آكره، فلما كان في طريقه إلى لاهور أصيب بنوبة حادة من الربو فواتحة المنية، لثلاثة بقين من صفر سنة ١٠٣٦هـ الموافق للثامن والعشرين من أكتوبر سنة ١٦٢٧م و كان مدته احدى وعشرين سنة و ثمانية أشهر و ثلاثة عشر يوما

ص: ١٦٣

و دفن بالقرب من لاهور على الضفة اليمنى لنهر راوی و الى جانبه قبر زوجته نور جهان.

و قد توفي جهان كير ساخطاً على ابنه خرم شاه كما كان أكبر ساخطاً على جهان كير و ما أن مات، سارعت نور جهان فنادت بصورها شهريار بن جهان كير ملكاً وأجلسته على سرير الملك ببلده لاهور.

و دبر أخوها آصف جاه الوزير لختن ه خرم بن جهان كير الحيلة فأعلن لولايته داور بخش بن خسرو بن جهان كير، فوق الحرب بينهما حتى دخل خرم بمدينة آكره و جلس على سرير الملك في جمادى الآخرة سنة ١٠٣٧هـ (١٦٢٨م)، و اجتمع معه آصف جاه و دفع فتنة أخيه نور جهان فاقعدت بلاهور، و وظف لها شاهجهان مائتي ألف تصل إليها كل سنة و لها أبيات رائقية بالفارسية، منها قولها:

دل کسی که بحسن ادا کرفتار است

نه کل شناسد و نی رنک و بو نه عارض

و كانت وفاتها سنة خمس و خمسين و ألف ببلده لاهور و لها اثنان و سبعون سنة، فدفنتها في حديقتها التي كانت قريباً من مقبرة جهان كير.

[جهان كير في ترکته الأدبية:](#)

خلف جهان كير كتاباً مهماً في سيرته الذاتية و سيرته ذكر مختارات منها تناول صوراً مختلفة من حياته و اسم كتابه هذا ترک جهان كير و هناك الكثير من الكتب المصنفة في أخباره و منها كتاب اقبال نامه لمؤلفه معتمد خان، و كتاب ما ثر جهان كير لمؤلفه مرتضى كامكار الملقب بعزت خان.

و لجهان كير نفسه كتاب آخر تحت اسم «بند نامه» بالفارسية ألفه لابنائه، كما انه امر الشيخ محمد بن الجلال الحسيني الكجراتى أن يترجم القرآن الكريم الى الفارسية وأن لا يباشر التصنع ولا يزيد على الترجمة اللفظية من جا نبه. و كان جهان كير شاعرا و من ابياته قوله:

از من متاب رخ که نیم بی تو
یکدل شکستن تو بصد خون برابر

ص: ١٦٤

و له:

جام می را بر رخ کلزار می باید
ابر بسیار است می بسیار می باید

و له:

ما نامه ببرک کل نوشتم
شاید که صبا باو رساند

(١)

ص: ١٦٥

صفحات من مذكرات الامبراطور جهانكير معربة من كتابه الموسوم «توزك جهانكيري»^{٢٥} irignahaj -ikuzuT

مطبعة نولكشور - لكهنوN sserP erohsik lawa مطبة نولكشور - لكهنوN sserP erohsik lawa آكره يوم الخميس فى الثامن من جمادى الآخرى سنة الرابعة عشر بعد الأنف و أنا فى الثامن و الثلاثين من عمرى، و كان لا يبقى لوالدى من الأولاد حيا إلى أن بلغ الثامن و العشرين من حياته، فكان يتوجه إلى الصالحين من عباد الله و يلتمس أوليائه ليدعوا له بولد، و قد عاهد نفسه و نوى أن لو رزق غلاما يحيى، يزور قبر معين الدين جشتى، منبع الأولياء فى بلاد

^{٢٥} (*) توزك جهانكيري " هي مذكرات شيقة لها قيمتها . و قامت الجمعية الأسيوية الملكية بترجمة المجلد الأول من هذه المذكرات و نشرت (لندن عام 1909). و ثمة نسخة أخرى منها و لكنها منحولة على تناولت في ذلك و نشرت الجمعية الأسيوية الملكية عام 1829 ترجمة المياحر براس ecirP rojaM aidnI الفارسي لهذه المذكرات في غازى بور عام 1863 ثم في عيلكوه عام 1864 و بهذا النص أحاطاء كثيرة . و قد ترجم جزء كبير من هذه المذكرات في المجلد السادس من كتاب lanruoj s'eoR samohT riS drawdE yrotsiH fo مؤلفه . و تحظى يوميات السير رو toiliE dnI ibiB . و كتاب قص بيته إشارات طرفة عن جهانكير . و هناك أيضا سيرة فارسية لحياة جهانكير كتبها كاتب سره معتمد حان و قد نشرت في dnI ibiB عام 1865 .

الهند، ماشيا على رجليه، قاطعاً مسافة مائة و أربعين فرسخاً من العاصمة آكره إلى مدينة أجمير بكل إجلال وإكرام . فولدت ظهيرة يوم الأربعاء في السابع عشر من ربيع الأول سنة تسعمائة و سبع و سبعين من الهجرة.

ص: ١٦٦

* وكان هناك جبل «سيكري» على مقربة من آكره، اتخذ سفحه الشيخ سليم مسكنًا له، وكان معمرًا مرتاضاً بلغ في الورع والصلاح ما بلغ، و التف حوله من أهالي سيكري كثير من الناس مسترشدين إليه، فلما سمع والدُّي عن الشيخ وعن كماله في أحواله، و كان في تلك الأيام أشد رغبة إلى الولد، أقبل على الشيخ ذات يوم و سأله مذهولاً : كم يكون لي من الأولاد، أيها العارف الجليل؟ فأجاب الشيخ:

إن الله يهب لك ثلاثة أولاد. فقال أبي: إنني نذرت أن أفوض الأول منهم إليك ليتربي تحت نظرك و عنديك. فتقبل الشيخ سليم مهنتاً و قال: قد جعلناه لنا سميَا.

* فلما حان أوان الوضع أرسل أبي، أمي إلى دار الشيخ في قرية سيكري فسمانى بعد ميلادى «محمد سليم» و لقبنى بالسلطان، و لكنه كان يدعونى محادثاً إبائى بالعطف و الحنان بـ «شىخو بابا» و جعل مولدى دار الحكومة متبركاً به . فبدلت أرض سيكري غير الأرض، و أنقذت غاباتها التي كانت تسكنها السباع والأسود، جنات و روضات، وأصبحت أحراشها و ميادينها التي كانت تتقلب فيها الوحوش و الحشرات مدينة ذات شوارع جميلة و مبانى ضخمة و تم كل ذلك في أقل من خمسة عشر عام. و سماها «فتح بور» بعد ما فتح كجرات.

* أول ما أمرت به أهالى مملكتى بعد جلوسى على عرشها، تعليق سلسلة العدالة لأطلع أنا بنفسي ما يشكو إلى المظلومون، عمال إدارة العدالة من الأهمال أو التحيز في القضاء عند ما حركوها، فأنتبه لصوتها فأقضى بينهم . فقتلت ليعملوا سلسلة من ذهب خالص تطول ثلاثين ذراعاً، تربط بسبعين أجراس و تعلق ما بين مشرف البرج الملكي للقلعة و عماد حجرى ينصب على شاطئ «جمنا».

* نهيت أخذ الجباية على الشوارع و الأنهر باسم «تمغا» و «مير بحرى»، وكذلك أمرت أن يقضى على كل ما فرض الولاية في جميع الولايات من ضريبة ليتنفعوا بها أنفسهم . إن الشوارع و الطرق التي تبعد عن المسكنات و اتخاذها اللصوص و القطاع مواضع لماربهم، إن كانت تقع على أراضي الدولة فليقيم عاملها بأمر بناء سرائي، و مسجد و حفر بئر على الأراضي المجاورة لها ليسكنها الناس و يعمروها و إن كانت تقع داخل حدود الولاية فليقوموا بأنفسهم بهذا الأمر.

ص: ١٦٧

* «لا تكشف رزمه بضاعات الناجرين على الشارع إلا أن يأذنوا له».

* و إذا مات أحد داخل حدود مملكتى سواء كان مسلماً أو غيره، فليؤدوا ما ترك ورائه من الأموال و الأمتنة إلى من ورثه، و لن يحول دون ذلك مأمور و لا موظف رسمي، فإن لم يكن له من يرثه فليوظف من يتعهد حراسة المت�كلات و يجمعها في بيت المال و تتفق فيما تأمر به الشريعة في مثل بناء المساجد، و السرائي، و الجسور، و حفر الآبار، و الحياض، و لا تصرف في صالح الدولة منها أبنة.

- * «و لا يخرجن أحد أحدا من داره ليتتخذها لنفسه مسكننا». *
 - * «لا يجدع المجرم ولا تقطع منه الأذن مهما كبرت جريمته. و إنى عاهدت الله أن لا أجزى أحدا بمثل ذلك». *
 - * «ليس لأحد من موظفى الدولة و لا من اصحاب الأرضى أن يأخذ أرض أحد من الأهالى عنوة فيزرعها مكانه». *
 - * «أمرت عمالي و ولاتى ألا يتصلوا باهالى ولا ياتهم برابطة القرابة و الزواج إلا بعد أن آذن لهم فى ذلك». *
 - * «تقام المستشفيات فى البلاد، و يوظف فيها الأطباء للتداوى، و ينفق على رواتب الأطباء و المستخدمين و مصاريف الأدوية و الأغذية للمرضى من خزانة الدولة. و لا يطالب الأهالى بشئ، و ذلك مثوبة لى من عند الله». *
 - * «نظرا إلى ضعف الناس و عجزهم، و خشية أن يدخل بعض من الجنود دور الأهالى قهرا فيضيقوا عليهم و يبسطوا إليهم أيديهم، و يلين القاضى و أمير العدل جوانبها للمعتدين، من أول يوم نزلت مدينة أحمد آباد، اجلس كل يوم مع شدة حرها و سموها، بعد الفراغ من صلوة الظهر، فى شرفه على جانب البحر ساعتين أو ثلاث ساعات، لا يحول بيني عنديز باب و لا جدار و لا حاجب و لا حارس، فأقضى بعد ما أسمع شكاوى المستغاثين فأجزى الظالمين بما عتوا و ارتكعوا . و ما خللت يوما حتى أيام ابتلائى بالوجع الشديد عن حضور الشرفة، ولو كان فى ذلك حرمانا لنفسى من الراحة و الهناء». *
- ص: ١٦٨
- * بفضل من الله و عونه اعتادت نفسى السهر، فلا تدع النوم ينهب متعة أوقاتى إلا ساعات أو ثلاثة ساعات كل يوم فى الغالب، فأقضى ما يبقى من أوقاتى فى الوقوف على أحوال الملك و ذكر الله تعالى.
 - * «(فى الطريق إلى كجرات) أمرت حرسى أن يتفقدوا من الأيامى و القاعدين المعذورين فى القرى المجاورة و يأتوننى بهم، لأنهم لهم العطايا يبدى فليست عندي عمل أجل و أفعى من هذا».
 - * «... و فى تلك الأيام أتنى امرأة أئيم تشتكى إلى الاعتداء و العنف من مقرب خان، فقالت إن مقرب خان أكره بنتى فأدخلها فى داره قهرا فى بندر كهمبات، و عند مطالبتي إياها يجيئنى بأنها ماتت موتها . فأمرت بالتفتيش و انكشف الأمر بعد جد و اجتهاد أن الجريمة كانت على يد أحد مستخدميه فجزيته، و أمرت بتنصيف مرتب مقرب خان و كرمت المدعية بالنصف لتعيش به».
 - * «... و لما تولت على مثل هذه الأنباء دعوت الشيخ بنarsi و غيات زين خان و غيرهما من الأمراء الذين قصرروا عن صيانة البلد، و تخلفوا عن حراسة القلعة، فلما حضروا أكره أمرت ليحلقوا رؤسهم و لحاظهم و يضربوا عليهم بالخمر فيركبوا على الحمير و يطوفوا بأزقة البلد و شوارع أسواقه».
 - * «... امتثالا للامر غرسوا الأشجار قبل ذلك على جانبي الشارع من آكره إلى نهر اتك، و أنسقوها بالصفوف، و كذلك من آكره إلى بنغاله، و الان أمرت أن ينصبوا على كل فرسخ علامه ميل و يحفروا على بعد كل ثلاثة أميال بئرا ليتمكنوا من العابرون».

* ... علمت أن على قلٰى خان استاجلوا ضرب قطب الدين خان بسيفه في الثالث من صفر ضرباً قضي به بعد ساعتين من الليل. و صراحةً الأمر أن على قلٰى خان هذا كان سفيراً لملك إيران الشاه اسماعيل، ففر من عنده إلى قندھار لأعماله الشيعية، و من قندھار إلى مستان حيث لقى خان خانان الذي استصحبه و أدخله غ ياباً في حاشية والدى، و على قلٰى خان أتى في هذا السفر بامور حسنة فاز لأجلها

ص: ١٦٩

بالمنصب المناسب، و استمر منخرطاً في سلك سيادة والدى حينما من الزمن . و لما قام أبي إلى الدكن (الهند الجنوبيّة) و أمرني أن أعد العدة لحرب «رانا» تعلق على قلٰى خان بحاشيته، فأكرمه و عزّزته بخطاب شير أفكن، (غالب الأسد)، و لما أقبلت على والدى من مدينة إله آباد، و كان لا يزال بي لسخطه علىّ و لا يكترث لشأني، اعتزل عنى أتباعى، و ضرب الكشح عنّى رجالى، فاقطع على قلٰى خان كذلك و تتحى، و لكن بعد جلوسى على عرش الملك، عفوت عنه بعاطفة المروءة و الاحسان و أوليته على مقاطعة بنغال و لكن و افتني من بنغال أنباء تصرح أن تعين أمثال هؤلاء المفسدين في تلك البقاع لا يستحسن و لا تحمد عواقبه، فكتبت إلى قطب الدين أن يبعث على قلٰى خان، و إن أبي أن ينقاد للأمر و طغى، يعاشه و يجزيه، كان قطب الدين خان يع رفه تماماً، فما وصل إليه بلاغى حتى قام و من معه من رجاله قاصدين مدينة بردوان، مركز ولايته، فلما بلغ على قلٰى خان ذلك خرج إليه يستقبله و معه من حراسه نفران، فأحاط رجال قطب الدين رجاله، و خلا به على جانب ليقرأ عليه البلاغ الملكي، فاغتنم على قلٰى خان هذه الفرصة و ضربه بسيفه ثلاث ضربات، فتقدم ابنه خان الكشميري بجرأة، و كان من الأمراء و كانت له صلة بقطب الدين خان فضرب رأس على قلٰى خان، و لكن أصحابه جراحةً شديدةً منه، فلما رأى ذلك رجال قطب الدين و ما أصحاب قطب الدين، هجموا على قلٰى خان و جعلوه جذذاً.

* «انحرفت صحتى في الثامن من شهر أ مرداد و ما زالت حتى أخذتني الحمى و الصداع، فلم أخبر به أحداً، حتى أطباقي، حرصاً على أن لا يحدث القلق و الانزعاج في البلاد و في الناس . استمر بي الحال كذلك، و ما كان أحد يعلم ما بي، إلا نور جهان التي هي أحب إلى من كل شيء!!».

* ذهبت إلى البناء الذي يحتوى على اضحة الحكام الخليجيين، و كان بينهما قبر ناصر الدين الذي وصم وصم العار إلى الأبد، فكنا نعرف أن هذا المنكود قد ارتقى إلى العرش باغتيال أبيه، فجرّعه السم مرتين، و استطاع أبوه في كلتا الحالتين أن يظهر آثار السم بترياق كان يحمله على ذراعه، و في المرة الثالثة مزج الإبن

ص: ١٧٠

٢٦

١٢٢٨٠ الشيعة في العصر المغولي؛ ص ١٧٠

^{٢٦} طبیعی، محمد سعید، الشیعه فی العصر المغولی، ١ جلد، أکادمیة الكوفة - هند، چاپ: اول، ١٤٢٧ هـ.ق.

قطرات السم بکوب من الشراب و قدمه إلى أبيه بنفسه ... و لما كان أبوه يعلم ما يبذله ابنه من جهود في سبيل التخلص منه، فقد نزع عن ذراعه التميّة و قذف بها أمامه، ثم أدار وجهه في خضوع و خشوع إلى عرش الخالق و قال : اللهم إني قد بلغت من العمر ثمانين عاماً أنفقتها في ازدهار و سعادة لم يتمتع بثلاهما ملك قبلي، و لما كانت هذه آخر لحظات حياتي، فأاضع إليك اللهم ألا تحول بين ناصر و بين قتلى، وأن تعد موتي أمراً من أمرك فلا تنتقم لي منه، وبعد أن فاه بهذه الكلمات جرع ذلك الكوب من الشراب المسموم بجرعة واحدة و أسلم روحه إلى ربه.

* و يضيف «جهان كير» و لما ذهبت إلى قبره (أى قبر ناصر) ركلته عدة ركلات.

* راجه نرسنک دیو، كان يعيش تحت إعتنائي، و كان شجاعا صالحًا، شرفته بمنصب ثلاثة آلاف، فازداد عندي قربة و درجة، لأن أبي كتب في أواخر عهده إلى الشيخ أبي الفضل في الدكن، يدعوه عنده، و هو من شيوخ الهند ذو فضل و رأي، و كان يضرم لبسوء، فخيل إلى أنه لو تيسّر له الوصول إلى والدى لزاد الطين بلة، و يكون عشرة في سبيلي و يعوقنى عن اللحاق بأبى، و حيث كانت ولاية نرسنک دیوت قع على ممر الشيخ، كتبت إليه أن يقتل الشيخ في طريقه، أنا له من المحسنين.

* اليوم يوم الجمعة الخامس والعشرون من الشهر، يوم زنة ولدى «خرم»^{٢٧}، و يوم بلوغه الرابع والعشرين من عمره، ولد له الأولاد و لم يشرب الخمر قط ! فقلت له في حفلة الوزن : بابا! صرت والد أولاد، و الملوك و أبنائهم، اعتادوا الشرب فأسيكي أنا اليوم يوم زنتك، و آذنك في أن تشربه في الأعياد و الحفلات الخصوصية، يوم نوروز على قدر الاعتدال، حيث لا يذهب عنك شعورك، إن ذلك ينفعك فقد قال أبو على، و هو من أحذق الأطباء . إن الخمر عدو للشلل الذاهل، و صديق للمتنبه الوعي، قليله ترياق و كثيره سم، ليس في كثيره ضرر قليل كما في قليله نفع كبير، ثم بالغت و ألححت حتى وضعت الكأس في يده!

* و أنا بنفسي ما شربته إلى الخامس والعشرين من حياتي، غير أن والدتي أوان صغرى

ص: ١٧١

سقنتي به مرتين أو ثلاث مرات ممزوجاً بماء الورد قدر «توله» دواء للسعال. ثم بعد ذلك يوماً من الأيام، و كانت جنود والدى على شاطئ نهر نيلاب في جهة اتك لازاحة ما أثار أفالغنة يوسف زئي من الفتنة و دفعها، ذهبت للصيد فتعجبت وراءه أشد التعب، فقال أستاد شاه قلي، و هو أحد الضباط لمدفعية عمى مرتا محمد حكيم : «لو شربت كاساً من الخمر لذهب عنك التعب و النصب كله». كانت الأيام أيام شبابي و لغزبي من الميل إلى مثل هذا، أمرت المامور على الماء - محمود آب دار - أن يذهب إلى الطبيب على، و يأتيه بشربة مكيفة، فأرسلني الطبيب من الكأس نصفه، أصفر اللون حلواً، في زجاجة صغيرة، فلما شربته أعجبت سكره، و بعد ذلك بدأت بالشرب مضيقاً كل يوم كميته، حتى لم أكدر سكر من خمر العنبر، فبدأت بالعرق و أزيد فيه يوماً إلى تسعه أعوام، كنت أشرب فيها عشرين كاساً من عرق مرتين - أربعه عشر في النهار و ستة الباقي في الليل . فزنة جميع ما كنت أشربه يومياً كلنت ستة «سيير»^{٢٨} من وزن الهند و سير و نصفه من وزن إيران و كان من طعامي تلك الأيام ديك بخبز و بقول . و لم يكن يستطيع أحد أن ينهاني، فاستمرت بي الأحوال،

^{٢٧} (1) خلف أبيه في الملك بلقب "الإمبراطور شاه جهان".

^{٢٨} (1) "سيير" واحد يساوى رطلين.

وانتهت إلى أنى ماكنت أتمكن من رفع الكأس لشدة الارتعاش فى يدى، فكان يسقينى غيرى، فدعوت الطبيب همام، و هو أخ و الطبيب أبي الفتح من مقربي والدى، و أخبرته بما أنا فيه . فقال رقة و إخلاصا بي : يا صاحب العالم ! العياذ بالله العظيم، قدر ما تشرب من العرق لو استمر بك الحال على هذا المنوال ستة أشهر لنعدى المرض حد التداوى، فتأثرت بما أظهر من التوجع و عواطف الخير، و جعلت أقصى ر و أقصى و صرت أتناول «فولانيا»، و ما قصرت فى الخمر أضفت فى فلوانيا، ثم بعد ذلك أمرت أن يقدموا إلى، حين يقدمون خمرا مزدوجا بالعرق جزئين من الخمر و جزء من العرق، و هكذا أقصرت يوما فيوما، حتى أنهى الأمر فى سبعة أعوام إلى ستة كؤوس، و كل كأس كان يوازي ثمانى عشر مثقال، و لا أزال أشرب هذا القدر منذ خمسة عشر سنوات حتى اليوم، لا أزيد و لا أقصى، و أشرب فى كل ليلة إلا ليلة الخميس، لأن يومه يوم

ص: ١٧٢

جلوسى المبارك، و ليلة الجمعة لأنها ليلة مباركة، و لا أبغى أن تنقضى و أنا فى غفلة من الله و الشكر على نعمائه، و لا أكل من اللحم فى يومين - يوم الخميس و يوم الأحد . أما الأول، فلأنه يوم جلوسى و الثاني لأنه يوم ميلاد أبي، و كان يجعله و يحترمـه . ثم بعد ذلك عوضت أفيون عن فلوانيا، و اليوم أنا فى السادس والأربعين و أربعة أشهر من عمرى على حساب السنوات الشمسية و السابعة و الأربعين و تسعة أشهر على حساب السنوات قمرية آخذ من أفيون ثمانى «رتيات» فى النهار بالساعة الخامسة، و ستة «رتيات» بعد أن تنقضى ساعة من الليل.

* خطـر بيالى مرة وضع قائمة لمصيـدى كلها منـذ ما بدأـت بالصـيد إلى اليـوم، فأـمرـت بـذـلك مـسـجـلـى الأـحوال و كـاتـبـى الأـخـارـ، فـوضـعوا قـائـمـة، عـلـمـتـ بهاـ أـنـهـ قـدـمـ أـمـامـيـ منـ المصـائـدـ ثـمـانـىـ وـ عـشـرـونـ أـلـافـ وـ خـمـسـائـهـ وـ اـثـنـانـ وـ ثـلـثـونـ رـأـسـاـ منـ الـحـيـوانـاتـ، مـنـهـاـ سـبـعـةـ عـشـرـ أـلـافـ وـ مـائـةـ وـ سـبـعـ وـ سـتـونـ رـأـسـاـ مـنـ مـصـائـدـىـ المـخـتصـةـ بـيـ، فـيـهـ ٨٦ـ مـنـ الـأـسـدـ، وـ الدـبـ، وـ النـمـ، وـ غـيـرـهـاـ مـنـ السـبـاعـ، وـ ٨٩٩ـ مـنـ بـقـرـ الـوـحـشـ، وـ ٣٥ـ مـنـ الغـزالـ، وـ ١٦٧٠ـ مـنـ الـظـباءـ وـ الشـورـ وـ الـوـحـشـ، وـ ٢ـ مـنـ الـكـبـشـ وـ الغـزالـ الـحـمـرـ، وـ ٢٢ـ مـنـ الـوـعـلـ، وـ ٢٣ـ مـنـ الـأـرـنـبـ، وـ الـعـصـافـيرـ، ٩٦٤ـ، ٩٦٤ـ، ١٣ـ، ٣٤٨ـ، مـنـهـاـ ١٠ـ مـنـ الـحـمـاماـةـ، وـ ٢ـ مـنـ الـحدـأـ وـ ٣ـ مـنـ الـبـازـىـ، وـ ٣٩ـ مـنـ الـبـومـ، وـ ٢٥ـ مـنـ الـقـمـرـىـ، وـ ٩٧ـ مـنـ الـبـطـ، وـ ٢٧٦ـ، ٣ـ مـنـ الـغـرابـ، وـ ٧٠ـ مـنـ التـمـسـاحـ.

* قـامـ بـابـاـ حـسـنـ الـأـبـدـالـىـ بـعـلـمـ الـاحـاطـهـ وـ السـيـاقـ، فـدـخـلـتـ فـيـ المـحـاطـ منـ الغـزالـ الـحـمـرـ السـبـعـ وـ الـعـشـرـينـ، وـ مـنـ الـبـيـضـ ثـمـانـىـ وـ سـتـينـ . وـ فـرـمـيـتـ أـنـاـ تـسـعـ وـ عـشـرـينـ غـزـالـ، وـ رـمـيـاـ كـذـلـكـ بـرـويـزـ وـ خـرمـ مـنـهـاـ الـعـدـيدـ، وـ بـعـدـ ذـلـكـ أـجـازـواـ النـدـمـاءـ وـ الـمـأـمـورـينـ وـ الـخـدـمـ أـنـ يـصـيـدـواـ . فـكـانـ خـانـ جـهـانـ مـنـ أـرـمـىـ الـمـصـيـبـينـ هـدـفـاـ فـأـوـقـعـ بـكـلـ رـمـيـةـ غـزـالـ، وـ لـمـ يـطـشـ لـهـ وـ لـاـ سـهـمـ .

* فـيـ الـحادـىـ وـ الـعـشـرـينـ عـلـىـ بـعـدـ ثـلـاثـةـ فـرـاسـخـ مـنـ قـلـعـهـ رـهـتـاسـ، أـحـاطـواـ الـمـصـائـدـ تـحـتـ إـدـارـهـ هـلـالـ خـانـ، كـانـ اليـومـ لـنـاـ يـوـمـ نـجـاحـ فـقـدـ صـدـنـاـ مـائـىـ غـزالـ، وـ اـسـتـصـبـحـتـنـاـ فـيـ هـذـاـ الصـيدـ مـنـ بـعـضـ الـكـرـيمـاتـ، ثـمـ جـعلـوـاـ مـنـ مـضـافـاتـ «ـرـهـتـاسـ»ـ مـحـاطـاـ فـيـ الـرـابـعـ وـ الـعـشـرـينـ، وـ قـدـ حـضـرـتـهـ أـخـواتـىـ وـ أـخـرىـ مـنـ السـيـدـاتـ الـمـحـترـمـاتـ،

ص: ١٧٣

وـ فـزـنـاـ ذـلـكـ اليـومـ بـمـائـهـ غـزالـ».

* «في السابع أخبر الصيادون بأربعة أسود، فقمت إليها و معى النساء، و استأذنتي نور جهان^{٢٩} ، بعد ما رأت الأسود، فأذتها فأسقطت أسددين، و ريشما نحن كذلك إذ أطلقت على الباقيتين و اردهما بظرفة العين، لم يسبقني من الاصطياد مثل هذا، و ما رأيت إطلاق الرصاص من الهودج وإصابة من غير خطأ، فان الهودج ينصب على الفيل، و الفيل لا يقيم ساكنا عند ما يشعر بوجود الأسد على مقربة منه، بل لا يزا ل يتحرك، فطربت بذلك، و أنعمت على نور جهان بألف أشرفى، و بسوار مرصع من الألماس، بالغ ثمنه مائة ألف أشرفى».

* أتوا في تلك الأيام بطير من ولاية زير باد. كان لونه كلون «طوطى» و كان أصغر جثة منه. و من إحدى مزاياه أنه عند ما يقبل الليل. ينوط رجليه بفرع أو بخشبة تتصب لجلوسه، فيبيت معلقا مقلوبا مغرودا بالنغمات طول الليل، و يستوى على الشجر عند ما يطلع السحر، و لا يغترف من الماء شربة أبدا، فان الماء يفعل به فعل السم بالحياة!.

* «أهدى نجل الملك داور بخشأسدا ألف بشاء . فكانا في قفص واحد، و كان الأسد يعاشرها معاشرة الحب و الوداد، فياخذها تحت جنبيه و يتحرك حركات الحيوانات عند السفاد، فأمرموا أن تتحجب الشاة عنه ففز ذلك على الأسد و اشتد قلقا و اضطربا!».

* «أتاني مرتسم بذئب صاده، فأردت أن أعلم محل مرارته، هل هي داخلة الكبد كما في الأسد، أو هي خارجة عنه كما في غيره من الحيوان، فيبان لي بعد الفحص أنها داخلة الكبد».

* «أروني تمساحا طوله ثمانى أذرع و عرضه ذرع واحد».

* «أهدى راجه نرسننگ ديو، نمرا أبيض، و عندي في قاعة الحيوانات من الطيور و الدواب البيض ما شاهدت كثيرا، و لكنى ما رأيت قبل ذلك نمرا أبيض. تكون

ص: ١٧٤

الوصمات و النقاط للنمر سوداء و لكن في هذا الأبيض رأيت الوصمات زرقاء.

و عندي من الطيور البيض الشاهين . و الهاشة، و الصقر و العصفور، و الغراب و السلوى، و الطاؤس . و هذه الضباء السود لا تجدها إلا في بلاد الهند».

* و سمعت من الصيادين المعمرين أنه تتولد في قرن الكبش البري دودة تسبب الحكة، و تدفعه يزحف و يحارب، فان لم يوجد كبشا يعاركه، يدق برأسه شجرا أو حجرا و يقع به ليختف عن ألمه . فلما فحصت عن ذلك وجدت الدودة في قرن الأئنى و هي لا تحارب و لا تتصادم فلعلت أن ما يرونون لا أساس له.

* «في تلك الأيام أتاني دوريش من سرنديب، كان عنده من الحيوان أنواعا و أصنافا منها حيوان رأيت وجهه و صدره كوجه الغنم، و صدره و هيئته كهيئه القرد من غير ذنب، و كان يتأتى بأعمال القردة السود، فنظرنا لندرته أمرت المصورين أن يرسموه و يصوروا هيآتها المختلفة».

^{٢٩} (1) زوجته التي احباها أكثر من كل شيء في الحياة، وكانت حلقة بذلك.

* «وَضَعْتُ أَمَامِي فَيْلَ أَنْثَى، وَقَدْ سَبَقَ مِنِّي الْأَمْرُ بِفَحْصِ مَدَهُ الْحَمْلِ، فَأَخْبَرُونِي بِأَنَّ الْفَيْلَ تَضَعُ أَنْثَى فِي ثَمَانِي عَشَرَ شَهْرًا، وَتَضَعُ الذَّكْرُ بَعْدَ عَامٍ وَّتِسْعَةً أَشْهِرًا».

* «أَمْرَتْ بوزنِ أَكْبَرِ الْمَعْزِ فَكَانَ ٢٤ مِنَا وَ ٢٤ سِيرَا. وَ وزَنُوا حَمَاراً وَحْشِيَا، وَ كَانَ أَقْوَى جَنْسِهِ جَثَّةً، فَعَادَلَ ٩ مِنَا وَ ١٦ سِيرَا».

* «مَا رَأَيْتُ فِيمَا صَدَتْ مِنَ الْأَسْوَدِ إِلَى الْآنِ أَسْدًا كَبِيرًا ذَا رَوْعٍ، مُتَنَاسِقُ الْأَعْضَاءِ كَهَذَا . فَأَمْرَتْ أَنْ يَصُورُوهُ كَمَا هُوَ بِوَصْفِهِ، وَ كَانَتْ زِنْتُهُ ٢٠ ١/٢ مِنْ جَهَانِكِيرِي».

* «كَتَبَ جَدِيُ الْمَلْكَ بَابِ رَحْمَةِ اللَّهِ وَ جَعَلَ الْجَنَّةَ مَثَوَاهُ فِي أَحْوَالِهِ بَعْضُ الصُّورِ لِلْجَيْوَانَاتِ، وَ ذَكَرَ مِنْ أَشْكَالِهَا وَ هِيَآتِهَا، وَ لَكِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْ لِيَصُورُوهَا، وَ إِنِّي حِيتَ أَرَى هَذِهِ الْحَيَاةِ وَانَّاتِ ذَاتِ غَرَابَةٍ، لَمْ أَقْتُنْ بِالْكِتَابَةِ عَنْهَا، وَ أَمْرَتَ الْمُصَوِّرِينَ أَنْ يَرْسِمُوا تَصَاوِيرَهَا، فَيَتَعَجَّبُونَ بِرَؤْيَتِهَا، وَ يَدْهُشُونَ أَكْثَرَ مَا يَسْمَعُونَ عَنْهَا وَ يَقْرُئُونَ».

وَ لَعْلَهُ بِالْتَّصْوِيرِ:

كان جهانكير مغرماً بال تصاوير والمصورين، فكان يقدرهم أحسن تقدير و يجعلهم يكرمهما بالألقاب ويجزل لهم العطاء .
ترى في حاشية دولته المصور أبا الحسن، و منصور

ص: ١٧٥

النقاش، و بشن داس، أئمة اصناعة و أساتذة العصر في عملهم، و كان جهانكير نفسه مصوراً متقدماً، كتب عن نفسه:

* «فَلَوْ كَانَتْ صُورَةُ رَسْمِ وَجْهِهِ مَصْوَرٌ، وَ رَسْمِ الْعَيْنِ وَ الْحَاجِبِ مَصْوَرٌ آخَرُ، فَأَنَا أَفْطَنُ لِلَّذِي رَسَمَ الْوَجْهَ، وَ ادْرَكَ الَّذِي رَسَمَ الْعَيْنِ وَ الْحَاجِبَ».

لم تكن فراسته في التصوير أمراً مبالغ فيه ولا مصطنعاً، لكنه كان أمراً واقعاً، فإنه منذ ما أرسل مقرب خان تصويراً، وصله من أوروبا، و شاع عنه أنه صور حينما ألقى تيمور القبض على السلطان بايزيد يلدريم، أبي أن يقبل الاشاعة و قال:

* «لَوْ كَانَ مَا يَرَعُونَ حَقَّا، لَكَانَتْ هَذِهِ الْهَدِيَّةُ السَّنِيَّةُ عِنْدِي، مِنْ أَغْلَى الْهَدَائِيَّاتِ وَ أَعْلَيَّاهَا وَ لَكِنَّهُ لَا يَمْثُلُ حَلِيَّةَ الْأَنْجَالِ وَ الْأَوْلَادِ مِنَ الْأَسْرَةِ الْعَالِيَّةِ الْمُلْكِيَّةِ تَمْثِيلًا صَحِيحًا، فَلَا يَطْمَئِنُ فَوَادِي لِصَدْقِ الْأَمْرِ وَ صَحَّتِهِ».

و لما عاد خان عالم من العراق، و قدم معركة حربيّة مصورة لـ تيمور أمام جهانكير، هز فرحاً مطرداً و قال :

* «مِنْ حَسْنِ الْحَظْ لِخَانِ عَالَمِ وَ سَعادَتِهِ، أَنْ وَفَقَ لِهَدِيَّةِ ثَيَّنَيَّةٍ كَهَذِهِ تَعْدُ مِنْ نَفَائِسِ الدَّهْرِ وَ نَوَادِرِهِ، وَ هِيَ الْمَعْرِكَةُ الْحَرَبِيَّةُ الْمَصْوَرَةُ «لِصَاحِبِ الْقَرَآنِ» (تيمور)، فِيهَا صُورَتِهِ وَ صُورُ أَنْجَالِهِ الْأَمْجَادِ وَ أَمْرَائِهِ الْعَظَامِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ فِي الْحَرْبِ وَ كَانُوا مَائِيَّنِ وَ أَرْبَاعِينَ نَفَرًا مَكْتُوبَةً أَسْمَائِهِمْ تَحْتَ صُورَهُمْ . وَ قَدْ كَتَبَ الْمَصْوَرُ أَسْمَهُ خَلِيلَ مَرْزاً، وَ لَا شَكَ أَنْ عَمَلَهُ جَلِيلٌ، وَ صَنَاعَتِهِ فِي غَايَةِ الْحَسَنِ وَ الْإِتقَانِ».

و بعد ما ذكر المعركة الحرية المصورة كتب يقول:

* «أرسلت بشن داس المصور، وكان وحيد عصره في صناعته، إلى العراق مع خان عالم، في رسم صورة الملك و صورة العmaid و الأعيان في دولته».

ص: ١٧٦

من أعلام عصر جهان كير

(١) آل الطهراني أصهار جهان كير شجرتهم و اعلامهم:

على بن أبي الحكيم الكيلاني ت ١٠١٨ هـ

نور الدين الشوشتري (٩٥٦ - ١٠١٩ هـ)

محمد حسين النظيري النيسابوري ت ١٠٢١ هـ

محمد تقى الأوحدى ت ١٠٣١ هـ

محمد شريف النجفى ت بعد ١٠٣٨ هـ

طالب الآملى ت ١٠٣٥ أو ١٠٣٦ هـ

صالح الاصفهانى ت ١٠٤٣ هـ

محمد شريف الايراني معتمد خان ت ١٠٤٩ هـ

شكر الله الشيرازى ت ١٠٤٨ هـ

عبد السلام الحسيني المشهدى ت ١٠٥٧ هـ

محمد اشرف بن عبد السلام الحسيني المشهدى ت ١٠٩٧ هـ

أحسن الله ظفر خان التربتى ت ١٠٧٣ هـ

مرشد الشيرازى القرن ١١ هـ

ص: ١٧٧

(آل الطهراني) أصهار جهان كير و من بعده

الأمير محمد شريف الطهراني (ت ٩٨٤ هـ) (كان من حاشية الإمبراطور الأكبر)

(الأمير غياث الدين الملقب بالنواب اعتماد الدولة (المتوفى سنة ١٠٣١ هـ) بمدينة لاهور

(١)

ص: ١٧٨

غياث الدين الطهراني (ت ١٠٣١ هـ / ١٦٢١ م)

الأمير الكبير غياث الدين بن محمد شريف، الشيعي الطهراني، نواب اعتماد الدولة، كان من الرجال المشهورين، ولد و نشأ بايران، و قدم الهند بعد ما توفي والده سنة أربع و ثمانين و تسعمائة في أيام اكبر شاه، فتقرب اليه و ولی ديوان الخارج بكلاب، و تدرج إلى الإمارة حتى نال الفا من المنصب في آخر عهده، و ولی ديوان البيوتات، ثم لما قام بالملك جهانكير بن أكبر شاه و تزوج بابنته «مهر النساء» التي صارت بعد ذلك «نور جهان بيكم» لقبه اعتماد الدولة و جعله وكيلًا مطلقا عنه في مهمات الأمور.

و كان فاضلاً حليماً متواضعاً بارعاً في الإنشاء و الخط و الحساب مليح الكلام حسن المحاضرة سليم الذهن.

توفي سنة إحدى و ثلاثين و ألف بمدينة لاهور، كما في نزهه ٣١٢ - ٣١١ / ٥ - ٤٩٤ رقم .

اعتماد الدولة أبو الحسن آصف جاه الدهلوى (ت ١٠٥١ هـ / ١٦٤١ م)

الأمير الكبير أبو الحسن بن الوزير اعتماد الدولة غياث الدين بن محمد شريف، الطهراني يمين الدولة آصف جاه خانخانان سبه سalar الوكيل المطلق، ولد و نشأ في ايران، و انتقل إلى الهند مع والده بعد ما توفي جده محمد شريف المذكور سنة أربع و ثمانين و تسعمائة في أيام السلطان اكبر، و استغل بالعلم مدة من الزمان، و لما توفي السلطان

ص: ١٧٩

المذكور و قام بالملك و لده جهانكير و تزوج بأخته نور جهان بيكم لقبه اعتماد خان و ولاد على جونبور، و تزوج بنته أرجمند بانو شاهجهان ابن جهانكير سنة عشرين و ألف، و لقبه جهانكير آصف خان سنة أشتنى ن و عشرين، و أضاف إلى منصبه غير مرأة صار مع الأصل و الاضافة سبعة آلاف له و سبعة آلاف للخيل، و لما توفي جهانكير دبر آصف خان حيلة لختنه شاهجهان فأعلن بولالية داور بخش بن خسرو بن جهانكير^{٣٠} و جمع الجنود تحت لوائه، و دبرت أخته نور جهان بيكم حيلة لختنه شهريار ابن جهانكير، فوق الحرب بينهما و ظهرت الغلبة لآصف خان، فقبض على أخيه و جعل شهريار مكحولاً محبوساً، ثم قبض على داور بخش و أخيه كرشاسب و طهمورث و هو شنك ابنى دانيال بن أكبر بن همایون، و أقعد أخته نور جهان بيكم بمدينة لاهور، فوظفها شاهجهان، و لقب صهره بيمين الدولة آصف جاه، و كان يخاطبه في المحاورة و المراسلة بالعلم، و فوض إليه خاتمه (مهر اوذك) و جعله وكيلًا مطلقاً له، و أضاف في منصبه غير مرأة، فصار

^{٣٠} (١) كان ذلك سياسة من آصف خان، لأن لا يخلو العرش فيطبع فيه الطامعون، ولما حضر شاهجهان إلى دار الملك تريع على سير الملك، و تسلم مقام الحكم.

تسعة آلاف له و تسعة آلاف للخيل، و اقطعها أقطاعاً كثيرة تحصل له منها كل سنة خمسون لكاً (خمسة ملايين)، ثم لقبه خانخان سبه سالار.

و كان عالماً بارعاً في المنطق والحكمة والتاريخ والإنشاء والشعر،قرأ العلم على الشيخ محمد بن يوسف التسوى السندي، و له ميل عظيم إلى أهل العلم و محبته زائدة لهم، يقر بهم إلى نفسه و يبذل عليهم العطايا الجزيلة، و كان العالمة محمود بن محمد الجونيوري صاحب الشمس البازغة من يتربد إليه و يستفيد منه، و له من كمال الرئاسة و حسن مسلك السياسة و الفطنة بدقة الأمور ما لا يمكن وصفه، مع الحلم و التواضع و النقاوة التامة و الشهامة الكاملة و علو الهمة و محبة أهل الفضائل و كراهة أرباب الرذائل ما لا يساويه في ذلك أحد.

و كانت وفاته بالاستسقاء سنة إحدى و خمسين و ألف بمدينة لاہور فدفن بها، و أرخ له بعض أصحابه من قوله : «زهى افسوس آصف خان»، و لا يزال ضريحه قائماً في شاهدره القرية من لاہور.

- نزهة ١٥ / ٥ - ١٦ رقم ٢٨، دائرة المعارف الإسلامية / ٢٥٧

ص: ١٨٠

[أبو طالب بن أبي الحسن الدهلوى \(ت ١٦٩٣ / هـ ١١٠٥ م\)](#)

الأمير الكبير أبو طالب بن أبي الحسن بن غياث الدين الطهراني ثم الهندي الدهلوى نواب شائسته خان أمير الأمراء ابن آصف جاه ابن اعتماد الدولة، ولد ونشأ بأرض الهند وقرأ العلم و تمهر بالفنون الحربية و نال المنصب في صباح خمسمائه لنفسه في أول وهلة خلافاً للقانون، و لقبه جهانكير بن أكبر شاه سلطان الهند بشائسته خان، و لما تولى المملكة شاهجهان بن جهانكير أضاف في منصبه غير مرة حتى صار ستة آلاف لنفسه و ستة آلاف للخيل ذوات الأفراش، و لما تولى المملكة عالم كبير بن شاهجهان جعل منصبه سبعة آلاف لنفسه و سبعة آلاف للخيل ذوات الأفراش و لقبه بأمير الأمراء، و أعطاه أقطاعاً تحصل له منها كل سنة عشرون مليوناً من دام (٤٠٠٠، ٤٠٠٠) و خصه بضرب النوبة في الحضرة، و ولاه على إيدالات واسعة فسيحة كأرض الدكن و إقليم بنكاله، فعاش في غاية العظمة والأبهة، و لم يكن له نظير في زمانه في الحلم و التواضع و حسن المعاشرة و إيصال النفع إلى الناس و الإحسان إلى العجزة و الأرامل و الأيتام و غيرها من الأخلاق الرضية و الشمائل المرضية، كما في مآثر الأمراء، و كان قرأ بعض الكتب على العالمة محمود بن الجونيوري و شاركه في الأخذ و القراءة عليه نور الدين جعفر بن عزيز الله المداري، كما في «كتاب أرشدى» و له آثار حسنة من جسور و رباطات و مساجد في كل ناحية من نواحي الهند.

مات سنة خمس و مائة و ألف، كما في «مآثر الأمراء».

[صفى بن بدیع الزمان الأکبر آبادی \(ت ١٤٣٩ / هـ ١٠٤٩ م\)](#)

الأمير الفاضل ميرزا صفى ميرزا بن بدیع الزمان، القزوینی ثم الأکبر آبادی، المشهور

ص: ١٨١

بسيف خان، ختن آصف جاه أبي الحسن بن غياث الدين الطهراني، كان متولياً بديوان الخراج في أرض كجرات، ثم ولد عليها في أيام جهانكير، و لاه شاهجهان على اقطاع بهار، ثم لاه على إله آباد، ثم نقله إلى كجرات، ثم استقدمه إلى أكبر آباد و جعله حارساً لمستقر الخلافة، ولما ول محمد شجاع ابن الملك على بنكاله و كان بمدينة كابل أمر سيف خان أن يذهب إلى بنكاله.

و كان رجلاً فاضلاً محبًا لأهل العلم محسناً إليهم، بنى مدرسةً عظيمةً بأحمد آباد تجاه القلعة، و كذلك بنى مارستانًا كبيراً في تلك البلدة سنة اثنتين و ثلاثين و ألف، مات في محرم سنة تسع وأربعين و ألف بأرض بنكاله، كما في «ماثر الأئم».

- نزهه ١٨٤ / ٥ - ١٨٥ رقم .٢٩١

على بن أبي الحكيم الكيلاني (ت ١٦١٠ / هـ ١٠١٨ م)

الفضل العلامة الكبير الحكيم على بن أبي الحكيم الكيلاني، أحد الأساتذة المشهورين في الهند، أخذ عن خاله حكيم الملك شمس الدين الكيلاني و عن العلامة فتح الله الشيرازي، و أخذ العلوم الشرعية عن الشيخ عبد النبي ابن أحمد الكنكوهي، و كان ذكياً فطناً حاداً في الذهن سريع الملاحظة، يكاد يكشف حجب الضمائر و يهتك أسرار السرائر، دقيق النظر في المسائل الحكيمية.

قال البدايوني في تاريخه: إنه عالم كبير بارع في المنطق و الحكمة ماهر بالشرع و النقل، قرأ كتب أهل السنة على الشيخ عبد النبي و نظر في مذهبهم و لكنه زيدى غال في التشيع معجب بفضله، يخطئ أحياناً لعجبه و قلة تجاربه، حتى أنه أطعم الهريرة أستاذة فتح الله في الحمي المحرقة فمات - انتهى.

قال شاهنواز خان في ماثر النساء : إنه اخترع حوضاً عجبياً ملأنا بالماء، فيه طريق إلى بيت تحته، إذا غاص الرجل في الماء وجد فيه باباً فيدخل من ذلك الباب إلى البيت و لا

ص: ١٨٢

يدخل الماء فيه، و كان في البيت قدر كاف من الهواء الطيبة و الضياء المشعشع و مكان واسع نظيف يسع لأشتنى عشر رجال، و فيه ذخيرة من الفرش و الأقمشة و الكتب و الأطعمة مما يشتته الرجل - انتهى.

توفي يوم الجمعة لخمس خلون من محرم سنة ثمان عشرة و ألف في أيام جهانكير.

- نزهه ٢٩٤ رقم .٤٧٢

نور الدين الشوشتري (٩٥٦-١٥٤٩ / هـ ١٠١٩-١٤١٠ م)

القاضي نور الله ضياء الدين بن السيد شريف بن نور الله بن مبارز الدين مندة بن الحسين بن نجم الدين محمود بن احمد بن الحسين بن محمد بن ابي المفاخر بن على بن احمد بن ابي طالب بن ابراهيم بن يحيى بن الحسين بن

محمد بن ابى على بن حمزه بن على بن المرعش بن عبد الله بن محمد الملقب بالسيليق بن الحسن بن الحسين الأصغر بن الأمام على زين العابدين بن الأمام الحسين بن أمير المؤمنين على عليهم السلام التسترى المرعشى صاحب كتاب احراق الحق و مجالس المؤمنين وغيرهما ولد سنة ٩٥٦ واستشهد سنة ١٠١٩ و تاريخ شهادته بالفارسية (سيد نور الله شهيد شد) كان من أكابر علماء المهد الصفوی معاصرًا للشيخ البهائی قرأ في «تستر» على المولى عبد الوحدی التستری ولم ينحط خبراً بتفصیل من أخذ عنه العلم غيره غير ماذلت على غراره علمه و عقريته و مشاركته في العلوم و نبوغه فيها من كتبه الثمينة و اثاره القيمة و سیأتي ذكر عنوانها.

و قد هاجر من وطنه (تستر) الى المشهد الرضوى لتحصيل العلوم و لما بلغ ما أراد رحل الى الهند و تقرب الى ابى الفتح بن عبد الرزاق الكيلانى فشفع له عند السلطان اكبر شاه فقابلته فأعجبه فضلها و أمعيته فجعله قاضى القضاة و قبله السيد و شرط ان يحكم فيه بمؤدى اجتهاده غير انه لا يخرج فيه عن المذاهب الأربعه فقبل منه ذلك فكان يقضى و يفتى مطبقاً له فى كل قضية باحد المذاهب الأربعه غير أنه كان مؤدى اجتهاده لأنه لم يكن من يرى

ص: ١٨٣

انسداد باب الاجتہاد و كان هو من اعاظم المجتهدین ممن منحوا النظر و ملکة الاستنباط و انما كان يتحرى تطبيق حكمه بأحد المذاهب حذرا من شق العصا في ظروفه الحاضرة فاستقر له الأمر و طرق يقضى و يحكم و ينقض و يبرم حتى قضى السلطان نحبه و قام مقامه ابنه جهانكير شاه فسعي الوشاية في أمر المترجم و عدم التزامه باحد المذاهب فردهم بأنه شرط ذلك علينا يوم تقلد القضاء و لا يثبت بهذا تشيعه فالتمسوا الحيلة في اثبات تشيعه و اخذ حكم قتلته من السلطان و رغبوا واحداً في أن يتلمذ عنده و يظهر أمره الخفي فالترمه مدة حتى وقف على كتابه (مجالس المؤمنين) و أخذه بالالاحاج و استنسخه و عرضه على اصحابه و وشوا به على السلطان فلم يزل القاتلون ينحتون له كل يوم ما يشين سمعته عند السلطان حتى أحموا غضبه و اثبتوا عنده استحقاقه الحدّ كذباً و زوراً و انه يجب ان ضرب بالسياط كمية معينة ففوض ذلك اليهم فبادر علماء السوء الى ذلك حتى قضى المترجم تحت السياط شهيداً على التشيع في (اكبر آباد) (وقيل) ان زبانية الحقد قتلوا في الطريق اذ جردوه عن ثيابه و جلدوه بالدرة ذات الاشواك فقضى نحبه من ساعته و تناثرت به اشلاء النبأ و اريقت دمائها فلقى جده النبي الأمين صلی الله عليه و آله مخضباً بدمه و كان له سبعون و قبره باكبر آباد يزار و يتبرك به و في الصور الأخيرة اعيدت الى عمارة بقعته جدته و يعرف السيد الشوشتري لدى شيعة الهند خاصة بالشهيد الثالث، و لهم موسم خاص من السنة يحتفلون بذكراه في شهر نوفمبر احتفالاً كبيراً جداً حتى ايامنا هذه.

ذكره في امل الامل و قال : فاضل عالم محقق علامه محدث . و في التعليقة على امل الامل : علامه محدث شاعر منش بالفارسية و العربية، له قصائد بل ديوان في مدح النبي و الأئمة عليهم السلام.

و في الرياض : (السيد الجليل الاول .. الشهير بالأمير، الساكن بالبلاد الهندية صاحب كتاب مجالس المؤمنين و غيره من التصانيف الكثيرة الجيدة و التواليف الغزيرة الحسنة المفيدة، و هو قدس سره عالم دين صالح علامه فقيه و كان من عظماء علماء دولة السلاطين الصفویة .. و له ميل الى التصوف و الاعتناء بشأن أهله، و هو أول من أظهر التشيع في بلاد الهند من العلماء علانیة، وقد كان ابوه ايضاً من أكابر العلماء (وليس من المستبعد أن يكون احمد بن عبد الواحد السريندی و أمثاله من شيوخ التعصب وراء قتله فقد حاول هذا

الشيخ التزّلّف للامبراطور، جهان كير لأجل وقف المد الشيعي المتنامي حتى زعم احباء السرهندي بأن الامبراطور (المؤمن) قد بايع السرهندي و دخل في حلقة مريديه و طالبيه! (كتاب للندوى: السرهندي ١٤٢، ١٥٠).)

و اعلم ان من اسباط هذا السيد الفاضل على بن السيد علاء الدولة بن الـ سيد ضياء الدين نور الله الحسيني الشوشترى المرعشى، و كان يسكن بالهند، و لعله موجود الى الان أيضا ..

وقال ماسنيون : «سيد نور الله بن شريف المرعشى : كاتب أصل من كتاب الشيعة، دافع عن الإمامية مناهضاً أصحاب الجدل من أهل السنة، كما دافع عن الصوفية أمام منكريها و هم غالبية فقهاء الإمامية. و كان الشوشترى قاضى لاهور، و قد حكم عليه بالزندة بأمر من جهانكير و ضرب بالسياط حتى مات ..»

أولاده:

السيد شريف، المتوفى سنة ١٠٢٠هـ، السيد علاء الملك مؤلف كتاب محفل فردوس في أحوال والده، السيد محمد يوسف.

شعره:

السيد مير ابو المعالى المتوفى ١٠٤٦هـ، السيد مير علاء الدولة.

مر اشادة المترجمين له باجادته للشعر و روی انه كان يتخلص بلقب (نوري) كعادة شعراء الفرس و الهند في ذلك و من شعره ما قاله في الرد على قصيدة السيد حسن الغزنوی (بالفارسية):

شکر خدا که آلهی است رهبرم و زنار شوق اوست فروزنده

اندر حسب خلاصه معنی و صورتم و اندر نسب سلاله زهرا و حیدرم

دار آی دهر سبط رسولم بدر بود بانوی شر دختر کسری است

هان ای فلک جواین بدرانم بکی یاسر به بندکی نه واز آذری برم

شکر خدا که جون حسن غزنوی یعنی نه عاقد والد و نه ننک مادرم

بادم زیان بریده جو آن ناخلف اکر مدخ مخالفان علی بر زیان برم

داند جهان که او بدر و غش کواه
شایسته نیست آنهم ار آن خلف که
شایسته میوه دل زهرا و حیدرم
باکی ذیل مادر او نیست باورم

و من شعره:

من خاری ازا آن بادیه ام کاین
هشدار که صد کونه بلا ما حضر
کوئی که مکر صبح قیامت سحر
در کوه ملامت بهوای کمر اوست

عشق تونها لیست که خاری ثمرا
برمانده عشق اکروزه کشانی «کذا»
وه کاین شب هجران تو بر ماجه در ازا
فرهاد صفت اینهمه جان کندن نوری

و له:

صد فتنه بخواب اندر
نقشی است بآب اندر
کردا من با کان هست کردی بتراب

أی در سر زلف تو
در عشق تو خواب من
در شرع محبت زان فضل است تیمم را

كتبه:

١- احراق الحق: كتاب كبير: و هو الذى اتخذ ذريعة لقتله وقد فيه القاضى الفضل بن روزبهان فى ردّه على العلامه الحلبي
فى كتاب (نهج الحق و كشف الصدق)، وقد جاء فى خاتمه ما يلى:

هذا آخر ما قصدته من إيضاح مقاصد الكتاب المستطاب، وإنجاح مسؤول الأحبة والأصحاب، من الرد على رؤساء ذوى الأذناب، خصوصا الناصى الشقى المرتاب، الرائع عن طريق الصواب، و ذلك من حلال نعم الله الوهاب، على عبده الأواب، الراجى للشهدود العينى، المجاهد أعداءه بالسيف الفينى، و الرمح الردينى، نور الله ابن شريف المرعشى الحسينى،

كان الله له، وأخرى على نهج الحق عمله، والمسؤول من فضله العظيم وكرمه العميم، أن يجعل مقاساتي في نصرة هذا البعض، ذريعة مخلفة لزاد المحسن، ووسيلة مزلفة إلى سيد البشر، وآله الأئمة الاثني عشر، وأن يرزقني طلب ثأرهم، مع الإمام المهدي

ص: ١٨٦

يدعو إلى اقتداء آثارهم، وأن يحشرني في زمرة أحبائهم وأنصارهم، ويبيوني في دار القرار في جوارهم، والمأمول من أفضل المؤمنين الذين هم في حب الدين، أن يدعوا لي بدعا الانتظام في زمرة الآمنين، إذ وقفوا على ما قاسيته في نظم هذا العقد الثمين، من عرق الجبين، وكد اليدين، فانه سبحانه «لا يضيع اجر المحسنين». وأن يصلحوا ما فيه من الفتور والتقصير، ومظان المؤاخذة والتعبير، فان قوله بضاعتي لائحة، وإضاعة وقتى في الشواغل الدنيوية واضحة، مع ما أنا ما فيه من غربة الوطن وغيبة الكتب وضيق البال، بمفارقة الأهل والآل، إذ بعد ما ركبت غارب، الاغتراب في مبادئ الشباب، لتحصيل الحكم، وتكثيل الفيوض والنعم، من وطني تستر المحرosome، إلى المشاهد المقدسة الرضوية والمانوسية، رمانى زمانى إلى الهند المنحوسة، قامت تلك الشوهاء المأيوسة على ازدياد غمى، واتهمت فى عداوتى وإعداد همى، حتى ظننت انها هند اللائكة لكبد عمى، لكن الله سبحانه ببركات مجده أهل البيت، عليهم السلام أحيا قلبي الميت، وأجرى بنانى على منوال «و ما رميته اذ رميت» فانتصرنا للمصنف العلامه حاشرين، وسمنا على جاعرة الأشاعره القاصرين، والناصبه الفاجره الخاسرين، «و انتقمنا من الذين اجرموا و كان حقا علينا نصر المؤمنين»، والله التاصر والمعين، وقد اتفق نظم هذه اللالى، و شحت بها عوالى المعالى، فى سبعة أشهر من غير الليالي، لما شرحت من كثرة ملالى، و ضعف القوى و تحول البدن كالشن البالى، وكان آخرها آخر ربيع الأول المنتظم فى سلك شهر سنة ألف و أربع عشرة ١٠١٤ فى بلدة آكره، أكره بلاد اتخاذها الكفر و كره، واستعمل فيها الشيطان مكره، صان الله المؤمنين عن مكره و جهله، وأخرجهم عن سواد الهند حزنه و سهله، بحق الحق و أهله - انتهى.

و الكتاب مطبوع متداول.

٢- كتاب مجالس المؤمنين بالفارسية مطبوع، قال في الرياض : مجموعة سير مدعومة بالوثائق عن سير أكابر شهداء الإمامية والصوفية في الإسلام، وهو كتاب كبير معروف في ذكر طائفة من علماء الشيعة ورواتهم و زمرة من مشاهير الإمامية من السلاطين والامراء والصوفية والشعراء في الازمنة السالفة إلى زمانه، فرغ من تأليفه سنة تسعين و تسعمائة، وقد أفرط في ذلك و فرط، وهو من جملة البواعث لنا في إنشاء هذا الكتاب المسمى برياض

ص: ١٨٧

العلماء، و انما ألف «ره» كتابه المذكور حيث رأى أن المخالفين علينا قد طعنوا بـ مذهب الشيعة قد حدث في مبدأ ظهور دولة الصفوية و خروج السلطان شاه اسماعيل الصفوی و نحو ذلك من أقاويلهم المخيلة الفاسدة، و كان فراغه من مجالس المؤمنين يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ذى القعدة لسنة عشرة و ألف، و كان افتتاحه في مفتاح شهر رجب المرجب المنتظم في سلك شهور سنة ثمان و تسعين و تسعمائة في بلدة لاہور صينت عن آفات الدهور، هكذا وجدت صورة خطه على آخر كتاب المجالس المذكور.

(٣) مائب النواصب في رد نوا قض الروافض ألهه باسم الشاه عباس الصفوي . (٤) الصوارم المهرقة في رد الصواعق المحرقة . (٥) حاشية على تفسير البيضاوى (٦) حاشيته على شرح الشمسية . (٧) حاشيته على تهذيب الأحكام للشيخ الطوسى (٨) حاشيته على شرح الهدایة (٩) حاشية على شرح الجامى (١٠) حاشية على الحاشية القديمة للدوانى على شرح التجريد (١١) حاشية اخرى على تفسير البيضاوى (١٢) حاشية على تهذيب الأصول للعلامة (١٣) حاشية على حاشية شرح التجريد (١٤) حاشية على قواعد العلامة (١٥) حاشية على الإلهيات شرح التجريد (١٦) حاشية على شرح الجغمىنى (١٧) حشائى المختلفة للعلامة (١٨) شرح الرسالة القديمة فى اثبات الواجب (١٩) حاشية رسالة إثبات الواجب الثانية و هما للدوانى (٢٠) حاشية فى تزيف حاشية الجلبي على شرح التجريد (٢١) حشائى على مبحث عذاب القبر من شرح عقائد النفسى (٢٢) شرح بديع الميزان (٢٣) شرح حاشية التشيك من الحواشى القديم ة للدوانى (٢٤) نور العين (٢٥) كشف الأسرار (٢٦) واقعة النفاق (٢٧) نهاية الاقدام (٢٨) نهاية رسالة انس الوحيد (٢٩) رسالة رفع القدر (٣٠) حل العقال (٣١) رسالة بحر الغدير (٣٢) اللمعة فى صلاة الجمعة (٣٣) رسالة ذكر العنقاء (٣٤) رسالة عدة الأبرار (٣٥) تحفة العقول (٣٦) موائد الانعام (٣٧) الحواشى على الأجوبة الفاخرة (٣٨) رسالة العشرة الكاملة فى عشرة أبواب من المسائل المشكلة أولها تفسير آية الخيط الأبيض و الخيط الأسود (الثانى) حديث ستفرق امتي (الثالث) فى ان الكلم بكسر اللام جنس لا جمع (الرابع) فى أن اللام فى الحمد للج نس لا للاستغراف (الخامس) فى معنى اصول الفقه مضافا و علما (السادس) فى حكم صلاة الجمعة فى عصر الغيبة (السابع) فى المنطق (الثامن) فى الإلهى (التاسع) فى

ص:١٨٨

الطبىعى (العاشر) فى الرياضى على عبارة التحرير (٣٩) حاشية على حاشية الدواني على تهذيب المنطق (٤٠) رسالة السبعة السيارة (٤١) تفسير إنما المشركون نجس (٤٢) رسالة مبحث التجذير و فى نسخة اخرى «التجديد» (٤٣) رسالة الادعية (٤٤) الرسالة الجلالية (٤٥) رساله طفيفة (٤٦) رساله فى بيان العرض و أنواع الکم (٤٧) رساله فى حقيقة العصمة (٤٨) رساله فى ان الوجود لا مثل له (٤٩) كتاب أجوبة مسائل السيد حسن (أو حسين) (٥٠) رساله إثبات تشيع سيد محمد نور بخش (٥١) ديوان قصائده (٥٢) رساله فى رد شبئات الشيطان (٥٣) حاشية على تحرير اقلidis (٥٤) حاشية على خلاصة الأقوال فى علم الرجال (٥٥) رساله انموذج (٥٦) رساله فى رد مقدمات الصواعق المحرقة لابن حجر (٥٧) رساله السحاب المطير (٥٨) شرح خطبة حاشية العضدى القزوينى (٥٩) حاشية على مبحث الأعراض من شرح التجريد (٦٠) حاشية على المطول (٦١) شرح حدوث العالم على انموذج الدواني (٦٢) حاشية على شرح المختصر للعضدى (٦٣) حاشية على حاشية الخطائى (٦٤) رساله النظر السليم (٦٥) رساله تفسير الرؤيا (٦٦) رساله كوهر شاه وار بالفارسية (٦٧) رساله الخيرات الحسان (٦٨) رساله فى نجاسه الخمر (٦٩) رساله فى مسألة الكفاره (٧٠) رساله فى غسل الجمعة (٧١) رساله فى رد تصحيح ايمان فرعون (٧٢) رساله فى رد رساله الكاشى (٧٣) رساله فى فى ركنية السجدتين (٧٤) رساله فى تعريف الماضي (٧٥) حاشية على رساله تحقيق كلام البدخسى (٧٦) حاشية على شرح خطبة المواقف للسيد الشريف (٧٧) رساله الورد و السنبلة بالفارسية «كل و سنبل» (٧٨) رساله فى حكم لبس الحرير (٧٩) شرح رباعي الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير (٨٠) كتاب منشأته (٨١) حاشية على مبحث الجواهر من شرح التجريد (٨٢) رساله فى رد شبئه فى تحقيق العلم الالهى (٨٣) رساله فى رد ما كتب بعضهم فى نفي عصمة الأنبياء (٨٤) شرح مبحث الجواهر من الحاشية القديمة للدوانى (٨٥) رساله فى رد ما ألهه تلميذ ابن همام (٨٦) منتخب كتاب المحلي لأبن حزم الأندلسى (٨٧) التعليقات على شرح قاضى يحيى الشافعى (٨٨) أجوبة سؤالات مير يوسف على الحسينى الاخبارى فى مسألة اطلاع النبي على ضمائرك جميع الناس فى جميع الأحوال و الأزمان (٨٩) حاشية على شرح الهدایة للمبیدى (٩٠) ديوان شعره (٩١)

رسالة متعلقة بقول العالمة الحلی فی آخر كتب الشهادات من القواعد (٩٢) ترجمة مقدمات الصواعق (٩٣) مجموعة كالكشکول (٩٤) تفسیر آیه من يرد اللہ أنس پڑھیے الخ (٩٥) التور الأنور الأزهر فی تتویر خفایا رسالت القضاة و القدر ردا على رسالت الفها بعض العامة فی رد رسالت استقصاء النظر فی مسألة القضاة و القدر للعلامة الحلی (٩٦) شرح دعاء للأمام علی (ع) و هو دعاء الصباح (بالفارسیه) (٩٧) الرسالۃ المیسیحیۃ فی مسألة المسح أو الغسل فی الوضوء (٩٨) رسالۃ فی وضاعی الحدیث.

- [رياض العلماء / ٥ - ٢٦٥ - ٢٧٥، أمل الآمل / ٢ - ٣٣٦، التعليقة على أمل الآمل / ٣٢٨ - ٣٢٩ شهداء الفضیلہ / ١٧١ - ١٨٤، نزهہ / ٥ - ٤٣٨ - ٤٤٠ رقم ٧٣٠، أعيان / ١٠ - ٢٢٨، الاعلام / ٨ - ٥٢، روضات الجنان ط ٢ : ٧٣٠، نزهہ ٥، دائرة المعارف الاسلامية / ١٣، مطلع انوار / ٦٩٠ - ٨٩٨ مقدمة كتاب احقاق الحق بقلم السيد المرعشی النجفی (طهران ١٣٧٦)، الشهید آکوه (بقلم السيد سبط الحسن) العدد اکتوبر ١٩٥٧. تذكرة علماء أهل بیت و جماعت لاقبال احمد فاروقی (الاهور ١٩٧٥) ص ١٠١، تذكرة مجید تأليف . سبط الحسن (لكھنوا ١٩٧٨). نیرین لحافظ على صابر (لكھنوا ١٩٦٢) مکاتیب یوسف علی اخباری و شهید ثالث تالیف عبد الرحیم بغدادی (مخطوط فی المکتبۃ الاصفیہ برقم ١١٨٤ فن الكلام) و. ٢kcorB : ueiR, ٦٠٧.S ehizdloG: red ethcihcserutaret iL ruZ egartieB nehcsitirrus kimelop red dna aihs

. ١٨٧٤ فینا.

محمد حسین النظیری النیسابوری (ت ١٤١٢ / ٥ ١٠٢١ م)

الشيخ الفاضل محمد حسین النظیری النیشابوری الشاعر البليغ الوحيد فی مقاصده، البعید الغایہ فی میدانه، ولد و نشأ بمدینة نیشابور، و قدم الهند لعله سنة اثننتين و تسعين و تسعمائة فدخل آکره، و تقرب إلى مرزا عبد الرحيم خان و نال الصلات منه، ثم سار معه إلى أحمد آباد و لازمه زمانا، ثم سافر إلى الحرمين الشرifین سنة اثننتين بعد الألف فحج و زار و رجع إلى الهند، و تحسّن فی نفسه شيئا فقرأ التحو و العربية على محمد بن الحسن المندوی، و أخذ الحديث و التفسیر عن الشيخ حسین الكجراتی، و سکن بمدینة احمد آباد

ص: ١٩٠

و اعتزل عن الناس و رفض الدنيا و أسبابها.

له دیوان شعر یحتوى على المعانی الرقيقة و المیانی الرشیقة، لم یبلغ مداحاها أحد من الشعراء المفلقین من أهل إیران، و هو مقبول متداول فی أيدي الناس.

يقول میر تقی الدین الكاشانی ان اصله من جوین، و سواء صح ذلك أم لم يصح فإنه نیسابوری كان تاجرا و في الوقت نفسه تعاطى العلم و الأدب و الشعر، سافر في تجارتة الى العراق و آذربیجان، و لجمعه بين التجارة و الشعر و الأدب كانت

له منزلة خاصة عند العراقيين والأذربيجانيين، كما يقول مير تقى الدين وقد اتصل بالشعراء والأدباء في كل الأدب لـ الدين، مواصلاً ثمرته في الشعر عندهم، وكان يقرأ غزلياته في المحافل الأدبية ومن هناك سافر إلى هند، وفي إكره اتصل بميرزا عبد الرحيم خان خanan و مدحه بأول قصيدة، ثم لازمه، ويظهر من بعض القرائن أن سفره كان سنة ٩٩٢ أو في ابتداء الذي كان يحب الأدب والشعر، وكان الشاعر يمدحه بشعره. ولما نوى السفر إلى الحج أمن له خان خanan الزاد والراحلة، ولكن سرق بعض أمواله في الطريق، فلجاً إلى الأخ الرضاعي للملك جلال الدين أكبر، (الخان الأعظم ميرزا) الذي كان هو الآخر مسافراً للحج و مدحه بقصيدة، فكان ما حصل عليه من الخان ساداً ل حاجته في السفر.

وورد في بعض الكتب أنه بعد رجوعه من الحج ذهب إلى أحمد آباد في كجرات، وتاجر هناك وأثرى من تجارتة، وكان بيته متلقى الشعراء القادمين في كل مكان، وكان يودّهم ويعطيهم ويدمحهم بأشعاره، كما كان يمدح الأمير مراد بن الملك الذي كان والياً على كجرات من قبل أبيه، وفي الوقت نفسه لم يكن ينس خان خanan في قصائده.

وفي سنة ١٠١٤ تولى نور الدين جهانكير الملك بعد أبيه فطلب إلى قصره و مدحه الشاعر بقصيدة أشار إليها جهانكير في مذكراته، قائلاً: «انه نظم قصيده المشهورة بالفارسية، واعطيته الف روبيه و جوادا» اه.

وفي سنة ١٠١٩ وهو لا يزال عند جهانكير مدحه بقصيدة أخرى و حصل منه على ثلاثة آلاف بيكة، من الأرضي.

وهكذا عاش في كجرات تاجراً و شاعراً حتى وفاته. - و كما مرّ فانه - كان قد

ص: ١٩١

تعلم اللغة العربية و العلوم الدينية، و اللغة الهندية عند الشيخ غوثى المندوى مؤلف كتاب (كلزار البار). وقد ذكره الشيخ المندوى في كتابه. كما أخذ الحديث و التفسير عن مولانا حسين جومري. وفي سنة ١٠٢٠ رجع إلى احمد آباد كجرات و بقي فيها حتى توفى سنة ١٠٢١ و دفن في محله تاج بوره بأحمد آباد، و قبره فيها معروف حتى اليوم تعلوه قبة.

وقد ذكر بعضهم أن وفاته كانت سنة ١٠٢٢ أو ١٠٢٣ و الصحيح في وفاته هو ما ذكرناه.

يعد عبد الباقى النهاوندى من الأمراء و ذلك : أولاً للحياة التى كان يحياها، و لقاراته و ثروته التي حازها من أرباح تجارتة و مما كان يصل إليه من جوازات على قصائده. ثانياً لاتصاله الدائم بالملك جلال الدين و خان خanan و ميرزا اعظم.

وقد كان صلباً في تدينه، و في أحدي قصائده مدح بها الأمير مراد و اثنى عليه لايمانه، هاجم بشدة الملحدين و الذين لا يعتنون بالدين . و هو في قصائده الاعتقادية يبدأ بحمد الله ثم يمدح النبي (ص) و الأئمة (ع)، ثم يأخذ في هجو الملحدين.

كان كريماً النفس و صاحب عطاءاً . بنى قصراً ملوكياناً في احمد آباد كجرات جعله دار ضيافة للشعراء و العلماء و الأدباء و الفضلاء . و كان يعيش عيشة الملوك و كبار الناس . و كان ينفق ما جنحه من التجارة و الهدايا على الأحباب و الفقراء ، و انهم كانوا ينتفعون به اعظم النفع.

و في أواخر حياته آثر العزلة و الانزواء عن الناس.

طبع في الهند و ايران ديوانه الذي قدمه الى خان خانان، وهو يحوى الغزل و مدائح النبي و الأئمة و وحي المناسبات و وصف الشعراء و الأحباب و الملوك . وقد قال أحد مؤرخي الأدب الفارسي عن شاعريته : انه شاعر رقيق البيان، دقيق الوصف ن جميل الغزل، لطيف الكلام، مع فكر فلسفى عرفانى. كان من أكابر شعراء زمانه انه ليس كسعدى و حافظ.

ولكن بعض غزلياته العرفانية الصوفية لا تقل لطفا و جمالا و ابداعا عن أشعارهما.

و من الطرائف في حياة المترجم ان شاعرا معاصر له يلقب بنظيرى أى بنفس اللقب الذى يلقب به هو، و كان يقال احيانا : نظيرى مشهدى، و سافر المشهدى سنة ١٠٠٣ من مشهد الى مكة و منها الى الهند و وصل الى مدينة بيجابور و اتصل بعادل شاه ابراهيم الثاني (٩٨٧-١٠٣٥) من سلالة العادل شاهية في الدكن، و أصبح من جملة كتابه، و كان لا

ص: ١٩٢

يعرف إلا بنظيرى، فطلب اليه المترجم ان يغير لقبه، فوافق على ذلك و حذف الباء من لقبه فصار لقبه (نظير) فدفع له المترجم لقاء ذلك عشرة آلاف روبيه، و يبدو ان الحرف (ى) يعادل في حساب الجمل رقم (١٠) ولذلك جعل المبلغ عشرة آلاف.

و صاحبنا نظيرى المشهدى (نظير) وهو شاعر الغزل . على ان هناك من توهم بان (نظير) هذا هو نظيرى الذي عاش في القرن التاسع، و لم يتبين الى الفارق الزمني بين الشاعرين.

و من بدائعه قوله:

تو بخويشتن جه کردی که بما کنی نظیری
بخدا که واجب آمد ز توا احتراز

و قوله:

رسوا منم وکرنه تو صدبار در دلم
رفتی و آمدی و کی را خبر

و قوله:

بر صوفی بی وجد و بال است عبادت
بر شیشه که خالی است زمی

و قوله:

کمر در خدمت عمر بست می‌بندم جه شد
برهمن می‌شدم کر این قدر زنار

و قوله:

مرا بساده دلیهای من توان بخشد
خطا نموده‌ام و جسم آفرین دارم

- نزهه ۳۷۶ / ۵ رقم .۶۰۹

و فيه (توفي سنة ثلاثة و عشرين و ألف بمدينة أحمد آباد و دفن في قبة المسجد الذي بناه عند بيته) مستدركات ۲۱۲ / ۳

محمد تقى الأوحدى (ت ۱۰۳۱ / ۵ م ۱۶۳۱)

الشيخ الفاضل مرزا محمد تقى بن معين الدين محمد الحسيني الدقاقى البليانى من نسل

ص: ۱۹۳

الشيخ أبي على الدقادق، كان من العلماء المبرزين في العلوم الأدبية، ولد ونشأ بأصفهان، وسافر إلى «كاشان» فسكن بها مدة من الدهر من ثم قدم الهند وسكن بمدينة آكره في أيام جهانكير بن أكبر شاه سلطان الهند، له «سرمهة سليماني» كتاب في اللغة الفارسية، وله «غرفات العارفين و عرصات العاشقين» كتاب في تذكرة الشعراء لم يُؤلف مثله قبله ولا بعده، صنفه باكره في سنتين و فرغ من تصنيفه في سنة أربع و عشرين و ألف، وكان يتلقب في الشعر بالأوحد، و من شعره قوله:

بنکای فروختم خود را
جکنم بیشتر نمی‌ارزم

مات في سنة احدى و ثلاثين و ألف، كما في «مرآة جهان نما».

- نزهه ۳۷۳ / ۵ رقم .۶۰۲

محمد شريف النجفي (ت بعد ۱۰۳۸ - ۵ م ۱۶۲۸)

الشيخ العلامه المؤرخ محمد شريف النجفى ن أصله من النجف الأشرف ولد فى حيدر آباد و درس العلوم الشائعة فى عصره و اختص بالفقه و الأصول و التاريخ، و دخل معتنک السياسة و تقرب الى الامراطور جهان كير فعينه فى أحد المناصب الجليلة فى عدة أقاليم متباude داخل الهند مثل كجرات و مالوه و اجمير و دهلي و آكره و البنجاب و السند و كشمير، له كتاب بعنوان (مجالس السلاطين) اتم تاليفه سنة ١٠٣٨ هـ.

- «مطلع انوار ٥٥١، تاريخ ادبیات مسلمانان باکستان و هند ٤/٥٠٣».

طالب الآملی (ت ١٠٣٥ أو ١٦٢٥ هـ ١٦٣٦ م)

أحد كبار الشعراء باللغة الفارسية، اشتهر في ایران و الهند في القرن الحادى عشر الهجري، ولد في آمل و بهادرس و اشتهر كشاعر منذ صباه، و في سنة ١٠١٠ انتقل إلى

ص: ١٩٤

اصفهان ثم کاشان و بقى فيها حدود خمس سنوات و فيها تزوج و كان له فيها أقارب من جهة والدته، كالحكيم نظام الدين على الكاشاني طبيب دیوان كل من الشاه طهاسب و خدا بنده كان زوج خالته، و الحکیم رکنای مسیح الشاعر المشهور کان ابن خالتہ.

و من کاشان عاد إلى آمل ثم انتقل إلى خراسان، و في مرو الشاه جهان لازم کنش خان استاجلو حاكم المنطقة، و نظم المثنوي (خسر و شیرین) باسمه. ثم استأذن الحاکم في العود إلى موطنہ لزيارة أهله و أقربائه، و لكنه بدلاً من السفر إلى آمل أخذ طريق الهند (سنة ١٠١٧) وبعد فترة من الضياع في الهند استقر في قندهار و لازم فيها غازی خان ترخان سنة ١٠٢١ و عاش فيها ينظم الشعر في مدحه مشيراً إلى ضياعه في الهند بين آكره و لاھور و مولتان و دھلی إلى أن حمله الحظ الحسن إلى قندهار.

و بعد وفاة میرزا غازی عاود المترجم السفر إلى الهند، و كان ذلك في عهد جهانکیر (١٠١٤ - ١٠٣٧)، فمن قندهار مضى إلى آكره. و فيها زار فخر الزمان مؤلف (میخانه) الذي أعجب به، و من آكره مضى إلى سورات فاصدا الملک جین قلیج خان فمدحه بشعره، و بقى فترة عاد بعدها إلى آكره و فيها اتصل بمحمد حسین دیانت خان دشت بیاضی و أخذ منه رسالة توصیة لحاکم کجرات عبد الله خان فیروز جنک (١٠٥٤)، فاستقبله الحاکم بحرارة و عطف عليه، و لكن الشاعر لم يطل المکث عند القائد السفاک، بل عاد إلى آكره و منها إلى لاھور، و فيها التقى الشاعر آقا شابور الطهرانی ابن عم اعتماد الدوّلة غیاث الدین محمد الطهرانی، فعرفه هذا بابن عمه اعتماد الدوّلة الوزیر الأدیب الذي أوصله إلى قصر جهانکیر و من ذلك الحین أخذ نجمه يسطع، و في سنة ١٠٢٨ أصبح بمنزلة أمیر الشعراء بالغا کمال العزء، و ظل كذلك سبع سنوات أو ثمانیة، ثم تعب و تملکه النسیان حتى وفاته.

و قد ترك بنتين يبدو أن امهما كانت قد ماتت قبله لذا تكفلهما ابن خاله الحکیم رکنای مسیح و نقلهما إلى بيته معتبراً بتربيتهما و تنشئتهما، كما أنه رثاه بقصيدة من الشعر.

يتضمن ديوان طالب ما بين تسعهآلاف إلى خمسة عشر ألف بيت من الشعر على ما قاله كتاب السير، و هناك نسخة من الديوان مطبوعة في طهران سنة ١٣٤٦ تشتمل على

ص: ١٩٥

٢٩٦٨ بيت شعر، ما بين القصيدة والتركيبة والترجيعات والمثنوي والغزل وال رباعيات والمفردات ومعظمها في مدح الحكام المازندرانيين، و ميرزا غازى خان ترخان، و ديانات خان، و عبد الله خان، فيوز جنك، و اعتماد الدولة، و جهانكير، و قسم منها في مدح الأئمة عليهم السلام، و قسم في مختلف المناسبات . و من مندوبياته: القضاء والقدر و لم يحرف و الأئمين، و مثنوي باسم جهانكير.

- (مستدركات ٤/٨).

صالح الأصفهانى (ت ١٠٤٣ / ه ١٤٣٣)

الشيخ الفاضل الكبير ميرزا صالح الأصفهانى، أحد العلماء المبرزين في الشعـر، يصل نسبة بـثلاث و سـائط إلى صدر الدين الطيب الأصفهانى، قدم الهند و تقرب إلى جهانكير ابن أكـبر شـاه ثم إلى ولـده شـاهجهـان فـولـى عـلى بعض المتصرـفـيات، و كان شـاعـرا بـارـعا فـي العـلـوم، توفـى سـنة ثـلـاث و أربعـين و أـلـف، كـما فـي «ـيدـ بيـضـاءـ». نـزـهـةـ ٥/١٧٦ - ١٧٧ رقم ٢٧٨.

محمد شـريفـ الإـيرـانـيـ معـتمـدـ خـانـ (ت ١٠٤٩ / ه ١٤٣٩)

الأمير الفاضل ميرزا محمد شـريفـ بن دوـستـ مـحمدـ الإـيرـانـيـ المشـهـورـ بـمعـتمـدـ خـانـ، كانـ منـ الرـجـالـ المعـرـوفـينـ بـالتـارـيخـ وـ السـيـرـ وـ الـأـنـسـابـ، قـدـمـ الـهـنـدـ وـ تـقـرـبـ إـلـىـ جـهـانـكـيرـ بـنـ أـكـبـرـ شـاهـ وـ صـارـ مـنـ نـدـمـائـهـ حـتـىـ أـنـ كـانـ يـدـخـلـهـ فـيـ المـنـزـلـ مـعـهـ، لـهـ «ـاقـبـالـ نـامـهـ جـهـانـكـيرـ»ـ كـتـابـ فـيـ أـيـامـ جـهـانـكـيرـ صـنـفـهـ فـيـ ثـمـانـ كـرـارـيـسـ بـالـفـارـسـيـ، وـ كـانـ مـنـصـبـهـ فـيـ آـخـرـ أـيـامـهـ أـرـبـعـةـ آـلـافـ لـهـ وـ أـلـفـينـ لـلـخـيلـ، مـاتـ فـيـ سـنةـ تـسـعـ وـ أـرـبعـينـ وـ أـلـفـ، كـماـ فـيـ «ـمـاـثـ الـأـمـرـاءـ»ـ.

- نـزـهـةـ ٥/٦٢٢ـ رقمـ

ص: ١٩٦

شكـرـ اللـهـ الشـيرـازـيـ (أـفـضـلـ خـانـ) (ت ١٠٤٨ / ه ١٤٣٨)

مولانا الشيخ العـلامـ شـكـرـ اللـهـ الشـيرـازـيـ، أحدـ فـحـولـ الـعـلـمـاءـ، لمـ يـكـنـ لـهـ نـظـيرـ فـيـ عـصـرـهـ فـيـ الـحـسـابـ وـ الـهـيـئةـ وـ الـهـنـدـسـةـ وـ سـائـرـ الـفـنـونـ الـرـياـضـيـةـ، ولـدـ وـ نـشـأـ بشـيرـازـ، وـ تـلقـىـ الخـطـ وـ الـحـسـابـ عنـ أـيـيهـ، وـ ولـىـ مـكـانـهـ بـخـدـمـةـ فـيـ دـيـوـانـ الـخـرـاجـ، وـ لـمـ بلـغـ الرـشـدـ تـرـكـ الخـدـمـةـ وـ صـحـبـ عـلـامـةـ الـعـلـمـاءـ تقـىـ الدـيـنـ مـحـمـدـ الشـيرـازـيـ، وـ قـرـأـ عـلـيـهـ الـمـنـطـقـ وـ الـحـكـمـ وـ غـيـرـهـ مـنـ الـعـلـومـ، ثـمـ ذـهـبـ إـلـىـ قـزوـينـ وـ اـسـتـظـلـ بـعـضـ الدـوـلـةـ فـرـهـادـ خـانـ وـ صـاحـبـهـ مـدـءـ، وـ لـمـ قـتـلـ عـضـ الدـوـلـةـ ذـهـبـ إـلـىـ هـمـدانـ وـ صـحـبـ إـبـرـاهـيمـ حـسـنـ الـهـمـدـانـيـ الـفـاضـلـ وـ اـسـتـقـادـ مـنـهـ فـوـائـدـ كـثـيرـةـ، ثـمـ سـافـرـ إـلـىـ الـعـرـاقـ فـرـارـ المشـاهـدـ وـ دـخـلـ الـهـنـدـ مـنـ بـنـدـ كـنـبـاـيـةـ، وـ أـدـرـكـ عـبـدـ الرـحـيمـ بـنـ بـيـرمـ خـانـ بـمـدـيـنـةـ بـرـهـانـبـورـ فـجـعـلـهـ مـنـ نـدـمـائـهـ، وـ شـفـعـ لـهـ إـلـىـ جـهـانـكـيرـ بـنـ أـكـبـرـ سـلـطـانـ الـهـنـدـ وـ

ولاه خدمة في برهانبور، فاستقام عليها ثلاث سنوات، ثم شفع له فولي الكتابة بديوان الخراج و لقب بأفضل خان، كما في «آثار رحيمى».

و قال عبد الحميد الlahورى فى «بادشاه نامه»: إن عبد الرحيم ابن بيرم خان قربه إلى شاهجهان حين قدومه إلى بلاد الدكن، فشفع له شاهجهان إلى أبيه جهانكير واستخدمه، ثم لما سار شاهجهان بعساكره إلى أوديبور بأمر والده لتأديب رانا أمر سنه ذهب شكر الله في موكبه، و لما رجع شاهجهان إلى الحضرة شفع له، فلقبه جهانكير أفضـل خان و أعطـاه المنصب، ثم لما قام شاهجهان بالملـك بعد أبيه أضاف في منصبه و رقاـه من الإمـارة إلى الـوزارة، و كان ذلك في السنة الثـامنة الجلوسـية، و أضاف في منصبه غير مرـة حتى صـار مع الأصل و الإضافـة سـبعة آلاف له و أربـعة آلاف للـخيـل، فاستـقل بالـوزارة إلى وفاته.

و كان رجلا فاضلا و قورا حازما شجاعا مقداما عاقلا حسن الأخـلاق كثـيرا لـفوائد جـيد المـشاركة في العـلوم، له يـد بيضاء في الحـساب و الـهندـسة و الـهـيـئة و سـائر الفـنـون الـرـياـضـية و الـحـكمـة.

و قال محمد صالح في «عمل صالح» ما يؤيد كلام عبد الحميد غير أنه خالقه في المنصب فقال : إنه نال سبعة آلاف له و خمسـة آلاف للـخيـل في آخر أيامـه - ثم أـثنـى على

ص: ١٩٧

براعته في العـلوم الـحـكمـية ثنـاء جـميـلا.

و كذلك شاهنواز خان في «آثار الـأـمـراء» أـثنـى عليه و قال: إنه كان مشـكورـا السـيـرة مـهـذـبـاـلـأـخـلاقـ نـادـرـةـ منـ نـوـادرـ الـدـهـرـ فيـ الـعـلـومـ الـرـياـضـيةـ.

توفي في الثاني عشر من رمضان سنة ثمان وأربعين و ألف بلاهور فأرخ الناس لوفاته، بعضـهم من قوله «علامـى اـزـدـهـرـ رـفـتـ».

- نـزـهـهـ ١٧٠ / ٥ - ١٧١ رقم ٢٦٩

محمد أشرف المشهدى (ت ١٤٨٥ هـ ١٠٩٧ م)

الـشـيخـ الفـاضـلـ مـحمدـ أـشـرفـ بـنـ عـبدـ الـسـلامـ الحـسـينـيـ المـشـهـدـيـ، أحـدـ الرـجـالـ الـمـعـرـوفـينـ بـالـفـضـلـ وـ الـكـمالـ، كانـ حـارـساـ لمـديـنـةـ بـرـهـانـبـورـ حـينـ كـانـ وـالـدـهـ وـالـيـاـ عـلـىـ أـقـطـاعـ الدـكـنـ، وـ لـمـ تـوـفـىـ أـبـوهـ تـقـرـبـ إـلـىـ شـاهـجـهـانـ بـنـ جـهـانـكـيرـ سـلـطـانـ الـهـنـدـ، تـدـرـجـ إـلـىـ إـلـمـارـةـ حـتـىـ صـارـ مـبـرـخـيـاـ فـيـ عـهـدـ عـالـمـكـيرـ، وـ كـانـ رـجـلـاـ فـاضـلـاـ حـلـيـمـاـ كـرـ يـمـاـ مـتـورـعاـ سـلـيمـ الـذـهـنـ حـسـنـ الـأـخـلـافـ مـتـيـنـ الـدـيـانـةـ، لـهـ يـدـ بـيـضـاءـ فـيـ النـسـخـ وـ التـعـلـيقـ وـ الرـقـاعـ وـ أـكـثـرـ الـخـطـوـطـ وـ لـهـ مـنـتـخـبـاتـ الـمـتـنـوـيـ الـمـعـنـوـيـ، مـاتـ فـيـ تـاسـعـ ذـىـ الـقـعـدـةـ سـنـةـ سـبـعـ وـ تـسـعـينـ وـ أـلـفـ فـيـ عـهـدـ عـالـمـكـيرـ، كـمـاـ فـيـ «ـآـثـارـ الـأـمـراءـ»ـ.

- نـزـهـهـ جـ ٥٩٢ رقم

عبد السلام المشهدی (ت ١٤٤٧ / هـ ١٠٥٧ م)

الأمير الكبير میر عبد السلام الحسینی المشهدی، أحد الرجال المعروفین بالسياسة و التدییر، قدم الہند و تقرب إلى شاهجهان بن جهانکیر التیموری فولاہ علی دیوان الإنشاء و جعله وکیلا له فی حضرة والدہ جهانکیر سنۃ ثلاثین و ألف، و لما قام بالملک أضاف فی منصبه و جعله أربعة آلاف له و ألفین للخیل و لقبه «إسلام خان» و ولاه علی بخشیکری

ص: ۱۹۸

فاستقل بها أربعة أعوام، ثم أضاف فی منصبه و ولاه علی كجرات فاستقل بها سنتين ثم جعله «میر بخشی» فأرخ له بعضهم من قوله «بخشی ممالک» فاستقل بها سنتين، ثم ولی علی أرض بنکاله فاستقل بها أربع سنین، ثم ولی الوزارة الجلیلية فاستقل بها خمس سنوات، ثم ولی علی إقليم الدکن، وأضيف فی منصبه غير مرّة حتى صار مع الأصل والإضافة سبعة آلاف له و سبعة آلاف للخیل.

و كان عالماً كبيراً بارعاً فی العقول و المنقول و الإنشاء و الخط، حریضاً علی الخ دمة السلطانية، صاحب دھاء و تدبیر و سیاست.

توفی فی رابع عشر من شوال سنۃ سبع و خمسین و ألف بمدینة اورنک آباد فدفن بها، كما فی «ماثر الامراء».

- نزهہ، ۲۳۰ رقم .۳۵۲

أحسن الله ظفر خان التربتی (ت ١٤٦٢ / هـ ١٠٧٣ م)

الأمير الفاضل الباذل نواب أحسن الله بن أبي الحسن التربتی نواب ظفر خان، أحد الأمراء المشهورین فی ارض الہند، ناب الحکم عن والدہ بکامل مدة من الزمان و بکشمیر برهہ من الدهر فی أيام جهانکیر و ولدہ شاهجهان علی بلاد السند، و أضاف فی منصبه، و صار مع الأصل والإضافة ثلاثة آلاف له و ثلاثة آلاف للخیل، و لما قام با لملک عالم کیر بن شاهجهان عزله عن الولاية و المنصب، و وظفه بثلاثین ألفاً تحصل له كل سنۃ من الجراية الشاهانية.

و كان والدہ من أهل السنة و الجماعة، فخالفه فی المذهب و صار شیعیاً متصلباً فی المذهب.

و كان باذلاً کریماً یرسل الصلات و الجوائز للناس إلى بلاد الفرس، و قد مدحه الشعراً بأیيات رائقة رقيقة، منهم مرزا محمد على الصائب التبریزی قال فيه:

کلاه کوشہ نجو رشید و ماء می
باين غرور که مدحت کر ظفر خانم

ص: ۱۹۹

و قال فيه:

زبان کجا است که از حضرت سخن	حقوق تربیت را که در ترقی باد
تو تاج مدح نهادی بفرق دیوانم	توبای تخت سخن را بدست مدادی
کشید جذب تو این لعل از رک جانم	زریوی کرم تو جوشید خون معنی من
تو در فصاحت دادی خطاب سخنانم	تو جان زدخل بحا مصرعی مرا دادی

و لأحسن الله خان أبيات رائقه بالفارسية قوله:

تونی قطع هستی کن	به تیغ بی نیازی تا
ترا خود بیشدستی کن	فلک تا افکند از با

فى عام ١٠٤١ هـ عين شاه جهان (١٠٣٧ - ١٠٦٩) حاكما على كشمیر بدلا من اعتقاد خان . و أوكل إليه منصب (السهراري). و حين توجه ظفر خان إلى كشمیر، ترك (صاحب) الشاعر المذكور بلاط شاه جهان و رافق ظفر خان في رحلته إلى تلك الولاية.

و كان لإقامة ظفر خان في كشمیر الأثر البالغ في ازدهار الشعر والأدب لأن أغلب شعراء ذلك العصر تجمعوا حوله، و طلقوا ينشدون الشعر في حضرته و يتبارون في ذلك، و كان من عادته أن يقترح موضوعا للغزل، يأخذ الشعراء في مجاراته، وقد أسهمت هذه العادة في إضفاء رونق خاص على الشعر والشعراء.

عزل ظفر خان عن ولاية كشمیر عام ١٠٤٨، و لما غادر كشمیر ت洩ض مجلس الشعر والأدب فيها . من هنا عدّ ظفر خان من الأشخاص الذين أسهموا في تنمية الشعر والأدب الفارسي . و سبب إقبال شعراء إيران عليه وخصوصا الشاعر صائب هو اهتمامه الكبير في هذا المجال. و من أشهر الشعراء الذين لازموا مجلسه و ارتبطوا معه بعلاقة خاصة . صائب و كليم و القدسي و الغنى و دانش و المير صيدى.

٢٠٠: ص

كان ظفر خان يطرح قرطاسا يكتب عليه الشعراء شعرهم، و ترسم صورة كل شاعر خلف شعره . و يذكر خوشبو صاحب كتاب «السفينة» أنه رأى هذا القرطاس . و يتحدث صاحب «سمع انجمن» و مؤلف «ماثر الأمراء» عن ظفر خان بقولهما: يكفي ظفر خان فخر و شرفا إن الميرزا صائب امتدحه في شعره .

يُقل عن ظفر خان في أيام شبابه أنه لم يكن يتورع عن محروم ولا ينتهي عن منكر حتى كانت ليلة الاثنين الثاني والعشرين من جمادى الأولى عام ١٠٦٣ هـ حيث رأى الرسول (ص) في الرؤيا فتاب على يده . وأخذ بعد ذلك يؤدى واجباته الدينية ويقرأ الأدعية، فوضع له العلماء كتاباً في الأدعية والأذكار المنقوله عن الأنبياء (ع) وسموه «أحسن الدعوات» وأضافوا إليه شروحات باللغة الفارسية ومنه نسخة خطية في مكتبة مجلس الشورى / طهران برقم ٨٢٤.

توفي ظفر خان عام ١٠٧٣ في لاهور، و دفن في مقبرة أبيه و يمكن القول إن أبرز الأمراء الهنود في زمان شاه جهان ممن ناصروا الشعراء و الشعرا و دعموهم بتأييدهم هو ظفر خان الذي كان ينشد الشعر بنفسه، و يستفيد في ذلك من صايب . و قد ذكر ذلك في شعره، و هو موجود في نسخة خطية تحت عنوان «كليات احسن» في مكتبة بانكي بور في الهند تحت رقم ٣٢٩.

محمد طاهر عنایت خان (ت ۱۰۸۱ / ۵ ۱۶۷۰ م)

الميرزا محمد طاهر المعروف بعنایت خان، هو ابن ظفر خان (المتقدم ذكره) من القادة الأدباء الشيعة، كان يعتنى بالشعراء والأدباء و يجالسهم و له دیوان شعر و ثلاثة في المثنوی.

و له في النثر تلخيص للملأ عبد الحميد الlahوري المتوفى ١٠٦٥هـ. «بادشاه نامہ» و هي تفصيل لثلاثين سنة من سلطنة شاه جهان و سماه التلخيص المذكور باسم «الملخص».

و يذكر صاحب كلمات الشعراء أنه أفصح من العلا حميد.

عین عنایت خان فی عهد شاه جهان فی منصب ال «ه زار و بانصدی»

二〇一〇年

«و البنجهزاري و السه هزارى و الهزار و بانصدى اصلاحات مشتقة من الأرقام الفارسية تعنى خمسة آلاف و الثاني ثلاثة آلاف و الثالث الالف و الرابع الخمسمائه، و هكذا». و لكنه عزل فى عهد ابنه عالم كير (١٠٦٩ - ١١١٩) فقضى حياته فى كشمير معتولا حتى وافته المنية عام ١٠٨١.

- نزهه ۵ / ۳۷ - ۳۸ رقم، مآثر الامراء

- مستدرکات ۵/۶۸ و کرر ترجمته.

مرشد الشیء ازی (تالیف ۱۱۵)

ملا مرشد الشيرازى، كان من الأمراء، قدم الهند، و تقرب الى مهابت خان «زمان ييك بن غيور ييك الكابالى المتوفى ١٠٤٤هـ»، ولبث عنده زمانا، ثم تقرب إلى جهان كير ثم إلى ولده شاه جهان، فلقبه الأخير (مكرمت خان) و تنقل في الوظائف حتى ولى على أيةاله دهلي و اضاف في منصبه غير مرة حتى صار أربعة آلاف له و أربعة آلاف للخيل، و كان فاضلاً كريماً بارعاً في الهيئة و الهندسة و الحساب، يرجم إليه فضل كبير في تأسيس شاهجهان آباد و قلعتها.

خرم شاه جهان (١٥٩٢ - ١٦٦٦ / ١٠٧٥ - ١٤٣٦ م)

الأمبراطور خرم شاه، الأبن الثالث للأمبراطور جهان كير، سماه جده بـ (خرم) أى (مسرور)، و لقبه والده: (شاه جهان) و لما اعتلى العرش في آكره في ١٤٣٦ / ١٠٧٥ م.

تلقب بـ (شهاب الدين محمد صاحب القرآن الثاني) و كان من أعاظم ملوك الأسرة المغولية وقد امتد صيته إلى العالم أجمع، و بدأ عهده بالتخلص من أخيه الوحيد البالى على قيد الحياة و هو شهريار اذ مات خسرو في سجنه و مات برويز قبل والده بسنة، و قد ادعى شهريار الملك فتصدى له آصف خان و دفعه عنه و أعلن ملكية داور بخش بن خسرو، بيد أنه لم يكن يرمي من وراء ذلك إلا أن يتخذ هذا الأمير المغمور درعا للقضاء على شهريار و ليخدع به الناس و يلهيهم حتى يتحقق هدفه. و بعد هذه المناورة كان لا بد من أن تلعب السيويف بين مدعبي السلطنة، و لما كان شهريار في لاهور فقد سار إليه آصف خان، و نسبت بينهما معركة انتصر فيها آصف خان، فقبض على شهريار و على ولدي دانيال بن أكبر اللذين كان يخشى عصيانهما فأمره خرم، الذي كان على اتفاق معه لتدريب هذه الخطة، بقتلهم فقتلوا جميعا، ثم أمر خرم قبل أن يدخل آكره بقتل داور بخش فأخذه آصف خان و قتلته و ما كاد الوضع يستتب حتى نسبت ثورة جهجار سنكه أمير بندهيل كهند، و كان والد هذا الأمير مقربا إلى الامبراطور أكبر، فكان يستغل عطف الامبراطور عليه و حسن ظنه به، فيظلم رعاياه و يعتدى على جيرانه و يسلب أبناء السبيل الذين يعبرون بلاده، و كان شاه جهان يرى هذا، و هو أمير، و يزعجه و ينوي تأدبيه متى آلت إليه أمور الملك، و لكن الرجل مات قبل أن يصل شاه جهان إلى الملك، و كان ابنه جهجار سنكه هذا رهينة في آكره لضمان إخلاصه للملك، كما كانت العادة آنذاك. فلما تولى شاه جهان العرش غادر جهجار سنكه آكره، و عاد إلى بلده من غير ان يستأند الامبراطور،

مدعيا أنه خاف بأن يؤخذ بذنب أبيه.

و كان شاه جهان يتغاضى عن هذه البدارة لو أثبتت إخلاصه، ولكن الأمر كان على الضد من ذلك، إذ أنه لم يتم ض عليه غير قليل حتى ثار في وجه السلطان، سنة ١٤٢٩، فقمع شاه جهان ثورته و عفا عنه و اكتفى منه بالخارج و الطاعة. و لكن جهجار سنكه ثار بعد سنوات مرة ثانية و صار يقطع الطريق بين دكن و بين آكره فجهز الامبراطور شاه جهان جيشا بقيادة ابنه أورنك زيب و أرسله لقمع هذه الثورة، فقمعها و استولى على القلائع الثلاث التي كانت في يده، ففرّ جهجار فطاردته الجنود حتى مقاطعة «كوندوانه»، و كان أهلها أعداء له فأخذوه و قتلوا هـ و أصحابه و أعطيت إمارته إلى ديوي سنكه، و هو من أمراء الأسرة التي كانت تملـك هذه الإمارة قبل اسرة جهجار سنكـه.

و في الوقت الذي كان أورنك زيب يعمل على إخماد هذه الثورة كانت ثورة أخرى تتشتعل في دكن أغارها خان جهان لودهي، و كان أيضا من أولياء الأسرة المغولية و تولـي في عهد جهان كـير ولايتـي خانديـس و دـكن، فـلما سـمع بوفـاة السلطـان و ولـاية دـاور بـخش العـرش أعتبرـه الـوريـث الشرـعي للـعـرش و أـعلن ولـاهـ لهـ، فـلما قـتـل دـاور بـخش و تـولـي شـاه جـهـان العـرش

تردد خان جهان بالاعتراف به ثم إنه طلب العفو و دخل في الطاعة ظاهراً و لكنه كان يضم السوء، و لم يمض عليه غير قليل حتى جهز جيشاً و سار يريد آكره من غير أن يستأذن السلطان، فذهبت جيوش السلطان تعترض طرقه، و التقت الجمعان بالقرب من مدينة دهولبور فانهزم و فرّ متجلئاً إلى دولت آباد فاستقبله أميراها بالترحاب والإكرام وأقطعه مقاطعة تقوم بنفقاته ريشما يجمع رجاله و يحكم أمره . و لما سمع الأفغانيون بعصيان خان جهان، و هو أفعانى، أخذوا يتقاترون عليه من كل حدب و صوب ظناً منهم بأنه سيعيد إليهم أيام شير شاه، فسار إليه شاه جهان بنفسه و طارده و أشتباك معه في عدد من المعارك كانت آخرها معركة نسبت سنة ١٦٣١، قتل فيها خان جهان و تشتت جمعه و قضى على ثورته، و حيث أن أمير دولت آباد قد عطف على هذه الثورة، فقد أخذه السلطان و قتله ، و ظل السلطان حتى سنة ١٦٣٢، يجول خلال د肯 حتى بلغ حدود كل من إمارتى بيجابور و كولكىنده، و لم تكن الجيوش المغولية وصلت من قبل إلى هذا الحد قط، و كان وجود الجيوش المغولية على حدود هاتين الإمارتين مداعاة للتحرش بهما

ص: ٢٠٥

و القضاء عليهما بعد ذلك . فقد بما المغول يستولون على القلاع الحصينة من غير أن يعلموا حرباً، و أجزاء هذه الخطة انقسم أهل البلاد إلى فريقين، فريق لم ير فائدة من القتال فمال إلى المغول، و فريق لم ير بدا من القتال . و قد أرادت بيجابور أن تساعد المغول للقضاء على الإمارة النظامية و اقتسامها بينه ما، و لكن القدر شاء غير ذلك، إذ حدث أن قتل وزير الإمارة النظامية، فتح الله خان، أمير البلاد و نصب مكانه فتى يافعاً اسمه على حسين، و أدخل الإمارة في طاعة شاه جهان فأفسد على إمارة بيجابور خطتها، و أنقذ إمارته من أعداء كانوا ي يريدون الفتوك بها، و كان أشد هؤلاء الأعداء خطراً زعيم هندوكي اسمه ساهوجى الذى نصب بالاتفاق مع إمارة بيجابور، أميراً على إمارة دولت آباد، و سار باسم هذا الأمير الفتى، لقتال فتح خان، فاستنجد فتح خان بالمغول فأنجدوه و لكنه اتقلب عليهم أثناء القتال و انضم إلى بيجابور، فلم تتفעה حيلته، و لا ضمنت له سلامته، بل انهزم هو و إمارة بيجابور أمام المغول، فدخلوا العاصمة و أخذوا الأمير الشاب على حسين نظام شاه، و هو آخر أمراء هذه الأسرة، و سجنه في قلعة كواليا.

و لكن هذه الهزيمة لم تقض على الإمارة بل عصت قلعة برينده، و فرّ ساهوجى بالأمير الذى نصبه و اتخذ وسيلة لغايته و جعل يشن حروب عصابات في وجه المغول، فأرسل شاه جهان ابنه الأصغر شجاع الدين واليا على الدكن، و أمره بمطاردة العصاة و القضاء عليهم، و لكنه ظل يجالدهم سنة كاملة دون جدوى، فلما رأى شاه جهان ذلك أمر ابنه بالرجوع إلى آكره و سار هو بنفسه، سنة ١٦٣٥، على رأس جيش إلى الدكن و أرسل إلى كل من أمير بيجابور و أمير كولكىنده يدعوهما إلى الطاعة و أداء الخارج، فأجاب أمير كولكىنده بالطاعة، و تلکأ أمير بيجابور، فدخلت الجيوش المغولية بلاده و دمرتها، و تراجعت جيوش الإمارة إلى العاصمة لتنظيم دفاعها، فحصرها شاه جهان فيه و انصرف إلى تدمير المناطق الكائنة في السهول، و بينما كان منصفاً إلى ذلك كان أهل العاصمة يضجون و يطلبون الأمان و يعرضون الصلح، فصالحهم على شروط شريفة و طلب منهم الإخلاص في الصداقة و عدم مساعدة أحد على السلطنة و على أداء الخارج و ضرب النقد و قراء الخطبة باسم السلطان شاه جهان أمير أباطور الهند .

و لم يكن السلطان مخلصاً في نيته، بل كان يود أن يقيم في هذه الإمارة حارساً أميناً

ص: ٢٠٦

لأمبراطوريته في الدكن إلى أن يحين الوقت للإستيلاء عليها.

و بعد أن أطمأن السلطان إلى نتائج أعماله قسم الدكن إلى أربع ولايات و عهد بإدارتها إلى ابنه اورنک زیب و أوصاه بالقضاء على التائرين و رجع سنة ١٦٣٦ إلى آكره. فعمل هذا الأمير بوصيّة أبيه و استكمل فتح الإمارة الذي نصبه درعا له، فغدا عنهم، و عهد إلى ساهوجي بعمل في إمارة بيجابور.

ولم تمض ستة شهور على وجود أورنک زیب في الدكن حتى استولى على منطقة بكانه، و هي منطقة جبلية تقع ما بين خانديس و سورت، و مشهورة بوعرة مسالكها و منعة قلاعها الحجرية التي لم يستطع «أكبر»، من قبل، الاستيلاء عليها.

بقي أورنک زیب حتى سنة ١٦٤٢ و أليا على الدكن، نشر فيها الأمن و الرفاهية، ثم إنه استقال و أراد اعتزال الأعمال العامة ليتصرف إلى نفسه، من الناحية الدينية، و لكن أباه أصر عليه بقبول ولاية كجرات قبلاها.

وفي البنغال استغل البرتغاليون فرصة تسامح المغول معهم و مع غيرهم من الانجليز و الهولنديين فأخذوا يحصنون مركزهم في هوكلوي و يتدخلون في شؤون الولاية هناك و لم يتمكن والي البنغال أن يردهم فاستنجد بالحكومة المركزية فبعث إليه الامبراطور من يؤدفهم، و اشتباك معهم في أحدى المعارك الفاصلة، و اسر اربعين من رجالهم و كان ذلك سنة ١٦٣٢ م.

وفي سنة ١٦٤٦ نشبت حروب أهلية في بخارى اضطرت أميرها إلى الاستنجاد بشاه جهان، مقرًا بسيادته على بلاده، فرأى شاه جهان الفرصة سانحة ل لتحقيق حلمه قدّيما ما زال يراقب أطماء أسرته منذ عهد باير، الذي كان يعتبر بلاد بخارى ملكاً موروثاً اغتصبه منه أولاد عمّه الأزابكة، فأنجد أمير بخارى بجيشه قوامه خمسون ألف مقاتل سيّره بقيادة ابنه الأمير مراد بخش، فلما دخلت الجنود الهندية مدينة بلخ أسقط في يدي أميرها و ندم على ما فعل و أدرك الخطيبة التي ارتكبها و أيقن بان شاه جهان لن يترك له هذه البلاد بعد ذلك أبداً، ففرّ من بلخ و أخذ يؤذن الناس حتى اجتمع لديه خلق كثير، و جاء فصل الشتاء فغادر مراد بخش بخارى عائداً إلى آكره، و رجع أمير بخارى إلى عاصمته، و لكن شاه جهان

ص: ٢٠٧

لم يرض بما فعل ابنه، الذي أفسد عليه خطته، فجهز جيشاً ثانياً و أرسله سنة ١٦٤٧، بقيادة ابنه أورنک زیب فقاتل الأزابكة، و لكنه عجز عن أن يفرض عليهم السيطرة الهندية، فعقد معهم صلحًا لستر فشله، و عاد إلى الهند بأمر والده الذي أدرك خطأ تفكيره، لا سيما، أن ما استترفته هذه الحرب من نفقات كانت توقع الإمبراطورية في عجز مالي.

فلما عاد أورنک زیب من بخارى عينه أبوه و أليا على ملستان فاخضع بعض مناطق في السندي، لم تكن خاضعة بعد للسلطنة، واستولى على المنطقة الساحلية من بلوستان و مكران، و قرئت الخطبة في المساجد و ضرب النقد في هذه البلاد النائية باسم **السلطان المغولي لأول مرة في التاريخ**.

و في سنة ١٦٤٩ عهد السلطان إلى أورنک زیب بقيادة حملة للاستيلاء على قندهار، التي كانت موضع نزاع مستمر بين الإيرانيين و بين الهندود، و كان قد أن قام العاهل الإيراني و ضمها إلى الهند، سنة ١٦٣٦، فحصلت الهندود و أنفقوا عليها أموالاً طائلة، ف جاء الإيرانيون و استولوا عليها، سنة ١٦٣٨، مرة ثانية، ف كانوا بذلك معتمدين، و قد أراد شاه جهان إرجاعها

إلى الحظيرة الهندية، ولكن مهمه أورنوك زيب أخفقت، إذ انه خ اض مع الإيرانيين معركتين في سنتي ١٦٤٩ و ١٦٥١ فانهزم أمامهم و عاد إلى بلاده . و في سنة ١٦٥٣ أرسل السلطان أبne «دارا» لقتال الإيرانيين و الاستيلاء على قندهار، ولكن حظه لم يكن بأحسن من حظ أخيه، فانهزم و عاد إلى بلاده، و بقيت قندهار بيد الإيرانيين.

كان (شاه جهان) قد خصص نصف دخله لترقية العمارة و غيرها من الفنون، وقد تجلى ذوقه و عظمته في تجديد و زخرفة آكره، و في تشييد مدينة دهلي الجديدة أو كما سماها (شاه جهان آباد) حيث قضى الجانب الأكبر من شيخوخته التي اتسمت بالبذخ و الترف، معتليا عرش الطاووس المشهور الذي استغرق صنعه سبع سنوات، وقد تضمن هذا العرش الرائع ما لا عين رأت و لا أذن سمعت من نفائس الجوادر و الأحجار النادرة العجيبة الكريمة، و لا شيء غير هذه، فقوائمه الأربع من ذهب، و يحمل سقفه المطلبي بالمیناء اثنا عشر عمودا من الزمرد، و على كل عمود طاووسان مغطيان بالجوادر، و بين كل طاووسين شجرة يغطيها الماس و الزمرد و الياقوت و اللآلئ، و بلغ مجموع تلك النفائس ١٢٠٠ كيلو غرام من الذهب و الجوادر بقيمة ٢٩ مليون روبيه و لقد استولى «نادر شاه»

ص: ٢٠٨

على هذا العرش و نقله إلى فارس و هناك أخذت أجزاءه تتفرع شيئا فشيئا لتسد نفقات الأسرة المالكة في فارس .

إلا أن أهم اعماله العمرانية على الاطلاق هو اعجوبة العماير الإسلامية بل اعجوبة الصروح الاثرية في العالم هو البناء الذي يطلق عليه اليوم اسم (تاج محل) فالروعه و الجمال اللذان يمتلان في هذه الذروه الشامخه التي بلغتها الفنون الاسلامية ما يصح أن يكون عنوانا لأزهى مراحل العصر الاسلامي المغولي في شبه القارة الهندية.

فالفن المعماري الذي يتمثل فيه فن اسلامي خالص لا اثر للفنون الهندية و غير الهندية فيه . و الطراز الهمایونی الذي يتجسد فيه قد بلغ قمة في تاج محل لا نكاد نذكر انه بلغها في غيره.

و قد زاره الكاتب الامريكي باريارد تيلور سنة ١٨٥٣ فقال فيه: «ان مبني بهذا الجمال و الكمال، في كافة تفاصيله و دقائمه، لا يليث ان يسحرك فتحسبه من صنع الجن لا الانس .. الجن الذين لا يعرفون شيئا من الضعف أو القصور التي يعاني منه الانسان».«.

أو كما قال البحترى في وصف ايوان كسرى:

أبدعوه أم صنع جن لأنس؟

ليس يدرى اصنع انس لجن

كل ذلك مصدره حب شاه جهان و وفاته لزوجته (ارجمند بانو) فما هي تفاصيل هذا الحب و الزواج و البناء التذكاري العظيم تاج محل؟

تبدأ قصة تاج محل الحقيقة عام ١٦٠٧ في بلاط جهان كير بمدينة آكرا حيث كان يحتفل السلطان في إحدى المناسبات في (مينا بازار) سوق مينا الملكي وكانت أبواب السوق متصلة بحرير الملك، وفي تلك المناسبة لمح الأمير خرم الذي كان يبلغ السادسة عشر من عمره، محبوبته الأميرة الشيعية ارجمند بانو [ارجمند بالفارسية معناه كفء لائق جدير، و بانو لقب تكريمي يضاف للنساء مثل بيكم أو خاتون] بنت آصف جاه أبي الحسن بن غياث الدين ابن محمد الطهراني و عمتها نور جهان زوجة الامبراطور جهان كير، وقد ولدت و نشأت في الهند، وكانت وحيدة عصرها في الحسن والجمال، ففاتح والده بالزواج منها فأذن له على أن يكون ذلك بعد خمس سنين، وقد تم ذلك في ٢٧ آذار عام ١٦١٢، وقد حازت العروسة على رضا السلطان فأطلق عليها اسم «مممتاز محل» و تعني زينة القصر، وكانت امرأة متفقة ثقافة قرآنية جيدة، وسعت آفاق تفكيرها و فتحت مداركها كما امتنعت بالعقل الراجح و الرأي الرزين و سرعان ما أصبحت المستشارية السياسية الأولى لزوجها التي تبوا الملك بعد ذلك و عرفت برعايتها للقراء والأرامل و اليتامي و قد اكتسبها ذلك شعبية كبيرة في المملكة و كان زوجها الامبراطور يعهد إليها بحفظ الختم الملكي كما كانت ترافقه إلى ساحات الحروب كما كانت ترافقه في غزواته و حملاته العسكرية و في رحلات الصيد و النزهة و الإستطلاع عبر الغابات و الفرار فطوفت معه في كثير من أنحاء الهند الشاسعة، وكانت مغرمة شأنها شأن زوجها بالعمارة و البناء فعمل الملك - و لم يشتهر بها أثر من ذلك - على إعادة بناء القصور في قلعة آكرا و تزيينها بالموصليين و الرخام المحفور المزدان بالجاذب و اللازورد و العقيق الأحمر و الأحجار الكريمة.

و بعد ذلك أو عز السلطان ببناء الصرح العظيم عرش الطاووس (المار ذكره) و الذي أضحي رمز التراثة الخيالية و القوة و النفاخر المغولي.

عاشت الملكة تاج مع زوجها شاه جهان على مدى تسع عشرة سنة عيشها ملؤها المحبة و الوفاء و الإخلاص، وكانت الملكة (مممتاز محل) بالإضافة إلى جمالها و صفاتها الإنسانية المثلثة أمّا رائعة فقد أنجبت لحبيها و مليكها شاه جهان أربع عشر ابنا و بنتا بقي منهم سبعة على قيد الحياة و قد أنجبت معظم أولادها في الخيام المنصوبة بالقرب من ساحات الوفى أثناء مراقبتها لزوجها، وفي عام ١٦٢٩ م و هو العام الثالث من حكم زوجها حملت ممتاز محل للمرة الأخيرة و كعادتها أصرت على مصاحبة زوجها في حملة حربية كان يعد لها م قبل، و على قرب من موقع الأعداء و دمدمات الحرب أنجبت له بنتا في المضارب التي أقيمت بالقرب من مدينة (برهان بور) و كانت الولادة عسيرة أثرت على صحتها جدا و على أنها

ص: ٢١٠

^{٣١} (١) الاسم الحقيقي للبناء التاريخي (تاج محل) هو ممتاز محل و قد حرّف المئود اسم ممتاز إلى تاج لصعوبة نطق الأول في لغتهم و سرّ الخطأ الشائع حتى يومنا هذا و قد يسميه المئود أيضاً بروضته تاج كنج أي قصر التاج مع أن المقصود الأصلي هو ممتاز كنج أي قصر ممتاز.

ذلك استدعي السلطان للجلوس إلى جانبها يخفف عنها العناء ويسامرها ثم ازدادت حالتها سوءاً ولم تنفع جهود الأطباء، وحين أحسست بدنو أجلها همست في أذن زوجها الملك ووصته أن يتحقق لها أمنيتها ألا وهي بناء أعظم صرح تعرفه البشرية على مر العصور ليكون شاهداً شاكراً على حبهما الكبير، وبعد هنيئة فارقت ممتاز محل الحياة في ديسمبر سنة ١٦٢٩ م وهي في السابعة والثلاثين من عمرها وكان ذلك أثناء المخاض في الطفل الرابع عشر، وكان المولود ابنة سميت جوهر آرا ودفنت في قبر مؤقت في حديقة زين آباد في مدينة برهان بور حيث كان يعسكر السلطان يومذاك، ثم نقلت الرفاة إلى مدينة آكرا ودفنت بحديقة راج أمان سنج التي اختيرت لتكون المقبرة الأبدية للملكة الراحلة وعوض عنها صاحبها بضياع شاه جهان وبقي تابوت ممتاز محل في تلك الحديقة المشرفة على الشاطئ الأيمن لنهر جمنه مدة طويلة حتى اتم السلطان خططه العمرانية للبلدة بتشييد صرح تاج محل العظيم.

بناء تاج محل:

بالرغم من عودة السلطان من حملته الحربية سنة ١٦٣١ م منتصراً إلا أن الحزن الشديد قد خيم على نفسه وكل مظاهر الحياة التي كان يحياها و يتمتع بها في التقصير أو خارجه فقد كاد يجن ألمًا و حرقة لفراق حبيبته في ذلك الحدث المأساوي المفجع حتى قيل يومها أن السلطان فكر في اعتزال الحكم وتقسيم المملكة بين أولاده ويوماً بعد يوم كان صدی الوصیة في فکره یننمو و يتسع فاعتزم على بناء أعظم وأفحى قبر انشیء لملك أو عظيم من عظماء الدنيا وهذا دعا السلطان أقطاب صناعة البناء والهندسة في الهند وخارجها وشاورهم في تنفيذ فكرته السلطان ولكنهم عجزوا عن أن يأتوا بالأعجوبة التي يريدوها ثم جاءه مهندس عربي قائلًا له:

أني قادر على أن أصنع ما تريده ولكنني أطلب من جلالتك أن تملأ لي قارباً من الذهب لنذهب فيه بنزهة في نهر جمنا، فأجباه السلطان إلى ما طلب، ولما كانا في منتصف النهر صار المهندس يأخذ الذهب براحته ويقذف به في النهر وقال للسلطان: إن كنت تنشر الذهب هكذا من غير حساب كما أفعل أنا الآن فإني أستطيع أن أصنع لك أعجوبة،

ص: ٢١١

فوعده الملك بما طلب وكانت هذه القطعة الفنية الرائعة . ومهما كان مبلغ هذه القصة من الصحة فإنها ترمي إلى حقيقة عجز عالم اليوم عن الإتيان بمثلها.

و هكذا بدأ العمل لعمارة هذا التاج، واستمر العمل في بنائه اثنين وعشرين عاماً، وتم بناؤه بين سنتي (١٦٣٢ - ١٦٥٤) و يقال أنه كان يستغل في بنائه كل يوم، طوال هذه المدة، عشرون ألف عريف وبناء وعامل، انشئت لأقامتهم مدينة في بقعة قريبة خاصة سميت باسم الملكة الراحلة - ممتاز آباد - وبنقة بلغت ثروات هائلة قيل أنها بلغت ما يوازي ٤٠ مليون روبيه و بتلك الجهدات الحثيثة انشئ هذا الصرح الخالد الذي لا يضارعه صرح آخر في الفخامة والبهاء، ولا عجب فهذا المرمر الظاهر الكريم الذي يلف تاج ملح بيهرك وانت تنظر إليه .. ان له من البهاء والصفاء ما يجعله يبدو لك كالكوكب الدرى ..

لقد جموعه من محاجر مختلفة، وبخاصة محجر مركانا الشهير في الهند . و راحوا يفحصون كتل الرخام و يدققون النظر في جودتها فلا يختارون إلا الأمثل الأمثل منها .. و لعل ما أهملوه من تلك الكتل، لأقل طعن في عراقتها، أكثر بكثير من الذي اختاروه.

و حرص المهندسون المعماريون الذين أشرفوا على أعمال البناء و التصميم - و كانوا كثرة فيهم الفارسي و التركى و الإيطالى - حرصوا على أن يبرزوا بهذه ذلك المرمر و روعته، فعدموا إلى اسلوب المفارقة، و استعملوا حجارة سكرى الحمراء في تشييد المبنيين الصغيرين القائمين على جانبي تاج محل .. واحدهما المسجد .. و الآخر المعد للاستراحة و يسمونه «جواب».

انه أثر فريد لا يسع أى سائح أن يأتي إلى الهند أن يتخلق عن زيارته و من عظيم صنع هذا الأثر إلا أنه على الرغم من مضى أكثر من ثلاثة قرون و نصف على بنائه. فإنه ما زال إلى يومنا هذا و كان يد الصانع لم تبارحه إلا بالأمس، حتى قال أحد السواح بداعي الدهشة والإعجاب من الظلم أن يترك هذا البناء هكذا معرضًا لعواقب الجو و الطقس المتغير، بل يجب أن يصنع له بيت من الزجاج يحيط به، حتى يراه الناس و لا يمسوه.

و قد أراد شاه جهان أن يبني أمام تاج محل الأبيض بناء مثله على الضفة الأخرى من نهر جمنا على أن يكون من الرخام الأسود و قد بدأ بالأسس و لكن البناء لم يتم، و لم ينشأ

ص: ٢١٢

انه و خليفته من بعده ارونك زيب أن يتمه فاندتر و حق للهند أن تفاخر بهذا الأثر و أن تعتبره إحدى عجائب الدنيا السبع.

وصف تاج محل:

ضريح تاج محل يتألف من بناء مرمر أبيض يقوم على شرفة عالية، و تعلوه قبة ضخمة في وسطه، تحيط بها أربع قباب أصغر حجما، و ترتفع عند زوايا الشرفة أربع منارات دقيقة، و تبلغ مساحة الضريح ١٨٦ قدمًا مربعا، و قطر القبة الداخلية ٢٨ قدمًا، و يخترق ضوء النهار ستاراً مزدوجاً من الرخام المشغول فتسقط أشعته على قبرين تحت القبة تماماً للملك وزوجته، أما الزخارف الداخلية المطعمية بأحجار شبه نفيسة فتمتاز بألوانها الزاهية و رسومها الأخاذة.

و قد زخر البناء بكل عناصره المعمارية من أرض و مآذن و قباب و جدران و سقوف و نقوش و زينة و زخارف، كله رخام في رخام أبيض ناصح و نقشت جدران البناء بصور حيوانات رصعت في الأصل الرخامى الأبيض رخامًا موّله بألوان مختلفة من ألوان الحيوانات الحية ذاتها من طيور و سباع و دواب حتى لتکاد لدقّة صنعها و أحکام تنسيقها و انسجامها يحسبها الرائي لوحات دهان زيتى صنعت بيد رسام ماهر، هذا بالإضافة إلى ما في هذا البناء من حيث مظهره الخارجي من تناسق و انسجام و ذوق قلما يجد المرء له مثيلاً و ليس في هذا البناء كله حديد و لا خشب بل كله رخام في رخام و قد وفق شاه جهان فعلًا في أن يبهر العالم حتى يوم الناس هذا بعمله المع ماري العظيم الذي خلّد فيه قصة وفاته لزوجته و كان بعد اتمامه يجلس في غرفة من قصره في آكرا تشرف على الوادي الذي يقع به تاج محل، و قد طعمت أفاريز بابها، و نوافذها بقطع صغيرة من البلور، اذا نظر فيها الفى امامه صورة (تاج محل) معكوسة فيها و هكذا كان كلما ضاق صدره يرمى بطرفه إلى زوايا البلور المتلائمة فيرى صورة ضريح زوجته الحبيبة.

هذه صورة أولية لهذا الأثر الخالد، أما الدخول في تناصيلها فيستدعينا وصف ما يراه الزائر أولاً حينما يباشر بوضع أولى خطواته على مداخل الحديقة الغناء التي تحيط له، و المجاز إلى تلك الحديقة الفسيحة الأرجاء، العابقة بزهورها و اشجارها الجميلة عبارة عن

ص: ٢١٣

٢٢

٢١٣ الشيعه في العصر المغولي : ص ٢٢٨٠

مدخل هائل ذي ثلاثة عقود تقوم فوق قاعدة مربعة ضخمة من الحجر الأحمر، و تبلغ هذه العقود في الطول نحو خمسين متراً و في العرض نحو خمسة و ثلاثين و في الارتفاع نحو ثلاثين.

و قد زينت البوابة الوسطى من الأمام و الخلف بأفاريز من الرخام، نقشت فيها بعض آيات قرآنية بخط ثلاث جمils.

و من هذا المدخل الضخم، تهبط إلى الحديقة الشاسعة التي يقع في نهايتها الضريح قبالة المدخل، و هي حديقة منسقة ساحرة، تقوم بها أشجار الفلين في أوضاع متماثلة، و تتنخللها الحظائر و الممرات الرخامية، و النوافير الجميلة. و من المسلم به أنها تقوم فوق موقع الحديقة القديمة، التي كانت قائمةً منذ إنشاء الضريح.

و قد بقيت بها منذ عصرها القديم شجرة ضخمة (شجرة المال) في الحظيرة الشرقية الشمالية، يبلغ عمرها نحو أربع قرون و نصف، و معنى ذلك أنها اقدم من الضريح ذاته بنحو قرن و نصف.

و في نهاية الحديقة تقع القاعدة الكبرى التي يقوم عليها الضريح، و هي عبارة عن مستطيل ضخم تبلغ واجهته نحو ثلاثة مائة متر، و عرضه مائة و عشرون. يقع في طرفها الأيمن مسجد صغير. و في طرفها الأيسر بناء آخر كان يستعمل بهوا للاجتماع حين قيام الامبراطور بزيارة الضريح.

أما الضريح نفسه فإنه يقع في وسط هذه القاعدة العظيمة فوق مصطبة شاسعة مربعة من الرخام الأبيض يبلغ ضلعها نحو مائة متر، و ترتفع فوق القاعدة بنحو ستة أمتار، و تقوم في اركانها الأربع اربع منائر من الرخام الأبيض متباينة في الارتفاع و الرشاقة. و قبالة كل منها من الزوايا الأربع قبة صغيرة . و قد بني الضريح كذلك كله من الرخام الأبيض، و هو عبارة عن مربع يبلغ ضلعه ستين متراً، و قد استقطعت من كل زاوية نحو سبعه أمتار، و هو ما يجعله مثمن الشكل . و يدخل إليه من باب ركب في عقد كبير، قسمت واجهته إلى مربعات نحاسية، و احيط من الجانبين و من أعلى بأفاريز نقشت فيها الآيات القرآنية، برخام من نفس اللون و هي مكتوبة كذلك بالخط الثالث الجميل.

و تقوم القبة العظمى فوق القبرين. قبر ممتاز محل، و قبر زوجها الامبراطور، الذي دفن

^{٣٤} طريحي، محمد سعيد، الشيعه في العصر المغولي، 1 جلد، أكاديمية الكوفة - هند، چاپ: اول، ١٤٢٧ هـ.ق.

إلى جانبها بعد وفاته في سنة ١٦٦٦ مـ، وهي كباقي الصرح مشيدة من الرخام الأبيض المجلوب من جدها بور، ويبلغ قطرها ستة عشر متراً، وارتفاعها الكلى مع حربتها النحاسية، التي كانت من قبل مغطاة بالذهب ثلاثة وستون متراً.

أما الضريح ذاته، فهو عبارة عن حظيرة أو قاعة يحيط بها حاجز مثمن من الرخام، وقد وضع في وسطها تابوت ممتاز محل، وإلى يساره تابوت شاه جهان، وكلاهما مدرج رائعاً بالزخرف . وقد نقشت على تابوت ممتاز محل عبارات بالفارسية، وأسماء الله الحسني، حول جوانبه الأربع، منتهية بتاريخ وفاتها بالهجرية وهو سنة ١٠٤٠ هـ ١٦٢٩ مـ، وجاء في تلك الكتابة ما يلى : **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ . إِلَيْهِ وَقُولِهِ تَعَالَىٰ «كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَتُهُ الْمَوْتُ»*** كما كتبت أسماء الله الحسني وعلى الواجهة جاء : «مرقد منور ارجمند بانو بيكم مخاطب بممتاز محل توفيت سنة ١٠٤٠ هـ».

ونقشت على تابوت الامبراطور نفس النقش، وذيلت بتاريخ وفاته في سنة ١٠٧٦ هـ (١٦٦٦ مـ). وما جاء فيها مرقد مطهر أعلى حضرت فردوس آشيانى صاحب قرآن ثانى شاهجهان باد شاه طاب ثراه توفى سنة ١٠٧٦ هـ.

على أن هذين التابوتين الفخميين ليسا إلا رمزين . أما المقبرة الحقيقية فتقع أسفل الصخرة تحت نفس الموقع، في قبو يفتح للزائرين بصفة خاصة، وقد وضع فيه التابوتان اللذان يضمان رفات الامبراطور والامبراطورة . ووضعهما على مستوى وجه الأرض والزخارف فيها أقل منها في الضريحين . ويحيط بهذين الضريحين حاجز منحوت في المرمر الأبيض على شكل مربعات، و تعد صناعته من أدق تحف الفن الهندي وأجملها . كما يحيط بالمدخل الأربعية إطارات من الزخارف الجميلة بالحروف العربية يزيد في حسنها و جمالها زخارف أخرى تالية لها في الحجر الصلب . و مأخذ العقود والزوايا والقوش التفصيلية المهمة مرصعة كلها بالأحجار الكريمة كحجر العقيق و حجر اليشب و حجر الدم و حجر العقيق السليماني وغيرها مما تضافر الذوق السليم والحداثة البالغة على تنسيقه في شكل عقود من الأغصان ملتوية تارة و في الوضع المسمى بشوك اليهود تارة أخرى . وفي كل ذلك تنسجم الرسوم مع الألوان خير انسجام . و ينفذ الضوء من خلال حواجز زوجية منحوتة في المرمر الناصع البياض على شكل مربعات يزيدوها حسن النسق و جمال الترتيب

روقا و وراء، إذ يواجه أحد الحاجزين الجانب الخارجي من الجدران بينما يواجه الآخر جانبها الداخلي . وفيما يلى بناء الضريح ومصطفته جناحان أحدهما مسجد لطيف الشكل متقن البناء، و من مجموعة هذه المباني يتالف أحد أضلاع صحن فسيح نسقت فيه خمائيل الزهر، و مسطح هذا الصحن ٨٨٠ قدماً و فيما يليه صحن آخر خارجي يماثله في العرض ولكنه لا يزيد على نصفه طولاً.

من هو مهندس تاج محل؟

اكتسب مهندس تاج محل الملك شاه جهان شهرة طائلة بفضل روعة بنائه و دقته و لكن المهندس نفسه لم يحصل على شيء من الشهرة و قد اختلف كثيراً في اسمه و رسمه حتى أخذ المتطرفون من الهندوس يزعمون بأن باني هذا التاج هندوسي، و من قبل ادعى الحكم البريطاني لمنطقة أود سنة ١٨٥٣ م المسمى سليمان بأن التصميم الحقيقي لتاج محل هو

للمهندس الفرنسي استين د. بورووكس وأيده رجل آخر اسمه بلفور و لكنه لم يدعم زعمه بدليل ثم أدعى أيضاً بأن اسم المهندس عيسى، و الحقيقة أنَّ أسم هذا المهندس ورد ضمن السجلات الهندية منسوباً إلى بلاد فارس.

و زعم فسنت سميث في كتابه (تاريخ الفن الجميل) بأنَّ مهندس تاج محل رجل اسمه جرونيمو فيرو نيو oenoreV onimoreG و هي الرواية المشكوك فيها المنسوبة إلى الأَب منريك euqirnaM لكنه يعترف بأنَّ المرحلة النهاية من البناء انجزت على يد المهندس عيسى . و قيل أنَّ ضمن منشآت تاج محل زخرفة من طراز بيترادوارا وأنَّها تدل على التأثير الغربي، و يدعى برسى براون أنَّ ذلك الطراز صممه رجال الفن الهندوسى من «قنج» مثل جريجى لال و جهوتى لال و منوالل و منوهر سنك .

و قيل أنَّ التموج الأَصلى للتاج يوجد في معبد جاندى سيدوا الذى تم بناؤه طبقاً للتقاليد الهندية في برامبا نام في جاوا سنة ١٠٩٨ م.

و يذكر بورجيس أنَّ نبيلاً فارسياً أسمه على مردان خان الشيعي الذي كان والياً لقندهار بعد وَالده من قبل الصفوين سنة ١٠٣٤ هـ وبعد وفاة شاه عباس انضم إلى شاه جهان فاكره و ولاد كشمير، و من ثم وضع له تصميم تاج محل، و كان هذا قد توفي

٢١٦ ص:

سنة ١٥٦٤ - ١٥٦٧ م.

و قال المستر جختا في مقال نشره في مجلة نور الصادرة في كراتشي عدد أكتوبر ١٩٥٣ أنَّ المصمم هو الأستاذ أحمد لاهوري الذي منحه شاهجهان أعلى وسام في الدولة. و مصدر هذه المعلومة كتاب مخطوط بعنوان (ديوان مهندس) لحافظ لطف الله مهندس.

و في كتاب (الدراسات في الهند المغولية) للسير ج. ن. سركار يورد معلومات عن كتاب منتخب اللباب للسيد خافي خان بأنَّ مكرمة خان، و مير عبد الكريم و اسماعيل الرومي بنوا التاج على فكرة قبة الصخرة في القدس الشريف و بالعودة إلى كتاب سركار المذكور سابقاً هناك أسماء بعض الفنانين الذين ساهموا في البناء و هم أمانت خان شيرازى كاتب الكلمات من قندهار و المعلم عيسى معماري من أهل اكره و المعلم بيرا لجار من دهلي، بنوهو، جهات مل، زور اور كلهم صانعوا تماثيل من دلهى، و اسماعيل خان الرومي صانع القبور، و رام لال بستانى من أهل كشمير.

و قال T. W. giaH : «وَلَقَدْ جَهَدَ بَعْضُ الْمَاجِنِيَّيْنَ الْأَدْعِيَّيْنَ فِي مَسَائِلِ الْفَنِّ أَنْفُسَهُمْ فِي الْجَهَرِ بِآرَائِهِمْ عَنْ تَاجِ مَحَلٍ وَ حَكْمِهِمُ الْفَنِّ عَلَيْهِ بِمَقْتضَى أَصْوَلِ الْهِنْدِسَةِ اليونانية وَ الْقَوْطِيَّةِ فَذَكَرُوا فِي مَقَارِنَاتِهِمْ مَا يَتَنَافَى مَعَ سَلَامَةِ الذُّوقِ وَ يَتَعَارَضُ مَعَ إِسْقَامَةِ الْمَنْطَقِ. وَ لَقَدْ أَصَابَ فُرُوجُوسِن F nossugre حيث قال في هذا الصدد:

«إن التوفيق بين تلك المحسن الباهرة - أى محسن تاج محل - و حسن التائى فى أحکام الترا بط بين أجزائها لمن الأعمال التي تعدل دنيا برمتها».

و حسب تاج محل بعد كل ما قيل أو يقال حول عمارته أن ينظر الرائي لمشهد العظيم بنظر الإنصاف و عند كل ذلك سيقرر بنفسه أن هذا الصرح صرح إسلامي المنشأ بكل تفاصيله المعمارية و الفنية و الزخرفية شيد في ظل مملكة اس لامية و سلطان مسلم كان هو نفسه فنانا بارعا متحليا بقسط وافر من العلوم و الفنون و تشهد على ذلك بقية الأعمال المعمارية التي أشتئت برعايته مثل القلعة الحمراء التي أشرنا إليها سابقا و مسجد اللؤلؤة القريب من تاج محل و المسجد الجامع المائل في دلهى القديمة و غيرها من الآثار.

ص: ٢١٧

كان شاه جهان اوفر المغول العظام ثروة و قد وجد في خزائنه بعد الاستيلاء على قصره ٢٤٠ كرور روبيه أى بحدود مليون روبيه، وكان الذهب و الفضة و المجوهرات التي تركها تساوى ١٥٠ كرور أى ١٥٠ مليون روبيه، و ذلك يدل على أنه ما كان محتاجا إلى زيادة الضرائب على شعبه ليجابه النفقات الكثيرة التي كان ينفقها.

و كانت الزراعة و الصناعة مزدهرتين في عصره حتى كانت منسوجات الهند تصدر إلى أوربة.

و في النزهة: «و كان أشهر ملوك الهند وأبدلهم، أفتح أمره بالعدل و السخاء، و رفع سجدة التحيّة التي اخترعها جده أكبر شاه، و أزال المظالم من البلاد و عمرها، و أحمد الفتنة و البدعة، و أسس المساجد و المشاهد، و كان كثير الإحسان إلى السادة و العلماء، قصدته الناس من جميع البلدان فغمّرهم باحسانه، و كان عصره أحسن الأعصار و زمانه أنضر الأزمنة».

و كان محبا للعلم مشجعا على التأليف و يذكر المؤرخون ان العلامة عبد الحكيم السيالكتي (راجع هذه المادة) ألف بأمره كتاباً كثيرة و كان يعطيه في العام مائة الف روبيه، وقد اتخد اللغة الاوردية اللغة الرسمية في عهده و شجعها و فرض التخاطب بها و قال ول ديورانت : «لقد كانت أعوامه الثلاثون التي قضاها في الحكم بمثابة الأوج في ازدهار الهند و على مكانها، لقد كان هذا الملك الشامخ بأنفه حاكما قديرا، و لئن أهلك أنفسا كثيرة في حروبه الخارجية، فقد هيأ لبلاده جيلاً كاملاً من السلام، كتب حاكم بريطاني عظيم لمبابي، هو «مونتيسيوارت إلفنستون» يقول: «إن من ينظر إلى الهند في حالتها الراهنة قد يميل إلى الظن بأن الكتاب الوطنيين إنما يسرفون في وصف ثراء البلاد قدما، ولكن المدن المهجورة و القصور الخاوية و القنوات المسدودة التي لا تزال نراها، بما هناك من خزانات كبيرة و جسور في وسط الغابات، و الطرق المتهدمة و الآبار و محطات القوافل التي كانت على امتداد الطرق الملكية، كل ذلك يؤيد شهادة الرحالة المعاصرین بحيث يميل بنا إلى العقيدة بأن هؤلاء المؤرخين كانوا يقيّمون أقوالهم على سند صحيح»

و في نظر T. W. giaH فان شاه جهان كان على حظ قليل من المقدرة العسكرية، قاسيا

ص: ٢١٨

غدارا ليس له وازع من ضمير، وقد اتصف بخلة تعيش هذه السيئات هي حبه الجم لزوجته ممتاز محل، الذي عد قبرها البديع تذكارا باقيا على الزمان، أذ أنها توفيت في أوائل عهده، فأطلق لشهوتها العنوان . . بعد وفاتها، كان في حكمه مستبداً ظالما، و هو لا يستحق الثناء الذي اسبغه عليه بعض المؤرخين المحدثين.

شah جهان و النهاية المؤلمة:

فى سنة ١٦٥٧ م - ١٠٦٨ ه مرض شاه جهان مرضًا شديداً و كان له أربعة أولاد أورنوك زيب و دارا شکوه و مراد و شجاع و كان لكل منهم ولایة يحكمها فلما مرض استلم دارا زمام الأمور بيده و كان هذا الإبن مقرباً من والده فأثار ذلك حسد إخوته و بعد حروب عديدة و منازعات انتصر ولده أورنوك زيب على بقية إخوته و جاء إلى العاصمة بعسکره فاستقبل استقبالاً كبيراً من كافة القواد و رجال الحاشية و الأمراء، و اسقط في يد والده الملك المريض حتى أنه هو الآخر هناً ولده بالنصر !! و منحه لقب و دعاه إليه، و بينما كان أورنوك زيب يهم بالذهاب إلى أبيه جئي إليه برجل يحمل كتاباً من شاه جهان إلى دارا (ابن السلطان الذي يؤثره على بقية إخوته) و فيه يدعوه إلى الثبات و المقاومة فأوغرت الرسالة تلک صدر أورنوك زيب حقداً و غضباً و غيره و سار إلى قصر والده الملك في آكره و قضى على والده و سجنه و كان ذلك سنة ١٦٥٨ م و أعلن (أورنوك زيب) نفسه ملكاً جديداً في ذي القعدة سنة ١٦٥٧ هـ - ١٠٦٧ م و بلغ من عقوبه أن استمرّ والده الملك شاه جهان في حبسه نحو ثمانين سنة حتى توفي سنة ١٠٧٦ (١٦٦٦) و له من العمر ٧٤ سنة. و هكذا حكم القدر الذي لا م رد له أن ترجع هذا السلطان غصباً بعد غصص، من فقدان الحببية إلى حبسه على يد أقرب الناس إليه و ذلك حال الدنيا و لسان حالها:

حدار حدار من غدرى و فتكى !!

هي الدنيا تقول بملء فيها

و قد صنف في أخباره مجموعة من المؤرخين منهم محمد صالح في كتابه «عمل صالح» أرخ فيه لشاه جهان من الولادة إلى الوفاة، وأمين بن الحسن القزويني وكتابه «بادشاه نامه» من بدء جلوسه إلى عشر سنين، وصنف عبد الحميد اللاهوري كتابه «بادشاه نامه»

ص: ٢١٩

في أخبار عشرين سنة من مدته، و كمله محمد وارث من عشرين إلى ثلاثين، و صنف محمد طاهر بن أحسن الله الكشميري كتابه «شاهجهان نامه» في أخباره، لخص فيه الأخبار من «بادشاه نامه» لعبد الحميد المذكور ثم أضاف عليها ما وقع بسمعه و مشهده إلى آخر أيام الملك.

من أعلام عصر شاه جهان:

* الأمير دارا شکوه ١٠٢٤ - ١٠٧٠ ه

* الأميرة جهان آرا بیکم ١٠٢٣ - ١٠٩٢

* عبد الحكيم بن شمس الدين السیالکوتی ت ١٠٦٧

* محمد جلال الدين الحسيني الكجراتی ٩٨٩ - ١٠٤٥

* الأمير على مردان خان ت ١٠٦٧

* ستى خانم الاملى ت ١٠٦٦

* محمد سعيد مير جملة ت ١٠٧٣

* محمد شفيع اليزدي ت ١٠٨١

* محمد طاهر آشنا التربتى القرن ١١

* على بن محمد جواهر رقم الخطاط

* محمود الكيلاني البهشتى

* صادق بن صالح الاصفهانى ولد ١٠١٨

* محمد حبان القدسى المشهدى ت ١٠٥٦

* داود بن عنایة الله الاكبر آبادى ١٠٧٣

* شيدا ملا ت حدود ١٠٥٢

* محمد معصوم التسترى بعد ١٠٥٠

* محمد معصوم الهندى كان حيا ١٠٥٣

* محمد هاشم الكيلاني ت ١٠٦١

* حسن بن أبي الحسن المشهدى ت بعد ١٠٧٥

* فتح الله الشيرازى بعد ١٠٥٠

ص: ٢٢٠

* علاء الدين الشوشتري حدود ١٠٥٠ - ١٠٠٠

* يحيى الكاشانى الحسينى ت ١٠٦٤

* على رضا الشيرازى تجلی ١٠٨٨

* ابو المعالى الشوشتري ١٠٤٦ - ١٠٠٤

* شريف الدين شوشتري ت ١٠٢٠

* اسماعيل البلكرامي حدود ١٠٨٨

* دانشمند خان ١٠٨١ ه

* محمد سعيد الكرمرودي ١٠٤٥

* الملا محمد كاشف قبل ١٠٥٩

دارا شکوه (١٦١٥ - ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩ - ١٠٢٤ م)

دارا شکوه: أكبر أبناء شاه جهان، وأمه أرجمند بانو ممتاز محل . وقد ولد في أجمير في التاسع من صفر ٩ صفر ١٠٢٤ هـ و العشرين من مارس عام ١٦١٥ . وفي عام ١٦٣٣ تزوج من ابنة عمه نادرة بيكم ابنة الأمير برويز و حفيدة جهانكير.

ولدت له ابنة واحدة اسمها جانى بيكم أو جهان زيب بانو . ولدين ذكرىن هما سليمان شکوه و سبهر شکوه قرأ العلم على ميرزا شيخ بن فضيح الدين الهروي و على غيره، و تعلم الفنون الحربى ة، و بايع فى أول وقته الشیخ شاه محمد البدخشى و اجتمع بشیخ شیخه محمد میر بن سائندہ السیویستانی بلاهور غیر مرّة و كان أكبر أولاد أبيه، عهد له والده بولاية الملك بعده، وألقى بيده زمام الأمور في حياته لمرضه، و لقبه شاه بلند إقبال، فسخط عليه إخوته، وقد تفرق الناس فيه إلى فرقتين : إحداهما تقول: إنه كان صوفيا صالح العقيدة و يستشهدون بمصنفاته المشهورة، و أخرى تقول : إنه كان فاسد العقيدة، و يستشهدون بأفعاله و بمصنفاته الأخرى كترجمة او بانيشاد، قال بعض انه ظفر بنسخة من ذلك الكتاب فإذا هو قد نقش في عنوان ذلك الكتاب تصاویر عظاماء الهند مكان

ص: ٢٢١

«سُمِ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» و قال في خطبة الكتاب إنه لب القرآن و إنه سر مكنون لا يمسه إلا المطهرون !! إلى غير ذلك، قالوا: إنه استقدم أحبار الهند من مدينة بنارس فترجموه بأمره، و يقول إلفنستون enotsnihPIE إن دارا كان أميرا صريحا، أبيا، كريم السجايا، بذولا، حر الرأى صريحا في عداوته، و لكنه كان متھورا لا يصبر على المعارضة، يرى ان مقتضيات الحرص المألوفة من أمارات الضعف و التحايل و قد جعلته معظم هذه السجايا على التقىض من أخيه الأصغر أو نكزيب، و من ثم كان يلقبه ب «النمازى» (أى المتظاهر بالتدين) و كان طلعة كجده العظيم أكبر، و كان كثير الاحتفال بالتصوف و غيره من مسائل الدين و كانت تعوزه براعة جده الحربية و إقدامه.

دارا شکوه في معترك الأحداث حروبه و نهايته:

لم يوفق دارا شکوه في حروبه مع اخوته للسيطرة على العرش ففي عام ١٦٥٣ قام بسعى طويل لفتح مدينة قندهار دون أى نتيجة تحسم المعركة لصالحه و بالرغم من وقوف والده معه و حكمه للدولة فعلا بعد أن اعلن الوالد عن مرضه لكن اخوته لم يحتملوه فهزمه اورنکزیب مرتین، الاولى قرب آکره في يونيو ١٦٥٨ و الثانية عند أجمير في مارس ١٦٥٩ ثم خانه ملك جون الأفغاني امير داور و قبض عليه و نقله الى دهلي فقتل فيها بأمر من اورنکزیب يوم الجمعة غرة محرم

الحرام سنة ١٠٧٠ هـ الموافق لنهاية أغسطس ١٦٥٩ م و دفن بمقبرة جده همایون، وفيما يلى تفاصيل أوسع لتلك الحملات الحربية.

فمن المعلوم أن شاه جهان أصيب بمرض أقعده عن مباشرة أمور الحكم ١٦٥٨ - ١٦٥٧ هـ، و كان له أربعة أولاد : أورنكزيرب، و دارا شكوه، و مراد، و شجاع، و كان لكل منهم ولاية يحكمها . فلما مرض استدعي ابنه دارا شكوه بجانبه ليباشر شؤون الحكم، و كان أكبر إخوته، فأخفى نبأ المرض عنهم، و أخذ يصرف أمور الدولة. فظن شجاع و مراد أن أباهم توفى، و اتهموا «دارا شكوه» بقتله، و أراد شجاع أن يذهب إلى آкра بجيشه ليتقم لأبيه، و لكن أورنكزيرب نصحه بالتريث، و أكد له أن أباه حي، و أتفق الإخوة الثلاثة على إبعاد دارا شكوه، و الحيلولة بينه وبين الملك بحجة أن ذلك يقوض عرش المغول. و لما أفاق شاهجهان من مرضه، و وقف على ثورة ابنائه على «دارا شكوه» غضب

ص: ٢٢٢

عليهم، و أرسل ينصحهم بالهدوء و الخضوع.

لكن دارا شكوه لم يكتف بهذا، بل جرد حملة بقيادة ابنه سلمان لتأديب أخيه شجاع، و كذلك أرسل الجيوش بتأدیب بقية أخيه.

أما شجاع فقد التقى بجيشه سلمان عند بنارس، فانهزم و فر إلى البنغال، و في ذلك الوقت كان «ارنكزيرب» قد تحرك بجيشه من «برهان بور» في الدكن متوجهًا إلى «آكرا»، و انضم إليه أخيه «مراد بخش» في «مالوا»، و في الطريق أرسل «أورنكزيرب» إلى جسونت سنك «القائد الراجبوتي الذي أرسله «دارا» لتأديب أخيه، و قال له : إنني أريد زيارته أبى لا الحرب، فإما أن تصاحبني، و إما أن تتنحى عن طريقي بدلاً من سفك الدماء، و لكن القائد الراجبوتي لم يستجب له، فوّقعت الحرب بينهما في رجب سنة ١٦٥٧ هـ - ١٦٥٧ م، و انتهت بهزيمة «جسونت» و فراره بعد القضاء على كثير من رجاله الراجبوط.

و تابع «اورنكزيرب» سيره نحو العاصمة «آكرا»، في الوقت الذي بدأ الرعب والإضطراب يدب فيها بعد أن وصلتهم أنباء انتصاره، و متابعة زحفه نحو العاصمة، حتى أراد شاهجهان أن يفر إلى دلهي، و لكنه آخر البقاء لعله يستطيع الصلح بين ابنائه و إنهاء الحرب بينهم، و لكن «دارا» كان مغتمراً بقوته، و بالإمكانات التي تحت يده، معتقداً أنه سيقبض على إخوته بكل سهولة، و لذلك كان يثور على فكرة المصالحة، و يصر على الحرب والإنتقام.

و حقاً كانت القوتان غير متعادلتين، فقد كان جيش «دارا شكوه» الذي يزيد عن المائة ألف ينتظر جيش أورنكزيرب و مراد البالغ ٤٥ ألفاً فقط، و الذي قطع مئات الأميال و أنهكه التعب.

و تلاقت القوتان في رمضان جنوب شرق «آكرا» على بعد ٣٠ ميلاً، و بدأت المدفعية عملها، ثم هجمت قوات «دارا شكوه» على جنود الدكن، فوقع الخلل في صفوف الدكنيين و لكن «أورنكزيرب و مراد» صمدوا للمعركة صموداً عجيباً، فقد كانوا يعرفان مصيرهما لو لحقت بهما الهزيمة، و تدخلت الأقدار في المعركة لتصل بها إلى نهايتها المقدرة، فلقي «رام سنك» قائد الراجبوطين في صف دارا حتفه، حين هجم على «مراد» بريد

القضاء عليه، فتفرق جنوده الراجبوت، وقع الخلل في صفو فهم، وفي ذلك الوقت وقعت الكرمة الملتهبة التي كانوا يستعملونها في الحرب على رأس الفيل الذي يركبه «دارا» وانفجرت، فتركه وركب فرسا، ورأى جنوده هذا فظنوا أنه يتأنب للفرار سريعاً من المعركة، فخارط قواهم المعنية، وأخذوا يفرون من المعركة، ولحقهم «دارا» يسابقهم في الفرار حتى وصل إلى آكرا ولكن لم يذهب إلى أبيه خجلاً مما أصابه، بل أخذ بعض المال والجواهر وزوجته وأولاده، وتابع فراره إلى دهلي.

وفي ثلاثة أيام كانت الجنود الظافرة أمام العاصمة معسكرة . واستقبل أورنكزيب في طريقه وفي معسكره كبار رجال الحاشية والقواد والأمراء . مهنيين مقدمين خصوصاً لهم، ولم يفت شاهجهان أن يشترك كذلك في تكريمه ابنه المنتصر، فأرسل إليه سيفاً مرصعاً بالجواهر، وقد نقش عليه اللقب الذي منحه إياه، وهو لقب «عالكمير» أي أخذ العالم وسيده، ولكن لم يتحقق بوالده ولم يترك الأمر في يد أبيه المرتضى، لثلاثة يستعيد دارا شكوكه ويسقط له في الملك، ولذلك دخل العاصمة وقبض على أبيه واعتقله في القلعة، وقد قضى شاهجهان في هذا الاعتقال نحو ثمان سنوات مرّة حتى توفي سنة ١٠٧٦ هـ ١٦٦٦ م.

فر «دارا» إلى دهلي منهزاً، فكان على أورنكزيب ومراد أن يتبعاه بعد أن خلا لهما الجو في «أكرا» حتى يقضي عليه نهائياً ولكن خلو المجال لهما جعل كل منهما يطمع في الملك، وبدأت حاشية كل واحد تزين له أنه الأجرد والأحق، وتعمل لذلك ما استطاعت، وأحس أورنكزيب بهذا الذي يدبّره أخوه وحاشيته، وفي ليلة كان مراد مخموراً فأركبه على فيل، وساقه، إلى قلعة سليم في دلهي، ثم نقله إلى سجن قلعة «كواليار» المعروفة بسجن النساء، وبذلك انتهى أمر مراد.

وفي ذي القعدة سنة ١٠٦٧ هـ ١٦٥٧ م أعلن أنه صار ملكاً على الهند خلفاً لأبيه، لكنه أجل الاحتفال بذلك حتى يفرغ من مشاكله مع دارا الذي فر إلى لاهور، ومع شجاع الذي عاد من بنكال إلى بنارس، وبدأ يعد العدة هو الآخر للإستيلاء على العرش.

تعقب دارا شكوكه في لاهور، ثم في ملتان حتى فر إلى السند، فارسل بعض قواته لمطاردته والقبض عليه، ورجع هو إلى دهلي ليحل مشكلته مع شجاع الذي أعد عدته للهجوم على أخيه.

وكان السادات حكام إله أباد وبنارس يعاونونه، وأمدوه بفيلة مدربة على القتال بسلاسل زنة الواحدة ٢٤٠ رطلاً، تحركها في الهواء وتضرب بها ذات اليمين وذات الشمال فلا يبقى أمامها جندي واحد، وحين تلاقى الجيشان وهجمت هذه الأفيال وهي مخمورة حدثت الفوضى في صفوف أورنكزيب، حتى اضطر هو للنزول إلى قلب المعركة، وقيّد فيله حتى لا يفر، وأمر بضرب النار على ركاب الفيلة، فسقطوا وفرت فيلهم، وأخذت الدائرة تدور على شجاع وجنوده فلاذ بالفرار، وتعقبه بعض القواد حتى بنكال فاساماً، وهناك أخافت آثاره . واستراح أورنكزيب منه.

ولكن ما زال أمر «دارا» معلقاً لما ينتهيه بعد، وقد عاد من السند إلى أجмир وأخذ يعد عدته للهجوم، فخرج إليه أورنكزيب وهزمته فرق، وخلا الجو أو كاد من المنافسين له، ولذا بدأ يعد العدة للإحتفال بجلوسه على العرش، وكان ذلك في

رمضان سنة ١٠٦٩ - ١٦٥٩ م و في تلك الأيام وصلته الأنباء بالقبض على دارا شكوه في السند و إرساله إليه، و انتهى الأمر بقتله بعد أن اعتمد الملك على فتوى من العلماء المارقين بدعوى (خروجه على الدين، و محاربته الحاكم الشرعي) مع أن دارا هو الوريث الشرعي بحكم سنه و تأييده والده له و دفن في مقبرة همایون، و بذلك صفا الجو لأورنکزیب.

آثاره:

و هو مصنف عدّة كتب ذكرها ريو في فهرس المخطوطات العربي بالمتحف البريطاني، وأشهرها «سفينه، أوليا» و هو سلسلة من السير المختصرة لأولياء المسلمين، وقد طبع طبعة حجرية في لكتهو . و نجد بياناً كاملاً لمحتوياته في فهرس EhtreinB للمخطوطات الفارسية في مكتبة وزارة الهند، رقم ٤٢٧، ص ٣١٦ و ٢٧٤ . وقد ذكر برنبيه egdireveB [ندash; H.] دائرة المعارف الإسلامية منوتشي icetunaM الكثير عن دارا شكوه، وقد اتصل به كل منها [ندash; H.] نزهه ٧٥ / ٩ - ١٤٥ / ٥ - ١٤٦ رقم ٢٢١، مجلة لغة العرب ج ٦

ص: ٢٢٥

السنة ٣٧٨ - ٣٧٩ . و من كتبه الأخرى : كتاب في التطبيق فيما بين مذهب الهنادك و أهل الإسلام و كتاب سكينة الأولياء، و البر الأكبر، و الأعظم و رسالة في المعرفة، و مجمع البحرين و بنكهة مندك، و حق نما و الرسائل الثلاث الأخيرة نشرها سيد محمد رضا جلالى نائنى فى ايران ١٣٣٥ .

و نشر المستشرقان كليمان هوار و لويس ماسينيون، كتاب محاورات لاهور بين دارا شكوه و الزاهد الهندي بابل لعل داس و طبع في باريس. المطبعة الأهلية ١٩٢٦ في ٥٠ ص. باللغتين الفارسية و الفرنسية و من الكتب التي صفت له الطب الدار شكوهى صنفه الحكيم رفر الدين الشيرازي.

جهان آرا بيكم ابنة الامبراطور شاه جهان (١٠٢٣ - ١٦١٤ / ١٠٩٢ - ١٦٨١ م)

«جهان آرا بيكم» و اشتهرت بـ «بيكم صاحب» و تعرف أحياناً بـ «بادشاه بيكم» هي أكبر من بقي من ذريّة شاه جهان على قيد الحياة، ولدت في ٢١ صفر ١٠٢٣ هـ، مارس عام ١٦١٤ و لعل ذلك كان في أحمير، و أنها أرجمند بانو أو ممتاز محل أو ممتاز الزمانى ابنة آصف خان و ابنة عم نور جهان، و هي التي شيد من أجلها تاج مل وأخذت القراءة و التجويد عن ستي خانم أخت القبيه الآلمني، و تعلم الخط و اللغة الفارسية عنها و تأدبت عليها، و برعـت في الإنشاء و الشعر و تدبـير المنزل و فنون أخرى، و نالت من والدها منزلة جسيمة حتى صارت محسودة عند إخواتها و كانت اقطاعـها تغلـ ستين مائـة ألف (ستـة ملاـيين)، مائـة ألف في كل سـنة، و كانت تبذل كلـها في الخـيرات و المـبرات، و لها مـصنفات منها الأرواح كتاب في أخـبار المشـايخ الجـشتـية).

لم تتـزوج جـهـان آـراـ قـطـ، و قدـ أـمـتـازـتـ بـ حـسـنـتهاـ وـ ثـقـافـتهاـ وـ مـحـبـتهاـ لـأـيـهـاـ وـ أـخـيـهـاـ وـ لـشـيـخـهاـ دـارـاـ شـكـوهـ التـىـ أـخـذـتـ عـلـيـهـ الطـرـيقـةـ. وـ جـمـعـ كـلـ مـنـ بـرـنـبـيـهـ وـ مـنـوـجـيـهـ iccunaM Aـقـاوـيـلـ كـثـيـرـةـ فـيـ حـقـهاـ. وـ قـدـ بـرـأـهـاـ مـنـوـجـيـهـ مـنـ إـحـدىـ الشـنـعـ التـىـ رـمـيـتـ بـهـ إـلـاـ أـنـهـ أـسـاءـ الـيـهـ وـ ظـلـمـ بـرـنـبـيـهـ بـقـوـلـهـ إـنـ بـرـنـبـيـهـ اـتـهـمـهـ بـدـسـ السـمـ لـوـلـيـهـ. وـ قـدـ تـكـوـنـ لـجـهـانـ آـراـ زـلـاتـهـ، فـمـعـ عـنـوـسـتـهـ التـىـ لـاـ بـدـ لـهـ فـيـهـ لـمـ

تكن خليقة أن تؤدي بها إلى الطريق القويم، و مع ذلك فقد كانت كريمة محسنة و ابنة بارء بأبيها عندما تقدمت به السن و ألقى به في غياب السجن، و من هنا كان كين eneeK eneeK محقا في تسميتها بالرعب المغليه . وكانت جهان آرا شديدة التمسك باهداب الدين، وقد كتبت سيرة لمعين الدين جشتى الأجميري أحد الأولياء المحببين إليها (انظر M. naisreP. B. fo eugolataC. ssM. ج ١، ص ٣٥٧) و نجت بصعوبة من الحريق في مارس عام ١٦٤٤، فقد كانوا يختلفون في آكره بعيد ميلادها وفقا للنقوص الشمسي لا القمرى، و في عودتها إلى غرفتها بعد أن أقتت تحية المساء على أبيها أمسكت نار سراج بقميصها المصنوع من حرير الدكن الرقيق وأصابتها حروق بالغة في صدرها و ذراعيها، و احترقت أيضا و صيفاته الأربع اللائى حاولن انقاذها. و الظاهر أن اثنتين منهن أو أكثر توفيتان متأثرات بالحروق التي أصابتهن . وقد شيدت جهان آرا المسجد الجامع في آكره خارج القلعة أو أقل إنه شيد إكراما لها، عام ١٦٤٤ - ١٦٤٨ م و ربما كان تذكارا لنجاتها، وقد انفقت عليه نصف مليون من النقود كما في باد شاهنامه . و ابنتي أيضا مقبرة لها خارج دهلى بالقرب من قبر نظام الدين أوليا أحد مشاهير الأولياء عند طائفة الجشتيه . و نقش على قبرها كلمات مؤثرة من تأليفها . و ذكر النص الأصلى لهذه الكلمات سيد أحمد فى كتاب آثار الصناديد (ص ٣٩ من طبعة لكتون عام ١٨٩٥) و قام كل من ايستويك kciwtsaE و كين eneeK eneeK بترجمة هذا النص (انظر ihleD fo koobDNAH : elaeB yranoitciD lacihPargoiB latneirO : elaeB yranoitciD eneeK eneeK) كما توجد إشارات عنها في كل من «باد شاهنامه» و «خافي خان».

بغير سبزه نبوش كسى مزار مرا

كه قبر بوش غريبان همين كياه بس

و هناك أخبار مفصلة عنها في طبعة eneeK eneeK لقاموس lacihPargoiB latneirO : elaeB yranoitciD eneeK eneeK كما توجد إشارات عنها في كل من «باد شاهنامه» و «خافي خان».

[يفردج H. egdireveB] دائرة المعارف الإسلامية ج ٧، نزهه ٥ / ١٢٥ رقم ١٧٨.]

قندھاری بیکم (القرن ١١ھ)

هي الأميرة الفاضلة قندھاری بیکم بنت مظفر حسين بن حسين بن بهرام بن الشاه اسماعيل الأول (الامبراطور الصفوي الايراني) تزوجها الامبراطور شاه جهان بعد الاميرة ارجمند بانو، ولم يعرف إذا كان قد انجب لها اولاد أم لا.

عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكتي (ت ١٠٦٧ھ / ١٦٥٦ م)

الشيخ عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكتي الهندي، قال عبد الله افندى:

كان من أكابر العلماء و من مشاهير الفضلاء في البلاد الهندية، وقد كان معظمها في تلك البلاد وفي العاشرة لدى السلطان. وبالجملة كان (قدس سره) علامه عصره و فهامة دهره جامع لسائر العلوم حافل، وقد توفي بها في عصرنا، و له حواشى و مؤلفات جيدة حسنة مشهورة متداولة بها.

و اعلم أنه قد اشتهر هذا الفاضل بين أهلها بكونه من علماء أهل السنة، ولكن سمعاعي من بعض الثقات من أهل يزد ومن سافر إلى تلك البلاد حكاية وصبية منه لولده المولى أبو لهادى دالله على تشيعه وحسن عقيدته وأنه كان يعمل في مدة عمره في تلك البلاد بالتقىء، وأنه قد كانت عنده كتب الشيعة موجودة محفوظة في صندوق مقتاحه محفوظ عند نفسه من الكتب الأربع في الحديث للإمامية و من سائر كتب الأحاديث للشهيد من المشهورا و غيرها، وقد كانت في ذلك الصندوق تحت الكتب المذكورة رسالة مجزأة غير مجلدة حسنة جدا من مؤلفات نفسه في الإمامة تقرب من ثلاثة آلاف بيت محتوية على ثبات أدلة الشيعة و على ابطال حجج أهل السنة في مسألة الإمامة، وقد وصاه بالعمل بها.

و حكم لي ذلك الثقة أنه رأى تلك الرسالة، و كان قد استنسخ منها الفاضل الجليل الاميرزا معز الدين محمد بن الاميرزا فخر الدين محمد المشهدى أيضا في بلدة اكبر آباد من بلاد الهند.

ص: ٢٢٨

ثم من مؤلفاته أيضا حاشية طويلة الذيل على تفسير البيضاوى في غاية الجودة، وقد رأيت ببلدة هرات منها مجلدا من أولها، و هي ما كتبه على الجزء الأول من القرآن، وقد ألفها للسلطان شاه جهان محمد ملك الهند، و لعله لم يخرج من تلك الحاشية الا ذلك المقدار.

قال الميرزا غلام على آزاد البلاكمى الهندي المتوفى سنة ١٢٠٠ فى كتابة سبحة المرجان الذى ألفه سنة ١١٧٧ هـ:

[هو عمدة العلماء الفناجية والبدر التم فى الشهب الثاقبة، (الفناجية جمع الفنجابى، نسبة إلى الفنجباب معرب بنجاب بالباء الفارسية و هو ملك واسع فى الجانب الغربى من دهلى و عبارة عن صوبتين لاهور و ملت ان. مولد الملا و منشأ و سيالكوت بكسر السين المهملة و بالتحتانية، الألف و سكون اللام و ضم الكاف و سكون الواو آخرها فوقةانية، بلدة من توابع لاهور). شمر ذيله فى عنفوان سن التمييز على طلب العلم و تلمذ على الملا كمال الدين الكشميرى نزيل سيالكوت الذى كان أستاذًا لل Mage السهرندي، و فى مدة قليلة أبدى هلاله و بلغ النصاب ماله و كان فى عهد السلطان جهانكير مشتغلًا بإفاده العلوم فى مصره معتنی بإدارة الجمهور من عصره و لما جلس السلطان شاه جهان بن جهانكير على السرير و تصدى لترويج العلم و العلماء النحرارير جاء الملا مرارا إلى سدة السلطنة العليا و خصه السلطان بالإكرامات و الإنعامات الجلى و وزنه مرتين فى الميزان (بالفضة)، وكانت هذه عادة الملوك القدماء لاظهار احترامهم للعلماء) و سلم له ما جاء فى الوزان و هو فى كل مرة ستة الألف من الريالى و أيضا أنعم عليه بقرى متعددة بها كان يعيش فى النعم الواقية و يصرف الأوقات فى التدريس و التصانيف العالية حتى توفي من ١٨ من شهر ربيع الأول سنة ١٠٦٧ هـ و دفن بسيالكوت و له تصانيف غراء دائرة فى الأمم رائجة فى ديار العرب و العجم ...].

ثم ذكر مؤلفاته و تصانيفه و نقل عن سبحة المرجان نص العبارات الفنوجي المتوفى سنة ١٣٠٧ في كتابه أبجد العلوم و ذكره المحبي في خلاصة الأثر و قال : (... علامه الهند و إمام العلوم و ترجمان المظنون فيها و المعلوم كان من كبار العلماء و خيارهم مستقيم القيدة صحيح الطريقة صادعا بالحق مجاها به الأمراء الأعيان و كان رئيس العلماء عند سلطان

ص: ٢٢٩

الهند خرم شاه جهان لا يصدر إلا عن رأيه و لم يبلغ أحد من علماء الهند في وقته ما بلغ من الشأن و الرفعه و لا انتهى واحد منهم إلى ما انتهى إليه جمع الفضائل عن يد و حاز العلوم و انفرد و افني كهولته و شيخوخته في الانهماك على العلوم و حل دقائقها و مضى من جلتها و غامضها على حقائقها و ألف مؤلفات عديدة ..).

ترك المترجم له مؤلفات بين مخطوط و مطبوع منها:

- ١ - حاشية على تفسير أنوار التتريل للقاضي البيضاوى ألفها للسلطان شاه جهان محمد طبع بها مش تفسير البيضاوى المذكور في الآستانة مسأ ١٢٧٠ .٥ - كتاب التوحيد طبع في الآستانة ١٣٠٦ تحت عنوان عقائد عبد الحكيم السالكوتى.
- ٣ - حاشية على المطول للسعد على متن التلخيص في علم البلاغة طبع في الآستانة سنة ١٢٩٠ .٤ - كتاب زبدة الأفكار في التوحيد طبع عدة مرات في الهند و مصر الآستانة. ٥ - حاشية على شرح الجرجانى لقسمى التصورات و التصديقات فى المنطق طبع في الآستانة سنة ١٢٦٩ .
- ٦ - حاشية على القطب على الشمسية في المنطق طبع سنة ١٣٢٠ .٧ - حاشية على تحرير القواعد المنطقية للرازى .٨ - حاشية على التلويح لسعد الدين التفتازاني في علم الأصول .٩ - حاشية على حاشية عبد الغفور اللارى على الفوا ئد الضيائية في النحو طبع في بولاق سنة ١٣٥٦ .١٠ - كتاب إثبات الإمامة و إبطال حجج المخالفين في قرب ثلاثة آلاف بيت (مخطوط).
- [خزينة الاصفياء ٣٥١ / ٢، تذكرة علماء محمد حسين آزاد / ٣٦، مآثر الكرام ٢٠٤ / ٢، بروكلمان ٤١٧ / ٢، طبقات اعلام الشيعة ٣١٤ / ٦، رياض العلماء ٣١٥ / ٣، تذكرة رحمان على / ٧٧ - ٧٨، سبحة المرجان / ١١٠، سبحة المرجان / ٦٦ (طبع الحجر)، خلاصة الأثر ٣١٨ / ٢، ابجد العلوم ٣١٩ / ٣، معجم المؤلفين ٢٢٣ / ٥، هدية العارفين ٩٥ / ١، مستدركات ٥٠٤ / ٨، ١٢١ - ١٧٠ / ١، سبحة المرجان / ١٧٢ - ١٧٢ - طبعة ١٩٧٦)، الأدب العربي في الهند ٣١].

محمد بن جلال الدين الحسيني الكجراتي (٩٨٩ - ١٥٨١ / ١٠٤٥ - ١٦٣٥ م)

هو السيد الصالح محمد بن جلال بن الحسن بن عبد الغفور الحسيني البخارى

ص: ٢٣٠

الكجراتى، كان من نسل محمد بن عبد الله الحسيني البخارى، يرجع إليه نسبه بخمس و سائط، ولد في رابع عشر من رجب سنة تسع و ثمانين و تسع بأرض كجرات، و من الاتفاقيات العجيبة أنه عمل تاريخاً لولادته بعد بلوغه سن الرشد من قول سعدى الشيرازي:

من و دست و دامان آل رسول

قرأ العلم على أستاذ عصره، ثم لازم أباه وأخذ عنه الطريقة، وقرأ عليه بعض كتب الحقائق والمعارف، ولما مات والده سنة ١٠٠٣ تولى الشياخة مكانه.

قال الخوافى في «آثار الأباء» إنه كان شيعياً، وفي «عمل صالح» إنه كان صوفياً ماهراً في التصوف، ذا سخاء وإثارة، كان يبذل على القراء والمساكين كل ما تحصل له من النذور والتقويات، وكان يصرف في عرس جده محمد بن عبد الله المذكور مائة ألف من النقود، لقيه شاهجهان ابن جهانكير الدهلوى مرتين، مرة في ولادة عهده ومرة في عهد السلطنة، ومن مصنفاته الجمادات الشاهية في الأذكار والأشغال.

توفي في ثانية عشر من رجب سنة خمس وأربعين وألف، وقبره في حظيرة جده، كما في «مرآة أحمدى».

- نزهه ٥/ رقم ٥٦١، آثار الأباء.

[على بن على مردان خان \(ت ١٠٦٧ / هـ ١٦٥٦ م\)](#)

الأمير الكبير على بن على الشيعي القندھاری أمیر الأباء نواب على مردان خان، أحد الرجال المشهورين بالعقل والدهاء والسياسة، كان والياً بقندهار من قبل الدولة الصفوية، ولد إليها بعد وفاة والده سنة أربع وثلاثين وألف في أيام عباس شاه فاستقل بها نحو اثننتي عشرة سنة، ولما توفي عباس شاه المذكور قام بالملك

ص: ٢٣١

حفيده صفي شاه وافتتح أمره بالتعدى على الناس كافة وترك قندهار لصاحب الهند سنة سبع وأربعين وألف ودخل الهند، فتقرب إلى شاهجهان بن جهانكير التيموري سلطان الهند، فولاه على كشمير ثم على بنجاب ثم على كابل ثم على كشمير مرة ثانية فمات بها.

وكان رجالاً فاضلاً كريماً بشوشة، طيب النفس، حسن المحاضرة، مليح القول جميل الفعال، صاحب عقل وسكون وجرأة ونجداء، له آثار صالحة في الهند من حدائق وأبنية وأنهار وغيرها.

توفي سنة سبع وستين وألف بمجاهيواره فنقلوا جسده إلى لاهور ودفنه عند والدته، كما في «آثار الأباء»، و من أحفاده العالم والشاعر الأمير نواب على صدر الدين محمد خان بن نواب زيردست خان بن ابراهيم خان بن المترجم له صاحب كتاب ارشاد الوزراء، له ديوان شعر مطبوع بدهلي سنة ١٩٤٦.

- نزهه ٤٦٧ / رقم ٢٩٢ - آثار الأباء، مطبع انوار ٢٨١ - ٢٨٢.

[ستى خانم \(ت ١٠٦٦ / هـ ١٦٥٥ م\)](#)

أخت طالب الآملى و زوجة الحكيم نصیر الدین الكاشی، كانت فصيحة بليغة بارعة في القراءة و التجوید و صناعة الطب و تدبير المنزل، استخدمتها أرجمند بانو زوجة شاهجهان فتقررت إليها بحسن تدبيرها فجعلتها معلمة لجهان آرا يیکم، و لما توفيت أرجمند بانو ولاها السلطان الصدارء في حرميه فاستقلت بها إلى مدة مدیدة، توفيت سنة عشرين جلوسية فتأسف السلطان بموتها تأسفاً شديداً، وأعطى عشرة آلاف من النقود الفضية للتجهيز و التكفين، و دفنتها بأكبر آباد و بنى على قبرها عمارة رفيعة و بذل عليها ثلاثين ألفاً، ثم وقف قرية تحصل منها ثلاثة وثلاثون ألفاً في كل سنة لمصارف تلك المقبرة، كما في «ماثر الأماء».

٢٣٢: ص

محمد سعيد الاردستاني مير جمله (ت ١٥٧٣ هـ / ١٦٦٢ م)

الأمير الكبير محمد سعيد الحسيني الاردستاني مير جمله، معظم خان خانخانان، سبه سالارا، كان من الرجال المعروفيين بالحزم و السياسة، قدم الهند و دخل حيدر آباد في أيام عبد الله قطب شاه و ترقى درجة بعد درجة حتى نال الوزارة الجليلة بها، و فتح القلاع و البلاد بأرض «كرناتك»، و ملأ الخزائن بالذهب و الفضة و الجوهر الثمينة، فلما قربت شوكته توهם منه عبد الله قطب شاه فخرج من حيدر آباد و سار إلى عالمكير ثم إلى والده شاهجهان سلطان الهند، فأعطاه السلطان ستة آلاف له و ستة آلاف للخيل منصباً رفيعاً و لقبه «معظم خان» و لاه الوزارة الجليلة، و عرض مير ج مله على السلطان الماسا كان وزنه ستة عشرة و مائتي حبة و هي التي يسمونها «كوه نور» و هو اليوم في التاج الانكليزي، و لاه عالمكير على «بنكالة» و لقبه بخانخانان، سبه سالار، فضبط البلاد و فتح الفتوحات العظيمة باسمه و مات بها.

و كان رجلاً فاضلاً شجاعاً مقداماً حازماً ماهراً بالفنون الحربية عارفاً بالحيل و التدبير، توفي في ثالث رمضان سنة ثلاثة و سبعين و ألف بحضوره من أعمال بنكالة.

نرته ٥ / رقم ٦٢٠، ماثر الأماء.

محمد شفيع اليزدي (ت ١٤٧٠ هـ / ١٦٥٩ م)

الأمير الكبير محمد شفيع اليزدي نواب دانشمند خان، كان من الأفضل المشهورين في إقليم الهند، قدمها من طريق البحر و دخل سورت سنة ستين و ألف في أيام شاهجهان بن جهانكير الدھلوی سلطان الهند، فأمر السلطان له بخمسة آلاف ريبة للزاد و الراحلة و استقدمه إلى حضرته، فلما وصل إليه أمر أن ينزل عليه نزور يوم الأحد إلى سنة كاملة، كما في «منتخب الباب».

و قال محمد صالح في كتابه «عمل صالح» إن اليزدي قرأ العلم في بلاده ثم ورد الهند للتجارة مضاربة، فربح في تجارته، اراد أن يعود إلى بلاده، فلما وصل إلى سورت استعاده شاهجهان و أعطاه المنصب ألفاً لذاته و مائة للخيل، و لم يزل في ازيد من الترقى حتى صار

٢٣٣: ص

منصبه خمسة آلاف لذاته - انتهى.

و في «مرآء جهان نما» أَن شاهجهان ولاه على «بخشىكري» وأضاف إلى منصبه حيناً بعد حين حتى صار ثلاثة آلاف له، و اعتزل في بيته في آخر أيامه بدهلي، فلما تولى الملكة عالمكير أضاف في منصبه ولاه على «مير بخشىكري» حتى صار منصبه في آخر أيامه خمسة آلاف، وكان عالمكير قرأ عليه «أحياء العلوم» من أوله إلى آخره وبعض الكتب الأخرى.

و في «آثار النساء» و كان عالماً كثيراً غواصاً في بحار التحقيق، جمع أهل العلم من الهند والإفرنج فكان يأخذ عنهم و يذاكرهم في العلوم والفنون حتى أصبح منزله حلقة علم يؤمها سرّة البلاد و وجهاؤها يتسابقون إلى حديثه، وكان واسع الاطلاع في العلوم لا سيما الفلسفة والتاريخ والتمدن، وكان يعرف اللغات المتنوعة، وكان كثير المطالعة لم يفته كتاب إلا طالعه - انتهى.

و في «آثار عالمكير» أنه قلد بمير بخشىكري سنة ثمان و سبعين و ألف فاستقل بها مدة حياته - انتهى. وكان من ندائه الدكتور برنى الرحالة الفرنسي، ذكره في كتابه وأثنى عليه.

مات فيعاشر ربيع الأول سنة إحدى وثمانين و ألف في أيام عالمكير.

- نزهه ٣٨٦ / ٥ رقم ٦٢٦، آثار النساء، مرآء جهان نما، آثار عالم كيري.

محمد طاهر ظفر خان أشنا التربتى (القرن ١١ هـ)

من رجالات كشمیر البارزين و أهل الفضل و من أرباب الأدب و أقطاب شعراء الشيعة في الهند ولد في كشمیر و أخذ العلم و الأدب على اعلام الشيعة هناك و تخرج في الشعر و فنون الأدب على أبيه المولى ظفر خان أحسن التربتى الذي كان من رجال البلاط المغولي في الهند و من أساتذة الأدب الفارسي في كشمیر و له دور هام في نشر الأدب و الشعر الفارسي في تلك النواحي و كما أن جده الخواجة أبو الحسن التربتى المتوفى سنة ١٠٤٢ كان من الأدباء و ناشري الأدب الفارسي في كشمیر و الوزير الأعلى في بلاط السلطان جمانكير . و المترجم

ص: ٢٣٤

له كان من رجالات بلاط السلطان جهان و في أواخر أيام حكومته فوض إليه رئاسة مكتبة البلاط الملكي حتى أوائل حكومة السلطان اورنك زيب (١٠٦٨ - ١١١٨) في كشمیر ثم ترك جميع مناصبه و مارس حياته الأدبية و لقبه السلطان بعنایه خان، وقال معاصره الميرزا محمد طاهر النصر آبادی في كتابه (تذكرة نصر آبادی) (... لقبه السلطان شاه جهان).

بلقب عنایه خان و كان حاد الذكاء .. و أرسل اليه ديوانه مع ديوانه الثاني الحاوی على غزلیات خسرو و كتاباً آخر و كان اسلوبه في النظم متيناً رائعاً جداً و يتخلص في شعره بـ(أشنا ..). أشار إلى ديوانه الشيخ آغا بزرگ الطهراني في الذريعة إلى تصانيف الشيعة الجزء التاسع من القسم الأول ص ٧ كما ذكره صاحب آثار النساء في ج ١ ص ٧٣٧ وج ٢ ص ٧٥٨ و ٧٦٢ و غيرهم و يحتوى ديوانه على الغزلیات و الرباعیات و القصائد في أكثر من ألف بيت، وكانت اشعاره في اسلوب

رائع، لطيف، سلس متين، كما انه مع ابيه و جده من الناشرين للتشيع في تلك التواحي في الهند و كانت دارهم مأوى و ملجاً و مسكننا للعلماء و الشعراء و الأدباء الشيعة المهاجرين من جبل عامل و العراق و ايران الى الهند.

على بن محمد جواهر رقم الخطاط (القرن ١١هـ)

السيد الفاضل على بن محمد المقيم الخطاط المشهور بجواهر رقم، أخذ الخط عن والده عن السيد عماد، و قدم الهند في أيام شاهجهان فجعله معلماً لولده عالمكير و لقبه جواهر رقم، و لما قام بالملك عالمكير جعله ناظراً على كتبخانة، و كان شاعراً مجيداً للشعر، خططاً بارعاً، يكتب النستعليق في غاية الجودة، كما في «مرآة العالم».

و من شعره:

نفسم سوخته فرياد خموشى دارم
تا که درکرد (؟) سرمد فروشی

- نزهه / ٢٩٣ رقم ٤٦٩.

ص: ٢٣٥

محمود الكيلاني (البهشتى) (القرن ١١هـ)

الشيخ محمود الكيلاني الشاعر الملقب في الشعر ببهشتى، كان من ندام الشاه عباس شاه الصفوى ثم غضب عليه الملك فحبسه في أحد القلاع، ثم أطلق سراحه فالتحق هذا بسلطان الهند شاه جهان فاتخذه هذا الأخير معلماً لولده مراد بخش.

مات بمدينة اكبر آباد كما في رياض الشعراء للداغستانى.

صادق بن صالح الأصفهانى (ولد ١٠١٨هـ / ١٦٠٩ م - ت)

الشيخ الفاضل ميرزا صادق بن صالح الأصفهانى، أحد العلماء المبرزين في الإنسان و الشعر، ولد في ثالث شعبان سنة ثمان عشرة و ألف بمدينة سورت، وقرأ العلم على مولانا شاه محمد الجونبورى، و مولانا عبد الشكور البهارى و الشيخ محمد حسين الكشميرى و الشيخ محمد اليزدى و على غيرهم من أساتذة الهند، ثم تقرب إلى شاهجهان.

و له مصنفات عديدة، منها الشاهد الصادق في المحاضرات، و منها الصبح الصادق - مؤلف ضخم في أربع مجلدات في أخبار الأنبياء والأولياء و الملوك و الوزراء و الحكماء و العلماء و الشعراء، صنفه لشجاع بن شاهجهان و كان شاعراً مجيداً للشعر بارعاً في كثير من العلوم و الفنون.

و من أبياته قوله:

سوی میخانه بتائید جنون خواهم

باز از عالم اسباب برون خواهم

حد این بادیه جز اشک ندید است

آه خواهم شد ار اشک فزون

لعله مات فى ايام الحروب المتواصلة بين شجاع و عالم أكبر ابني شاهجهان بأرض بنكاله.

- نزهه ۱۷۶ / ۵ - ۱۷۷ رقم ۲۷۸

ص: ۲۳۶

محمد جان القدسی (ت ۱۰۵۶ / ه ۱۴۴۶ م)

الشيخ الحاج محمد جان المشهدی الشاعر المشهور المتلقب فى الشعر بالقدسی، قدم الهند سنة اثنتين وأربعين و ألف، و تقرب إلى شاهجهان و نال الصلات الجزيئة منه، له «بادشاه نامه» منظومة في اخبار السلطان المذكور، و له دیوان الشعر بالفارسی، و من شعره قوله:

آسايش دو کيتي برم حرام كردند

اینجا غم محبت آنجا جزای عصیان

توفى سنة ست و خمسين و ألف بمدينة لاهور، كما في «سر و آزاد».

- نزهه ۳۷۴ / ۵ - ۳۷۵ رقم ۶۰۴ سرو آزاد (مخطوط).

داود بن عناية الله الأکبر آبادی (ت ۱۰۷۳ / ه ۱۶۶۲ م)

الشيخ الفاضل الحکیم داود بن عناية الله الأکبر آبادی، أحد العلماء المبرزین فی الفنون الحکیمیة، أخذ عن أبيه و كان والده من أصحاب الحکیم فخر الدین محمد الشیرازی فتخرج عليه و قام مقامه بعده، و صار ير جع الناس إلیه فی العلوم و فی معالجاتهم، فجعله عباس شاه الصفوی ملک الفرس نديما له، و لم يزل يعتمد عليه فی الأمور حتى توفی إلی الله سبحانه و تعالى، فاعتزل داود فی بيته برہه من الزمان ثم سافر إلی الحجاز فحج و زار، و ذهب إلی بغداد و البصرة، ثم دخل الهند و وصل إلی أكبر آباد فی السابع عشر من صفر سنة ثلاثة ثلات و خمسين و ألف، فتقرب إلی شاهجهان عظیم الهند، و تدرج فی المناصب العالیة حتی بلغ منصبه إلی ثلاثة آلاف له و ثلاثة لخیل، و نال الصلات الجزيئة و الخلع الفاخرة منه غير مرأة، كما في «باد شاهنامه».

و في العمل الصالح : أن منصبه بلغ في آخر أيام السلطان المذكور إلى خمسة آلاف، و لقبه السلطان تقرب خان، و كان رجالا حاذقا في المعالجات، قد أبدع فيها غير مرءة - انتهى.

ص: ٢٣٧

توفي سنة ثلث و سبعين و ألف في أيام عالمكير، كما في «ـاثر الأماء».

- نزهه ١٤٨ / ٥ رقم ٢٢٤، عمل صالح (مخطوط).

شيدا ملا (ت حدود ١٠٥٢ / ٥ ١٦٤٢ م)

«شيدا ملا» شاعر و هجاء فارسي ولد و نشأ في فتحبور سكري (قرب آكره) و صحب فترة من الزمن خان خانان ميرزا عبد الرحيم ثم التحق من بعد بخدمة الأمير شهريار بن جهانكير، ثم خدم شاهجهان و دخل في زمرة الأحدبيين، و تقاعد في شيخوخته بكشمیر ينفق من معاش اجراه عليه شاهجهان، و توفي فيما يرجح سنة ١٠٥٢ هـ ١٦٤٢ م.

و يقول عبد الحميد الlahورى إن شيدا كان قليل العلم و لكن غيره من الكتاب خالفوه في رأيه تمام المخالفه فقد كان شيدا مستطيعاً أن يقرض الشعر الجيد بسرعة، و يقال إن مجموع ما نظم هـ من أبيات الشعر يبلغ مائة ألف بيت و قصيده التي فصل فيها الكلام عن عيوب و نقائض كل بيت من أبيات القصيدة التينظمها معاصره قدسي و مثنويه «دولت بيدار» معروفة حق المعرفة، كما أنه هجا طالباً «الآمنى» و مير إلهى و غيرهما من الشعراء الآخرون، و من ثم كانت المناظرة المشهورة التي قامت بين شيدا و الشيخ فیروز في أحمر سنة ١٠٢٤ هـ ١٦٠٥ م.

(١) عبد الحميد الlahورى : بادشاه نامه، ج ١، كلكته ١٨٦٧، ص ٣٥٨ - ٣٥٩. (٢) جلال الدين محمد طباطبائي : بياض، المتحف البريطاني، القسم الشرقي، الورقة ٢٧١، ج ٢، ص ٩٣٣، (٣) شير خان ابن محمد أمجد خان لودى: تذكرة مرأة الخيال، كلكته ١٨٣١، ص ١٤٧ - ١٥١ (٤) غلام على آزاد (البلكمي): مـاثر الكرام، ج ٢ (- سرو آزاد)، حيدر آباد، ١٩١٣ ن ص ٨٢ - ٨٤ وكذلك ص ٦٢ - ٦٣ و (٥) على أحمد خان هاشمى (السنديلابوى): تذكرة مخزن الغرائب (مخطوط مكتبة بودليانا، و «دار المصنفين»، أعظم كره، الهند)، (٦) شيلى نعمائى: شعر العجم، ج ٤ (الطبعة الثالثة أعظمكره ١٩٢٢) ص ١٧٣ و ٢٠٦ و ٢٠٩: ج ٥ (الطبعة الأولى)، ص ١٨٧ (٧) عبد الغنى خان : تذكرة الشعراء، عليكـه ١٩٠٦، ص ٨٧ (إقرأ ١٠٥٢ بدلاً ص ١٠٤٢)، [صديقى iqiddiS A.]- دائرة المعارف الإسلامية ١٤ / ٢٠.

ص: ٢٣٨

محمد معصوم التستري (ت بعد ١٠٥٠ / ٥ ١٦٤٠ م)

الحكيم الشيخ محمد معصوم بن كريم الدين الحكيم التستري، أحد العلماء المبرزين في العلوم الحكيمية، نشأ بشيراز وقرأ العلم على أساتذتها، ثم قدم الهند في أيام شـاهجهان، له «القرابادين المعصومي» صنفه سنة خمسين و ألف، كما في «محبوب الألباب».

- نزهه ٤٠١ رقم ٦٥٩

محمد معصوم الهندي (كان حيا سنة ١٠٥٣ هـ / ١٦٤٣ م)

من العلماء الائتني عشرية في لاهور / ادركه مؤلف كتاب دبستان المذاهب سنة ١٠٥٣ هـ و يحتمل ان يكون متخدًا مع محمد معصوم التستري (المذكور).

- طبقات أعلام الشيعة ٥٧٦ / ٦ القرن ١١.

محمد هاشم الكيلاني (ت ١٠٦١ هـ / ١٦٥٠ م)

الشيخ الفاضل العلامة مير محمد هاشم بن محمد قاسم الحسيني الكيلاني، أحد كبار العلماء، أخذ العلوم الحكيمية عن مرزا إبراهيم الهمданى و نصير الدين حسين الشيرازى، وأخذ الفقه و الحديث و العربية عن الشيخ محمد العربى المحدث و الشيخ عبد الرحيم الحسائى و الشيخ على حفيد العلامة عصام الدين الإسفراينى، و أقام بالحرمين الشريفين اثنتى عشرة سنة، ثم قدم الهند و أخذ الفنون الرياضية و الصناعية الطبيعية عن الشيخ على الكيلاني و تطبب عليه، ثم سكن بأحمد آباد فى أيام شاهجهان زمانا، ثم جعله شاهجهان معلماً لولده أورنك زيب.

و له تعليقات على تفسير البيضاوى و حاشية على تحرير الأقليدس الى المقالة التاسعة و له غير ذلك من المصنفات، مات بأورنك آباد سنة إحدى و ستين و ألف و له ثمانون سنة، كما في «مرآة العالم».

- نزهه ٤٠٦ / ٥ رقم ٦٦٦.

ص: ٢٣٩

حسن بن أبي الحسن القزويني المشهدى (ت بعد ١٠٧٥ هـ / ١٦٦٤ م)

الشيخ الفاضل ميرزا حسن بن أبي الحسن القزويني ثم المشهدى الشاعر المشهور، كان يتلقب في الشعر بالرفيع، قرأ العلم على أستاذة المشهد، و سافر إلى بلخ فتقرب إلى نذر محمد خان أمير تلك الناحية، و ولى الإنشاء فلبث بها زمانا، ثم قدم الهند سنة أربع و خمسين و ألف و تقرب إلى شاهجهان، فنال الصلات الجليلة منه، و ولاه عالمكير بن شاهجهان على ديوان الخراج بكشمير، فلما كبر سنه اعتزل عنه و وظف له، مات بدهلي، و من أبياته قوله:

خار را آتش توان زد تا نکیرد دامنی
من نمیدانم علاج خاک دامنکیر

- نزهه ١٣٢ / ٥ رقم ١٩٠.

فتح الله الشيرازى (ت بعد ١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠ م)

الشيخ الفاضل الكبير الحكيم فتح الله بن أبي القاسم بن فتح الله، الشيرازي الحكيم، كان من العلماء المبرزين في العلوم الحكمية، ولد ونشأ بشيراز، وقرأ العلم على أساتذتها و تقرب إلى إمام قلى بن الله وردي خان أمير تلك الناحية، و لما توفي الأمير المذكور فارق بلاده و دخل الهند في أيام شاهجهان، فنال منه الصلات الجزيلية غير مرأة، و دخل في زمرة أطبائه و كان حاذقا في علاج الأمراض الصعبة و متفردا بين الأطباء في تشخيص الأمراض، كما في «عمل صالح».

و جده فتح الله غير فتح الله الشيرازي الأستاذ المشهور. و هو أيضاً قدم الهند في عهد أكبر شاه و نال الصلات الجزيلية منه، و أقام بالهند مدة طويلة، ثم رجع إلى بلاده و مات بشيراز، كما في «بادشاهم».».

- نزهه ٣١٢ / ٥ رقم ٤٩٦.

ص: ٢٤٠

علاء الدين الشوشترى المرعشى (حدود ١٥٩١ / ١٠٥٠ - ١٦٤٠ / ١٠٥٠ م)

الشيخ الفاضل علاء الملك بن العلامة نور الله الحسيني المرعشى خامس أنجال الشهيد السيد نور الله الشوشترى، وقد اشتهر بلقبه ولم يُعرف اسمه و كان أحد كبار العلماء، أخذ عن والده، صحبه مدة من الدهر ثم سار إلى شيراز و تخرج على جماعة من العلماء، ثم قدم الهند و اشتغل بالتدريس، فجعله شاهجهان معلماً لولده محمد شجاع، فسار معه إلى بنكاله.

و له مصنفات جليلة، منها المذهب في المنطق، وأنوار الهدى في الإلهيات، و الصراط الو سبط في إثبات الواجب تعالى و تقدس - ذكره مرزا محمد صادق الأصفهاني في «صبح صادق».

- نزهه .. ٤٥٥، تذكرة مجید - سبط الحسن هنسوی، مطبع انوار / ٣٧١ - ٣٧٤.

يحيى الحسيني الكاشى (ت ١٦٥٣ / ١٠٦٤ م)

هو المير يحيى الحسيني الكاشى، أحد الشعراء المفلقين، قدم الهند و نال الصلات الجزيلية من شاه جهان، و من شعره:

كره ز خاطر خود و از نمیتوان کردن

دولب دوناخن مردادست تابیهم

توفي بدهلي في ١١ محرم سنة اربع و ستين و الف.

- نزهه ٤٥١ رقم ٧٥٢، سرو آزاد.

على رضا الشيرازي تجلّى (١٠٨٨ - ١٦٧٧ م)

الملا على رضا الشيرازى المتلقب بـ (تجلّى) فى شعره هو من كبار علماء الهند فى عصره أخذ مكانه سلفه الشهيد السيد نور الدين الشوشتري، و ذلك فى أيام الامبراطور

ص: ٢٤١

شاه جهان وكان على صلة حسنة بالعلماء فى ايران و العراق، طاف فى اكثربالبلاد المعروفة فى الهند مثل : آكره، دهلي، لاهور، سوهدره، كشمير، و كان بالإضافة الى انشغاله فى القضاء، يعقد مجالس الدرس و من أشهر تلامذته فى الهند العلامة السيد حسين الخوانسارى المتوفى ١٠٩٩.

انتقل فى أواخر حياته الى شيراز و توفى بها على اختلاف الرواية فى السنة التي توفي فيها و هي بين سنة ١٠٨٠ و ١٠٨٨ .^٥

من كتبه:

- تفسير القرآن المجيد، بالفارسية، و جاءه فى مخزن الغرائب عن هذا الكتاب:

انه تفسير للقرآن بعبارة واضحة و هو متداول بين العلماء و الفضلاء.

- ديوان شعر

- رسالة في المنع من صلاة الجمعة حال الغيبة.

- رسالة سفينة النجاة في الامامة.

- رسالة في رد محمد باقر.

مطبع / ٣٥٩ - ٣٦٠، روضات الجنات ٢ / ٢١٩، مخزن الغرائب ١ / ٤٢٠ هميشه بهار، صبح كلشن، كلمات الشعراء، مأثر الكرام.

ابو المعالى الشوشتري (١٠٤٦-١٥٩٥ هـ / ١٦٣٦ م)

ابو المعالى بن السيد نور الدين الشوشتري المرعشى، ولد فى ذى القعدة ١٠٠٤ فى البنغال ثم اصبح من علماء الهند و اشتهر فى كثير من العلوم الشائعة فى عصره، و من كتبه، احوال شهادت قاضى نور الله، و كتاب : تفسير سورة اخلاص، و كتاب شرح الفيه (فقه) و رساله نفي رؤيت، و ديوان باللغة الفارسية.

- مطبع انوار / ٦٧، نجوم السماء / ٩٢، تذكرة مجید، امل الآمل.

ص: ٢٤٢

شريف الدين الشوشتري (٩٩٠ - ١٥٨٢ هـ / ١٦١١ م)

هو ابن الشهيد نور الدين الشوشتري، ولد في ١٩ ربيع الأول سنة ٩٩٠ على قول السيد شهاب الدين المرعشى، و كان قد درس دراسة ممتازة في الحوزات العلمية في ايران، ثم أصبح من العلماء والمدرسين.

و كان من أساتذته في شيراز: محمد تقى الشيرازي و ابراهيم الهمدانى، من مؤلفاته:

حاشية على تفسير البيضاوى، حاشية مبحث جواهر، حاشية قديم، حاشية شرح مختصر عضدى، حاشية على مطلع الانوار، رسالة في عويصات العلوم و غيرها.

انتقل إلى رحمته تعالى في ٥ ربيع الثاني سنة ١٠٢٠ هـ.

- مطلع انوار / ٢٧٩، مقدمة احقاق الحق.

اسماعيل البلكرامي (حدود ١٤٧٧ - ١٠٨٨ هـ)

هو السيد اسماعيل بن السيد قطب عالم البلكرامي، كان من العلماء المتميزين على عهد شاه جهان، من تلامذته : السيد عنایت الله، حافظ القرآن، و السيد محمد فيض و كان من الاطباء.

أولاده: نور محمد، حسن عسكوى، و السيد حسين.

و من تصانيفه: حاشية كبير على كتاب تهذيب المنطق، و حاشية أخرى على حاشية ملا جلال.

- مآثر الكرام ٢٣٣، بي بها / ٥، تذكرة علماء هند / ٢١، مطلع / ٩٩.

ص: ٢٤٣

دانشمند خان (١٤٧٠ - ١٠٨١ هـ)

من علماء عصر اكبر و جهان كير و شاه جهان، و كان من طبقة ملا محمد يزدي، و ملا محمد قدسى مشهدى، و ملا علاء الملك التونى المعروف بفاضل خان، و مظفر خان مير عبد الرزاق النجفى، و الملا نور الله الشوشتري، و الملا أحمد تهتوى، و ملا امانت خان، و مير محمد زمان موسوى خان ميرزا و أقا حسين خوانسارى، و ملا ملك القمى، و ملا فتح الله شيرازى و غيرهم.

- مطلع انوار / ٢١٧ - ٢١٨، عمل صالح، مآثر الأمراء، فرح الناظرين.

محمد سعيد الكرمرودى (١٤٣٥ - ١٠٤٥ هـ)

كان من العلماء على عهد شاه جهان، قابل هذا الامبراطور و لقى عنده الاحترام، و عينه في منصب مرموق على ما جاء في كتاب بادشاه نامه.

- مطلع / ٦١٦ .

الملا محمد الكاشف (قبل ١٠٥٩ هـ / ١٦٤٩ م)

الملا محمد الكاشف بن الملا صادق، أحد العلماء في عصر شاه جهان و كان من المدرسين، و المصنفين، له عدة كتب منها كتاب تحت عنوان: «حاشية ميرزا كاشف على بحث التميز».

- مطلع / ٥٩١ - ٥٩٢ .

ص: ٢٤٤

اورنك زيب عالمكير (١٠٢٨-١١١٨ هـ / ١٦١٩-١٧٠٧ م)

الامبراطور محمد اورنك زيب عالم كير الأبن الثالث للامبراطور شاه جهان ولد (ليلة الأحد ١٥ ذى القعدة سنة ١٠٢٨ هـ، ٣ نوفمبر ١٦١٩)، في قرية (دهوض) التي صحف اسمها إلى (دوحد) باقليل من كجرات و امه السيدة ارجمند بانو الطهرانية (ممتناز محل).

مال إلى دراسة الشريعة منذ صغره و كان من اساتذته: عبد اللطيف السلطان بوري و محمد هاشم الكيلاني و محى الدين بن عبد الباري.

وردس الخط لدى على بن محمد مقيم حتى اصبح خطاطاً ماهراً لا سيما في خط النسخ و النستعليق و الشكسته و كتب المصحف الشريف بخطه و اتفق على ال تذهيب و التجليد سبعة آلاف روبيه ثم بعث النسخة إلى المدينة المنورة . و كان حافظاً للقرآن الكريم مطلاعاً على السنة الشرفية ملازماً لكتب الفقه ملماً بمقدماته، ماهراً بالموسيقى، و الرمي و الطعن و الفروسية و الصيد، متربلاً في الإنشاء و الشعر، موصوفاً بالجرأة و الشجاعة و قسوة القلب و عدم الرحمة على خصومه، و كان موصوفاً بالتدين و أداء شعائر الدين بخلاص كبير و مواطبة تامة مع زهد و تقشف نسب فيما إلى الشح حتى انه و زهد في آخر عمره على ان لا ينفق على نفسه إلّا ما كسبت يداه بالعمل حتى انه اوصى بأن يدفن في أقرب مقابر المسلمين و ألا يعود ثمن كفنه خمس روبيات كان قد كسبها من نسخه للقرآن الكريم و صنعه للطواقي ضمن ثلاثة روبيه أمر رجاله ان يتصدقاً بها على الفقراء كذلك.

و بالرغم من انه اعتصب العرش من أخيه دارا شوكوه ولـي العهد الشرعي، و بالرغم من قتله لأخوه و اذلاله و سجنه لوالده المريض فقد كان عهده ازدهار و رفاهية و رخاء، و أمن الناس فيه على أرواحهم و أموالهم و اعراضهم، و ازدادت من جراء ذلك مساحات الأرض المرزوعة و كثرت غلالها فزادت واردات الدولة و نعم الناس بالخيرات، و كان ذلك نتيجة لاصلاحاته الادارية و سياسته الاخلاقية.

ص: ٢٤٥

مر علينا نبأ مرض والده الامبراطور شاه جهان (قيل ان مرضه بالفالج، و قيل أبتلى باحتباس البول) فعهد بولاية العهد الى ولده الاكبر و الارشد دارا شوكوه و مكنته أن يقيم عنده و ينفذ الامور فاشتعلت الغيرة لدى اخوته فنهض (شجاع) من البنغال و (مراد بخش) من كجرات و (اورنك زيب) من الدكن و كلهم يريد ان يستولى على العرش، لكن الغلبة في كل ذلك في صميم مؤهلات (اورنك زيب) فاستطاع اولا من اقناع مراد بخش بالاتفاق معه و لما تمت لهم السيطرة على دارا السلطنة، احتلال (اورنك زيب) على أخيه مراد بخش، و خان جميع المواثيق التي ابرمها معه و اعتقل اخويه ثم قتلهم شر قتل، و لكن يحلو لجمهرة المزمنين في جوقة السلطان ان يسمون تلك الخيانة تمردا على السلطة الشرعية و خروجا على الدين.

(في النزهه ١٢٥ / ٦: و اعتقل اخويه (أى اورنك زيب) ثم قتلهم لأمور صدرت منهما و افتى العلماء [الابرار] انهما استوجبوا القتل).

[و قال منعم النمر في تاريخ الاسلام في الهند / ٣٤١ في قتل دارا شوكوه: انتهى الأمر بقتله بعد أن اعتمد الملك على فتوى من العلماء بخروجهم عن الدين، و محاربته الحاكم الشرعي (!!!)] و هل كان الحاكم الشرعي الـ دارا شوكوه نفسه فهو أكبر اخوته وأعلمهم، ثم ان والده كان حيا يرزق وقد خصه بولاية العهد فقام بأمور السلطنة تحت نظره و رعايته، و نحن لا نريد محاكمة اورنك زيب بقدر ما نريد التنبية على اغالطي المشايخ الذين يهرون بما لا يعرفون سعيا وراء تقدير هذا الحاكم أو ذاك وكل ما كان قد اعجبهم في الامبراطور اورنك زيب لما قيل عنه انه (كان متصلبا في المذهب، يتدين بالذهب الحنفي لا يتجاوز عنه في قول ولا فعل - نزهه ١٢٦ / ٦)، و هكذا كان التعصب في المذهب صك براءة لأفاعيل هذا السلطان أو ذاك طالما انه يتناغم في هواه المذهبي معهم، و الواقع اننا لا بد من ان نقيم هذا الرجل في ميزان اعماله السيئة أو القبيحة، دون تأثر برأي أو عصبية لمذهب بعينه، و ارى ان هؤلاء المشايخ ظلموا (اورنك زيب) جدا لأنهم اعتبروه بأماديهم تلك و بتلقיהם اياب بمحى السنة الغازى المؤيد .. القائم بنصرة الدين ... الخ من الاقاب المفخمة، اعتبوه و كأنه معصوم من الخطأ مع أنه اغتصب

ص: ٢٤٦

العرش الشرعي و كان ظالما لأهله و قاتلا بل و خائنا لأخوته و اعجب من كل ذلك انه مع قسوته على أبيه و اضطهاده له و عقوقه اياب (و عقوق الأباء ظلم عظيم لا يغفر) سجن والده المريض في قلعة اكبر آباد لمدة ثمانى سنين حتى وفاته في السجن و لم يحاول ان يزوره طيلة هذه المدة حتى و لا مرة واحدة و هذا دليل بسخطة عليه و غضبه منه، و مع كل ذلك فلا يحلو لهؤلاء المشايخ الا ان ينسبوا ذلك الى العفو عند المقدرة لدى هذا الأبن العاق و اكثر من ذلك يقول في النزهه ١٢٥ - ١٢٦ في موضوع سجن والده شاه جهان «و هيأ له ما يشهيه من الملبوس والمأكل و أهل الخدمة و الجواري و الغلمان ..» و كان الأكل و اللبس هو كل ما يتبغيه والده و أن ذلك يلغى عقوقه لوالده، ثم يرد قوله عن اورنك زيب بما يلي «و افتح أمره بالعدل و الاحسان و رفع العظام ص ١٢٦» و كم في هذا المديح من التجني و الكذب، فالثابت تأريخيًا ان اورنك زيب (المؤمن، المتصلب في المذهب) افتح أمره بقتل اخوته و سبى أهله و سجن والده المريض حتى توفي في سجنه، فأين هو العدل و الاحسان من كل ذلك؟.

كان الامبراطور اورنوك زيب على ما دونه السيد عبد الحى فى التّزهه ٦ / رقم ٢٤٤ موزعاً لأوقاته فوقت للعبادة و وقت للمذاكرة و وقت لمصالح العساكر و وقت للشكاوة و وقت لقراءة الكتب و الأخبار الواردة عليه كل يوم و ليلة من مملكته لا يخلط شيئاً بشيء فإنه كان ينهض في الليل قبيل الصبح الصادق فيتوضأ و يذهب إلى المسجد و يصلى الفجر بجماعة ثم يستغل بتلاوة القرآن والأوراد الموظفة ثم يجلس بدولت خانه و يتمثل بين يديه الأمراء المقربون و يحضر لديه ناظر العدلية (داروغة عدالت) بجماعة من المتظلمين سواء كانوا من أهل دهلي أو من خارجها فيقضى فيهم بما يبدو له من الشرع أو العرف ثم كان يذهب إلى البرج المشرف على نهر «جمن» و يسمونه «جهروكة درشن» على سنة أسلافه وبعد مدة من الزمان ترك ذلك فكان يدخل المنزل و يمكث به نحو ساعتين أو ثلاث ساعات ثم يظهر في الديوان العام و يجلس للناس فيحضر لديه أبناء الملوك و كبار الأمراء و عظاماء الهند و السفراء و كلهم يقفون بين يديه و من ورائهم تقف عامة الأمراء و يتلوهم الناس من كل صنف و درجة أعلاهم و أدناهم، ثم يتمثل بين يديه الأمراء الوافدون من

ص: ٢٤٧

بلاده و يستأنده الأمراء المأمورون إلى جهات فيخلع عليهم و يأذن لهم بالخروج و يعرض عليه عرائض الأمراء و الولاة و نذورهم و يعرض عليه «المير بخش» مطالب أهل المناصب و «المير آتش» أغراض «البرقندازية» و غيرهم و صدر الصدور يعرض عليه حوائج السادة و العلماء و المشايخ و غيرهم و صدر الصدور و غيرهم من أهل الاستحقاق و ناظر العرض المكرر الأحكام السلطانية من الم ناصب و الأقطاع و التقدود و غيرها، ثم يعرض عليه ناظر الإصطبلات الأفاس الخاصة و شحنة الفيلة الأفيال الشاهانية على الرسم المعتمد و ناظر الداغ و التصحح فرسان الأمراء مع أفراسهم التي امتازت بالداغ و التصحح حالاً و كان يجلس بالديوان العام نحو خمس ساعات، ثم يذهب إلى «دولت خانه» فيحضر لديه الوزير و الديوان و البخشي و صدر الصدور و غيرهم من كبار الأمراء فيكلمه الوزير في مهمات الدولة و الديوان في الأموال الخالصة الشريفة و المير بخشى في العسكرية و صدر الصدور في أهل الحوائج و السلطان يجاوبهم بما يبدو له من المعروف و يكتب بيده بعض التوقيعات و يأمر في بعضها أن يكتب الوزير ثم يعرض عليه المناشير التي انشأها الوزير فيقرأها و يصلحها إن رأى فيها خللاً و يجلس بها نحو خمس ساعات، ثم يدخل المنزل و يتغدى و يقلل نحو ساعة ثم يتوضأ و يمشي إلى المسجد و يصلى الظهر بجماعة، ثم يذهب إلى «خلوت خانه» و يستغل بتلاوة القرآن و كتابة المصحف و مطالعة الكتب و تحقيق المسائل، و ربما يدعوه بها بعض الأمراء و يباشر مهمات من أمور الدولة و ربما يدعو أهل المظالم و الشكاوى فيقضي بهم بالمعروف و ربما يدعو المخدرات فيعرض عليه حوائج النساء فيبذل عليهم العطا يا الجزيلة، ثم يذهب إلى المسجد و يصلى العصر بجماعة ثم يجلس بدولت خانه مرة ثانية فيتمثل بين يديه الأمراء و يكلمونه في مهمات كأول النهار كما تقدم ثم يخرج إلى المسجد و يصلى المغرب بجماعة و يستغل نحو ساعتين بالأذكار و الأشغال ثم يذهب إلى «دولت خانه» و يستغل بالمهمات إلى وقت العشاء ثم يذهب إلى المسجد و يصلى العشاء ثم يدخل المنزل.

و أما يوم الأربعاء فكان لا يجلس بالديوان العام و الخاص و يجلس بدار العدل على سنة أسلافه فيحضر لديه المفتون و القضاة و يعرض عليه ناظر العدلية المتظلمين واحداً بعد واحد فيستنطقه السلطان بنفسه و يسأله بكل هؤادة و رفق و يقضى بينهم بالمعروف.

ص: ٢٤٨

وأما يوم الخميس فانه كان يكتفى بالجلوس بالديوان العام والخاص على أول النهار ويترك الجلوس بعد العصر فكان يستغل سائر أوقاته بالعبادة.

وكان يجلس للمذاكرة في الكتب الدينية كالإحياء والكيمياء و«الفتاوى الهندية» وغيرها في كل أسبوع ثلاثة أيام على السيد محمد الحسيني القنوجي والعلامة محمد شفيع اليزدي ونظام الدين البرهانبورى وغيرهم من العلماء.

حروب اورنك زيب:

خاض اورنك زيب عدة حروب في عهد والده شاه جهان، ومنها الحرب التي قام بها ضد اخ وته وقتلهم وما كاد ان يسبت له الملك حتى تجددت الانتفاضات ضده في عدة اطراف من الامبراطورية ومن بين الواقع الحربي الذي شهدتها عصره:

الثورة الافغانية

وهي ليست بثورة جديدة بل أن القبائل الافغانية كانت في ثورة دائمة على المغول، وكانت صعوبة أرضهم وشدة بأسهم يجعل اباطرة المغول يرضون منهم بالطاعة الظاهره ما داموا لم يمسوا مصالح الامبراطورية. فلما كانت سنة 1672 حدثتهم أنفسهم بالثورة فثاروا، فذهب السلطان بنفسه وأدبهم وأقام حولهم مخافر لمراقبة أحوالهم وأعمالهم، ثم تركهم مدة من الزمن وأعاد عليه الكره بحمله قائده المشهور «آخر خان» فاستأصل جذور رجاليهم واجتر زهارات نقوسهم وأهلوك حرثهم ونسليهم وضرعهم وزرعهم فكانت ضربة قاصمة حاسمة، وظللت النساء بعد ذلك زمنا طويلا يفزعن أولادهن باسم هذا القائد، وقد كتب بعض المؤلفين كتابا عن حروب هذا القائد وسماه «آخر رامه».

الثورة الراجبوتانية

وقد نشأت عن موت الأمير جسونت سنكه، سنة 1678، من غير أن يعقب وقد طمع بعرش إمارته ماروار، التي تسمى اليوم جودهبور، كثير من الأمراء ولكن أورنكزيرب ولّى عليها «اندر سنكه» ابن اخت الأمير الفقيد فأغضب هذا الانتخاب أسرة البيت وبعض قواه ده فتركوا البلاد مغاضبين وساروا يقصدون كابل، و لما بلغوا لاهور وضعت زوجة الفقيد غلامين توأم من فاخذوها وجاووا إلى أورنك زيب وطلبوها منه أن يعهد

ص: ٢٤٩

بإماره لأحدهما، فقال لهم أورنكزيرب : بل يربى هذا الطفلان تحت الرعاية السلطانية ثم متى بلغا سن الرشد توليا ما كان لوالدهما. فأحبط بذلك مؤامرة المؤتمرين وعلى رأسهم « درجا داس »، فقرروا الفرار من دهلي و العودة إلى جودهبور والقيام بثورة باسم ولّي العهد. و قيل أن أحد الطفليين مات و هم في دهلي، و رأى الرجال بأن وجود الأميرات معهم قد يعيق فرارهم و ثورتهم فقتلوهـن و فروا. و تقول بعض التواريخ أنهم قتلـوهـن مع الطفليـن و فروا، فلما بلـغـوا جودهبور أخذـوا طفـلا مجـهـولا و ادعـوا أنهـ ابن جـسـونـتـ، و تـولـىـ درـجاـ دـاسـ قـيـادـهـ ثـورـهـ أـثـارـهـ عـلـىـ الـأـمـيـراـطـورـيـهـ، و اـشـتـبـكـ معـ جـيـوشـهاـ بـمعـارـكـ عـدـيدـهـ كانـ لاـ يـغلـبـ فـيـ وـاحـدـهـ مـنـهـ إـلـاـ لـيـعـودـ فـيـجـمـعـ جـمـوعـهـ لـمـعـ رـكـهـ ثـانـيـهـ، وـ لـمـ رـأـيـ إـمـارـهـ أـوـديـبورـ ثـيـاثـ درـجاـ دـاسـ فـيـ مقـاـومـهـ السـلـطـانـ ظـنـ عـجزـ السـلـطـانـ عـنـ إـطـفـاءـ نـيـرانـ هـذـهـ الفـتـنـهـ، فـرـضـ دـفـعـ الجـزـيـهـ وـ اـنـضـمـ إـلـىـ درـجاـ دـاسـ وـ عـملـ مـعـ

على إغراء والي «مار وار» الأمير «أكبر» الأبن الثالث للسلطان اورنک زیب، و دعاه الى العصيان على أب يه على أن يساعدہ هو و درجا داس لتولی السلطنة، فاغتر «أكبر» بهذه المواعید و أعلن عصيانه على أبيه سنة ۱۶۶۰، و حيث ان اورنک زیب كان آنذاك في أحمر، فقد ذهب ابنه لقتاله، ولكن اورنک زیب انتصر على «أكبر» ففرّ هذا ملتجئا إلى راجبو تامه ثم الدکن، ثم لما صافت عليه الأرض بما رحبت غادر الهند سنة ۱۶۸۲ إلى إيران وفيها مات. و بعد أن قضى اورنک زیب على ثورة ابنه انصرف بكليته إلى راجبو تامه فقضى على ثورتها، و لما رأى أمير أودبیور فشل هذه الحركة سارع بالاعتذار إلى السلطان و قدم إليه بدل الجزية المختلفة في ذمته مقاطعين من بلاده.

و بعد هذه الضربة أخلص الراجبو تانيون للسلطنة إخلاصاً تماماً و لم تقدر منهم، بعد ذلك، بادرة توحى بغیر الطاعة و الإخلاص.

ثورات الدکن

كانت الأمارات الشيعية في الدکن (العادل شاهيہ و عاصمتها بیجاپور) (و القطب شاهيہ و عاصمتها کولکنده قرب حیدر آباد) مستقلتان عن هیمنة السلطنة المركزية للمغول، و كان المغول كلما ستحت لهم الفرصة يوجوها جيوشهم لاحتلال الدکن،

ص: ۲۵۰

الهضبة الكبرى في جنوب الهند، وكانت الحروب المتالية مع جيوش الامارتین مداعاة لانزعاج المغول طيلة أيام حكم تلك الامارات وكانت هجمات المغول على الدکن تنتهي أما بالفشل أو بعقد المعاهدات دون أي حسم عسكري، و على عهد اورنکزیب استولى الضعف على هاتين الامارتین، و بدأ الضعف بينا يوم تولی حکام ضعفاء الحكم هناك و لما كان اورنکزیب في اتجاه الدکمن متوجهًا للإشراف العسكري على حملات التأديب لامارة المراته الهند وسیئة التي تشارك بیجاپور و کولکنده الخوف من التوسيع المغولي فانتهز اورنک زیب الفرصة للقضاء على امارتی العادل شاهيہ و القطب شاهيہ أولاً فساق السلطان جيشاً بقيادة ابنه الأمير «أعظم» إلى بیجاپور و جيشاً آخر بقيادة ابنه الأمير «معظم» إلى کولکنده، فلما رأى سنبهاجی زعيم امارتة المراته و جماعته ذلك انضموا إلى جهود كبيرة و خسائر كبيرة بالعتاد والأرواح، أن يستولى سنة ۱۶۸۶ على بیجاپور ثم بعدها سنة ۱۶۸۷ على کولکنده و ألحقتا إلحاقاً تاماً باکره، و أصبح على عادل شاه أمير بیجاپور من أمراء البلاط السلطاني و سيق أبو الحسن تانا شاه أمير کولکنده إلى قلعة دولة آباد، و سجن فيها حتى مات.

ثورة المراته

بالرجوع إلى تاريخ المراته القريب، نجد هم من الأقوام الهندية التي سكنت الهند منذ القديم، و يسكن جلهم شمال بومبای و جنوبها، و لهم لغتهم الخاصة (المراتية) و هي اللغة الوطنية لسكان بومبای و كثير من مقاطعه منها راشترا حتى الوقت الحاضر، و بالطبع فهم يتكلمونها اليوم مع عدة لغات أخرى و في مقدمتها السنسكريتية و الانجليزية مثل سائر اقاليم الهند المختلفة التي تتكلم لغاتها الوطنية بالإضافة إلى اللغات المذكورة الأخرى.

و هذه القومية لم تسجم مع الوجود المغولي وكانت في صراع دائم و نفور مستمر من تسلط المغول وكان يغذى عدائها الشعور القومي المتنامي بين افرادها و شدة عصبيتهم للهندوسية و طمعهم للاستقلال في حكم انفسهم و لقوة شكيمتهم فقد كانوا يبدأون بالاغارة على املاك المغول، و حين بزغ نجم زعيهم (ساهوجي) الفوا حوله لكنه لم

ص: ٢٥١

٣٣

٢٥١ الشيعه في العصر المغولي : ص ١٢٢٨٠

يستطع ان يتحقق ما يريد ان يصبو إليه قوله فقد آثر الاتفاق مع امراء بيجابور المجاورين للمراتيه و اكتفى بتكرير الملك المسلمين له و تقريره طمعا في نيل هدوء جماعته و قد افلح فعلا في تلك الخطه فمال المراتيه الى الدعه و الهدوء طيلة فترة زعامة (ساهوجي) المذكور، ولكن ما كاد ابنه الأصغر سيواجي يبلغ مبلغ الشباب حتى جمع حوله رجالا و أخذ يغير من أقطاع أبيه المنيع، على بيجابور، فينهب و يسلب ثم يعود إلى مقره، وقد أهملت الإمارة تأديبه حرمة لأبيه، فطمع و غرته نفسه فاعتدى على الحدود المغولية، فأرسل أورنك زيب جماعة لتأديبه، فرده إلى الطاعة و الخضوع، ثم لما عقد اورنك زيب، يوم كان واليا على الدكن، صلحا مع إمارة بيجابور اشتربط عليها مطاردته و معاقبته أو إقطاعه منطقة بعيدة عن الحدود المغولية، ولكن بيجابور تها ونت بتنفيذ هذا الشرط لأنه لم يكن في صالحها، فلما أدبه القوات المغولية عاد و استطال على إمارة بيجابور، و وقعت بينه وبينها معركة قتل فيها قائد بيجابور، فاضطر الأمير على عادل شاه أن يسير سنة ١٦٤٠ بنفسه لتأديبه، ففر سيواجي و تدخل أبوه لدى الأمير فعفا عنه، فاتجه سيواجي من جديد نحو الأرض المغولية و استولى سنة ١٦٤٢ على مرفا سورت وأعلن استقلاله فساقت آكره عليه حملة انتزعت منه أكثر المناطق و القلاع التي كان مستوليا عليها، فلما أدرك عجزه عن الاستمرار في المقاومة قدم خضوعه فعفا عنه راجه جي سنه فائد الحملة المغولية و منحه نحو ثلث ما كان يسيطر عليه أقطاعا يعيش منه و أنعمت الحكومة على ابنه سنبهاجي، الذي كان شريك أبيه في عصيانه، برتبه رفيعة . و بعد بعض سنوات نقض سيواجي العهد و عاد إلى العصيان و ظل يعتدى على البلاد المغولية حتى مات سنة ١٦٨٠ ، و خلفه ابنه سنبهاجي و سار على قدم أبيه في العصيان، لا بل أغرق في عصيانه و أوى إليه الأمير «أكبر» النجل الثالث للأمبراطور اورنك زيب يوم فر من أبيه.

فانصرف أورنك زيب إلى سنبهاجي لتأديبه، و بعد معارك عديدة تغلب فيها عليه و قتله . و لكن قتل سنبهاجي لم يقض على الثورة بل قامت جماعته و انتخبوا أخاه من الرضاع، راجه رام، أميرا و استمروا في قتال المغول حتى سنة ١٦٩٧ ، يوم استولى المغول على قلعة «جنجي» بعد أن حاصروها سنوات، و فر راجه رام و ظل يضرب في صحاري بار و وهادها حتى مات، و أصبحت الهند كلها خاضعة للأمبراطورية المركزية.

ص: ٢٥٢

من أعمال اورنكزيب:

٣٣ طريحي، محمد سعيد، الشيعه في العصر المغولي، ١ جلد، أكاديمية الكوفة - هند، چاپ: اول، ١٤٢٧ هـ ق.

عاشت الهند خلال عهد اونك زيب بطمأنينة تامة لا سيما بعد أن قضى على جميع تلك الانتفاضات ضد الحكم المغولي، وقضى الامبراطور خمسين سنة في الملك والبلاد هادئاً، لكنه طبعها بطبعه الخاص وأضفى على الحياة الاجتماعية والادارية والدينية لوناً جديداً عليه اتميز بعده خطوات هي من بنات افكاره، وهي بمجموعها فضائل تضاف الى مكتنته الادارية وبراعته الحربية وسياساته القوية وكل هذه المؤهلات ابرزت شخصية فذة متسلقة الجوانب، ولهذا أختلف في النظر إلى هذه الخطوات بين مؤيد ومعارض، وفي هذا يتجلّى سر عظمته هذا الرجل، وفي ما يلى نظره سريعة على بعض أعماله:

* فقد الغي عادة السجود للامبراطور ومنع الانحناء للسلام وجعل السلام «السلام عليكم» فقط، ومع ذلك فانه عاقب أحد السقاة لمجرد أنه اقترب منه وحياة بتحية الاسلام (تبصرة الناظرين للسيد عبد الجليل البلكرامي ص ٥٩، مخطوط بمكتبة خدا بخش رقم ١٥٨) وجرت هذه الحادثة سنة ١٠٨٧هـ.

* طرد من القصر جميع الموسيقيين والرسامين والشعراء - وكان قد سمح لهم في أوائل عهده.

* ابطل عادة تقديم الهدايا للامبراطور من قبل حاشيته وولاته الذين كانوا بدورهم يتلقون الهدايا من مرؤوسيهم فكانت أشبه برسالة رسمية اجبارية.

* أمر برفع المكوس والمظالم عن المسلمين ونصب الجزية على غير المسلمين وهو أول من فعل ذلك من حكام المغول ومقابل ذلك الغي الخدمة العسكرية عنمن يدفع الجزية.

* ادخل الاصلاحات في النظام المالي للدولة فازدادت ثروات البلاد.

* الغي التقويم الشمسي.

* منع الاحتفال بعيد السنة الشمسية

* أصدر أمراً بأن لا ينسج شيء من الثياب الذهبية في دار الصناعة الملكية.

* أسس مصلحة للاحتساب الشرعي، وكان من أعمالها معاقبة من يبيع الخمر.

ص: ٢٥٣

* منع المقامرة وأصدر أمراً للبغایا والراقصات ان يتبن ويتزوجن أو يخرجن من حدود المملكة.

* نهى المستوفين أن يطالوا الابناء بغرامات الآباء وصادروا أموالهم في القضاء وأمرهم أن يميزوا في ذلك فيما بين أهل المناصب وفق ضوابط معينة.

* اصلاح الشوارع والطرق وحفر الآبار والعيون واسس الجسور والحمامات والمساجد والاصطبلات لأبناء البلاد.

* بذل المال لتعمير المساجد وتزيويتها بالاثمة والمؤذنين ولوازم الادامة والتأثيث.

- * كان يتصدق بتسع واربعين و مائة ألف في السنة، غير ما يتصدق به في الأعياد والمواسم.
- * أمر بتدوين (الفتاوي العالمكيرية) المعروفة اليوم بالفتاوي الهندية وهي مطبوعة و متداولة في ست مجلدات كبيرة و تعتبر موسوعة فقهية في الفقه الحنفي.
- * هو أول من وضع الوكالة الشرعية في دور القضاء فولى رجالاً من أهل الدين في دور القضاء بكل بلدة ليكونوا وكلاء عنه فيما يستغاث عليه في الحقوق الشرعية والديون الواجبة عليه وأجاز للناس أن يستغثوا عليه عند القاضي.
- * أمر عماله في الأقاليم (على زعم ول ديوانت) ان يقوضوا كل المعابد التي تتبع الهندوس أو المسيحيين وأن يحطموا الأصنام جميعاً، وأن يغلقوا مدارس الهندوس بغير استثناء [و من ايد ذلك المرادي في سلك الدرر مع أن الشرع لا يجيز تهديد معباد أهل الذمة من تؤخذ منهم الجزية]. فكان من جراء ذلك أنه في عام واحد (١٦٧٩ - ١٦٨٠) هدم ستة و ستين معبداً في «عنبر» وحدها، و ثلاثة و ستين معبداً في «شيتور»، و مائة و ثلاثة و عشرين معبداً في أودابور و أقام مسجداً إسلامياً في مكان معبده كان قائماً في بنارس وكان موضع قدسيّة خاصة عند الهندوس، بغية الإساءة المتعتمدة إليهم، و حرم إقامة الشعائر الهندوسية علينا، و مع هذا يعترف (ول ديوانت) بأنه كان أقل المغول قسوة، و الطفهم مزاجاً، و كاد يستغنى عن اصطناع العقاب في محاكمة المجرمين.

٢٥٤:

- * أسس (بلغو خانات) أي دور العجزة والمسنين في أكثر البلاد، وأصلاح أعمال المستشفى.
- * وأخيراً فقد توفي اورنك زيب و عمره تسعه و ثمانون عاماً في الدكن في شهر ذى القعدة سنة ١١١٨ / ٥ / ١٧٠٧ م بعد أن أقام في الملك نصف قرن و خلف غيابه فراغاً كبيراً حرّك العادات القديمة وأثار الأطماء الجديدة ولم تمض بـ بعد موته سنوات قليلة حتى تحطم امبراطوريته بفعل دسائس الغربين وبسبب منه شخصياً حين زاد امتيازات البريطانيين ببلاده عندما عاونوه في حربه مع البرتغاليين والمراته و لم يكن يعلم انه بصنعه هذا انما مهد الطريق لقوة صغيرة بعثتهم جزيرة صغيرة نائية في الغرب استنكشف والده (جهان كير) ان يرسل رسالة الى ملوكها - في حينه لكن هذه القوة الصغيرة من الساسة والتجار دخلوا من خلال تلك الامتيازات إلى الهند و بعثوا مدافعين ليستولوا على هذه الامبراطورية الإسلامية العظمى وبهذا قاسى خلفاء اورنك زيب الامرين من هؤلاء القراء الذين لم يتورعوا عن سلوك احتط السبيل و انتهوا للاستيلاء على هذه الاراضي الكبيرة الغنية.

[زوجات الامبراطور اورنك زيب:](#)

- ١- دلراس بانو بيكم ابنة شاه نواز الصفوي، تزوج بها في ٨ مايو ١٦٣٧ و توفيت في ٨ أكتوبر ١٦٥٧.
- ٢- نواب باي ابنة راجا رجوينى iniwjuR ajaR (راجا كشمیر).
- ٣- اديبورى بيكم و هي ام الأمير كام بخش.
- ٤- اورنك آبادى محل توفيت في بيجابور في ١٦٨٨ م.

مرض أورنك زيب مرضًا شديداً في مايو ١٧٠٥ و احتجب عن الناس مدة اثنى عشر يوماً حتى حسب البعض انه مات .
لكن أجله لم يكن قد انتهى بعد و واصل الزحف

ص: ٢٥٥

فوصل إلى أحمد نكر في يناير سنة ١٧٠٦ و توفي بها في ٢٨ من ذي القعدة عام ١١١٨ (٣ مارس سنة ١٧٠٧) بعد أن حكم خمسين سنة قمرية و سبعة وعشرين يوماً . و دفن في خلد آباد أو الروضة على مسافة أربعة أميال غربي دولت آباد و غير بعيد من أورنك آباد.

و كانت ألقابه في حياته : (أبي المظفر، محمد محى الدين، أورنك زيب عالمكير باد شاه غازى) و بعد مماته سمى « خلد مكان »، و كان له أربع زوجات: رحمة النساء المعروفة بأسم نواب بائئ ابنة راجا كشمیر المسماى رجوينى iniwjur ajaR ، و هي أم محمد سلطان و محمد معظم، و بدر النساء بيكم، و دلرس بانو بيكم الإيرانية ابنة شاه نواز الصفوی أم أعظم شاه وزينة النساء بيكم و أورنك آبادی محل أم مهر النساء المتوفاة في بيجابور سنة ١٦٨٨ م، و بائئ أدبيورى أم كام بخش.

و كانت نقود أورنك زيب الذهبية منقوشاً عليها شعر معناه:

القرن المنير الملك أورنك زيب قاهر

صاحب السکة في العالم

و على النقود الفضية كانت كلمة بدر تستعمل بدلاً من كلمة مهر.

[و من مزايا أورنك زيب:](#)

كان أورنك زيب محارباً شجاعاً و قائداً موهوباً، وكان يتمتع بمزاج من الشجاعة النادرة و البرود الذهني العجيب، فكثيراً ما كان يترك ساحة القتال ابان اشتداد الحرب ليركع أمام الله خاشعاً، ثم لا يلبث أن ينتهي من صلاته حتى يعود إلى القتال بحماس أشد و همة أكبر، و كان يكره أن يحدث مكروهاً إلا إذا لم يجد مفرًا من ذلك فقد كان يطرق جميع الوسائل السلمية قبل أن يلجأ إلى الأعمال العدائية، فإذا ما وجد نفسه في وسط المعركة حاول أن يستغلها في وضع حد لأصل المشكلة و يقول سير «جادونات ساركار» إن بروء أورانكريپ و شجاعته قد طبقت شهرتهما جميع أرجاء الهند، فلم يكن قلبه ليترجف من أي خطر مهما ادلهم و من أي طارئ مهما كان مفاجئاً، كما ان أي أمر من هذه الأمور لم يكن ليشوب ذلك النور الهدائى الذى كان ينبعث من عقله بأية شائبة.

«لقد كان يرى في الأخطار ضرورة تقتضيها العزماء، و لم يكن ذلك الجسد النحيل ليستسلم للارهاق والاجهاد، او يخشى القيام بحملة أو غارة» و كان له في فن السياسة باع

طويل فلم تكن تظهره المناورات أو الأسرار .. لقد كان ربا للسيف و للقلم معا.

و قد لخص لنا الدكتور أسواري براasad، في كتابه «موجز تاريخ الحكم الإسلامي في الهند»، شخصية اورانكزيب في الكلمات المغولية التالية: «يعتبر اورنكزيب من أعظم حكام الاسرة، وقد ظهرت دلائل عظمته منذ كان أميراً أيام حكم والده. وكان يتحلى بالشجاعة الفائقة التي ظهرت واضحة في الحملات التي اشترك فيها و لقد ذاعت شهرته كقائد عسكري في شبابه، فقد كان يبدو في أتون المعركة وهو أكثر ما يكون بروداً و سيطرة على نفسه، على الرغم من احاطة الاعداء، من كل جانب ولا يضارعه في فن السياسة سوى القلة، ولذا فقد كان أشد الوزراء حنكة و مراساً يخشون قوته ارادته و يحترمون أحکامه».

يقول بختاوار خان مؤلف كتاب «مرآة العالم»: «ولم تجر في بلاطه المقدس أبداً محادثات تعوزها اللياقة، كما حرم ذكر أية كلمة يشتم منها رائحة النيمية أو الكذب.

و قد فهم رجال حاشيته أنهم اذا اضطروا الى مهاجمة شخص غائب فعليهم ان يعبروا عن رايهم في لغة مهذبة و بتفصيل تام.

و كان الامبراطور يظهر مرتين أو ثلاث مرات يومياً في قاعة المستمعين، و هو في أشد حالات الغبطة و الرضا و ذلك لينظر بنفسه في شكاوى الناس الذين كانوا يهربون إليه جماعات دون أن يجدوا ما يصدّهم عنه، و كان يستمع اليه باهتمام بالغ و هم يعرضون شكاواهم دون خوف أو تردد، و كانوا دائماً يجدون الانصاف على يديه».

و قد كان على عدو اورانكزيب الأكبر، سير جادونات ساركار، الذي لا يرى في آخر أباطرة المغول سوى متعصب ديني ضيق الأفق، لا يعرف السياسة أو الكرم، كان على هذا المتحامل أن يعترف بأن اورانكزيب كان نظيفاً بسيطاً متقدساً تكشف النساء، وأنه كان فوق هذا و ذاك يكن حباً للعمل و مقتاً للراحة و السرور.

أنه يعترف «بأن الرحالة الأوروبيين كانوا يبدون أعجابهم بذلك الامبراطور ذي اللحية البيضاء الذي كان يجلس في بلاطه كل يوم يقرأ ملتمسات الناس و يصدر أوامرها بيده»، كما أنه يعترف «بأنه كان حريصاً على التقيد بالنظام الرسمي و قواعد المجاملة».

[علاقته بالطوائف غير الإسلامية:](#)

يقول س. م. جعفر في كتابه «الامبراطورية المغولية من بابر إلى اورنكزيب» ان اورانكزيب لم يتخل عن سياسة التسامح الدينى التي ادخلها اباطرة المغول من قبله، و يؤكّد هذه الحقيقة كذلك الكسندر هامiltonون الذي زار الهند في أواخر حكم اورانكزيب، و قد تحدث هذا عن المجوس فقال انهم كانوا يتمتعون بحرية العبادة و حرية العقيدة، كما قال أن المسيحيين كانوا أحراراً في بناء الكنائس و التبشير بهالיהם الدينية.

و يقول سير توماس ارنولد: نجد من دراسة المجموعة المشوقة التي لدينا عن أوامر اورانكزيب و تعليماته التي لم تنشر بعد ان هذا الامبراطور قد وضع ما يمكن أن يطلق عليه «اسمي قانون للتسامح يمكن لحاكم أن يتبعه مع رعاياه الذين ينتسون إلى دين آخر»، ففى يوم من الأيام بذلت بعض المحاولات لحض الامبراطور على اقصاء اثنان من غير المسلمين عن منصبيهما بحجية انهم من المجرم الكفار و انه من الأنصب أن يشغل منصبيهما اثنان من المسلمين المجرميين، خدام التاج، فكان رد الامبراطور على ذلك «لا مجال للتعصب فى مثل هذه الأمور» ثم أشار بعد ذلك الى قول الله عز و جل **«لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ»** و اضاف ان مناصب الحكومة يجب أن تشغلى حسب القدرة و الكفاءة لا حسب أى اعتبار آخر و فرضت الجزية على غير المسلمين من رعايا الامبراطور فى العام الثاني عشر من حكم اورانكزيب، كما استوفيت الزكاة من المسلمين فى نفس العام، أما الجزية فقد فرضت على تلك الطائفة من غير المسلمين التى كانت ترفض تقديم أيه خدمة عسكرية للبلاد، كما انها قصرت على الذكور الأغنياء منهم، وقد رووى ان تقل هذه الجزية عن الزكاة التى كانت تستوفى من المسلمين. وكانت تحصيل الجزية يتم بصورة انسانية رائعة فقد كانت تستوفى على أقساط يسيرة، وكثيراً ما كانت تلغى.

علم اورانكزيب فى يوم من الأيام ان سكان حيدر آباد عاجزون عن دفع الجزية لفقرهم فاصدر أمراً باعفائهم من دفع جميع الضرائب، بما فيها الجزية، طوال هذا العام.

معاملة الهندوس:

و كان عدد كبير من كبار موظفي اورانكزيب من الهندوس، كما كان بعض هؤلاء

ص: ٢٥٨

الموظفين من أقرب أقرباء العدو الدولة الإسلامية الأكبر، «سيفاجي»، و كان بين قواد الجيش المغولى هندوس أدوا خدمات جليلة لأمبراطورية اورانكزيب.

و كانت أماكن العبادة الهندوسية في مأمن تام زمن يخضع خصوصاً تماماً للقواعد والعادات المرعية، و كان يقول دائماً : «إذا سمح لك قاعدة من القواعد بأن تخربق فإن بقية القواعد ستقابل بالزيارة».

و ورد ان عدد الهندوس الذين تقلدوا مناصب رفيعة خلال حكم اورانكزيب الذي استغرق خمسين عاماً قد بلغ ١٤٨ مقابل ١٤ هنودسياً تقلدوا مثل هذه المناصب في خلال حكم الامبراطور اكبر.

مرسوم اورانكزيب:

و يحسن بنا في هذا المقام أن نقتطع جزءاً من المرسوم الذي أصدره اورانكزيب في الخامس عشر من جمادي الآخرة عام ١٠٦٩ الهجري و وجهه إلى حاكم بنارس:

«في هذه الأيام التي سادت فيها عدالتنا، وصلت إلى بلاطنا الربيع معلومات عن أشخاص دفعهم الحقد والضغينة إلى مضايقته بعض الهندوس من مواطنينا بنارس و غيرها من الأماكن المجاورة و بعض البراهمة الذين يقومون بحراسة الهياكل

القديمة، محاولين بذلك ابعاد هؤلاء الراة عن وظائفهم القديمة، وبما ان هذا العمل سيسبب الضيق لهذه الطائفة فقد أصدرنا اليكم امراً ملكياً بأن تعمروا حال وصول هذا اليكم على منع أي شخص في المستقبل من التدخل بأية صورة غير شرعية في شئون الراة و غيرهم من المواطنين الهندوسين في هذه الأماكن و وقف أي ازعاج لهم حتى يظلوا في أماكنهم و وظائفهم السابقة بعيدن عن كل ما من شأنه أن يعكر عليهم صفو قيامهم بصلواتهم، وذلك حفاظاً لكيان أمبراطوريتنا التي منحها لنا الله القدير، تلك الامبراطورية التي كتب لها أن تدوم إلى الأبد، وهذا الأمر يجب أن يدرس بغایة السرعة».

و فيما يلى مرسوم آخر أصدره اورانكزيب عام ١٠٨٩ هجرية:

بما ان هناك قطعتين من الأرض تبلغ مساحتهما ٥٨٨١ /٢ ديراً و تقعان على ضفاف نهر الكنج في «بني مهدوجات» في «بنارس» (احدى هاتين القطعتين تقع أمام بيت

ص: ٢٥٩

جوسان رام جيون على مقربة من المسجد الجامع والأخرى في مكان قريب) و هما خاليتان من أي بناء، و بما انها ملك لبيت المال، لذا فقد قدمنا هاتين القطعتين «لجوسان رام جيون» و أولاده منحة منها له حتى اذا ما بنى فوقها مساكن للراة الورعين و «للقراء» المقدسين داوم على عبادة الله و على الصلاة من أجلبقاء هذه الا مبراطورية التي منحها لنا الله القدير و التي كتب لها أن تدوم إلى الأبد.

ولذا فان على أبنائنا الأفخمين و وزرائنا المجلين و أمرائنا النبلاء و كبار موظفينا و رجال الأمن في الحاضر و المُقبل أن راعوا هذا المرسوم المبارك دائمًا و يسمحوا للمذكور اعلاه و ذريته من بعده جيلاً بعد جيل، ان يتصرف في هاتين القطعتين من الأرض كما يشاء، و أن يعتبروها معفاة من جميع الرسوم و الضرائب و الا يطالبوا بتقديم «الوثائق» عاماً بعد عام.

اورنك زيب و الشيعة

يبالغ المتعصبون المترمرون، في الفساد العقidi الذي يسود المجتمعات الإسلامية و يرمون طوائف الإسلام الأخرى بالمرارة عن الدين و الخروج عن الإسلام و الكفر و الزندقة .. الخ و يتغاؤزاً عن سوء توفيقهم انهم اوقفوا اقلامهم في معاداة مذهب اهل البيت و محاربة اتباعه اينما وجدوا، و لما كان المذهب الإمامي منتشرًا في جميع أنحاء الهند منذ القرون الهجرية الأولى حتى يوم الناس هذا فقد ازعجهم هذا التأييد المتزايد و النعم المتلاحقة التي اسبغها الله على اتباعه، و في الهند عدد كبير من اغرتهم الحياة الدنيا من انصار النحلة الوهابية الذين جعلوا همهم الأول القضاء على التجاھات المستمرة للطائفة الإسلامية الشيعة في هذا البلد و برغم المعاناة و الاخطهادات التي يعانيها شيعة الهند اليوم من الوهابية المتعصبين فانه قلما يخلوا أحد الكتب التي يصدرها شيوخهم من الدسّ و التزوير على هذه الطائفة المضطهدة و تشويه تاريخها الناصع المضيء، وقد لعب المسلمون الشيعة دوراً مهما في تاريخ الوج و الاسلام في الهند و لا سيما على عهد الامبراطورية المغولية الأخيرة و كانوا مع قلتهم العديدة و في جميع العهود قادة الجيوش و علماء البلاد و من حازوا على الوزارات المهمة و المناصب الخطيرة و ما ذلك الا بسبب كفاءاتهم و تعاؤنهم

و تازرهم فيما بينهم و تأدبهم بآداب الاسلام التي تحت على الاستقامة و الالتزام و تأدية الواجب كسبا لرضا الله سبحانه و تعالى، و ما كان هذا الا مدعاه لمزيد من الاتهامات الجوفاء التي ينفيها اعداء الحق و دعاة التفرقة، ذلك الداء الويل الذي منيت به الامة الاسلامية في مختلف عصورها، لم يكن العصر المغولي استثناءا لكننا وجدنا في اقام اوئل الشرذمة حقدا متعمدا لتشويه دور الشيعة في التاريخ الاسلامي للهند و تشويها لرجالاتها و تزييفا لكثير من الواقع التاريخي، و من بين أهم المراكز التي تناصب العداء للشيعة في الهند مؤسسة (ندوة العلماء) و صاحبها الندوى الذي ما وجد مناسبة يكتب فيها إلّا و سخر قلمه للتشكك و النيل من الشيعة و رموزها و أئمتها، فالشيعة و اتباع أهل بيته النبوة هم عقدة العقد لدى المتعصب الندوى و من سار على منواله من عاظ السلاطين و في الوقت الذي يغرق فيه الندوى اسوق الكتب بشتايمه للشيعة كان اتباعها يزيدون و واسهتما تربح في مرضاه الله و تنتشر افكارها النيرة ممثلة للإسلام الاصيل في الهند و خارجها و هذا ما كان يقلق الندوى، يقول : .. و كانت آثار هذه الفرقـةـ لأسباب علمية و سياسية مختلفة تنتشر بسرعة في الهند انتشارا واسعا، و تتأثر المجتمع المسلم الذي كانت اكثريته سنية المعتقد و المذهب بعقائدها و تصوراتها و افكارها و آرائها و تقاليدها و عاداتها تأثرا كبيرا (كتاب السرهدى ص ١٧١).

ولا يتورع ان يضع الشيعة من المؤمنين الاخيار في صف الهنادك في موضع واحد، «فقد كانت البدع و المحدثات، و كثير من تقاليد الهنادك و الشيعة و عاداتهم تسسيطر على المجتمع المسلم و قد تسربت في حياة العامة من الناس و تغلغلت في احشائهما مخالفة للإعلان القرآني الصريح - الا لله الدين الخالص - ص ٥٥ .. من كتاب السرهدى».

و مع اعترافه بانتشار التشيع و سيطرته على المجتمع كما يتبيّن من النصوص المتقدمة، و لأنّه مهووس بكره الشيعة يذكر أوّل أنه يتمنى و يتربص بالشيعة سوءاً فيخالف ما قاله من قبل بعدم قبول هذا المذهب بين الجماهير:

«لم تكن امكانيات في الهند لقبول هذا المذهب و نجاحه على مستوى الجماهير ص ٤٢ السرهدى».

و يتمادي في تسفيه الفكر الشيعي الذي يحلو له و لعديد من المتسكعين على مائدة الفكر ان ينسبونه الى الفرس فيقول «لقد تعامل الذوق الإيراني الذي تعود منذ قرون على صنع القبة من الجبهة و تشقيق الشعرة مع هذه التزعّة العقلية الفلسفية، و بث شبكة التغيير في الالفاظ و توليد الطرافـ و النكات و تعقيـدات الدعاوى و المفروضـات من الحدود الغريبـة لاـيرانـ الىـ الحدودـ الشرقيـةـ للـهـنـدـ،ـ التـىـ لمـ يـكـنـ مـثـلـهـ الاـ كـمـاـ يـقـالـ تمـخـضـ الجـبـلـ فـوـلـدـ فـأـرـاـ (ـصـ ٣١ـ مـنـ كـتـابـهـ عـنـ الـامـامـ الـدـهـلـوـيـ)ـ وـ نـزـيدـ عـلـىـ اـقـوـالـهـ فـانـجـبـ النـدوـيـ وـ اـمـثالـهـ لـأـنـ هـذـاـ المـدـعـىـ .ـ نـسـىـ اـنـ اـمـامـهـ اـبـيـ حـنـيـفـةـ هوـ سـيـدـ مـنـ عـمـلـ بـالـذـاقـةـ الـاـيـرـانـيـ لـأـنـ اـيـرـانـيـ اـبـيـ اـيـرـانـيـ وـ جـدـهـ المـسـمـيـ (ـزوـطـيـ)ـ اـيـرـانـيـ مـجـوسـيـ لـاـ يـمـكـنـ لـأـحـدـ اـنـ يـنـكـرـ ذـلـكـ،ـ اـمـاـ الشـيـعـةـ الـذـيـنـ يـنـسـبـهـمـ الىـ الذـوقـ اـلـاـيـرـانـيـ فـهـمـ اـتـيـاعـ جـعـفـ الرـصـادـقـ بـنـ مـحـمـدـ الـبـاقـرـ بـنـ عـلـىـ زـيـنـ الـعـابـدـيـنـ بـنـ الـحـسـينـ سـبـطـ رـسـوـلـ اللهـ (ـصـ)ـ سـيـدـ الـعـربـ وـ الـعـجمـ،ـ فـنـحـنـ لـأـخـذـ دـيـنـاـ مـنـ اـوـلـادـ الـمـجـوسـ وـ لـأـنـجـلـعـهـمـ قـدـوـةـ لـنـاـ بـلـ أـخـذـهـ مـنـ الـمـنـبـعـ الـاـصـيـلـ وـ مـنـ بـيـتـ الـوـحـىـ وـ التـنـزـيلـ فـاـنـظـرـ مـنـ يـأـخـذـ ثـمـةـ بـالـذـوقـ اـلـاـيـرـانـيـ اـتـيـاعـ الصـادـقـ الصـدـوقـ اـمـ اـتـيـاعـ اـمـامـكـ اـبـيـ حـنـيـفـةـ بـنـ زـوـطـيـ.

و جاء في ص ١٤ من كتاب الدهلوى «منذ مقدم الأمير فتح الله الشيرازي و الحكيم على الكيلانى فى عهد الملك اكبر أصحت الهند كليا عالة على ايران فى مناهجها الدراسية و طرق التعليم و تحديد مقاييس الفضل و النبوغ، و فى مجال العلوم العقلية و الحكمية تقلدتها و تدين لها و تمشى فى اثرها، و تمت بذلك السيطرة لايران على الهند فى هذا الصدد».

و يسمى الندوى كتاب الدهلوى (السى الصيت) ضد أهل البيت و اتباعهم يسمى المأثرة ثم يبيح حقده كعادته حين يتذكر الشيعة و تهيج حينذاك سوداويته فيقول:

و أما فيما يتعلق بـمأثرة الشيخ الدهلوى فى مقاومة فتنة الرفض و التشيع و حماية أهل السنة و صيانتهم من تأثيره و عدوه، و التى بدأها الامام الدهلوى بكتابه المنقطع النظير (ازالة الخفاء) فقد اكملها و دعمها الشيخ الدهلوى بكتابه الرائع الجليل «تحفه اثنا عشرية» بالفارسية الذى يعد من الكتب التى تصنع التاريخ و تحول تيار الأحداث «الدهلوى ٢٨٠».

أرأيت كيف ان شيخ الناصبة هذا يعتبر كتاب الدهلوى مأثرة (و أى مأثرة!)،

ص: ٢٦٢

و يصفه بالرائع الجليل - المنقطع النظير .. من الكتب التى تصنع التاريخ و يتحول تيار الأحداث .. و اعجبى .. و هل بعد القرآن من كتاب يصنع التاريخ و يتحول تيار الأحداث.

و في ص ٢٢٦ يوحى بأن استشهاد الحسين عليه السلام كان انتشارا!!

و مثل هذه الشواهد المدللة على ناصبية الندوى كثيرة جدا في كتاباته و خطاباته، و قد ثبت انه يحلل الاحداث التاريخية لتوافق هوا و رغباته الانتقائية في تفسير التاريخ الاسلامي ليتماشى و افكار الفرقه الوهابية التي جعلت همها محاربة الشيعة و التشيع ايمنا كانوا، و قد أشاع الوهابيون ان الامبراطور اورنک زیب كان عدوا للتشيع في الهند، و وفق تفسيرات الدهلوى الخيالية ان هذا الامبراطور «بعد ما تولى زمام الأمور بيده وجه كل همه الى القضاء على آثار العهد الاعظم المخالف للإسلام، و الحد من تأثير التشيع الذي كان اكبر مراکزه في جنوب الهند، و لذلك صرف عالم كير (اورنک زیب) الجزء الأكبر من حياته و طاقاته للسيطرة عليه، و استئصال التأثيرات الحضارية لإيران المختلطة بالنزاعات المجنوسية ...».

[الامام الدهلوى ص ٣٨]

و كل ما جاء في هذا الكلام تلفيقات لا أساس لها من الصحة اتهم فيها اورنک زیب بما هو برع منه و سبأته الدليل على ذلك و لكنني اقول للندوى الذى يحلو له دائما استعمال كلمة (الاستئصال) لمقاومة خصومه الشيعة و من ذلك قوله (استئصال التأثيرات الحضارية لإيران المختلطة بالنزاعات المجنوسية) يقول هذا القول الخطير دون وازع من ضمير و هذا اذا كان له ضمير فعلا - يقول هذا و هو يعرف ان الشعب الإيرانى قد دخل في الإسلام من اعمق القلوب و الافئدة و مضى على اسلامه اربعة عشر قرنا و قدم اكبر الخدمات للإسلام و بالمناسبة كانت خدماته طيلة الف سنة خاصة بالسنة لأن الإيرانيين كانوا سنة طيلة الف عام قبل تشيعهم في العهد الصفوي أى انهم في حوزة مذهب أهل البيت منذ اربعه قرون فقط و في خلال هذه القرون ولد مئات الملايين من الإيرانيين على الإسلام و الفطرة ثم قضوا حياتهم في ظل الإسلام حتى اسلمو انفسهم إلى بارئهم و هم مسلمون، فكيف يجوز الند وى لنفسه ان يتهم كل هذه الملايين من المؤمنين بهذه التهمة

الشيعة و هي بالاساس تقلب عليه و على قومه الذين نصب نفسه مدافعا عنهم بالحق أو بالباطل. ثم كيف يستقيم قوله هذا مع ان لا سابقة للفرس في التشيع (سوى سلمان الفارسي (رض))

ص: ٢٦٣

و ان اكثر الذين أسلموا من الفرس ما اختاروا مذهب التشيع من أول الأمر، بل نرى أن أكثر علماء المسلمين الايرانيين في التفسير والحديث والكلام والادب من السنة لا الشيعة، بل لقد كان بعضهم من المتعصبين ضد التشيع بشدة، وأن هذا الأمر أستمر بهم الى ما قبل (الصفوية) فان اكثراً بلدان ايران الى عهدهم كانوا سنة لا شيعة و كان الفرس - كسائر المسلمين - يسبون أمير المؤمنين علياً عليه السلام على منابرهم و منابرهم بتأثير من دعایات الأمويين، حتى قيل ان بعض مدن ايران قاومت مع عمر بن عبد العزيز من ذلك فأصرت على سبّه عليه السلام.

و ان اكابر علماء السنة الى ما قبل عهد الصفویة كانوا من الفرس، من المفسرين و الفقهاء و المحدثين و المتكلمين و الادباء و اللغويين و الفلاسفة و غيرهم.

فان أبا حنيفة - الامام الاعظم - كان فارسيا - كما تقدم قبل قليل - و البخاري صاحب الصحيح أكبر محدثي السنة فارسي، و سيبويه امام النحوين فارسي، و الجوهري صاحب كتاب الصحاح في اللغة فارسي، و الإمام الغزالى فارسي و الفيروز آبادى صاحب القاموس المحيط في اللغة فارسي، و الزمخشري اكبر و اقدم المفسرين فارسي، و ابو عبيدة و واصل بن عطاء من المتكلمين فارسيان .. و هؤلاء كلهم من علماء السنة ... و هكذا كان اكثراً علماء ايران و اكثراً الفرس سنة، و حسب نظرية الندوى الخيالية يكون مذهب السنة اكثراً المذاهب الاسلامية تمسكا [بالتأثيرات الحضارية لiran المختلط بالنزاعات المجوسيّة] و لا ندرى من هو أخرى ب [الاستئصال] بعد تبيان هذه الحقائق.

و ينضم الى جوقة الندوى شيخ آخر من رؤوس الناصبة فيتهم المؤرخين الشيعة بالتهجم على اورنك زيب لأنـه - بحسب زعمـه - قضـى على مـلك الشـيعة فـي الجنـوب فـاصـبح مـذـنبـاً فـي نـظـرـهـم و مـتـعـصـبـاً (كتـاب منـعـ النـمرـ ٣٥٧) و عـلـى خطـى هـؤـلـاء يقول الاستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة أن «اورنكزيب حظر قدول الشيعة الى بلاده»!! [ص ٩٢ من كتاب احمد السادس: تاريخ الدول الاسلامية في آسيا القاهرة ١٩٧٩].

و ما يدل على جهل هذا الاستاذ بجامعة القاهرة قوله ص ٩٤ من كتابه المذكور ضمن كلامه عن اورنكزيب «انه على تمسكه الشديد بالسنة و تعاليمها كانت امه هندوكية

ص: ٢٦٤

خالصة» و في كل ما قاله افتراء على التاريخ الاسلامي و لو لم تكن ام الامبراطور اورنك زيب مشهورة كل الشهرة في العالم حتى هذا اليوم لعدرت الدكتور على جهله ! لكن من هناك في هذا العالم من يجهل اليوم (تاج محل) في الهند الذي شيـد على قبر ام اورنك زـيب المسلمة الطـاهرة مـمتاز محل اـرجـمنـدـ بـانـو زـوجـةـ الـامـبرـاطـورـ شـاهـ جـهـانـ؟ و ما دامت هذه المرأة المسلمة ايرانية الأصل شيعية المذهب فقد أصـمـ هذا الاستاذ بجامعة القاهرة اذـنـهـ عن قولـ الحقـ و نـسـبـ تـلـكـ المؤـمنـةـ الشـيعـيةـ الى دـينـ الـهـنـادـكـ، لـؤـماـ و تـعـصـبـاـ و تـشـفـيـاـ بـالـشـيعـةـ !! و منـ هـنـاـ اـبـدـأـ كـلامـيـ عنـ الـامـبـرـ اـطـورـ اـورـنـكـ زـيبـ الذـىـ اسمـاهـ المـتعـصـبـونـ (محـىـ السـنـةـ) و اـطـلقـواـ عـلـيـهـ عـشـرـاتـ الـالـقـابـ الـاعـتـبارـيـةـ لمـجـرـدـ انهـ اـدـعـىـ المـذـهـبـ الحـنـفـيـ و مـارـسـ القـسوـةـ ضـدـ

المذاهب الأخرى، و معيار الإيمان عند هؤلاء العمياني هو الفتك بالخصوم حتى اذا كان هذا مخالفًا للإسلام و مفرقاً لشمل المسلمين، و لم يكن اورنوك زيب بداعاً في ملوك العالم الذين سفكوا الدماء البريئة حتى يستتب لهم الملك، و من ثم اخطأ كثيراً في تطبيق الشرع الإسلامي و التوفيق بينه وبين ميوله الاستبدادية و نزعته الدكتاتورية و لست هنا لأقيم اعماله بمجملها فالقارئ البصیر تبيّن له اعماله التي اخطأ فيها أو أصحاب و ما أريد تأكيده هنا أن علاقته بالشيعة في الامبراطورية التي حكمها نصف قرن، كانت علاقة طبيعية و قد تخللتها مواقف عدوانية في بعض الاحيان و لم تكن تلك الدوافع لإسباب مذهبية كما يزعم النواصب و لكن الملك اورننكزيب الذي ولد من ام شيعية ايرانية ك ما ان و أم رأته اميرة ايرانية صفوية شيعية هي دلرس بانو بنت شاهوار خان الصفوی، وقد تزوج بها زوجاً شرعاً إسلامياً في ٨ مايو ١٦٣٧ م (و توفيت في ٨ أكتوبر ١٦٥٧ م) و ولده الامبراطور شاه عالم الذي كان شيعياً مجاهراً بالتشيع و ابنته الاميرة زينت النساء و عاش وسط بلاط و اساتذة من الشيعة و حاشية و قادة و وزراء كثير منهم من الشيعة حتى من بين اساتذته الذين تربى على ايديهم، لكننا علينا ان نقر بحقيقة ان جلّهم هذا الملك ان يحافظ على عرشه باية وسيلة ينتهجها و لا علاقة بعد ذلك للنهج الديني الذي يسير عليه، انه دكتاتور من نوع خاص، و التزامه للسننية مذهبها ظاهر به طيلة حياته كان يدخل في صلب اهتمامه و سهره الدائم للحفاظ على العرش فالدكتاتور لا هم له الا الحفاظ على مصالحه و التلبس لكل حالة بلبوسها

ص: ٢٦٥

و قد نجح فعلاً في تسييس الدين لركابه حتى اعتبره البعض قديساً أو كما عبر عنه الدكتور اقبال في بيت من شعره:

«كان فراشة لشمعة التوحيد، و كان في بيت الاصنام والاوثان كابراهيم عليه السلام » و في استعراضنا لترجم عدد من اعلام الشيعة في عهده يتبيّن لك ما عرضناه منرأى، و هذه لقطات تدلّ على ما ذهبنا اليه، و هي مستقاة من تفاصيل الترجم التي اوردناها، فمن أهم الدلائل على حسن معاملته للشيعة و احترامه لهم ما كان يعامل به العلامة السيد سعد الله السلواني الموسوى المتوفى ١١٣٨ هـ فقد اعطاه قريتين، و كان الامبراطور يكرمه و يجله و يتلقى اشاراته بالقبول و يكتب هو للامبراطور بالشفاعات فيقبلها و يعمل بها، و بالرغم من سطوة الامبراطور و هيبيته، كان العلامة السلواني يحثه على قبول مذهب أهل البيت (ع) لكن الامبراطور يتحاشى ذلك و يتلطّف عليه في ردّه دائري محسوب بدقة متناهية، يقول خافي خان في منتخب اللباب [.. و لم يزل - السلواني - يكتب - اليه و يحثه على محبة الائمة الا ثنى من أهل البيت، فلما كرر الكتابة اليه في ذلك التفت السلطان الى من حضر عنده من العلماء، و قال:

ان ما يوصيني الشيخ بحب أهل البيت صحيح لا غبار عليه و لكن الائمة لا تتحضر عند أهل السنة و الجماعة في الائمة الاثنى عشر] انتهى، فالامبراطور لم يضيق ذرعاً بالحاج الشیخ السلواني الذي كان في غاية الجرأة و الواضح، كما يدل على مجاملة الامبراطور للشيعة و تقريره لشيوخهم، و ما يدريك انه كان يختلى ايضاً بهم و يسمعهم ما يرضيهم فالمدارء تقتضيه مثل هذه السياسة.

و من العلماء الذين قصدوه فرعون حق الرعاية و التكريم الشیخ عزيز الله المجلسی (ت ١٠٧٤ هـ) و هو شقيق محمد باقر المجلسی صاحب الموسوعة المشهورة (بحار الانوار) و قد قصده المجلسی في ايام جلوسه على العرش و استخرج تاريخ جلوسه في القرآن الكريم و هو قوله تعالى «ان الملك يوتىه من يشاء».

و من وفد عليه الشیخ هداية الله التستری (ت بعد ١٠٧٨ هـ) و الشیخ محمد على

الاكبر آبادى و هو الشاعر المتلقب ب (ماهر) (ت ١٠٨٩) الذى اهدى اليه ديوان شعر باسمه (كل اورنك) و منهم السيد قوام الدين المرعشى الخليفة سلطانى (ت ١٠٩٠) و كان فقيها اماميا معروفا و قد احتل منزلة كبيرة لدى اورنك زيب فولاہ على كشمیر ثم على البنجاب. و السيد شمس الدين بن صدر الدين الحسيني المرعشى (ت ١١١٢) و قد تولى عدة مناصب رفيعة في البلاط، و كان طبيبه الخاص شيعيا و هو محمد مهدي الاردستاني ت بعد ١١٠٥ و الامبراطور نفسه اطلق عليه اسم (حكيم المالك)، أما عبد اللطيف خان الاصفهانى المتلقب ب (تنها) فقد عينه رئيسا للبلاط الملكى، ثم اصبح واليا للبنجاب، و اختار الامبراطور العلامة محمد سعيد المازندرانى (ت بعد ١١١٦) معلما و مربيا لأبنته زيب النساء بيكم.

و محمد بن فتح الله مقرب خان الشيرازي ت ١١٢١ كان من امناء الخزانة الملكية و محمد مؤمن الجزائري (ت بعد ١١١٩) هو واحد من العلماء الشعراء الذين اتصلوا به فكرهم و لقبه بلقب (فاضل خان).

و من النجف الاشرف وفد عليه العلامة ناصر بن حسن النجفي ت ١١١٨ ه و ألف باسم الامبراطور كتاب الجداول النورانية و هو أشبه بالمعجم المفهرس للقرآن الكريم.

و لشّقته المتزايدة بعدد من اعلامهم فقد عين بعضهم على الخراج كالشيخ حسين بن باقر الاصفهانى - ١١٢٢ ه ، و محمد بن رفيع المشهدى ت ١١٢٣ ه و المشهدى هذا صاحب الملحمة شعرية المسماة (حملة حيدرى) فى غزوات الامام على (ع). أما ابراهيم على خان ت ١١٢١ فقد كان وزيرا لدى الامبراطور و قائدا لأحد ألوية الجيش عنده.

هذه إمامية سريعة بدور الشيعة فى عهد اورنك زيب، و التفاصيل ضمن الفصل القادم.

من اعلام عصر الامبراطور اورنك زيب عالم كبير

- زينت النساء بنت اورنك زيب (١١١٣-١٠٤٨ ه)

- الملا طغرائي المشهدى

- عزيز الله المجلسى ت ١٠٧٤ ه

- هداية الله التسترى ت بعد ١٠٧٨

- شمس الدين الاصفهانى ت ١١١٢ ه

- محمد على الاكبر آبادى ت ١٠٨٩ ه

- ناصر بن حسن النجفي ت ١١١٨ ه

- قوام الدين المرعشى ت بعد ١٠٩٠

- عبد اللطيف الاصفهانى البنجابى ت ١١١٦

- محمد مهدى الاردستانى ت بعد ١١٠٥

- محمد سعيد المازندرانى ١١١٦-١٠٥٠

- محمد مؤمن الجزائرى ١٠٧٤ - بعد ١١١٩

- محمد بن فتح الله مقرب خان الشيرازي ت ١١٢١

- ابراهيم على خان ت ١١٢١

- حسين بن باقر الاصفهانى ت ١١٢٢

- محمد رفيع باذل المشهدى ت ١١٢٣

- القادر المشهدى ت ١١٣٥

- سعد الله السلواني ت ١١٣٨

- حسين الشيرازي ت ١١٤٩

- محمد رضا قرلباش خان الهمدانى ت ١١٥٩

ص: ٢٦٨

- حسن على خان ت ١١٣٥ هـ

- حسين على خان ت ١١٣٢ هـ

- محمد باقر البيجابورى ت ١١٢٨ هـ

زينت النساء بنت الاميراطور اورنك زيب (١٠٤٨-١٦٣٨ / ١١١٣-١٧٠١ م)

الاميرة العالمية السيدة زينت النساء بنت اورنك زيب، وأمها الاميرة الشيعية درس بانو بنت شاهوار خان الصفوی و نشأت في نعمة أبيها و حفظت القرآن على مریم أم عناية الله الكشمیری فأعطتها عالمکیر ثلاثة ألفا من النقود الذهبیة، ثم تعلمت الكتابة من نسخ و تعليق و شک ستھ و غيرها، و قرات الكتب الدراسیة على الشيخ أحمد بن ابی سعید الحنفی الأئمیھوی و على غيره من العلماء، وأخذت الشعر و الإنشاء و غيرها عن الشيخ محمد سعيد المازندرانی، و أحرزت

الكتب النفيسة في خزانتها واجتمع عندها من العلماء والشعراء ما لم يجتمع عند أحد، وكـ انت شاعرة ساحر ة تسحر الألباب و تلقي القلوب لا تضاهيها امرأة في الهند في جودة القرية و سلامه الفكرة و لطافة الطبع، لم تتزوج قط لغيرتها بأن تكون ضجيعة لأحد من الرجال، وأما مصنفاتها فهي لا تكاد توجد في الدنيا غير «زيب المنشأت» وهو مجموع رسائلها، وأما ديوان الشعر المنسوب إليها فهو لواحد من شعراء الفرس، وديوانها قد ضاع في حياتها، وأما زيب التفاسير فهو ترجمة «التفسير الكبير» للرازي بالفارسي نقله من العربية إلى الفارسية الشيخ صفي الدين الأردبيلي ثم الكشميري بأمرها ولذلك سماه باسمها، و من أبياتها قوله:

کور به جشمی که لذت کیر دیداری نشد

بشکند دستی که خم در کردن یاری نشد

غنجه باع دل ما زیب دستاری نشد

صد بهار آخر شد و هر کل به فرقی جا

ص: ٢٦٩

توفيت سنة ثلاثة عشرة و مائة و ألف في حياة أبيها فدفنت بحديقة بناها في «lahor».

- نزهه ٩٤ / ٦ - ٩٥ رقم ١٨٤ .

الملا طغرائي المشهدى (ت حدود ١٠٦٩ / ٥ ١٦٥٩ م)

شاعر من سكنة الهند، له ديوان بعنوان (خمسة ناقصة) و هو تشهير بخمسة أشخاص في بلاط كولكنده وقد توفي في بداية عهد اورنکزیب حوالي سنة ١٠٦٩ / ٥ ١٦٥٩ م.

عزيز الله المجلسى (ت ١٠٧٤ / ٥ ١٦٦٣ م)

الشيخ الفاضل الكبير عز يز الله بن محمد تقى المجلسى الشيعي الاصفهانى، المجلسى شقيق العلامه محمد باقر المجلسى، أحد الأفضل المشهورين بایران، كان اكبر ابناء أبيه، نشأ في نعمته و قرأ عليه و على غيره من العلماء، له حاشية على المدارك للسيد محمد بن على الحسيني العاملى، و حاشية على «من لا يحضره الفقيه» و له كتاب في أخبار الروم في الإنسان، و هو الذى أرخ لجلوس عالمكير بن شاهجهان من قوله تعالى «ان الملك لله يؤتىيه من يشاء»، توفي سنة أربع و سبعين و ألف، كما في «نجوم السماء».

- نزهه ٥ / ٢٨٢ - ٢٨٣ رقم ٤٥١، نجوم السماء / ١٢٩، مطلع انوار / ٣٢٢

هداية الله بن نعمة الله التسترى (ت بعد ١٠٧٨ / ٥ ١٦٦٩ م)

هداية الله التسترى: ابن الخواجة نعمه الله من الفضلاء الأدباء الشعراء، ذهب فى أول أمره الى الهند و اتصل بأورنگ زیب و لما رجع ذهب بصره فما تمكن من العود الى الهند فكان يرسل إليه الهدايا وكان فى عصر اخشنوخان الحاكم بتستر (ت ١٠٧٨) كذا

ص: ٢٧٠

ذكره عبد الله الجزائري في تذكرة ته، وقال إن أكثر أشعاره رباعيات.

- طبقات أعلام الشيعة / القرن ١١ هـ / ص ٦٣٣.

شمس الدين بن صدر الدين الاصفهاني (ت ١١١٢ هـ / ١٧١٠ م)

الامير شمس الدين بن صدر الدين الحسيني المرعشى نواب مخلص خان بن صف شکن خان العالم کيري، أحد الرجال المشهورين بالهند، ولی على العرض المكرر في أيام عالم کير ثم جعل «فروبيکي» ثم ولی على «بخشیکري» و صار منصبه مع الأصل والإضافة ثلاثة آلاف، وكان فاضلاً كبيراً بارعاً حليماً متواضعاً كثير الإحسان حسن العاشرة شاعراً مجيد الشعر، من شعره قوله:

خمار ما و در توبه و دل ساقى
بیک تبسم مینا شکست و بست

توفي لأربع خلون من شعبان سنة اثنى عشرة و مائة و ألف، كما في «مآثر الأمراء».

- نزهه ٦ / رقم ٢١٧.

محمد على الأكبر آبادى (Maher) (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م)

محمد على الأكبر آبادى الهندي : الشاعر المتخلّص « Maher» الأديب الفاضل الكامل المتوفى ١٠٨٩ له كتاب في الأدب الفارسي سماه «كل اورنگ» باسم السلطان اورنگ زیب عالم کیر بادشاہ . كان من الهنادكة و اعتنق الاسلام بسعى المیرزا جعفر المعماںی الایرانی و بعد وفاتہ اتصل بمالا شفیع الملقب ب «دانشمند خان».

- طبقات أعلام الشيعة، ١١ هـ / ٣٧٦

- الذريعة ٩ / ٩٥٣

ص: ٢٧١

ناصر بن حسن التجفی (ت ١١١٨ هـ / ١٧٠٦ م)

من علماء عصر عالم كير، مؤلف كتاب «الجدائل التورانية في استخراج الآيات القرآنية» ألفه باسم الامبراطور اورنك زيب عالم كير و هو موجود ضمن مخطوطات جامعة البنجاب كما ورد في مذكراتي.

قوام الدين المرعشى الخليفة سلطانى بن رفيع الدين (ت بعد ١٠٩٠ / هـ ١٦٧٩ م)

الأمير الفاضل السيد قوام بن السيد رفيع الدين محمد الصدر ابن السيد شجاع الدين محمود الحسيني المرعشى الخليفة سلطانى.

قال الأمين في ترجمة والده رفيع الدين: هو والد سلطان العلماء صاحب الحواشى على الروضة و المعالم صهر الشاه عباس و كان عالم عصره في المعمول و المتفق نال الصداره من الشاه طهماسب و من الشاه عباس أيضا ذكره جماعة من المؤرخين كصاحب عالم آرا و نجوم السماء و الرياض في خلال ترجمة ابنه السلطان في باب الحاء و تكملاً للأمل و آثار الشيعة. وكان مع السيد الداماد و الشيخ البهائي شريك البحث و الدرس و جرت بينه وبين السيد الداماد رسائل و مکاتبات في المسائل العلمية و من آثار المترجم كتاب في الرد على شرعية التسمية أي تسمية القائم و كتاب في التجويد يشتمل على القراءات العشر و المرضية منها عند أهل البيت و في ترجمته في شجرته انه هو الذي بنيت مدرسة مریم بيكم باصبهان لتدريسيه و له اوقاف و آثار خيرية و كان من مشاهير المدرسين في ذلك العصر و خلف السيد حسين علاء الدين سلطان العلماء الحسيني المرعشى و المیرزا قوام خان الدين نزيل الهندو المقرب عند ملكها و قيل انه خلف السيد محمد و انتقل الى بلاد الهند و بها اسس البيت و قال في ترجمة قوام الدين «هو اخو سلطان العلماء المشهور، كان عالما فاضلا بارعا شاعرا لبيبا تقلد الصدارة العظمى من قبل الشاه عباس الأول بعد وفاة والده المیرزا رفيع

ص: ٢٧٢

الدين محمد الصدر و بقى صدرا إلى سنة ١٠٧٥ فسعى به رجال الدولة من المتوقعين منه العطاء عند السلطان فعزله، فخرج من اصبهان الى بلاد الهند و بلغ عند سلطانها مرتبة عظيمة و بقى بها الى توفي و خلف الرئيس الشريف الأمير صف شكر خان .

اوردهما اعتماد السلطة...».

و في النزهه انه ورد الى الهند أيام عالم كير فولاه على كشمیر سنة ست و ثمانين و ألف، فاستقل بها ثلاثة سنين، ثم وlah على بنجاب، و كان الفقيه على أكبر الحسيني الإله آبادی قاضيا بلاهور و كان من لا يهاب احدا من الولاية في إجراء الحدود و التعزيزات و لا يطاطئ رأسه لأحد، فكثير ذلك على قوام الدين، فأشار إلى الشحنة أن يقبضوا على القاضي فسار إليه الشحنة برجاله ليقبض عليه، فاستنفدت منه القاضي و قتل في المعركة و قتل معه ابن اخته محمد فاضل سنة تسعين و ألف، فلما سمع عالمكير عزل الوالي و الشحنة و أمر القاضي شيخ الإسلام الفتني أن يقتضي عن القضية و يقضى على وفق الشريعة، عفا عنه ورثة المقتول و مات قوام اليدين في ذاك الزمان، كما في «مأثر الأماء».

[أعيان ٨ - ٤٥١ - ٤٥٢، ٥٥ / ١٠، ٥٥ و في هذا الموضع في ترجمة والد صاحب الترجمة توفي سنة ١٣٠٤ و هو خطأ مطبعى و حمل نعشه الى كربلاء و دفن بها، نزهه ٥ / ٣٢٣ رقم ٥٢٤].

عبد اللطيف خان الاصفهاني البنجائي (ت ١١١٦ هـ / ١٧٠٠ م)

الشيخ عبد اللطيف خان الاصفهاني البنجائي المتخلص بتها و المعروف بتهاي اصفهاني و يقال تتهاي بنجائي

من كبار زعماء الشيعة في الهند و مشاهير شعرا عصره . ولد في شهرستان من توابع اصفهان و نشأ و ترعرع في اصفهان . أخذ المقدمات و فنون الأدب عن أفضل علمائها و تخرج على خاله ميرزا جلال اسير الاصفهاني الشهيرستاني المتوفى سنة ١٠٤٩ ثم أولع بالشعر. هاجر إلى الهند، و اتصل بأمرائها و ملوكها ثم التحق بيلات عالمكير شاه (١٠٦٩ - ١١١٨) و استقبله الشاه المذكور استقبلا حافلا و عينه رئيسا الديون الملكي حتى

ص: ٢٧٣

انتهت اليه حكومة (صوبه بنجاب) و كان على جانب كبير من الورع و التقوى و الزهد مع السخاء و الكرم حيث كان ملجاً للعلماء و الشعراء و الفضلاء في الهند . ذكره في كثير من أكثر كتب السير و معاجم الرجال و عبر عنه بعض المتأخرین في الهند بلقب البنجائي بدلا عن الاصفهاني و منهم صاحب كتاب تذكرة شعراي بنجاب في ص ١٠٢ وغيره و فصل عنه الميرزا أصلح في كتابه (تذكرة شعراي كشمیر) و ذكر احدى قصائده في ٧٦ بيتا و وصفه قائلا ما هو تعرييه: «عبد اللطيف خان .. و هو ابن أخت الميرزا جلال اسير الاصفهاني الشهيرستاني و تلميذه هاجر من إيران الى الهند في عصر محمد اورنك زيب عالم كير شاه و كان عابدا راهدا صالحًا متورعا متفردا قليل الكلام ..» كما ذكره آغا بزرگ في الذريعة عن كتاب شمع انجمی ص ٩٨ وقال: كانت بيده حكومة (صوبه بنجاب) و قد ترك آثارا و مآثر في الهند و له ديوان شعر لا يزال مخطوطا منه نسخة خطية في مكتبة مجلس الشورى في طهران كما جاء في فهرستها المجلد الثالث ص ٦٦٧ قال: و عندنا نسخة من عصر المؤلف مجدولة من موقوفات مكتبة الشيخ محمد صالح البرغاني الحائرى في كربلاء.

توفي المترجم له في كشمیر.

محمد مهدي الارdestani (ت بعد ١١٠٥ هـ / ١٦٩٣ م)

الحكيم الشيخ محمد مهدي الارdestani حكيم الملك كان من العلماء المبرزين في الصناعة، ولد و نشأ بأرض الفرس و قرأ العلم بها ثم قدم الهند و تقرب إلى عالمكير فجعل منصبه ألفا لنفسه ثم لقبه بحكيم الملك سنة ثلات و سبعين و ألف، و صار منصبه في آخر عمره أربعه آلاف، كما في «مآثر الأمراء» و في «مآثر عالمكيري»: أن محمد أعظم بن عالمكير لما ابتلى بأمراض صعبة سنة أربع و مائة و ألف عالجه حكيم الملك فبرئ محمد أعظم من تلك الأمراض فأعطاه عالمكير أربعه آلاف منصبا رفيعا سنة خمس و مائة و ألف- انتهى.

- نزهه / ٦ رقم ٦٧٠، مآثر الأمراء، مآثر عالمكيري

ص: ٢٧٤

محمد سعيد المازندراني (حدود ١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠ م - ١١١٦ هـ / ١٧٠٤ م)

الملا الشيخ محمد سعيد بن محمد صالح الشيعي المازندراني كان ابن بنت العلامة محمد تقى المجلسى المتلقب بـ (اشرف) تتلمذ على والده الملا محمد صالح المازندراني ت ١٠٨١ هـ والأقا حسين الخوانساري وفى الشعر على صائب وفى الخط على عبد الرشيد الديلمى و كان المترجم له بالإضافة إلى علمه الجم ماهرا بالخط و التصوير، قدم الهند فى عهد عالمكير فجعله معلما لبنته زيب النساء يبكم فاستقام على تلك الخدمة زمانا طويلا، ثم اشتاق إلى بلاده فأنشأ قصيدة فى مدح زيب النساء المذكورة وقال فى تلك القصيدة:

در غربتمن اکرجه فرون است اعتبار

یکبار از وطن نتوان بر کرفت دل

کو خدمت حضور نباشد مرا شعار

بیش تو قرب و بعد تفاوت نمی کند

دل بیش تست تن جه بکابل جه قندهار

نسبت جو باطن است جه دهلی اصفهان

فذهب إلى أصفهان سنة ثلاثة و ثمانين و ألف و أقام بها زمانا، ثم عاد إلى الهند و دخل «عظيم آباد» فنقر إلى عظيم الشأن بن شاه عالم و كان أميرا على تلك الناحية و خصه الأمير بالقعود في مجلسه لكبر سنه فاحتفظ بعناته مدة، ثم عزم على سفر الحج و لما وصل إلى «مونكير» مات بها، و خلف العلامة محمد أمين صاحب مباحث الامامة و العلامة و الشاعر محمد الذي كان مقينا في مرشد آباد و من شعره قوله:

تمام روز باشد حسرت شب روزه داران را

در ایران نیست جز هند آروز بسى

توفى سنة ست عشرة و مائة و ألف، كما في «سرو آزاد».

له ديوان مخطوط بمكتبة مشهد الإمام الرضا (ع) في خراسان.

ص: ٢٧٥

- [نرمه ٣١٢ / ٦ رقم ٥٨٧، سرو آزاد ١١٧، مجلة آستان قدس العدد ١٩، تذكره بي بها ١٦٨، بزم تيموريه / ٢٦٩ كلمات الشعاء / ٧، مطلع أنوار ٥٤٤ - ٥٤٥، شمع انجمن ٣٢، سفينه خوش كوه / ١٧].

محمد مؤمن الجزائري (١٠٧٤ - ت بعد ١١١٩ / ٥ - ١٦٦٣ / ٥ - ت بعد ١٧٠٧)

محمد مؤمن الشيرازي الجزائري : ابن محمد قاسم بن ناصر ابن محمد الجزائري الشيرازي المولد و المنشأ، سياح عقلاني مؤولٌ مكثٌ، خرج إلى السندي في ع ١١٠٢ - ١١٠٣ و عمره حدود ٢٧ سنة فساح البلاد سبع سنين إلى ١١٠٩ حيث كان في بلدة «بكرا» بالسندي و عمره ٣٥ سنة و كان يعرف هناك بمؤمن عليخان . و في الهند التقى الامبراطور عالمٌ كير و لقبه بـ

(فاضل خان): **الْفَ** في تلك المدّة سبع مجلّدات سماه «مجالس الأخبار» (الذريعة ١٩ رقم ١٥٩٦) ثم شرع هناك سنة ١١١٠ في تأليف «تعيير طيف الخيال» و أتّمه سنة ١١١٩ بالهند و له ٤٥ سنة من العمر و سمي المجلد الثاني منه «سفينة العلم» (الذريعة ٤ رقم ١٠٤٣، الذريعة ١٢: ١٩٧) ثم في سنة ١١٣٠ **الْفَ** كتاب «خزانة الخيال» (الذريعة ٧ رقم ٨٤٦) يقول فيه انه ولد بشيراز الضحى العالى من يوم السبت ١٧ رجب ١٠٤٧ . و ما جاء في «نجوم السماء - ص ١٨٢» من أنه ترجم في «الأمل» فهو اشتباه بالسبزوارى (القرن ١١ ص ٥٩٣). وقد نقل تاريخ الولادة هذا عن خط السيد هاشم ابن عبد الرؤوف الأحسائى فى المجلد الأول من «تعيير طيف الخيال» المذكور. هذا وقد ذكر في «طيف الخيال» (الذريعة ١٥ رقم ١٣١١) مشايخه وكذا في «زهرة الحياة الدنيا» فذكر انه تلمذ على السيد محمد قاسم ابن خير الله الحسينى فى النحو و الصرف و البيان و البديع و التفسير و العروض و تلمذ الفقه و الاصول على صالح الكرزكاني (القرن ١١ ص ٢٨٦) ابن عبد الكريم البحرينى و على المير زين العابدين الانصارى الحائرى و على على بن محمد التمامى ثم على مسيح الأنام ابن محمد اسماعيل الفسوى فى الحكمة و الكلام و على شاه محمد بن محمد عارف الاصطبهاناتى الشيرازى (الذريعة ٩: ٦٦٥) فى الحديث و على الحكيم محمد هادى فى الطب و على المولى لطفا فى الرياضيات و على شرف الدين

ص: ٢٧٦

على دست غيب و نصير الدين محمد البيضاوى الشيرازى و محمد صالح الخفرى و محمد حسين المازندرانى أكثر فنّى الحكمة و اصول الفقه. له «مجالس الاخبار» (الذريعة ١٩ رقم ١٥٩٦) فى سبع مجلّدات ألهها بالهند و سمي كل م منها باسم خاص، فالأول فى تواریخ الانبياء سماه «معارج القدس» (الذريعة ٢١ رقم ٤٥١٨) أورد فيها الاساطير اليهودية التى تقبلها المسلمين و فسّرها بصورة يقبلها العقل الشيعي، المجلد الثانى : تواریخ الانئمة المعصومین و مناقبهم، سماه «تحفة البار» (الذريعة ٣ رقم ١٤٥٩)، المجلد الثالث: تواریخ الملوك سماه «بحر المعارف» (الذريعة ٣ رقم ١٢)، المجلد الرابع: تواریخ العلماء و الشعرا سماه «ربع البار» ذكر في ذيل المجالس و قد يسمى «رجال ملا مؤمن» (الذريعة ١٠)

(١٥١) المجلد الخامس: سوانح عمر المؤلف نفسه (اتوبوغرافي) سماه زهرة الحياة الدنيا (الذريعة ١٢ رقم ٥٠٨) وهو مرتب على جنّات . المجلد السادس: شرح ثلاثة حديث سماه «روح الجنان» (الذريعة ١١ رقم ١٦١١). المجلد سابع: المفترقات من العلوم المختلفة، سماه «لطائف الظرائف» (الذريعة ١٨: ٣١٦ رقم ٢٧٥) فرغ منه ٦ رجب ١١٠٩ في (بكر) من بلاد (تسن) و فصل منها خالية عن الحروف المعجمة سماه «درر الحكم» (الذريعة ٨ رقم ٤٥٧) و فصل آخر منه يحتوى على منتخبات من «نسيم الصبا» المندرج في «الفصول الانيقية» لصاحب المعالم (الذريعة ١٦: ٢٣٧ رقم ٩٤١). عرض المجموعة على بعض امراء الهند الفضلاء إسمه التو اب مخلص خان فامرته في سنة ١١٠٥ بالانتخاب منه، فسمى المنتخب «شرق السعددين» و صحّحه سنة ١١١١ (الذريعة ٢١ رقم ٣٩٠٧) أو «مطلع السعددين» (الذريعة ٢١ رقم ٤٣٨٦) و ذكرنا له «أربعون حدثنا» (الذريعة ١: ٤٣٠) و اسمه «ثمرة الحياة» (الذريعة ٥ رقم ٥٥٦)، «و بحر المعارف» (الذريعة ٣ رقم ١١٢) و هو ثالث المجالدات السبع من «مجالس الاخبار» (الذريعة ١٩ رقم ١٥٩٦)، «بيان الآداب» (الذريعة ٣ رقم ٦٢٧) في شرح آداب «تحفة الاخوان في تحقيق الاديان» (الذريعة ٣ رقم ١٤٣٥)، «تحفة الغريب» في «شرح قانونجه في الطب» (الذريعة ٣ رقم ١٦٧٧)، «تمييم الفؤاد من ألم البعد» (الذريعة ٤ رقم ١٩٣٠)، «ثمرة الفؤاد و سمر البعد» (الذريعة ٥ رقم ٤٠) و هو «ديوان مؤمن» (الذريعة ٩: ١١٢٥)، «جامع المسائل التحويّة» في شرح الصمدية البهائية (الذريعة ٥ رقم ٢٧٧)، «جنات

ص: ٢٧٧

عدن» في الفنون الثمانية «جذات الفردوس» في التعريف ببعض مصطلحات العلوم (الذرية ٥ رقم ٦٤٩)، و ابتدأ قبل بلوغه بتعليق «الحواشى على الكتب الدراسية» (الذرية ٧ رقم ٢٧٠)، «مصابح المبتدئين» (الذرية ٢١ رقم ٤٢٠٦) «الدر المنثور» حواشى على الصمدية (الذرية ٨ رقم ٢٧٠)، «زينة الحياة» (الذرية ١٢ رقم ٦٠٣) في شبهات الشيطان بركلس السبعة، و «زينة المجالس» في المداعبات (الذرية ١٢ رقم ٦٢٠) «طرب المجالس» ايضاً في المداعبات (الذرية ١٥ رقم ١٠٤٤)، «قرء العين و سبيكة اللجين» (الفه سنة ١١٠١ رقم ٧٤) «للمبرق» في الفرق بين اللفاظ المتقاربة (الذرية ١٨ رقم ٣٤٨)، «ماء الحياة» في تأويل بعض الاحاديث المشكلة (الذرية ١٩ رقم ٨٧) و مثله «مجمع البحرين» في التأويل (الذرية ٢٠ رقم ١٧٦٩)، «مدينة العلم» (الذرية ٢٠ رقم ٢٨٣١) «مشكاة العقول» (الذرية ٢١ رقم ٣٩٤٥) في شرح «لغز الزبدة» للبيهائى (الذرية ١٨ رقم ٣٣٤) «منية اللبيب في مفاخره المنجم و الطبيب» طبع ضمن «نفحۃ الیمن» للشیروانی مکررا (الذرية ٢١ رقم ٥٢٣١، ٢٠٨، ٢٣ و الفهرس العربی لمشار - ص ٩٦٢)، «منية المؤواد» تفسیر بعض الآيات المتشابهة (الذرية ٢٣ رقم ٤٦٥١) و «وسیلة الغریب» (الذرية ٢٥ رقم ٨٠) في تفسیر الآيات المتشابهة مثل «قرء العین» و كذلك سائر مؤلفاته التأویلیة.

[الحكيم محمد مؤمن بن محمد قاسم الجزائري الشيرازي](#):

أديب ماهر سيف ذهنه باتر حكيم حاذق ثاقب فهمه كاشف عن دقائق الحكماء و الحقائق حاز حظا وافرا من الكمالات و حير الافكار بما أبدع في صناعة السرقات مجاعمه كنوز الفوائد و مضامين رسائله فرائد فمن جيد شعره قوله مادحا أميرا المؤمنين على بن أبي طالب سلام الله عليه:

و خل الدمع يسكنه الكثيب	دع الاوطان يندبها الغريب
يهد بها شمال أو جنوب	و لا تحزن لاطلال و رسم
و لاحت ظبية و بدا كثيب	و لا تطرد اذا ناحت حمام
و ألحان فقد حان المشيب	و لا تصبو برنات المثانى

٢٧٨: ص

يزين بناها كف خضيب	ول لا تعشق عذارى غانيات
شبيه قوامه غصن رطيب	ول لا تلهو بحب صبيح وجه
يكون مدیرها ساق أديب	ول لا تشرب من الصهباء كأسا

فكل أخ يعادى أو يعيب
و ذرهم انهم ضبع و ذيب
فلا فرح يدوم و لا خطوب
فكם يتلو الاسى فرج قريب
و أنسده اذا غلب الوجيب
يكون وراءه فرج قريب
فعل ليومها شأن عجيب
مغيث مفزع مولى وهو布
غيات قبل أن يدعى يجib
و ثعبان و حيتان و ذيب
له شمس السماء و لا عجيب
رجاه أن يماطل أو يخيب
على المرتضى البر الحبيب
و حن من النوى دف غريب

ولا تصحب حمima أو قربا
ولا تأنس بخل أو صديق
ولا تفرح ولا تحزن بشئ
ولا تجزع اذا ما ناب هم
و سكن لوعة القلب المعنى
عسى الله الذى أمسى فيه
ولا تيأس فان الليل حبلى
و حسبك فى النواب و البلايا
جواد قبل ان يرجى يواسى
تكلمت الظبا معه و شمس
وردت بعد ما غربت و غابت
كريم يستحى من مؤمن قد
أمير المؤمنين أبو تراب
عليه تحىتي ما جن ليل

و له فى رثاء الحسين سلام الله عليه قصيدة مخمسة و هى من غرر قصائدہ و منها:

بحنينى على مصاب الحسين
و ابن بنت الرسول قرة عينى
آه فلنبك من دم قد أرافقوا
و سقوا طعم علقم لا يذاق
 جاء شهر البكاء فلتبك عينى
و امام الانام من غير مبن
آه وا حسرتا لرزء الحسين
و بدور قد اعتراهم محاق
خير رهط على البرية فاقوا

آه وا حسرتا لرزء الحسين
و أصابتهم سهام البلايا
لائني في البكا لعظم الرزايا
هم بدور و غربهم كربلاء
خشروا اذلام سنا و اعتلاء
آه وا حسرتا لرزء الحسين
كم بها صارت السروج قبورا
كم بها رضت الخيول صدورا
وردته الخطوط منهم و قالوا
عنه اذ حلّ في فناهم فحالوا
آه وا حسرتا لرزء الحسين
اوشقوا عقدها و صادوا أسودا
حيشما شاهدو الجنان شهودا
غاب فنيان أهله و الكهول
وله مدمع عليهم همول
آه وا حسرتا لرزء الحسين
و رضيعا له سعيدا مجيدا
و سقوه الردى فأضحى شهيدا

خطفهم بروق بيض المانيا
عن قسى القضا فدعنى الايا
آه وا حسرتا لرزء الحسين
هالهم كرب أرضها و البلاء
ما لهذى البدور منها انجلاء
كم بها صادت البغاث نسورا
كم بها استوسد الكرام صخورا
آه وا حسرتا لرزء الحسين
مل اليها بسرعة ثم مالوا
بينه و الفرات ثم استطالوا
و عدوا النصر ثم خانوا عهودا
بذلوا دونه النفوس سعودا
آه وا حسرتا لرزء الحسين
فغدا السبط يشتكي و يقول
هل بقى من يعين يا قوم قولوا
لست أنسى الحسين فردا وحيدا
قصدوا بالنصال منه وريدا
آه وا حسرتا لرزء الحسين

(و ما ألطف قوله):

ص: ٢٨٠

معاشر اخوانی سلام عليکم

ولا غروان جسمی ثوى أرض غربة

لقد دمعت عيناي شوقا اليكم

فروحى و قلبي ثاويان لديكم

- [الكتاب المنتشرة ٧٤٩ و ما بعدها، الذريعة الى تصانيف الشيعة و كل حرف ذ ورد خلال الترجمة المستقاء من آغا بزرك فهو اشارة مختصرة الى كتاب الذريعة فمن اراد التوسع في التعرف على كتب المترجم له مراجعه الكتاب المذكور، نزهه ج ص ٦ رقم ٣٥٦ - ٣٥٧، معجم المؤلفين ١٢ / ٤٦، أعيان الشيعة ٢١٢ - ٢١٤. البغدادي: هدية العارفين ٣١٠، القمي: فوائد الرضوية ٥٩٩، ٦٠٠. البغدادي: ايضاح المكنون ١ / ١، ٣٤٧، ٣٢٢، ٣٤٨، ٤٢٩، ٤٢٩ / ٢، ٥٣٦، بروكلمان ٥٧٠: ١١ و ٥ ابن البيطار الدمشقي.]

- مطلع انوار ٦١٤ - ٦١٥ و فيه وفاته ١١١٨ هـ كما انه أحال فيه على سبحة المرجان و لم أجد للمترجم له ترجمة فيه .
نحو السماء [١٨٢]

محمد بن فتح الله بن نعمة خان عالي (ت ١١٢١ هـ - ١٧٠٩ م)

الأمير ميرزا محمد بن فتح الدين الحكيم الشيرازي نواب نعمة خان العالى كان م من الأمراء المشهورين فى قرض الشعر . ولد و نشأ بأرض الهند و سافر مع والده إلى «شيراز» و قرأ العلم على من بها من العلماء ثم رجع إلى الهند و أخذ عن العلامة محمد شفيق اليزدي ثم تقرب إلى عالمكير و ولى على «نعمه خانه» و لذلك لقبه عالمكير بن نعمة خان سنة أربع و مائة و ألف، ثم ولاد على «جواهر خانه» (خزينة الجواهر) و لقبه بمقر خان، و لما قام بالملك شاه عالم بن عالمكير لقبه دانشمند خان، و كان رجلا هجاء متصلبا في التشيع ذا مهارة تامة في الإنشاء و قرض الشعر و الجمل و الهيئة و الهندسة و غيرها، و من شعره قوله:

مردن عاشق باهی یا نکاهی بیش

کاهلی در کار خود مجنون جرا کرد

توفى سنة إحدى و عشرين و مائة و ألف، كما في «سرو آزادا»

- نزهه ج ٦ رقم ٤٩٣، و له ترجمه مفصلة في مطلع / ٦٨٢ - ٦٨٧ و هو مذكور ضمن علماء القطب شاهية.

٢٨١ الشيعه فى العصر المغولى ؛ ص ١٢٢٨٠

[ابراهيم على خان \(ت ١١٢١ هـ ١٧٠٩ م\)](#)

ابراهيم على خان امير الامراء ابن على مردان خان

ولد في ابراهيم آباد و تقلب في مناصب الحكومة فيها حتى اصبح احد قادة الولية الجيش الامبراطوري أيام اورنكزيب و في سنة ١٠٧٢ اصبح حاكما لكشمير، و عرف بعلمه الجم و اصلاحاته الادارية و العمرانية كان هذا الوزير قد جمع العلماء الكبار سنة ١١١٦ و جمع لهم ثلاثين ألف كتاب و أمرهم أن يدونوا كتابا كبيرا في فضائل أهل البيت عليهم السلام و مناقبهم من كتب أهل السنة و صحاحهم و شرعاوا فيه حتى خرج منه سبعة مجلدات مهذبات و سموه (البياض الابراهيمي) الأول و الثاني و الثالث منه في الخلافة الراشدة و الرابع في عهد امير المؤمنين و الخامس في عهد معاوية و السادس في امامه الحسن و الحسين و بقية الأئمة (ع) و السابع في فروع الدين و الفقه. و جاء في كتاب لعله منتخب من كتاب البياض وصف المترجم بالأمير الوزير الجامع بين المعقول و المنقول كهف السادات الخان ابن الخان ابراهيم خان و عن كتاب كشف الحجب أنه رأى من مجلداته سبعة و قد رأى بعضهم المجلد السابع منه و اوله حديث امر النبي صلى الله عليه و سلم بقتل ذي الثديه.

للمترجم له اولاد هم: زبردست خان و يعقوب خان .

(مستدركات ٩ / ٩، مطلع انوار / ٤٢ - ٤١، فهرست كتب آصفية، آثار الامراء ١ / ٢٨٨).

[حسين بن باقر الاصفهاني امتياز خان \(ت ١١٢٢ هـ ١٧١٠ م\)](#)

الأمير الفاضل حسين بن باقر بن بو على المشهدى الأصفهانى نواب امتياز خان، قدم إلى الهند فى أيام عالمكير فولاه على ديوان الخراج بايالة «بنه» و لقبه «امتياز خان» فاستقل بها زمانا ثم ولى على «كجرات» و سافر إلى بلاده فى أيام شاه عالم، و كان معه مال خطير فطمع فيه خدايار خان أحد مرازبة السند و بعث إليه رجالا قتلواه غيلة.

٢٨٢:

و كان شاعرا مجيد الشعر فطنًا ذكيا دينا، سافر إلى الحج جاز فحج و زار، و له ديوان شعر فارسي و ابياته في غاية الرقة و المتانة منها تضمين للمصraig المشهور:

^٣: طريحى، محمد سعيد، الشيعه فى العصر المغولى، ١ جلد، أكاديمية الكوفة - هند، چاپ: اول، ١٤٢٧ هـ.ق.

«این همه از بی آنست که زر میخواهد»

السلطان:

شہ کہ این کوکہ و این کرو فر
تاج و تیغ و علم وزین و کمر میخواهد

لشکر و کشور و اقبال و ظفر میخواهد
این همه از بی آنست که زر میخواهد

الوزیر:

آن وزیریکہ بسی عاقل و دانا باشد
کار او با همه کس رفق و مدارا باشد

مخلص شاه و هوا خواه رعایا باشد
این همه از بی آنست که زر میخواهد

الرجل العاقل:

مرد عاقل کہ سوی معركہ جون تیر
کاہ مردی و شجاعت زبی تیر رود

بی محابا همه تن بر دم شمشیر رود
این همه از بی آنست که زر میخواهد

الصوفی:

صوفی صاف کہ در صومعه مسکن
در بغسل مصحف وزنار بکردن دارد

صلاح کل با همه از شیخ و برهمن
این همه از بی آنست که زر میخواهد

التاجر:

تاجری کو بفشارد بجکر دندان را

از خسیسی ببرد سیسته بمالد نان را

وقت سودا بفروشد کهر ایمان را

این همه از بی آنست که زر میخواهد

الفاضل:

فاضلی کو همه در فکر فروع است و اصول

کاه اندیشه معقول کند که منقول

مردمان راه همه خواند بخدا و برسول

این همه از بی آنست که زر میخواهد

الکیمیاوی:

کیمیا کرکه همین رنج برد در عالم

سازد از سیسه دل در نفسی کوزه دم

ویشن را بکذارد ز تف آتش غم

این همه از بی آنست که زر میخواهد

الطیب:

طیبی که تراکیب و معاجین سازد

بعارات حکیمانه سخن بردازد

هردم صبح بقاروره نظر اندازد

این همه از بی آنست که زر میخواهد

الخطاط:

خوشنویسی که شب و روز کند مشق

کردنش دال و سرش واو و تنش کردد نون

دیده اش صاد و لبشن با و دنش باشد خون

این همه از بی آنست که زر میخواهد

ص: ٢٨٤

العشيقه:

نازينى که بود نادرهء حسن و جمال
که کند خون دل عشاق باميد وصال
که کند ناز و تغافل ز ره غنج و دلال
این همه از بئ آنسست که زر میخواهد

الشاعر:

شاعرى کو همه دم مدح و ثنا میکويد
کاه اکر مدح کند کاه هجا میکويد
روز و شب نیک و بد شاه و کدا میکويد
اینهمه از بئ آنسست که زر میخواهد

خالص:

و هو اسم السيد حسين بن باقر الاصفهانى فى الشعر:
خالص این خفت خوارى و غم و درد
در غریبی کشد و یاد نیارد ز وطن
این همه از بئ آنسست که زر میخواهد
هر زمان تازه کند طرح ذکر کونه

قتل ببلاد السندي سنة اثنين و عشرين و مائة و ألف، كما «مهرجهاتاب».

- [نرده ٧١ / ٦ رقم ١٣٩، مطلع انوار / ١٩٠ و فيه تسميته: حسين خالص اصفهاني، و لعل (خالص) هو لقبه الشعري.]

محمد رفيع المشهدى (باذل) (ت ١١٢٣ هـ - ١٧١١ م)

الشيخ الفاضل محمد رفيع بن ميرزا بن محمود الشيعي المشهدی ولد فی دھلی و کان عمه المیرزا محمد طاھر وزیر خان من الامراء علی عهد عالم کیر تنقل فی عده مناصب فی برهان بور، و اکبر آباد و مالوہ و توفی آخر سنۃ ۱۰۸۳ھ، و عمه الآخر میرزا جعفر کان امیرا علی مشهد خراسان. و ولی علی دیوان الخراج ایام عالم کیر فی أقطاع معز الدين

ص: ۲۸۵

محمد معظم بن عالمکیر فاستقل بها مدة من الزمان ثم ولی علی قلعة «کوالیار» و أقام بحراستها مدة من الدهر، و لما مات عالمکیر عزل عنها و اعتزل بدھلی، و کان شاعرا مجید الشعر بالفارسیة يتلقب بالبازل، له «حمله حیدری» كتاب فی غزوات سیدنا علی بن أبي طالب عليه السلام، و له الغاز دیوان شعر فی حدود ثمانیة آلاف بیت ، مخطوط فی مشهد، و له منظومة تحت اسم «معارج النبوة فی مدارج الفتؤة».

و من شعره قوله:

تو جنان رمیدی از من که بخواب هم نه
بکسدام امیدواری بروم بخواب بسى

توفی سنۃ ثلاث و عشرين و مائة و ألف بدھلی فدفن بها و قیل فی کوالیار.

- [نرھه / رقم ۵۷۷، مطلع انوار ۵۴۱، فهرست کتب خطی کتب خانه آستان قدس ۳۱۲ / ۷، سرو آزاد ۱۴۱، ترجمة ما ثر الأماء ۳ / ۷۶۷، بی بها ۲۰، بزم تیموریه ۲۷۱]

القادر المشهدی وزیر خان (ت ۱۱۳۵ / ۵ م ۱۷۲۲)

من ذریة الامراء الجنکیز خانیة، و کان من شعراء عالم کیر و بهادر شاه و فرخ سیر.

توفی فی اکبر آبله. و بعد فی شعراء الفارسیة

- اعیان ۴۳۴ / ۸.

سعد اللہ السلونی (ت ۱۱۳۸ / ۵ م ۱۷۲۶)

الشيخ العالم الكبير العلامہ سعد اللہ بن عبد الشکور الحسینی السلونی البریلوی أصله من اسرة علویة يتصل نسبها بالامام موسی الكاظم علیه السلام، أحد فحول العلماء، ولد و نشا بسلون (فتح السین المهمله) بلدة على عشرة أمیال من «بریلی» فی نعمه جده لأمه

ص: ۲۸۶

الشيخ بير محمد السلواني و اخذ الطريقة عن والده عبد الشكور عن الشيخ مسعود الاسفرايني عن الشيخ على عن الشيخ جعفر عن الشيخ إبراهيم عن الشيخ عبد الله عن الشيخ عبد الرزاق عن وا لده الشيخ الإمام عبد القادر الجيلاني، ثم سافر إلى الحجاز فحج و زار و أقام بها اثنى عشرة سنة و أخذ الحديث و درس العلوم مدة، أخذ عنه الشيخ عبد الله بن سالم البصري و الشيخ أحمد النخلي و غيرهما من الائمة ثم رجع إلى الهند و سكن بندر «سورت»، أعطاه الامبراطور عالمكير قريتين تحصل له منها ثمانية آلاف ربيبة كل سنة و كان السلطان يكرمه و يجله و يتلقى إشارته بالقول، و الشيخ سعد الله يكتب إلى السلطان في الشفاعات فيقبلها السلطان و يكتب الأجرة بيده الكريمة حتى أن الشيخ بعث إليه يشفع لواحد من العمال فأمر السلطان أن يكتب إليه أنك رجل عالم لا ينبغي لك أن تخاطبني في الذين ظلموا، ثم ترك السلطان الكتابة إليه بيده و الشيخ لم يزل يكتب إليه و يحثه على محبة الائمة الإثنى عشر من أهل البيت، فلما كرر الكتابة إليه في ذلك الأمر التفت السلطان إلى من حضر عنده من العلماء وقال : إن ما يوصيني الشيخ بحب أهل البيت صحيح لا غبار عليه و لكن الإمامة لا تتحصر عند أهل السنة و الجماعة في الائمة الإثنى عشر - انتهى ما ذكره خافي خان في «منتخب الباب».

و في «الحقيقة الأحمدية» : أن السلطان عالمكير كان يخاطبه في المراسلات بسيدي و سندى، و له مصنفات كثيرة م نها تعليقاته على الحاشية «القديمة و الجديدة» و «آداب البحث» رسالة له في المنطق و حاشية على «يمين الوصول» في الفقه و رسالة له في اثبات مذهب الشيعة و رسالة له في شرح أربعين بيتا من «المشوى المعنى» و حاشية له على «هدایة الحکمة» و «كشف الحق» و «تحفة الرسول» و غيرها من الرسائل، توفى لأربع ليال بقين من جمادى الأولى سنة ثمان و ثلاثين و مائة و ألف بمدينة «سورت» فدفن بها و خلف من الأولاد : سيد عبد العلي المتخلص بـ (عزلت) كان فقيها مجتهاها اماميا و شاعرا، و السيد عبد الله و السيد عبد الولى والد السيد ميرزا باقر الموقفي سنة ١٢١٧ هـ.

و قيل في تاريخ وفاته:

ازین دار فناء سری جنان رفت

جناب قطب اقطاب زمان رفت

جو سعد الله سید از میان رفت

مشائخ را تقاویت در مکین شد

ص: ۲۸۷

بحق بیوست دردار آمان رفت

زمکر و غدر کذب فسون کر

قرار و صبر طیروانس و جان رفت

نمانده صبر و طاقت زین مصیبت

زبالئی زین تا آسمان رفت

صدائی مکریه دفه یاد و نوحه

ازان روزی که آن وحدت شان رفت

بکثرت خلق کرویده کرفتار

رسید و کرو قائم بوش ازای رفت	زمان غم جو عاشوره قیامت
که از فرق سریشان سائبان رفت	مردان سربه سنه جون نه باشند
زجسم خویشن کو میر فشان رفت	برائی فاتحه، برکس برآمد
به هاتف التماس این وان رفت	زیهر سال تاریخ و صالح
ز عالم نائب صاحب زمان رفت	زواریلا کشید و آه کفته

- [نرخه ۹۸ / ۶ رقم ۱۸۸، مطلع انوار ۲۶۵ - ۲۶۷، بزم تیموریه / ۲۵۲، کتاب حقیقته السوره (اسم تاریخی کلدسته صلحائی سورت ۱۳۱۵، تألیف الشیخ بهادر عرف شیخو میان، مطبعة الشهابی، بومیا)، ص ۳۳ - ۲۴ و فيه نسب المترجم الى موسى الكاظم (ع)].

حسین الشیرازی (حکیم الممالک) (ت ۱۱۴۹ / ه ۱۷۲۶ م)

الفاضل الكبير حسین الحکیم الشیرازی نواب حکیم الممالک كان من العلماء المبرزین فى العلوم الحکیمية، أصله من أرض العرب، نشأ فى بلاد الفرس وقرأ العلم بها على الأساتذة المشهورين و سهر فى الصناعة الطبية ثم قدم الهند و تقرب إلى محمد أعظم بن عالمکیر فجعله طبیبا خاصا له، و لما قتل محمد أعظم تقرب إلى محمد معظم و حصلت له الوجاهة العظيمة عند الملوك و الامراء عهدا بعد عند لقبه فرخ سیر بحکیم الممالک، و سافر إلى الحرمين الشريفین في أيام محمد شاه فحج و زار و رجع إلى الهند، و نال المنصب أربعة آلاف لذاته، و له أبيات راقفة بالفارسية منها قوله:

نه من شهرت تمنا دارم و نی نام میخواهم
فلک کر واکذارد یکنفس آرام

مات سنة تسع وأربعين و مائة و ألف بمدينة «دھلی» فآخر لوفاته غلام على بن نوح

ص: ۲۸۸

البلکرامی من قوله: «شهرت مرد» و كان اسمه في الشعر «شهرت»، كما في «سمع أنجمن».

- نرخه ۹۶ / ۶ رقم ۷۰ - ۷۱.

محمد رضا قزلباش خان الهمدانی (ت ۱۱۵۹ / ه ۱۷۴۶ م)

میرزا محمد رضا الهمدانی الملقب بقزلباش خان و المشتهر في أشعاره بـ (امیر).

من شعراء القرن الثاني عشر، ولد في مدينة همدان بإيران، وفى مطالع حياته سافر إلى أصفهان وحضر مجلس الميرزا طاهر الوحيد، ودرس الأدب على مير نجاء . و فى نهاية عهد أورنك زيب سافر إلى الهند فعهد إليه ببعض المناصب و فى عهد قطب الدين بهادر شاه (١١١٩ - ١١٢٤) لقب ب (قزلباش خان)، وفى عهد محمد معز الدين جهان دار تدخل فى مشاھنات أمراء الدولة بشأن الدكن ثم أصبح ملازمًا لمبارز خان، نظام حيدر آباد الدكن . و فى حرب بين ميارز خان و نظام الملك آصف جاه أسر المترجم، ولكن آصف جاه عفا عنه و صار ملازمًا له . و فى سنة ١١٥٠ فى عهد ناصر الدين محمد شاه (١١٣١ - ١١٦١) وافق آصف جاه إلى لقاء شاه جهان آباد. و من ثم عاش فى دهلي و توفى فيها سنة ١١٥٩.

و كان إلى شاعريته من كبار الموسيقيين فى عصره. و مع ما حازه من مناصب فى الحكم كان شديد الحنين إلى مسقط رأسه بود الرجوع اليه.

ديوانه المعروف باسم (أميد) يحتوى على قصائد فى مدح النبي (ص) والإمام على (ع)، وناصر الدين محمد شاه و ذو القوار خان بن أسد خان من وزراء عهده . و فيه كذلك الغزل والخمسيات والرباعيات . و هو محفوظ في المكتبة البريطانية، و منه نسخة في المكتبة الوطنية بباريس، و لا يتجاوز ما فيه ال ٤٧٠٠ بيت، كما ان له منظومة باسم كارستان محفوظة في المكتبة الوطنية في باريس.

- مستدركات ٦ / ٢٧١ - ٢٧٢ .

ص: ٢٨٩

حسن على خان (ت ١١٣٥ / ٥ ١٧٢٢ م)

الأمير الكبير حسن على بن عبد الله الحسيني الواسطي البارهوي نواب عبد الله خان قطب الملك أحد الوزراء المتغلبين على الدولة التيمورية، ولد ونشأ بأرض الهند و تقرب إلى عالمكير و خدمه مدة من الزمان، و لما توفي عالمكير لحق بولده شاه عالم و قاتل أخيه محمد أعظم و جرح في المعركة فولاه شاه عالم على «أجمير» و أعطاه أربعة آلاف منصبا رفيعا ثم ولاه على «إله آباد»، و لما توفي شاه عالم ولى مكانه وولده معز الدين عزله عن الولاية و نصب مكانه واحدا من أصحابه فقاتلته حسن على خان و هزمته ثم لحق بفرخ سير ابن عظيم الشأن بن شاه عالم و سار معه إلى «دهلي» فقاتل معز الدين و هزمه، فلما تولى المملكة فرخ سير جعله وزيرا و أعطاه سبعة آلاف لذاته و سبعة آلاف للخيل منصبا رفيعا و لقبه «يار وفادار قطب الملك عبد الله خان بهادر ظفر جنك» و جعل صنوه حسين على خان أمير الأماء.

و هما اللذان نصبا (فرخ سير) ثم اختلفا معه فنصبا (رفيع الدرجات) ثم (رفيع الدولة) ثم (محمد شاه) وقام بعض رجال الاخير بقتل حسين على خان غيلة، فتار المترجم له لأجل ذلك و اشتbeck مع رجال محمد شاه لكنه وقع في قبضتهم (و سيأتى تفصيل دوره في ترجمة السلطان فرخ سير و من بعده) و كان شجاعا مقداما باسلا صاحب جرأة و نجدة، لم يكن في زمانه مثله في الشجاعة.

مات في آخر ذي الحجة سنة ١١٣٥ ه بمدينة دهلي.

- [ماثر الأمراء، نزهه ٦٨ / ٦ رقم ١٣٥].

بختاور خان (ت ١٠٩٦ هـ / ١٦٨٥ م)

«بختاور خان» خصى كان مقربا من الإمبراطور أورنك زيب الذي أمره على ثلاثة

ص: ٢٩٠

آلاف فارس و جعله كبير حجابه (مير سامان). و ينسب إلى بختاور خان عادة كتاب «مرآت العالم» و هو تاريخ للعالم كتب باللغة الفارسية ييد أنه لا شك في أن مؤلفه هو صديقه محمد بقا الذي حبب إليه بختاور خان الانضمام إلى بلاط أورنك زيب و كان سببا في توليه منصبا من المناصب الهامة.

و توفي بخلتور خان عام ١٠٩٦ هـ / ١٦٨٥ م.

حسين على خان (ت ١١٣٢ هـ / ١٧١٩ م)

أمير الأمراء حسين على بن عبد الله الحسيني الواسطي الباهوري عمدة الملك بخشي الممالك نواب حسين على خان أحد الأمراء المتغلبين على الدولة التيمورية، ناب الحكم في «عظيم آباد، بنته» في عهد شاه عالم و لما توفي شاه عالم و قتل ولده عظيم الشأن لحق بفرخ سير بن عظيم الشأن و سار معه إلى «دلهي» و حرض أخاه حسن على الذي كان واليا بالله آباد أن يلحق بفرخ سير، فلما جلس فرخ سير على سرير الملك جعله أمير الأمراء و جعل صنوه الكبير حسن على وزيرا فأخذوا الحل و العقد بيدهما.

كان رجلا شهما بأسلا شجاعا مقداما صاحب جرأة و نجدة و سخاء و كرم و غيرها من الخصال الحميدة و الفعال المحمودة .. و كان محبا لأهل العلم محسنا إليهم يجالسهم و يذكراهم في العلوم كما صنف له محمد بن رستم بن قباد الحارثي البدخشى كتابه «نزل الأبرار بما صح من مناقب أهل بيت الأطهار» سنة ١١٢٦ هـ وأثنى عليه في مفتتح كتابه، و يقول فيه السيد عبد الجليل الحسيني الواسطي البلكمامي بهذه بعده النحر:

أفاض على من حج جودا عوائدا

تهن بعيد النحر يا من عطاوه

و ألبست نحر المعتقين قلائدنا

تنسكت هدى الجود في كل موقف

و قال مضمونا مصraig كعب بن زهير يصف الشموع التي أذاكها أمير الأمراء في سير مولد النبي صلى الله عليه و آله و سلم:

ص: ٢٩١

شهر الرسول شموعا في غيابه

أضاء ركن الأعلى سيد الأمراء

أمسى الشموع على الحضار منشدة

(أن الرسول لنور يستضاء به)

و قال بالفارسية يمدحه:

جون حسين على هزبر شيم

آن أمير جماعة امراء

نخبة نسخهء بنى آدم

قرء العين حيدر كرار

تبغ أو ضابط بلاد عجم

جود أو شهرهء ديار عرب

بالد از همتشن علو همم

نازد أز نسبتش سمو نسب

لطمه از دست أو خورد ضيغم

غوطه در جود أو خورد دريا

إلى غير ذلك من الأبيات الراقصة، ولما قتل حسين على خان قال يرثيه بالفارسي:

زد جوش خون آلنبي از زمين هند

آثار كربلا است عيان از جبين هند

سادات کشته آند مصیبت نشین هند

شد ماتم حسين على تازه در جهان

وزخون کريه سرخ شد است آستين

نيلي است زين معامله بيراهن عرب

خاموش شد جراج نشاط آفرین هند

کيتي جرا سياه نكردد ز دود غم

ديديم داستان شهور و سنين هند

هند اين جنين مصیبت عظمى نديده است

توفى يوم الأربعاء ٦ ذى الحجة سنة ١١٣٢ هـ على مسيرة خمس و ثلاثين ميلاً من اكبر آباد.

- نزهه ٧٠ - ٦٨ / ٦ .

ص: ٢٩٢

محمد باقر البيجابوري (حدود ١١٢٨ - ١٦٤٠ / ٥ ١٧١٦ - ١٧٥٠ م)

الشيخ الفاضل محمد باقر بن محمد على بن محمد أويس الأويسي الشيعي البيجابوري أحد الرجال المعروفين بالفضل والكمال يرجع نسبه إلى أويس القرني انتقل جده محمد أويس من المدينة المنورة إلى «بيجابور» وسكن بها وتزوج ولده محمد على بابته الشيخ أحمد الناطقي البيجابوري فولدت له محمد حيدر و محمد باقر، ونشأ محمد باقر بمدينة بيجابور وقرأ العلم ثم تقرب إلى عالمكير بن شاهجهان سلطان الهند فحظى بمنصب رفيع وخدمة جليلة فخدمه مدة من الزمان ثم ترك الخدمة واعتزل بأورنک آباد. ومن مصنفاته «تلخيص المرام في علم الكلام» في مجلد ضخم ذكر فيه الأصول الخمسة، سماه العلامة محمد فصيح التبريزى بروضه الأنوار و زبدة الأفكار و استحسنه جدا، توفي سنة ثمان وعشرين و مائة و ألف بمدينة «أورنک آباد» دفن بها، كما في «خورشيد جاهي».

[زدهه ۲۶۰ رقم ۵۴۶، مطلع أنوار / ۴۸۸ - ۴۸۹ و فيه: خلف ولدا اسمه الشيخ محمد تقى جاکیران داران، حصه أول، ص ۵ طبع حیدر آباد.]

حسين بن نور الدين الجزائري الحسين الجزائري (ت ۱۱۵۸ هـ / ۱۷۴۵ م)

ابن نور الدين ابن المحدث الجزائري وصفه في «تحفة العالم» - ص ۱۱۷ ب [السيد الأول الأجل الفاضل الأديب الأكمل] وقال إنه سافر في بداية الأمر إلى شاه جهان آباد من دهلي وأقام بها برمهة بتكليف سلطانها محمد شاه المنسوب إليه الريج الجديد الهندي فنافره طباع أهلها فعاد إلى بنكاله ومنها إلى النجف وجاورها مشغولاً بتحصيل المطالب العلمية و تكميل المراتب العلمية إلى أن توفي بها . وله تعليقات على أكثر الكتب العلمية وخلف ولده محمد على . أقول: توفي المترجم له ۱۱۵۸ ورأيت له مجموعة ذات

ص ۲۹۳:

فوائد كثيرة فيها عدة رسائل علمية كتبها أو أن اشتغاله باصفهان من ۱۱۴۱ إلى ۱۱۴۳ منها «شجرة الطور» لأستاده الحزين و «معرفة التقويم لاستاذ آخر» أحمد بن محمد مهدي الشريف (ذ ۲۱: ۲۵۰ رقم ۴۸۷۹ و بعده) وعلى المجموعة تملّك ولده محمد على بخطه في مكتبة (صالح الجزائري في النجف) وكتب المترجم له على نسخة «شرح الغرر و الدرر تأليف الآقا جمال الدين الخوانساري الموجودة في مكتبة (سبهسالار) بعض ما يتعلق بتشخيص مؤلف الكتاب، كتبه في أوائل إقامته بلكته في سنة ۱۱۴۸ كما في فهرس سبهسالار ۲: ۳۶ و ۵: ۲۱۳.

- [الكوكب المنتشرة / ۱۹۳ - ۱۹۴، مطلع انوار / ۲۰۵ و فيه وفاته سنة ۱۱۷۳ مستدركات ۱۴۰ / ۵، نجوم السماء ج ۲، و للمترجم له ولد اسمه: السيد محمد على].

شاه عالم بهادر شاه (۱۶۴۳-۱۷۱۲ هـ / ۱۱۲۴-۱۰۵۳ م)

^{۳۵} (۱) بحادر: كلمة تركية مغالية الأصل مأخوذة من بخارى و يقابلها باتور في اللغة الجغة غنائية، و المعنى الأصلي لبخارى هو الشجاع، المقدام، ثم أصبحت لقباً يطلق للتشريف في بلاط المغلل العظام. و هو لقب تركستانى، فى مؤلف سليمان أفندي المعروف بـ "لغات جغناي" ص 66). و إننا لنجد هذه الكلمة مستعملة منذ عام 927 م فى اسم الرعيم البلغاري البغدور، و يقال فى تفسيره إنه "ألب بختور" أي البطل الشجاع eguzfirtS. ruetsO. trauqraM. J. taisatsO. .

و قد كان فى منتصف القرن التاسع عشر فرقه بفارس جنودها من النصارى تعرف باسم "بحادران" أي الشجعان. وكانت هذه الكتبة هي التي نبسط بها إعدام علي محمد الباب. و أطلق اسم هذه الفرقه التي لم تعد تتألف من الجنود النصارى على الفرقه الأولى من الكتبة الأولى للشاشة عام 1301 هـ/ 1884 م. و هناك فرق آخر سُمي بهذا الاسم في خوى و فارهان و نخاوند و قلعة زنجيري و في غيرها من الأماكن. ببلاد فارس دائرة المعارف الاسلامية 4/242 عن مطلع الشمس محمد حسن خان 25/2.

الامبراطور محمد معظم الملقب ب شاه عالم بهادر شاه ابن الامبراطور اورنك زيب من بطن رحمت النساء نواب بائى ابنة راجا راجو صاحب iniwjuR ajaR فى كشمیر

٢٩٤: ص

و هو اكبر اولاد ابيه بعد سلطان محمد المتوفى فى حياة أبيه، ولد فى برهان بور فى الثلاثين من رجب سنة ١٠٣٥ هـ الموافق ١٤ أكتوبر ١٦٤٣ م و نشأ فى ظل جده و ابيه، و حفظ القرآن الكريم و قرأ العلوم الدينية و تمهر فى الفنون الحربية، و بعد وفاة والده ١١١٨ هـ دبت الخلافات بينه وبين اخوه ته فقضى عليهم و تولى العرش فى سلسلة حروب ستتعرض اليها.

وصفه السيد عبد الحى بما يلى «كان عادلا رحيمًا كريما، سيء التدبير و السياسة، شيعيا في المذاهب، بارعا في العلوم، لم ينزل مستغلا بمطالعة الكتب و المذاكره غالب في عهده عظيم المراتبه فاستولى على أكثر بلاد المسلمين، و سلم له بهادر شاه ربع الخراج في الدكن، و هو أول و هن ظهر منه، فأدى إلى زوال شوكته، ثم انقراض ملكه من اولاده.

و أضاف: الملك الفاضل الحليم .. (و كان) في كل حين يزداد كمالا مع اخلاق شريفة و خصال محمودة ..

و كان شيعياً أمر أن يدخل في خطب الجمع و الأعياد لفظ الوصي عند ذكر سيدنا على المرتضى كرم الله وجهه فارتفاع الصخب و كثر الضوضاء بمدينة «lahor» فأمر باحضار العلماء بين يديه و باحثهم في ذلك وقرأ بعض ما روى في اثبات الوصاية لسيدنا على رضي الله عنه و بعض أقوال الفقهاء و المجتهدين في ذلك حتى كثرة اللغط و رغبة الناس كافة إلى العلماء سرا حتى أن ولده عظيم الشأن أيضاً مال إليهم، فلما علم السلطان رغبة الناس أمر أن يرجع الأمر إلى الأول حسبما كانت جارية في عهد عالمكير.

قال ولیام ازمین enivri mailliW : قال ولیام ازمین

«ادى ذلك الى قيام ثورتين خطيرتين في لاھور و احمد آباد ترعمها العلماء المتعصبون في المدينتين».

ولما ذهب ابوه إلى الدكن عام ١٦٥٧ م لمنازعة دارا شکوه على العرش خلف ولده محمد معظم على اورنك آباد، واستعمل محمد مرتين على الدكن في عامي ١٦٦٣ و ١٦٦٧ م، وأرسل إليها مرتة ثالثة عام ١٦٧٨ م. و دعى إلى الاشتراك في حرب راجبوت و ساعد في إخماد الثورة التي قام بها أخيه أكبر في إجمير، وفي عامي ١٦٨٣ - ١٦٨٤ م

٢٩٥: ص

أمر على جيش كان يحارب مرته شمباچى في كنك . و بعيد عودته إلى معسكر الإمبراطور أنفذ في غارة على مملكة كلنكده عام ١٦٨٥ م، و اشتراك كذلك في قتال بيجابور عام ١٦٨٦ م و في حرب كلنكده للمرة الثانية عام ١٦٨٧ م. و اتهم آخر الأمر بالخيانة فألقى في السجن في شهر مارس من عام ١٦٨٧ م، و لم يفرج عنه إلا في إبريل عام ١٦٩٤ م حينما ولى على كابل ثم أضيف إليه إقليم لاھور.

وقد أراد اورنك زيب أن يتحاشى العواقب الوخيمة المؤلمة التي كان يتوقعها بعد وفاته وأن يقسم البلاد بين أولاده الثلاثة حتى إذا ما قضى نحبه استقل كل واحد في ناحيته وعمل على إنهاضها والمحافظة عليها، فأعطى في حياته، ابنه الأكبر محمد معظم كابل وشمال الهند، وأعطى ابنه الثاني محمد أعظم وسط الهند وكجرات، وأعطى ابنه الثالث كام بخش الجنوب. وظن أنه قد أحسن فيما صنع وأرضي أولاده وأزال أطماعهم . ولكن ما صنعه كان هباء، إذ ما كاد يغمض جفنيه ويلفظ أنفاسه الأخيرة حتى نشب الصراع بين الأخوة.

و ما ان سمع شاه عالم بوفاة والده اورنك زيب في الثامن عشر من ذى الحجة عام ١١١٨ هـ الموافق ٢٢ مارس من عام ١٠٧٧ م و كان في جمرود إلى الغرب من بشاور، حتى سار توا إلى هندستان وتسابق هو وأخوه أعظم شاه الذي كان قد خرج من أحمد نكر في أيهما يحتل دهلي وآكره قبل أخيه، وحاول شاه عالم أن يثبت شقيقه عن قتاله فارسل له رسالة تذكرة بوصية أبيهم اورنك زيب و لما وصلت الى رساله الى أخيه المتمرد تمثل بقول سعد الشيرازي : «ان غطاء واحدا يتسع لعشرة من الفقراء ولكن ملكا واسعا لا يكفى ملكين » و اصر على القتال فاقتلا في ١٨ ربيع الأول ١١١٩ هـ الموافق ١٧٠٧ م، واحتفل شاه عالم باعتلاء العرش وهو لا يزال في البنجاب، ولقب نفسه ببهادر شاه في الرابع والعشرين من المحرم عام ١١١٩ هـ الموافق ٢٦ ابريل عام ١٧٠٧ م، ولكنه اعتبر حكمه يبدأ من الثامن عشر من ذى الحجة عام ١١١٨ هـ الموافق ٢٢ مارس عام ١٧٠٧ م، أى بمناسبة ذكرى عيد الغدير الذي يحتفل به الشيعة في كافة أنحاء العالم، واحتسبت الأعوام التالية كما هي العادة اعتبارا من أول هذا الشهر.

٢٩٦:

كان الراجبوت قد اضطروا للسكن و الخضوع أمام قوة عالمكير، فلما توفي و قامت الحرب بين الأخوين انهزوا هذه الفرصة، و تجمع راجا جودبيور مع راجا «أودبيور» وأعلننا العصيان على سلطة الملك . فذهب الملك لأجمير، وأرسل ابنه عظيم الشأن مع القائد الشيعي منعم خان على رأس جيش لإخضاعهم، و تم لهم ذلك، ولكن شفع لهم منع خان فغاف عنهم، ثم أرسل إليهم قاضى القضاة لتعيين الخراج و تحصيله، و لكنهم عادوا بعد ذلك للثورة، حينما كان الملك في الجنوب، و قتلوا قائد قلعة أجمير، فسارع الملك إليهم، و لكنهم أسرعوا فطلبو العفو، فغاف عنهم أيضا.

ثم سارع للجنوب و قضى على محاولة أخيه كام بخش الاستقلال بالسلطان فجرح كام بخش مع ابنه و جيء بهما إلى شاه عالم فأخذته الشقة عليهما و حاول علاجهما حتى ماتا متأثرين بجراحهما و كان ذلك خارج حيدر آباد في الثالث من ذى القعدة ١١٢٠ هـ الموافق ١٣ يناير عام ١٧٠٩ م، و كان المراتي قد انضموا إلى شاه عالم ضد أخيه كام بخش، فلما تم النصر لشاه عالم اقطع الأمير ساهوجى الثاني مقاطعة (بونا) لتكون امارأة له تابعة للسلطنة و تؤدي اليه الخراج و قد اخلص كلاهما للآخر و لكن بعد وفاته تمردت هذه الامارة تمردا خطيرا استمر الى ايام الاحتلال الانجليزي .

أما السيك الذين بدأت غاراتهم تقلق المسلمين في الشمال فقد هبوا لهم جيشا كبيرا تحت قيادة ابنه عظيم الشأن فهاجم حصن (لهكره) الذي احتمى فيه بنده زعيم السيخ، واستولى عليه في التاسع عشر من شوال سنة ١١٢٢ هـ الموافق ١٠ ديسمبر ١٧١٠ م لكن (بنده) فرّ خارج الحصن، واستقرت حاشية بهادر شاه خارج لاہور وفيها توفي هذا الامبراطور عن عمر يناهز السبعين بعد ست سنوات من الحكم في ١٩ شوال ١١٢٢، الموافق ١٠ ديسمبر ١٧١٠، وبعد وفاته أخذت أعراض التفكك، والانحلال تبدو على البلاد، ولم يقم من بعده من الأسرة المغولية من يقدر على الاحتفاظ بهذا الملك العظيم، و لعله لو تنسى لشاه عالم أن يعيش في الملك ما عاش أبوه فيه لكان استطاع ان يدعم أركانه و يصون كرامته.

من علماء عهد شاه عالم:

نعم خان خانان (ت ١١٢٢ / ٥ ١٧١٠ م)

الأمير الكبير منعم بن سلطان برايس الأكابر آبادى نواب منعم خان خانخان كان من وزراء الدولة المغولية وأمرائها المشهورين بالمعارف والبيان، نشأ في مهد أبيه و كان والده شحنة «أكبر آباد» وقد كان سافر إلى «كشمير» في مهمة سلطانية، فلما توفي والده سافر إلى بلاد الدكن وتقرب إلى روح الله خان المير بخشى فمنحه للمنصب ثم تقرب إلى عالمكير ابن شاهجهان سلطان الهند فعلاً منصبه و تدرج إلى الإمارة حتى ولّى ديوان الخراج بقابل ثم ناب الحكم ببلاد «بنجاب» مع حكومة «جمون» و كان شاه عالم بن عالمكير في «قابل» فتقرب إليه و لما قاتله صنوه محمد أعظم لحق به و بذل جهده في المعركة فصارت مساعيه مشكورة في ذلك و ولاه شاه عالم المذكور الوزارة الجليلة و أعطاه مائة مائة ألف من التقويد و أثاثاً يساوى مائة مائة ألف و لقبه «خانخانان» و أضاف في منصبه فصار مع الأصل و الإضافة سبعة آلاف له و سبعة آلاف للأفراس.

كان شديد التواضع كثير المراعاة للناس مشكور السيرة في الوزارة لا يألوا جهداً في انجاح الحوائج و كان كل يوم في ديوانه يعين الرجال ليتحسسوا العرائض لأهل الحاجة لئلا تبقى بغير ثبته و يتأنّر على اليوم الآخر و كان أسقط مصارف العلوف من أهل المناصب، و له مآثر جميلة تذكر و تشهر، و كان عالماً متقدماً في العلوم له رغبة إلى التصوف، ليس الخرقه من الشيخ كليم الله الجهان آبادى، و له «الإلهامات المنعمية» رسالة في الحقائق، و اعترض الناس عليه و يهمنونه أنه ادعى المعراج له، توفي سنة اثنين و عشرين و ألف أو مما يقرب ذلك في أيام شاه عالم، كما في «مآثر الأمراء».

- نزهه ٣٧٥ / ٦ - ٣٧٦ رقم .٧٠٩

اسماعيل بن إبراهيم الذهلي (ت ١١٢٤ / ٥ ١٧١٢ م)

الأمير الكبير إسماعيل بن إبراهيم بن ذي الفقار الذهلي نواب ذو الفقار خان صمصاص الدولة نصرت جنك كان من الأمراء المشهورين في الهند، ولد سنة سبع و ستين و ألف من بطن مهر النساء بنت آصف جاه أبي الحسن بن غيات الدين الطهراني، و نشأ بأرض الهند و تدرّب على الفنون الحربية و تأدب بآداب السلطة فقربه عالمكير بن شاهجهان سلطان الهند إليه و رقا درجة بعد درجة حتى ولاه على مير بخشى كري و لقبه «نصرت جنك» و لما تولى المملكة شاه عالم بن عالمكير لقبه «صمصاص الدولة، أمير الأمراء» و أضاف في منصبه حتى صار سبعة آلاف له و سبعة آلاف للخيل و ولاه على بلاد الدكن، و لما توفي شاه عالم المذكور لحق بولده معز الدين و قاتل إخوته عظيم الشأن و رفيع الشأن و جهان شاه فقتلهم في المعركة، و كان فرخ سير بن عظيم الشأن في «بهار» فلما سمع ذلك سار إليه و كان معه حسن على خان و حسين على خان فقاتلواه فانهزم ذو الفقار خان و أراد أن يستعد للحرب مرة ثانية فنهاه والده إبراهيم عن ذلك و اشار إليه أن يحضر لدى فرخ سير و كان يعتقد إبراهيم أنه يعفو و يسامحه، فلما حضر ذو الفقار خان بين يديه أمر بقتله، فقتل في السابع عشر من محرم سنة أربع و عشرين و مائة و ألف، فعمل والده إبراهيم لوفاته تاريخاً عجيباً.

هاتف شام غرييان با دو جشم خون نشان

كفت «ابراهيم اسماعيل را قربان نمود»

و كان ذو الفقار خان شجاعا مقداما بأسلا غضوبا قوى البطش شديد الانتقام كبير المنزلة، و فيه يقول ناصر على السرهندي:

أى شان حيدرى زجبين تو آشكار
نام تو در نبرد کند کار ذوالفقار

- نزهه ٣٤ / ٦ رقم .٦٢

ص: ٢٩٩

ذو فقار الدولة نجف على (القرن ١٢ هـ)

و بعد زوال الضغط نشط الشيعة أيام عالم شاه بالكتابة و التأليف رادين على من هاجمهم و طعن في عقائدهم.

و كانت الدولة في دهلي قد أصبحت في نهاية عهودها و بدأت الانتفاضات عليها و الاستقلال عنها في المناطق و الأطراف، كما قامت المشاھنات المذهبية، و بدأت الانقلابات في العاصمة نفسها، ففي كل يوم أمير جديد يتولى الحكم ثم ينتزع منه.

و من بين هذه الزعازع نهض ذو فقار الدولة نجف على، و كان بطلا صنديدا ذا شخصية قوية قضى على الفتنة و أصلح الفساد و أعاد النظام و وحد البلاد و رد بعض الشيعة المشردين . و عاد إلى الشيعة اطمئنانهم لأن، و عاد لتأليف و الكتابة في الشيعة و إقامة الشعائر الحسينية، و بقي من أثر ذلك العصر كتاب (كربل كتا) أى قصة كربلاء و هو الكتاب الذي يمكن القول أنه أثر أبعد الأثر في تركيز اللغة الاردوية و أرساء قواعد آدابها و ايجاد نثرها الفنى.

- مستدرکات ١ / ٤٢ - ٤٣

محمد هاشم الشیرازی (١٠٨٠ - ١٦٦٩ / ٥ ١١٦١ - ١٧٤٨ م)

الفاضل العلام محمد هاشم بن محمد هادي بن مظفر الدين العلوى الشیرازی معتمد الملوك نواب علوى خان كان نادرة من نوادر الزمان و بدیعه من بداعه الحسان، ولد بشیراز في شهر رمضان سنة ثمانين و ألف و قرأ العلم بها و تطبع على والده و قدم الهند سنة إحدى عشرة و مائة و ألف فتقرّب إلى عالمکیر بن شاهجهان سلطان الهند فأعطاه الخلة و قربه إلى ولده محمد أعظم فصاحبه زمانا، و لما قتل محمد أعظم تقرب إلى شاه عالم بن عالمکیر فلقبه بعلوي خان و جعله من ندامائه، فلم يزل يترقى درجة بعد درجة حتى قربه

إِلَيْهِ مُحَمَّد شَاهُ الدَّهْلَوِيُّ وَ لِقَبِهِ بِمَعْتَمِدِ الْمُلُوكِ وَ وزَنِهِ بِالْفَضَّةِ وَ أَضَافَ فِي مَنْصَبِهِ فَصَارَ سَتَّةَ آلَافَ لَهُ مَنْصَبًا رَفِيعًا وَ رَتْبًا
لَهُ ثَلَاثَةَ آلَافَ شَهْرِيَّة، ثُمَّ لَمَّا جَاءَ نَادِرَ شَاهَ الْإِيرَانِيَّ اسْتَصْبَحَهُ مَعَهُ إِلَى إِيرَانَ وَ وَعَدَهُ أَنْ يَرْخُصَهُ لِلْحَجَّ وَ الْزِيَارَةِ، فَلَمَّا
وَصَلَ إِلَى إِيرَانَ أَنْجَزَ وَعْدَهُ فَسَافَرَ إِلَى الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ فَحَجَّ وَ زَارَ وَ رَجَعَ إِلَى الْهَنْدَ سَنَةَ سَتَّ وَ خَمْسِينَ وَ مَائَةَ وَ أَلْفَ.

وَ مِنْ مَصْنَفَاتِهِ حَاشِيَّةُ عَلَى «شَرْحِ هَدَايَةِ الْحَكْمَةِ» لِلْمَبِينِيِّ وَ حَاشِيَّةُ عَلَى «شَرْحِ الْأَسْبَابِ وَ الْعَلَامَاتِ» وَ شَرْحُ عَلَى
«تَحْرِيرِ الْأَقْلِيدِسِ» وَ شَرْحُ عَلَى «الْمَجْسُطِيِّ» وَ شَرْحُ عَلَى «مَوْجَزِ الْقَانُونِ» وَ لَهُ كِتَابٌ فِي أَحْوَالِ أَعْضَاءِ النَّفْسِ وَ رِسَالَةٌ
فِي الْمُوسِيقِيِّ وَ لَهُ «الْتَّحْفَةُ الْعُلُوِّيَّةُ وَ الْإِيَاضَاحُ الْعُلُوِّيَّةُ» وَ لَهُ «جَامِعُ الْجَوَامِعِ» فِي الْطَّبِّ، قِيلَ إِنَّهُ كِتَابٌ لَمْ يَنْسِجْ عَلَى مِنْوَالِهِ
قُطُّ، وَ لَهُ «آثَارُ بَاقِيَّةٍ» فِي الْطَّبِّ مِنْ تَرْكِيبِ الْأَدوَيَّةِ وَ هِيَ دَلَائلُ الْاعْجَازِ لِذَلِكَ الْفَاضِلِ الْجَدِيرِ بِالْإِعْزَازِ.

تَوَفَّى بِدَهْلِي فِي الْاسْتِسْقَاءِ لِخَمْسِ بَقِينِ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ سَتِينَ وَ مَائَةِ وَ أَلْفِ، كَمَا فِي «بَيَانِ الْوَاقِعِ» أَوْ اثْنَتِينَ وَ سَتِينَ وَ مَائَةَ
أَلْفِ وَ يَدُلُّ عَلَيْهِ شَطَرٌ مِنَ الْبَيْتِ عَلَى طَرِيقِ الْجَمْلِ:

بِرْ فَلَكَ رَفَتْ مُسِيَّحَى جَدِيدٍ وَ قَبْرَهُ فِي مَقْبِرَةِ الشَّيْخِ نَظَامِ الدِّينِ الْبَدَائِيُّونِيِّ بِدَهْلِيِّ حَسْبُ وَصِيَّتِهِ كَمَا فِي مَهْرَجَا نَتَابِ.

- [نَزَهَهُ ٦ / ٣٦٤ - ٣٦٥ رَقْمُ .٦٨٥].

مِنْ اعْلَامِ عَصْرِ مُحَمَّدِ شَاهِ:

نَعْمَةُ اللَّهِ بْنُ نُورِ الدِّينِ الْحَائِرِيِّ (ت ١١٥١ هـ / ١٧٣٨ م)

السَّيِّدُ نَعْمَةُ اللَّهِ بْنُ نُورِ الدِّينِ بْنُ نَعْمَةُ اللَّهِ الْحُسَيْنِيِّ الْجَزَائِريِّ الْمَهَنْدِسِ الْكَبِيرِ، ذُكْرُهُ عَبْدُ الْلَّطِيفِ بْنُ طَالِبِ بْنِ التَّسْتَرِيِّ فِي
«تَحْفَةِ الْعَالَمِ» قَالَ: إِنَّهُ وَلَدٌ وَ نَشَأَ بِتَسْتَرٍ وَ سَاحَ فِي «الْعَرَاقِ» وَ «خَرَاسَانَ» وَ قَرَأَ الْعِلْمَ عَلَى أَسَاذَةِ عَصْرِهِ ثُمَّ سَارَ إِلَى
الْهَنْدِ فِي أَيَّامِ مُحَمَّدِ شَاهِ الدَّهْلَوِيِّ، وَ كَانَ عَالَمًا كَبِيرًا بَارِعًا فِي الْفَنُونِ الْرِّياضِيَّةِ وَ الشِّعْرِ، وَ لَوَهُ عَلَى الْمَرْصَدِ بِدَهْلِيِّ فَفَاقَ
أَقْرَانَهُ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ وَ لَهُ دِيْوَانُ الشِّعْرِ الْفَارَسِيِّ يَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثَةَ آلَافَ أَوْ أَرْبَعَةَ،

ص: ٣٠١

مَاتَ بِمَدِينَةِ «بِيشَاؤُورِ» سَنَةً إِحدَى وَ خَمْسِينَ وَ مَائَةَ وَ أَلْفِ، كَمَا فِي «نَجُومِ السَّمَاوَاتِ».

- [نَزَهَهُ ٦ / ٣٨٨ رَقْمُ ٧٣١، مَطْلَعُ انْوَارٍ / ٦٨٢ وَ فِيهِ (نَعْمَةُ اللَّهِ آغَائِي)، نَجُومُ السَّمَاوَاتِ / ٢٥٩، بَيْ بَهَا ٤١٩، بَيْ بَهَا ٤١٩،
اعْيَانُ، تَحْفَةُ الْعَالَمِ].

مُحَمَّدُ بْنُ اسْحَاقِ التَّسْتَرِيِّ (ت ١١٦٣ هـ / ١٧٤٩ م)

الأمير الفاضل ميرزا محمد بن اسحاق بن على الشيعي التستري نواب نجم الدولة ابن مؤتمن الدولة الدهلوى كان من الرجال المعروفين بالعقل والدهاء، ولد ونشأ بأرض الهند و تقرب إلى محمد شاه فولاہ على «بخشیکری» مكانه والده و جعله من خاصته و ندامائه، قتل سنة ثلات و ستين و مائة و ألف، كما في «ماثر الأمراء».

- نزهه ج / رقم ٤٧٨

محمد باقر المشهدی (ولد حدود ١١٥١ هـ / ١٦٨٨ مـ / ت حدود ١١٨٨ هـ / ١٧٣٨)

مولانا الأمير الفاضل محمد باقر المشهدی نواب معز الدولة كان من الرجال المعروفين بالفضل والكمال، ولد بمشهد و قرأ العلم على من بها من العلماء ثم قدم الهند و تقرب إلى فرخ سیر بن عظيم الشأن الدهلوی سلطان الهند فلقبه بدانشمند خان و لما قام بالملك محمد شاه الدهلوی تقرب إليه ثم لما جاء نادر شاه و قاتله محمد شاه الدهلوی صار واسطہ بينه وبين نادر شاه لأن أخيه على أكبر ملا باشي كان معه فلقبه محمد شاه بمعز الدولة و جعله قهر مانه و كان فاضلا بارعا في كثير من العلوم و الفنون، و له أبيات رائقة رقيقة بالفارسية، مات في زمان قريب من مراجعة نادر شاه إلى أيران، كما في «رياض الشعراء» لعله مات سنة إحدى و خمسين و مائة و ألف أو مما تقرب ذلك.

- (نزهه ٢٩١ / ٦ رقم ٥٤٧، مطلع انوار / ٤٨٩) و القهرمان أی الوکيل بالفارسیة و الظاهر انه مرکب من العربی قهر و من الفارسی مان أی صاحب (الألفاظ الفارسیة المعریبة ص ١٣٠).

ص: ٣٠٢

معز الدين جهان دار شاه (١٠٧٢ - ١٦٦١ هـ / ١٦٢٥ - ١٧١٣ مـ)

ولد في مايو عام ١٦٦١ و توفي خنقا في ١٢ فبراير ١٧١٣ بأمر فرخ سیر و كان خلفه على العرش بقصة اختصارها انه حين مات شاه عالم اختلف ابناءه من بعده فيمن يتولى السلطنة، وكانت الانظار تتوجه نحو عظيم الشان ابن شاه عالم لكنه قضى في الحرب الدائرة مع اخوته، واستطاع جهان دار شاه و كان يومها اميرا على ملستان بمساعدة (ذى الفقار خان) اكبر القواد ان يقضى على منافسه اخوته و يتسلم العرش و تلقب ب (معز الدين)، لكنه اخطأ حين أبعد شخصين هما الأبعد اثرا في المجتمع آنذاك و هما الاخوان السيدان حسن على و حسين على الحسينيان البارهيان، و هما من ابناء الشريف عبد الله الحسيني الواسطي الباهوري و اصلهم من ا لأسر العلوية الشيعية التي نزحت من مدينة واسط في العراق في عصور الاضطهاد التي قلما كان يخلو منها العراق في العهود الاموية و العباسية و ما تلاهما.

و كان لهما سمعة و وجاهة، اولهم كان واليا على (إله آباد) و الثاني على (بتنه) فعزلهما جهان دار شاه، فانضمما الى أخيه فرخ سیر الذي كان مقينا قرب بنته، فأخذ السادات (و هو اللقب الذي عرف به الاخوان المذكوران) بيهجان الرأى العام ضد جهان دار شاه و اعدوا جيشا سرعان ما تقدم نحو العاصمة و استبک مع جيش جهان دار شاه و ابنه اعز الدين، و هزماه و بذلك استطاع الشريف حسن أن يصل الى الخليفة الملكية فهرب جهان دار شاه و معه امامهما و حقق السادات هذا النصر بجهودهما و اجلسا فروخ سیر على العرش سنة ١١٢٤ هـ / ١٧١٢ مـ، وكانت مدة ملك جهان دار شاه أقل من سنة واحدة و في سير المؤاخرين: انه كان شريرا ضعيفا جبانا جلب العار على جميع طبقات رعيته بفسقه المفضوح الذي لا تورع فيه و باسلامه لمحظيته لال كنور و هي راقصة هندوسية.

فرخ سير بن عظيم الشان (ت ١١٣١ / هـ ١٧١٨ م)

تولى الملك بعد فرار جهان دار شاه، و حكم بين (١١٢٥ - ١١٣١ هـ) بحدود ست سنين و اربعه أشهر. و معنى كلمة فرخ سير هو (محمود السيرة) وصف بأنه كان طيب الأخلاق، و رحب الصدر، يقدر الناس، و كان يحاول خدمة كل أحد، و اهتمامه به أن يوليه منصباً لاقوا و خدمات جيدة، و يبرزه في الأقران، و لكنه لم يكن يملك من السلطة شيئاً، و لم يكن محنكاً، فقد نشأ و تربى في ولاية البنغال بعيداً عن آبائه و أجداده و في غفلة عن أمور المملكة و شؤون الدولة، و كان يفقد الثبات و الاستقامة و الرأي السديد، و يقتدى بآراء غيره، قد أتاه الجد و الحظ بالعرش و الناج، و قد كانت الأسرة التيمورية المغولية تمتاز بالبطولة و الشجاعة، أما هو فكان خلوا من ذلك جباناً ضعيفاً، و لم يكن يسبّر غور الكلام، و لا يتوصّل إلى فهم غرض المعرض، فأصبح بنفسه من بداية حكمه معول هدم لدولته.

وأخذ فرخ سير في بداية عهده تطهير الحاشية و الانتقام من اعون الملك السابق و قرب محمد مراد الكشميري و لقبه (اعتقاد خان) و انعم عليه بلقب ركن الدولة ثم أصبح وزيراً را له و حدثت ثورة في دلهي فارسل لقمعها السادات و واقع الحال كان هذا الشريavan هما الحاكمين الحقيقيين، فقد كان فرخ سير مدينا لهم بنصره و كانوا قويين فلم يستطع ان يقف أمام أيّة رغبة عن رغباتهما، فاما الشريف حسن على خان فقد جعله وزيراً و اعطاه سبعة آلاف لذاته و سبعة آلاف للخبل منصباً رفيعاً و لقبه «يار وفادار قطب الملك عبد الله خان بهادر ظفر جنك».

واما صنوه الاصغر الشريف حسين على خان فقد جعله امير الامراء و كان لقبه (عمدة الملك بخشى الممالك) و هكذا أصبح الحل و العقد بيديهما، و لما ثار الراجبوت سار

اليهم الشريف حسين على رأس جيش وتمكن من هزيمتهم و فرّ راجا الراجبوت الى الجبال ثم طلب الصفح و العفو عنه و في هذا الوقت وصل إلى الشريف حسين حكم الدكن، فقبل الملك هذه الشروط و لم يكن بد من قبولها، و في الوقت نفسه ارسل سراً إلى داود خان حاكم كجرات أن يتربص في طريق الشريف حسين إلى الدكن و يقضى عليه، و لكن كتب على هذه المؤامرة الفشل، و قتل داود خان، و أصبح الشريف حسين سيد الدكن، و أخذ في تقويب السادات و توليتهم المناصب.

و في هذا الوقت قام السيك في الشمال بشورة جامحة، و أخذوا كعادتهم في الإعتداء على المساجد و المقا بر، و قتل آلاف من المسلمين و الهندوس دون تفرقه بين الصغير و الكبير، حتى كانوا يicroون بطون الحوامل، كما أخذوا في تدمير البيوت و إحراقها، و نهب كل ما تصل إليه أيديهم.

و كان على رأس هذه الثورة «بنده» الذي ادعى من قبل أنه «كوبند سنك» و ثار على المسلمين و استطاع الفرار من الحصار في عهد بهادر شاه، فوجه إليهم الملك جيشاً بقيادة عبد الصمد خان فتعقبهم حتى حاصرهم في قلعتهم، و أخيراً اضطروا للتسليم سنة ١١٢٦ - ١٧١٤ م فقتل منهم نحو ثلاثة آلاف، و قبض على ثمانمائة من كبارهم، و على رأسهم قائدتهم (بنده) و ساقهم إلى العاصمة و سار بهم في الشوارع تشهيراً بهم ثم قتلهم و خلال هذه الاحداث كانت الخلافات بين الملك و السادات تزداد حدة، و أخيراً اتفق السادات على خلعه، فجاء الشريف حسين من الدكن بجيش كبير فلم يحرك

الملك ساكنا و استسلم لمصيره المحتمم فحبس أولا ثم قتل . و جاءوا بحفيد شاه عالم بهادر شاه المسمى رفيع الدرجات و اجلسوه على العرش.

رفيع الدرجات (ت ١١٣١ هـ ١٧١٩ م)

هو رفيع الدرجات بن رفيع القدر بن بهادر شاه عالم، كان في السجن حين و انته الفرصة ليكون ملكا بدءا من اليوم التاسع من ربيع الأول سنة ١١٣١ هـ ١٧١٩ م).

ص:٥

لكنه لم يهنا في هذا المنصب الذي ساقه إليه السادات، إذ عاجله مرض السل فقضى عليه بعد أربعة أشهر من توليته.

رفيع الدولة (ت ١١٣١ هـ ١٧١٩ م)

ولما مات، أجلسا مكانه أخاه الأكبر المسمى رفيع الدولة، و خلال فترة جلوسه القصيرة شهدت العاصمة تمردا قاده راجا جي سنك لتولية الام ير نيكوسيير حفيد شاه عالم مكان رفيع الدولة و سرعان ما قضى السادات على ذلك التمرد، ولم تمضى ثلاثة شهور حتى مات رفيع الدولة بمرض الاسهال.

محمد شاه (ت ١٦١١ هـ ١٧٤٨ م)

هو روشن اختر بن جهان شاه بن شاه عالم و يعود فضل اجلاته على العرش للسادات الذين نادوا به ملكا للبلاد في فتح بور سكري في الخامس عشر من ذى القعدة سنة ١١٣١ هـ ١٧١٩ م، تحت اسم «أبي المظفر ناصر الدين محمد شاه».

ولكن الاخوين حسن على و حسين على كانوا المسيطرین على جميع شؤون الدولة، و كان من الطبيعي ان يكثر حсадهما و اعدائهما، و كان من اولئك أحد القادة المعروفين و هو قليج خان قمر الدين السمرقندی المشهور باسم (نواب نظام الملك آصف خان) (١٠٨٤ - ١١٦١ هـ) و هو مؤسس السلالة الملكية التي حكمت حيدر آباد حتى عام ١٩٤٧، و كان هذا القائد محصورا في (مالوه) بين نفوذ السادات في الشمال و الجنوب حيث كان في الدكن حاكما من قبل الاشراف، فرأى أن يتوجه بضربه أول للجنوب، و سار بجيشه سريعا إلى هناك، و استطاع ان يهزم قوات السادات، و يصبح سيد الدكن بغير منازع، و كان ذلك سنة ١١٣٣ هـ ١٧٢٠ م، و بلغت هذه الأخبار «أكرا» فطار صواب السادات، و قرروا أن يقوموا بعمل سريع لإنقاذ الدكن.

ص:٦

و سار الشريف حسين مع الملك الشاب على رأس جيش عظيم نحو الجنوب، و في الطريق دبر الملك مؤامرة، و قضى على خصمته الشريف حسين حيث قتلته غيلة في اثناء السفر و على كثير من السادات، و ارتد بالجيش نحو الشمال ليقضي على الشريف عبد الله الذي أظهر الجلد و الشجاعة تجاه هذه الأئمة المفعجة، وأخذ واحدا من أبناء الأسرة المالكة و نادى به ملكا بدلا من «ناصر الدين محمد شاه» الملك الثائر عليهم. و تلاقى الجيشان بين دلهي و أكرا و انتهت بالقبض على الشريف حسين على و ذلك في صفر سنة (١١٣٣ - ١٧٢٠ م). و ارتفعت بعد ذلك أسهم نواب نظام الملك فاستوزره

الملك سنة (١١٣٥ - ١٧٢٢ هـ) وقد اشتباك هذا مع المراته في حروب عنيفة، و على ايامه هجم مبارز خان على اورنک آباد فاستطاع النظام من رده و السيطرة على الوضع لكنه لا هو و لا الملك محمد شاه و لا غيره من القوى الاخرى في الهند استطاعت ان تقف امام الغزو الهنجي لنادر شاه سنة ١١٥١ هـ الذي عبر عنه أحسن تعبير الملك محمد شاه بقوله في بيت من الشعر يقول فيه ما تعرّيفه:

«ان شئون اعمالنا ظهر في صورة نادر».

غزو نادر شاه

ينتسب نادر شاه و اسمه الحقيقي (ندر قلی) الى (القرخلو) و هي أحدي الفروع الصغيرة من قبيلة أفسار التركمانية و كانت قد سكنت في ابيورد بخراسان، و نشأ (ندر قلی) يتيمًا في حياة بائس و حين بلغ الثامنة عشرة صار من رجال رئيس قبيلته الاشداء و ازدادت صلته به فتزوج ابنته ثم ترقت اموره بعد ان كلفه محمود السيسistani صاحب خراسان بصد غارات الاوزبك فردهم ثم حل محلهم في السلب و النهب بخراسان و اتصل نبا شقاوته بملك ايران طهماسب الثاني فاستخدمه لضرب محمود السيسistani فنفذ امر الشاه و انتصر عليه و سرعان ما كسب نادر عطف الشاه فلقبه الاخير ب (طهماسب قلی) أي تابع طهماسب و كانت علاقته بالشاه متقلبة و دخل في حروب كثيرة حالفه التوفيق في اكثرها

٣٠٧:

و منها انتصاره على الافغان و دفعه للروس و العثمانيين و حاصر بغداد و هاجم القفقاز و داغستان و انتهى صعوده السريع بعزل الشاه عباس الثالث و اعلن نفسه ملكا لايران في ٢٤ شوال ١١٤٨ هـ، وقد سعى منذ اليوم الأول لحكمه ان يجعل سلطنة ايران وراثية في اسرته و يقضى على المذهب الشيعي فقد كان على عداوة للصفويين لأن السلطنة ارثهم الشرعي، و يدين رواج المذهب الشيعي لهم بالفضل الا ان الايرانيين لم يكونوا راضين بهذا الأمر باطننا و لهذا كانوا يخفون عداوتهم لنادر لا سيما وقد اتصف بالقسوة و الفظاظة التي فاقت حد التصور و من ذلك عادة الاعماء (سمل اعين خصومه) التي اشتهر فيها، فكان اذا غضب على أحد سمل عيونه متلما فعل بأحد رجاله رضا قلی ميرزا حين أمر بخارج عينيه من حدقيتها بالخنجر و اعجب من ذلك انه شعر بالندم بعد ذلك فقتل خمسين من امرائه بحججه انهم لم يشفعوا له يوم الحادثة!

و من جرائمه اقامته منارات من الجمامم في فارس و كرمان و غيرها و بعد غزوه لدھلی صار اكثر شراهة للؤم الطبع و حب المال و الحرص .. بهذه العقلية الاجرامية فكر نادر شاه في غزو الهند و استياحتها، و من اسباب تفكيره بالهند ان بعض الناقمين على ملك الهند محمد شاه كاتبوا نادر شاه يطلبون منه اصلاح الامور في بلاط الهند [باعتبار ان نادر شاه كان مؤمنا مصلي ..!] او هكذا كان يظنه احد علماء الهند الذين كاتبوا و طلبوا منه التحرك لنجدتهم و هو الشيخ ولی الله الدھلوي (الذى بلغ من تقدیس الشيخ أبو الحسن الندوی له ان جعل منزلته اكبر من منزلۃ الانبیاء و الصالحين)، و لم يكن محمد شاه بالتربیه ايضا فقد افتتح امره ببذل الاموال على الناس، و اشتغل باللهو و اللعب، و لكن هذا لا يبرر الاستعانته بسلطنة اجنبية من طراز نادر شاه السفاك الأشر و على كل حال فقد جعل هذا ديدنه الوصول الى الهند فارسل السفراء الى دھلی يطلب من محمد شاه تجديد العلاقات مرة، و منع دخول الافغان الخلجيين مرة اخرى، و كان محمد شاه يتغافل في الرد عليه و قيل ان احد سفراء نادر مكث في دھلی سنة لينتظر رد محمد شاه على رسالة نادر!.

و في أوائل عام ١١٥١هـ أرسل نادر أمراً مؤكداً إلى دهلي يطلب عودة السفير بعجلة إلى إيران فقد كان غاضباً لعدم ارسال سفيره، و تحرك لفتح غزنة و كابل و ابنه نصر الله ميرزا للاستيلاء على شمال أفغانستان . و بعد سيطرة نادر على هذه البلاد و اقامة سبعة

ص: ٣٠٨

شهر في كابل لما رأى عدم مبالاة محمد شاه في جوابه على رسائله تحرك إلى جلال آباد، و تمكّن من الاستيلاء على معابر الهند الشمالية الغربية ثم دخل في رمضان سهول البنجاب، و كان أن يلغه في بيشاور خبر مقتل أخيه إبراهيم خان ظهير الدولة بيد لزكي داغستان، فسيّر نادر أصلان خان قر خلو مكانه و صفي خان البغاييري لقيادة داغستان و تقدّم هو إلى دهلي.

معركة كرناں:

بعد عبور السندي و فتح لاهور راسل نادر محمد شاه و ذكره بالاصل المشترك لأسرة أفسار و أسرة باير و لامه على تعطيل سفراه و قال (إن سفره للهند من أجل تأديب الأشرار الذين دفعوا بالشاه إلى هذا التصرف).

و في (سر الهند) سمع نادر أن محمد شاه تحرك بثلاثمائة ألف مقاتل و ألفي عربة مدفوع من دهلي و أتى (كرناں) الواقعة على ساحل نهر جمنا و على بعد عشرين فرسخاً شمال دهلي و كان ذلك في الخامس عشر من ذي القعده سنة ١١٥١هـ.

و كان تصريف أمور محمد شاه في هذه الأيام يهدى ثلاثة أولئك واب نظام الملك بهادر حاكم الدكن الذي لم يرسل جنوده بسبب نزاع نشب بينه وبين الشاه و كان حليفاً لنادر في الخفاء بعقيدة البعض، و ثانيهم خان دوران صمّاص الدولة أمير النساء و القائد العام لجيش محمد شاه و الثالث قمر الدين خان اعتماد الدولة صدر الملكة الأعظم و لم يكن أحد هؤلاء الثلاثة على صفاء بالآخر و يسعى كل منهم لتحطيم الآخر في السر . و استطاع نادر بسهولة في متتصف ذي القعده أن يوقع بجنود محمد شاه الذين لا حصر لهم في سهول كرناں مستعيناً بقوة حاملين البنادق الماهرین في جيشه، و قتل خان دوران وأخوه، و ذكر أن عدد قتلى الهند بلغ عشرين ألفاً بينما بلغ عدد قتلى نادر اثنين و أربعين و جرحاه مائتين و كان أغلب أسباب هذا الأمر أن الهند كانوا يحاربون بالأقواس و السهام بينما كان الإيرانيون يقاتلون بالبنادق.

بعد هذا الفتح الكبير قدم نظام الملك إلى معسكر نادر معتذراً و قرر أن لا يتعرض نادر إلى روح محمد شاه و أمواله و حرمه و يسرح محمد شاه جيشه و أن يأتي إلى مقر نادر بآلف

ص: ٣٠٩

من أتباعه، و بعد ثلاثة أيام يدخل نادر دهلي و يمكث أربعين يوماً ضيفاً على محمد، و بعد هذه الفترة يدع سلطنة الهند إلى محمد شاه و يعود إلى إيران.

و في دخول محمد شاه خيمه نادر أرسل نصر الله ميرزا لاستقباله و أتى هو أيضاً ليلاقيه و أجلسه على مسنه و أدى شروط الاحترام والاستقبال بما يليق!.

و تحرك نادر شاه برفقة محمد شاه من كرناال الى دهلي فدخلها فى التاسع من ذى الحجة (١١٥١ هـ) و استقبله محمد شاه بعد أن سبقه الى دهلي لاستقباله باجلال عظيم.

و ترك نادر فى مجلس ضيافته كما وعد سلطنة الهند الى محمد شاه، و نتر محمد شاه جميع نفائس أجداده و خزائنهما احتفاء مقدم ملك ايران.

و لم يصدر عن أي هندي حركة عداء لمدة ثلاثة ايام من دخول جنود نادر دهلي بسبب الأحكام القاسية التي أصّ درها إلا أنه في الحادي عشر من ذى الحجة وقع النزاع بين عدد من أهالي المدينة وبضعة جنود من جيش نادر، و سرت في الأهالي شائعةً أن محمد شاه دس السم لنادر في طعامه، فدفع انتشار هذا الخبر أهالي دهلي إلى الثورة و قتل فيها جمّع من جنود نادر.

و في صباح اليوم التالي لما فهم نادر أن نحو سبعمائة من أتباعه قد لقوا حتفهم و لم يقدم واحد من أمراء الهند على اخماد الثورة أصدر أمر بقتل عامة أهل دهلي فشغل جنوده أنفسهم من قبل أن ينقضي هذا اليوم بثلاث ساعات حتى الرابعة من بعد ظهر اليوم التالي بتنفيذ هذا الأمر القبيح فاحتراق القسم الأهم من المدينة و قتل نحو عشرين ألفاً و ذكر بعض المؤرخين أن القتلى من الهنديين بلغ مائة ألف و نيفاً .. و في النهاية أمر نادر بوقف المذبحة بشفاعة محمد شاه و نظام الملك و قمر الدين خان و عفا عن بقية الشعب.

و بعد بضعة أيام من هذه الواقعة زوج نادر أحدى حفيدات اورنكزيرب بنصر الله ميرزا و امر محمد شاه بأن بخطب لنادر في جميع بلاده و تسکّن باسمه العملة و أن يقدم الأمراء و الأعيان هدية تليق بنادر اليه من الجوائز و النقد فأطاعوا طوعاً أو كرها فنال نادراً من هذا ما يزيد عن سبعة ملايين و نصف مليون . و قدّرت قيمة النفائس التي غنمها نادر من الهند من ثلاثين مليون ليرة انجليزية إلى سبعة و ثمانين مليوناً و نصف مليون و كان من

ص: ٣١٠

ضمنها (تخت الطاووس) و الألماسة المعروفة (كوه نور) و أنعم نادر على كافة قواد جيشه و أمراء الهند بهدايا لا تقاوم تجاوز عن ضرائب ايران لثلاث سنوات (و ان كان استعاد هذه الضرائب بالقوة من الايرانيين بعد ذلك) و وضع بيده تاج السلطنة على رأس محمد شاه، و أخلى محمد شاه البلاد في غرب السندي و هي غزنه و كابل و قسم من البنجاب لنادر، و تحرك ملك ايران في السابع من صفر (١١٥٢ هـ) من دهلي الى السندي و قد مكث بها سبعة و خمسين يوماً. كانت من اشأم الايام على الهند. اذ نزلت هذه الفاجعة بأهل الهند نزول الصاعقة فأذهلت النفوس و يصور تلك الفاجعة مؤلف كتاب تاريخ هندوستان ٩ / ٢٧٢ بقوله:

لقد كانت المدينة (دهلي) بعد رجوع نادر شاه مليئة بالجثث و الأشلاء فارغة من الأحياء، وكانت البني و تخراباً مهدمة يخيم عليها السكوت المهيب، وكانت الأحياء و الحارات بأسراها محرقه تحولت إلى رماد، وكانت العفونه الصاعدة من الجثث و الرياح الكريهة المنتنة تكاد تشق الدماغ و تقطره، ولم يكن هناك من يكفن أحداً، أو يدفن في القبر أحداً، وقد اختلطت جثث المسلمين والهنود، واحتقرت في ركام إلى رماد، هذا حال المدينة، أما حال البلاد، فكان يغط في النوم أياماً فلما هبّ من نومه، كانت القذارة تعطى عينيه حتى يتقرّز من النظر إليه، ولم يكن في الخزانة فلس واحد، و لا يعرف

أين الخراج و المحاصيل، و كان الجيش محظما منهوكا هالكا، و علاوة على كل ذلك كان الخوف من المرهفة لا يزال مسيطرًا، وقد خربت تلك الولايات التي كانوا استولوا عليها، و رغم كل هذه المصائب و المحن كان النزاع قائما بين أهل البلاط و الحاشية، فكان فريق من الأمراء التورانيين الذين كان على رأسهم آصف جاه و قمر الدين خان الوزى ر، و فريق آخر للأمراء الآخرين الذين كانوا يحاولون عزلهم و إبعادهم عن البلاط، و كان الملك أيضا يعد منهم، و لو لم تقع قضية المرهفة و لم تواجههم مشكلتهم لكان هؤلاء الأمراء قد توزعوا المملكة فيما بينهم من زمان، و تركوا الأسرة التيمورية اسماء بلا رسم.

ولما رجع نادر شاه من الهند كان من أولى نتائج رجوعه أن انفصلت ثلاث ولايات مخصبة، بنغاله، بهار، واريسيه، من حكومة دلهي، و قامت فيها حكومة مستقلة لعلى وردي خان و في (روهيل كند) بالقرب من دهلي قام الافغانيون بمساعدة قضيعة حين اعلنوا

ص: ٣١١

عصيانهم و أخذوا يعتدون على القرى و الضياع فينهبون و يسلبون، ثم أنهم اثاروا الفلاحين ثورة دموية عرفت باسم ثورة (الجات) أي الفلاحين و شهد عهد محمد شاه بعد غزو نادر شاه تمرد افغاني أكثر خطورة من اقربائهم في (روهيل كند) فقد قام احمد الابدالى زعيم القبيلة السدوزية، و هي أقوى القبائل لأبداليا، و استولى، سنة ١٧٤٧، على قندهار و ما يليها من البلاد الايرانية و أعلن إمارته عليها و تلقب بـ «أحمد شاه» ثم إنه اهتب غفلة جارته، إيران و الهند، فاستولى على لاهور. هنالك استيقظ محمد شاه من غفلته و عزم على السير لقتاله، و لكنه، بسبب مرضه، لم يستطع تولي قيادة الجيش بنفسه، فعهد بالقيادة إلى ابنه الأمير أحمد ولى القائد فخر الدين خان، و التقى الفريقان في سرهند، فدارت الدائرة على أحمد شاه أبدالى و حزبه، و ارغم على طلب الصلح، فأجبر إلى طلبه شريطة أن يأتي بنفسه إلى الأمير أحمد يقدم خصوشه. و بدھي ألا يقبل أحمد شاه مثل هذا الشرط، فاستونفت الحرب و كتب النصر للجيش الهندي، و فرّ الافغانيون من الميدان، و قد اراد الأمير احمد مطاردتهم و لكن صدر جنك الذي تولى القيادة بعد قمر الدين، الذي قتل في المعركة، لم يسمح للأمير بالتقدم إلى ما وراء حدود البنجاب فتوقف . ثم إن السلطان محمد شاه أمر ابنه بالعودة إلى دهلي و عين «معين الملك» والي على البنجاب و أمره بمطاردة الافغانيين، و لم تمض أيام على رجوع الأمير إلى العاصمة حتى توفي السلطان في ٢٦ ربيع الآخر ١١٦١هـ الموافق لا ب瑞يل عام ١٧٤٨م و كانت مدة حكمه تسعا وعشرين سنة و ستة أشهر، فخلفه هو و تلقب بـ «مجاهد الدين»، و قد جاء الملك في وقت لا يصلح أمثاله لمثله لأنه كان سفيها خليعا لا يخرج من جناح الحرم إلا مرة في الأسبوع، و كانت أمور الدولة بين يدي أمه و خصي اسمه «جاوید».

ص: ٣١٢

أحمد شاه مجاهد الدين (١١٣٨-١١٦٧هـ / ١٧٥٤-١٧٢٥م)

أحمد شاه بهادر مجاهد الدين أبو نصر ابن محمد شاه حكم بعد أبيه ست سنين و بضعة أشهر، و كان ضعيفا خليعا كما تقدم فلم يكن له من السلطة الا اسمها و العمل للمحيطين به من الوزراء و الحاشية، و لم تكن البلاد كما كانت بعد ان جاس نادر شاه خرابا بها و سلب خزانتها و كان من آثار ذلك الغزو ان انكمشت سلطنة دهلي على عهد مجاهد الدين الى امارة صغيرة ضعيفة مما زاد من اطماع المراتيه و السيك حتى سيطروا على الدكن و البنجاب و دخلوا العاصمة، و اثار هذا شهية احمد

شاه البدالى الذى كان مسيطرًا على لاهور فاعد العدة لاجتياح الهند، وفى هذا الوقت ازدادت حدة الخلاف بين اكبر رجال الدولة و هم صدر جنک الحاکم الفعلى و الذى طرد المراتيه من دھلی و اراد السيطرة على العرش فتحداه عmad الملک غازى الدين حفيد نظام الملک آصف خان و اجبره على الرجوع الى اوده التي كانت شبه مستقلة و كان هو و اليها و فى هما ت بعد قليل، و خلفه ابنه شجاع الدولة.

ثم نشأ خلاف بين عماد الملک بين السلطان نفسه اتهى بقبض عماد الملک على السلطان و ابنه وفقاً عينهما سنة ١١٦٧، و اجلس مكانه على العرش عالم كير الثاني سنة ١١٦٧ - ١٧٥٤ هـ.

توفي احمد شاه مجاهد الدين عام ١١٨٩ هـ (١٧٧٥).

ص: ٣١٣

عالم كير الثاني عزيز الدين (١٠٩٩ - ١١٧٢ هـ / ١٧٥٩ م)

هو عزيز الدين بن معز الدين جهان دار شاه تولى الملك و له سبع و ستون سنة و لقبوه بعالم كير الثاني و صار الحل و العقد بيد عماد الملك و كان عماد الملك صاحب همة و لكنه كان قليل التجارب لأنه كان شابا، ولذا فإن أعماله لم تكن قائمة على خبرة و واقعية بل على طموح و حماس، و الملك لا يساس بالعواطف و حدها بل لا بد له من التجارب و الحكماء و السداد، و لعل عماد الملك أراد أن يدعم مركزه بحرب خاطفة ثم يعود إلى الاصلاح الداخلي، ولذا فإنه عزم على استرجاع بلاد البنجاب من يدي أحمد شاه البدالى، الذى كان يسيطر عليها، لضعف و عجز و اليها.

و لكنه لم ينشأ عدواً سافرة بينه وبين أحمد شاه، بل لجأ إلى الحيلة و ذلك أن بنت معين الملك كانت مخطوبة إليه من قبل، فذهب إلى لاهور سنة ١٧٥٧ فجأة، و بعد أن ضم إليه زوجته نصب أحد رجال اشتيه «آدينة بك» و اليا على البنجاب، متوجهًا بذلك وجود الوالي الذي نصبه أحمد شاه، فلما سمع أحمد شاه بهذا التحدى غضب و زحف إلى لاهور، فخاف عماد الملك العواقب و طلب العفو و الصلح من أحمد شاه، ولكن هذا لم ينشأ أن ثقوته هذه الفرصة فاستمر في سيره حتى دخل دھلی سنة ١٧٥٨ و استباحها و ارتكب فيها أقفع الآثام و الجرائم حتى جعل كثيراً من أصحاب المروء و الشرف يتৎرون إذا ما عجزوا عن الفرار بكرامتهم من وجهه . بيد أن عماد الملك لم يبال بما حدث بل استطاع أن يستثمر هذه الفاجعة، التي نزلت بيلاده، لصالحه الشخصي، إذ أنه أقنع أحمد شاه بلزم مقاتلة أمير أوده، شجاع الدولة، فرضي أحمد شاه بذلك و وضع تحت أمره عماد الملك جيشاً أفغانياً لهذه الغاية، و لم تكن لأحمد شاه أية مصلحة في هذا العمل بل كانت مصلحته تقضي ببقاء شجاع الدولة قويًا ليظل منافساً لدھلی، و لكن

ص: ٣١٤

عماد الملك خدعاً فانخدع و أدرك خطأه بعد فوات الوقت.

أما عماد الملك فقد ذهب إلى أوده و أرغم خصميه شجاع الدولة، و جي من بلاده أموالاً طائلة برسم الخراج، فدفع بذلك مركزه. فلما أدرك أحمد شاه ما كان ينطوى عليه عماد الملك من حيلة و دهاء، خشي أن ينقلب عليه متى رجع إلى دھلی

لا سيما بعد أن لمس عجز السلطان و ضعفه، ولذا فإنه حينما أراد معاذرة دهلي، رأى من اللازم مراقبة أعمال الملك فنصب أحد أمراء الأفغان «نجيب خان» قائداً أعلى لدى السلطان عالمكير، لهذه الغاية.

فلما بلغ هذا الخبر عماد الملك حالف المرهبيين على أحمد شاه و جاء دهلي بجيش كبير ، فخافه نجيب خان و ترك دهلي و فرّ، فدخلها عماد الملك واستلم السلطة بقوّة و حزم، وقد ساء ظنه بعد قليل بالسلطان عالمكير، فأخذته و قتله سنة ١١٧٢ هـ بتهمة التآمر مع أحمد شاه، ولم ينصب مكانه أحد، وأصبحت بلاد الهند كلها فوضى، بحيث نستطيع القول بأن السلطة في المند لكتها لم تكن، آنذاك، لأحد من الناس بل كانت لمن غلب.

ص: ٣١٥

محى السنة بن كام بخش (.....-١١٧٢ هـ / ١٧٥٨ م)

هو محى السنة بن كام بخش بن عالم كير الثاني، أجلسه على العرش عماد الملك، و لقبه (شاه جهان الثاني) و أصبح اسم السلطة له مدة قصيرة جداً، إذ لم يكُد عماد الملك يفرغ من تعيين هذا السلطان حتى كان الابدالي قد وصل إلى شمال الهند لطرد المراتيه من لاهور و كان عماد الملك هو المحرض للمراتيه ضد الأفغان بعد ان عجز عن تحريض الملك ضدتهم ايضاً و هذا ما اثار حنق احمد الابدالي ضد عماد الملك فقسم الابدالي على التخلص منه نهائياً، ذلك ان الابدالي حينما غادر دهلي قاصداً افغانستان بطريق البنجاب خلف ابنه تيمور شاه و اليه على لاهور، ولكن آدينه بيک، و الى البنجاب من قبل عماد الملك، كان لا يزال يسيطر على شرق البنجاب و المناطق الجبلية و يحرض السیک على قتال الأفغانين، ثم انه لما رأى عجزه عن طرد تيمور شاه من لاهور، استنجد بالمرهبيين، فأنجدوه بجيش كبير، فخاف تيمور شاه و فرّ من لاهور فدخلها آدينه بيک، و قنع المرهبيون منه بخراج يؤديه اليهم جزاء مساعدتهم إياه . ثم لما توفي آدينه بيک سنة ١٧٥٩ أعطى المرهبيون أرمنته منطقة «جلندهر» إقطاعاً، و نصبووا على لاهور و اليه من قبليهم، إذ لم يكن من يدعى السيطرة عليها أو من يستطيع أن يؤيد حقه فيها.

و حدثت اضطرابات في البنجاب فجاء أحمد أبدالي لقمعها، فترك المرهبيون لاهور و فروا، فطاردهم حتى التقى بهم عند سرہند فهزّهم، فارتدوا إلى الوراء ينظمون صفوفهم، فلتحق لهم و أوقع بهم شر هزيمة بالقرب من دهلي، ثم استولى على دهلي، إذ لم يكن فيها من يدافع عنها، و ذلك لأن عماد الملك غادرها، بعد أن سمع بهزائم حلفائه المرهبيين، ملتجئاً إلى إمارة بھرتبور، و هي الإمارة التي أنشأها الفلاحون - جات (الرط)- كما أن الأمير «عالی کھر» ابن السلطان عالمكير الثاني، و الذي كان من حقه أن

ص: ٣١٦

يكون سلطاناً على البلاد بعد مقتل أبيه، و الذي أصبح فيما بعد سلطاناً باسم «شاه عالم الثاني» كان قد فرّ من البلاد، من قبل، خوفاً من عماد الملك، و ذهب إلى البنغال و أخذ يعمل لإقامة إمارة له فيها.

و هكذا فقد كان الجو حالياً في دهلي، و كانت بحاجة إلى من يستولي عليها لكي يكفل الأمان فيها و يحميها من اللصوص و العيارين. و بعد أن أقام أحمد شاه فترة قصيرة في دهلي، خلف فيها حامية و ذهب إلى سهول ما بين نهرى جمنا و الغنج ينظم صفوفه للاستعداد للمعركة الحاسمة، و قد استطاع أن يستميل شجاع الدولة (ملك اود) إليه لقتال المرهبيين الذين

أخذوا يجمعون جموعاً كبيرة لخوض معركة تقرير المصير، وقد استنجدوا بإخوانهم وحلفائهم في دكن، وكان جيش نظام الملك جيشاً عظيماً فامدهم بجنود كثيرة بلغ تعدادهم ثلاثة ألف مقاتل، تستددهم مدفعيّة قوية كان على رأسها إبراهيم خان كاوري المسلم الذي تعلم فنون المدفعية الحديثة من الفرنسيين في الدكن وكانت فرقه المدفعية تتكون من ١٢ ألف رجل و ٢٠٠ مدفع وعلى رأس الجيش كله القائد المراتي (سدى شيووكو) المعروف باسم (بهاو)، فتحرك هذا الجيش للقضاء على البدالي والذى كان جيشه متواضعاً بالنسبة إلى جيش عدوه الذي يتألف من أربعين ألف مقاتل و ٤٠ مدفعاً ووصل المراتي إلى دهلي من غير أن يلقو مقاومة تذكر لأن الأفغانيين لم يستطيعوا أن يدافعوا عن البلد أكثر من بضعة أيام فانسحبوا منه، وبعد أن ارتاح الجيش الهندي إلى أيام في دهلي سار للقاء الأفغانيين وعسكر في سهل باني بت، وهناك وقفت المعركة الحاسمة بين الأفغانيين وحلفائهم الروهيليين، من جهة، وبين المرهتيين وحلفائهم الدكنيين، من جهة ثانية وذلك سنة ١١٧٤ هـ - ١٧٦٠ م وعلى الرغم من أن الروهيليين لم يسترکوا في القتال، ومن أن الجيش المرهتي كان يزيد كثيراً على الجيش الأفغاني، فقد كتب النصر في هذه المعركة للأفغانيين على أعدائهم، وأنهم المرهتيون شر هزيمة حتى ليقال أن عدد قتلاهم بلغ مئتي ألف جندي . ولاد الباقيون بالفرار. وبهذه الموقعة الفاصلة ومع ازدياد النفوذ الانكليزي فيما بعد تحطم آمال المراتي في النصر والسعى لنيل السلطة المركزية في جميع أنحاء السلطنة المغولية التي آذنت شمسها بالغروب.

٣١٧: ص

[شاہ عالم الثاني \(....- ١٢٢١ هـ /- ١٨٠٦\)](#)

هو عاليٌ كوه بن عزيز الدين بن معز الدين جهان دار شاه، نادى به احمد البدالي سلطاناً على الهند و ذلك بعد مقتل سلفه و لكن (شاہ عالم الثاني) كان في البنغال فأقام البدالي مكانه ابنه «جوان بخت» فلما سمع بذلك قدم دهلي و جلس على سرير الملك و لقب نفسه (شاہ عالم) الثاني و كان ذلك بمساعدة النواب شجاع الدولة صاحب أوده فاستوزره.

و كانت توليته الملك عام ١١٧٣ هـ الموافق لعام ١٧٥٩ م و لكن عودته من البنغال استغرقت وقتاً طويلاً و كان هذا الملك أديباً شاعراً يتلقب في شعره بـ (آفتاب) لكن عهده الذي امتد إلى ٤٧ عاماً اتصف بالانحطاط السياسي، وقد كانت البلاد كلها قبل عهد الشاه عالم الثاني بزمن، تحت رحمة السيخ والمرهتي، وكانت مناطق دلهي و آكره و راجبوتانه تحت رحمة الزط (الكاولي)، الذين كانوا يعيشون فيها فساداً، و يخرجون كالطوفان و يهلكون الحرش والنسل، و لم تكن في البلاد قوة تملک أن تبسيط الأمان و تفرض القانون، وقد حفظ أحمد شاه البدالي هذه البلاد من خطر المرهتي بـ دأن هزمهم في ساحة باني بت - كما تقدم - و حين توفي أحمد البدالي سنة (١١٨٧ - ١٧٧٣ م) ولم تستعيد السلطنة و مقرها في دهلي تلك المكانة التي كانت تتمتع بها بل كانت إمارة من الإمارات الهندية الكثيرة التي انبعثت عن انحلال و تفكك عرى الإمبراطورية المغولية، وقد عادت قوّة المراتي إلى الظهور من جديد حتى ان شاه عالم الثاني نفسه استنجد بهم سنة ١٧٧١ لاخضاع ولاياته الشرقية ففسح أمامهم المجال للتدخل في شؤونه و السيطرة على بلاطه، و في سنة ١٧٨٤ أصدر السلطان براءة تنص على جعل وزراء الإماراة المراتية الذين كانوا يطلقون عليه اسم «بيشوا» نائباً عنه في الهند كلها، و هي براءة لها مغزاها المعنوي، و ان لم يكن لها أي اثر فعال في الحق العملي، و نظراً لعدم تمعنه

٣١٨: ص

بالاستقلالية التامة فقد اختارت القوّة المناهضة له من منافسيّن له من أقربائه ونادٍ بهما، أمبراطورين وهم شاه جهان الثالث سنة ١٧٥٩، وبيدار بخت سنة ١٧٨٨، على أن الحدث الأبرز في حياة هذا الرجل هو تدخله في شؤون البنغال بعد أن أصبحت مسرحاً للنفوذ الانكليزي، وقد كان يحدوه الامل في استعادة شيء من هيبة السلطنة هناك ولكن فشله هناك افقده ما بقى لديه من هيبة حتى مقر حكمه بدھلی وانتهى الامر بالدسائس الانكليزية أن صيرته موظفاً يتتقاضى معاشًا منهم، ونظراً لأهمية احداث البنغال وكونه الباب الذي دخل منهم الانجليز لاستعمار الهند نلقى هذه النظرة العاجلة . اذ استفرد الانكليز باحتكار التجارة في البنغال بعد غياب منافسيهم الهولنديين والفرنسيين نظراً لانشغالهم بالحروب الاوربية، ثم قوبت شوكتهم وأخذوا يتدخلون في الشؤون الداخلية للبنغال مما اثار حفيظة الامير سراج الدولة فسار الى مركز الشركة الانجليزية بكلكته سنة ١٧٥٦ بجيش كبير واشتبك مع الحامية الانكليزية وقبض على مئة وسبعين انكليزياً اتي بها الى مرشد آباد عاصمة البنغال وكان لهذا الحدث صدى واسع في انكلترا واجمع الانكليز امرهم على التأرّ و البدء بتنفيذ مخططهم لاحتلال البنغال فهاجموا مرشد آباد و هزموا حاميتها الا ان امير مرشد آباد لم يستسلم فدرس الانكليز امر القضاء عليه مع الحاقدين على الامير من حاشيته لا سيما قريبه مير جعفر خان الذي شجعهم على اقتحام مركز الامارة فتوجه الانجليز اليه و لما اشتباك الجيشان فـ اكثر انصار سراج الدولة و بقى يقاتل في فئة قليلة حتى انه استطاع ان يكسب المعركة اولاً و لكن بعد قتل رئيس الحرس عنده تفرق انصاره و قبض الانكليز على الامير سراج الدولة ثم امروا بقطيعه اريا اريا و هي حـى، و هذه الواقعة كانت بمكان يعرف بـ (بلاسي).

و قام الانجليز بتوليـة مير جعفر خان اميرالبنغال، واستخدموـا لقتل منافسيـهم الآخرين فيـ البنـغال و جعلـوا منه بـقرـءـ حـلـوبـ تـرفـدـهـمـ بـالـأـمـوـالـ وـ الـغـنـائـمـ حتـىـ ليـقالـ انـ عـطـ ايـاهـ لهمـ بـلـغـتـ مـلـيـونـينـ وـ نـصـفـ مـلـيـونـ روـبـيـةـ منـ الـذـهـبـ،ـ كـمـ تـنـازـلـ لـهـمـ عنـ مـنـاطـقـ ثـمـ بـدـاـ لـلـانـكـلـيـزـ عـزـلـ مـيرـ جـعـفـرـ خـانـ وـ نـصـبـواـ مـكـانـهـ مـيرـ مـحـمـدـ قـاسـمـ قـاسـمـ بـعـدـ انـ اـنـتـزـعـواـ مـنـ الـاخـرـ اـعـتـرـافـاـ بـالـتـنـازـلـ عنـ ثـلـاثـ مـنـاطـقـ مـنـ الـبـنـغالـ لـتـكـوـنـ اـقـطـاعـاـ لـلـشـرـكـةـ تـسـتـشـمـرـهـ لـتـسـتـعـيـنـ بـهـاـ عـلـىـ تـأـلـيـفـ جـيـشـ مـنـ الـهـنـودـ لـحـمـاـيـتـهـمـ .ـ وـ زـادـتـ الـطـلـبـاتـ عـلـىـ مـيرـ مـحـمـدـ قـاسـمـ حتـىـ ضـاقـ ذـرـعاـ بـتـلـيـتـهـ وـ اـسـتـحـالـ عـلـيـهـ اـرـضـاهـمـ.

ص: ٣١٩

و في هذه الفترة جاء السلطان شاه عالم إلى البنغال وأراد أن يظهر بمظهر السيد صاحب الأمر والنـهـيـ،ـ كماـ أـسـلـفـناـ،ـ فـلـمـ يـأـبـهـ لـهـ كـارـنـكـ،ـ وـ توـرـتـ الـعـلـاقـاتـ بـيـنـ الجـانـبـيـنـ،ـ فأـعـلـنـ كـارـنـكـ الـعـربـ عـلـىـ السـلـطـانـ باـسـمـ مـيرـ مـحـمـدـ قـاسـمـ،ـ وـ هوـ فـردـ مـنـ أـفـرـادـ رـعـيـةـ السـلـطـانـ،ـ وـ لمـ يـعـلـنـ عـصـيـانـهـ عـلـيـهـ،ـ وـ قدـ حـارـبـ كـارـنـكـ السـلـطـانـ بـهـنـودـ وـ اـتـصـرـ عـلـيـهـ وـ أـلـقـىـ القـبـضـ عـلـىـ قـائـمـهـ الـافـرنـسـيـ وـ أـرـغـمـ السـلـطـانـ عـلـىـ مـنـحـ الـانـكـلـيـزـ حقـ الـاـشـرافـ عـلـىـ مـالـيـةـ الـبـنـغالـ .ـ وـ كانـ بـتـصـرـفـاتـ السـلـطـانـ هـذـهـ إـحـرـاجـ لـ «ـمـيرـ مـحـمـدـ قـاسـمـ»ـ لـأـنـهـ لـمـ يـعـدـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـقـفـ فـيـ وـجـهـ الـأـطـمـاعـ الـانـكـلـيـزـيـةـ مـاـ دـامـواـ قـادـرـيـنـ عـلـىـ أـنـ يـأـخـذـواـ مـنـ السـلـطـانـ مـاـ لـاـ يـعـطـيـهـ هـوـ إـيـاهـ.

و على الرغم من أنه لم يكن للسلطان شيء من الأمر أو النـهـيـ فيـ الـبـلـادـ،ـ إـلـاـ أـنـهـ كـانـ رـمـزاـ،ـ وـ رـأـيـ اـلـانـكـلـيـزـ أـنـ مـصـلـحـتـهـ تقـضـيـ بـأـنـ يـتـخـذـهـ درـعاـ وـ أـنـ يـوـلـوـهـ كـلـ أـهـمـيـةـ لـيـنـتـزـعـواـ مـنـهـ كـلـ شـيـ،ـ وـ لـمـ يـعـودـواـ بـحـاجـةـ إـلـىـ مـيرـ مـحـمـدـ قـاسـمـ مـاـ دـامـ لـدـيـهـمـ جـيـشـ وـ مـاـ دـامـواـ يـتـصـرـفـونـ بـمـالـيـةـ الـبـنـغالـ،ـ فـقـدـ اـفـعـلـوـاـ أـسـبـابـاـ لـلـنزـاعـ مـعـهـ وـ قـاتـلـوـهـ ثـلـاثـ مـرـاتـ مـتوـالـيـاتـ وـ دـحـرـوـهـ،ـ وـ لـكـنـهـ لـمـ يـجـبـ وـ لـمـ يـسـتـسـلـمـ وـ كـانـ قـادـرـاـ عـلـىـ الـاـسـتـمـارـ فـيـ الـمـقاـومـةـ لـمـ يـخـنـهـ قـائـمـهـ «ـمـيرـ زـانـجـ خـانـ»ـ وـ يـنـضمـ إـلـىـ الـانـكـلـيـزـ وـ يـطـلـعـهـمـ عـلـىـ عـورـاتـ الـبـلـادـ،ـ إـذـ أـخـذـهـمـ إـلـىـ مـكـانـ مـرـتفـعـ يـجـعـلـ مـيرـ مـحـمـدـ قـاسـمـ تـحـتـ رـحـمـةـ مـدـفـعـيـهـمـ،ـ فـقـصـفـوـهـ لـيـلـاـ قـصـفـاـ ذـرـيـعاـ حـتـىـ شـتـتـوـاـ شـمـلـهـ فـرـرـ مـنـجـعـاـ إـلـىـ أـمـيـرـ اوـدـهـ،ـ شـجـاعـ الدـوـلـةـ،ـ فـاـنـتـصـرـ لـهـ كـمـاـ اـنـتـصـرـ لـهـ السـلـطـانـ نـفـسـهـ .ـ أـمـاـ

الإنكليز فإنهما عادوا من جديد ونصباوا، إثر فرار مير محمد قاسم، أى سنة ١٧٦٣، مير جعفر خان واليا على البنغال، فلما مات، سنة ١٧٦٥، نصبا ابنه نجم الدولة مكانه وجعلوه هيكلًا لا صلاحية له حتى مات.

أما مير محمد قاسم فإنه لم يكن أسعد حظا عند شجاع الدولة منه عند الإنكليز، إذ أن شجاع الدولة، بعد أن وعده التهدئة ونصرة، عاد ونكت العهد و Khan الود و سجنه عنده واستولى على جيشه وأخذ يعمل ليضم جزءاً من بلاد البنغال إلى أوده، ولكن الإنكليز الذين كانوا يطمعون مثله بإرث مير محمد قاسم لم يتركوه يستأثر به بل عملوا حتى استمالوا إليهم السلطان شاه عالم وحالفوه على قتال شجاع الدولة، واشتبكوا معه سنة ١٧٦٤ بمعركة في مكان يعرف باسم «بكسر» فهزمه ثم صالحوه على غرامية يؤديها

ص: ٣٢٠

٣٦

١٢٢٨٠ الشيعه في العصر المغولي : ص ٣٢٠

لهم و على أن يتنازل لحليفهم السلطان عن مدن كانبور و الله آباد و فتحبور و ملحقاتها.

وخرج الإنكليز من هذه الصفقة بحصة الأسد، إذ أنهما عقدوا سنة ١٧٦٥، مع السلطان معاهدَة تعرف باسم معاهدَة الله آباد، تتضمن على إعطائهم حق الإشراف المالي على الولايات الشرقية وعلى ولاية كراتشى في الجنوب الهندي، وتنازل لهم عن منطقتي «مدنابور» و «بردون» و غيرهما من المناطق التي كانوا يدعون ملكيتها الخاصة بداعي أنها قدمت هدية شخصية إليهم من قبل أمير أوده، وتعهد الإنكليز لقاء ذلك بأن يدفعوا للسلطان خراجا سنويا عن الولايات الشرقية : بهار و أريه و البنغال، قدره مليونان و ستمائة ألف روبيه.

وإعطاء السلطان الإنكليز حق الإشراف المالي لا يعني أكثر من مفهومه اللغوي، أى أن تقوم لجنة مالية من خبراء الإنكليز بالإشراف على مالية البلاد لتدفع عنها العجز، ولكن المفهوم الحقيقي في ذهن السلطان وفي ذهن الإنكليز معا كان في الواقع بيع هذه البلاد بيعا باتا لهذه الشركة التي أصبحت دولة قائمة برأسها لها جيشهما وادارتها ومنظماتها، وكان السلطان مغلوبا على أمره.

وفي سنة ١٧٦٥ وقع معاهد خول بمقتضاها شركة الهند الشرقية، حق ديواني، أى مراقبة إيرادات البنغال و بهار و أوريسا، على أن الشركة لم تقبل الواجبات والمسؤوليات التي أفتتها المعاهد على عاتقها إلا بعد سبع سنوات . و أراد شاه عالم أن ييسر أمر عودته إلى دهلي وأنقذ نفسه في احضار المراته و تنازل لهم عن ناحيتي الله آباد و كره اللتين خصصتا له ضمانا لمعاشه، و فقد بهذا الحلف صداقَة الشركة و الخراج أو الراتب الذي كانت قد خصصته له و قدره ٢,٠٠٠ روبيه. و عاد شاه عالم من إله آباد إلى دهلي سنة ١٧٧١ م بعد عشر سنوات وقد فات الأوان وواجهه فتنا جديدة، صراغا بين الأمراء و تحايلهم و تنازعهم، و قوة «روهيله» الجديدة، و حملات السيخ، وأخيراً استولى غلام قادر روهيله حفيض نجيب

^{٣٦} طبیخی، محمد سعید، الشیعه فی العصر المغولی، ١ جلد، أکادمیة الكوفة - هند، چاپ: اول، ١٤٢٧ هـ.ق.

الدولة على دهلي عام ١٧٨٨ م ونهب القصر الملكي وامر بضرب الأميرات بالسياط، وأخرج عيني الملك المغولي ووارث العرش التيموري بضربة الخنجر، ولم يكن قد سبق أن عومل وارت العرش المغولي بهذه المهانة والفضيحة والعار.

ص: ٣٢١

و قتل مهارجي سندھيہ غلام قادر عام ١٧٨٩ م بقصوة فظيعة، وأجلس شاه عالم على العرش مرة ثانية، وعين تسعمائة ألف روبيہ سنويا لمصروفاته، ودخل عام ١٨٠٣ م اللورد ليک بجيشه الانكليزی فى دلهى بعد حروب عديدة، وأجلی المرهنة، وقرر للملك المتقاعد راتب مائة ألف روبيہ سنويا. ولقي شاه عالم أجله عام (١٢٢١ هـ / ١٨٠٦ م) قضى منها ١٨ عاما فى العمى.

أكبر شاه بن شاه عالم (... - ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٧ م)

حين مات شاه عالم تولى بعده ولده اكبر شاه ومنذ عام ١٨٠٦ ورتب له الانكليز راتبا مقداره خمسمائة وستا وسبعين الفا من الروبيات، ثم جعلوها مائة الف.

و بالرغم من الوجود الرمزى لهذا السلطان فقد كان هذا مما يورق المحتلين الانكليز، وعلى عهد الحاكم الانكليزى مركيز هيستنكر بعد عام ١٨١٣ م اراد هذا الحاكم الحدّ من تأثير السمعة التي يتمتع بها السلطان اكبر شاه و الحب الذى يتمتع به من مواطنيه فاواعز الى كل من امير حيدر آباد و امير أووده باى يتلقبا بلقب سلطان، فرفضا، ثم أن هيستنكر لم يستطع أن يمضى في خطته لتشويه سمعة السلطان لا نقضاء مدة عام ١٨٢٣ و جاء من بعده ايميرست tsremmE ثم وليم بنتنک kcnitneB ثم اللورد اولكتند dnolkc عاصرا اكبر شاه كل هؤلاء وقد شغلوا جميعهم باخضاع بقية انحاء الهند و بدأوا يتصرفون وكأنهم اصبحوا سادة الهند، مع ان دهلي كانت في يد السلطان و ما زالت الهند تدين له بالطاعة الاسمية و مع ان الشركة كانت تعتبر نفسها (من الناحية الشكلية) تعتبر نفسها وكيلة تعمل لصالح دهلي الذي كانت النقود تصك باسمه حتى عام ١٨٣٥ أى قبل وفاة اكبر شاه بن شاه عالم حتى سنة (١٢٥٤ هـ / ١٨٣٧ م) و على عهد ولده السلطان بهادر شاه الثاني نفذت خططهم بنفى الملك و القضاء نهائيا على اسم السلطنة المغولية (كما سيأتي).

ص: ٣٢٢

محمد بهادر شاه ظفر (١١٩٠ - ١٢٧٩ هـ / ١٧٧٣ - ١٨٦٢ م)

هو ابو المظفر سراج الدين محمد بهادر شاه الملقب ب (ظفر).

ثاني أبناء محمد اكبر شاه الثاني (ت ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧ م) ابن شاه عالم الثاني (ت ١٢٢١ هـ / ١٨٠٦ م) ابن عالم كير الثاني بن جهان دار بن شاه عالم بهادر شاه بن اورنك زيب بن شاه جهان ..

تولى الملك بعد وفاة والده محمد اكبر الثانى في ١٧ سبتمبر ١٨٣٧ م وهو آخر ملوك الدولة المغولية في الهند، وكان عمره حين تولى العرش ستين سنة، وكان هذا الرجل من حكماء عصره، هادئا رزينا متدينا شاعرا اديبا خطاطا، لكن جاء في زمان لا يقدر النبوغ أو العبرية بل السيادة للقوة و التعتن و البطش الانجليزى الذي بلغ في زمانه حدا كبيرا جدا ولم

يُكَلِّفُ الرَّجُلَ مِبْسُوطَ الْيَدِ لِأَنْ شَرْكَةَ الْهَنْدِ الْأَنْجِلِيزِيَّةَ هِيَ الَّتِي كَانَتْ تَدْبِرُ امْوَالَ الْهَنْدِ بِمَا فِيهَا نَفَقَاتُ هَذَا الْمَلْكِ الصُّورِيِّ الَّذِي كَانَ حُكْمُهُ لَا يَتَجَازُ القَلْعَةَ الْحَمْرَاءَ الَّتِي كَانَ يَحْكُمُهَا لَكُنَّهُ بِالرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ كَانَ حِبَّهُ يَعْتَمِرُ فِي قُلُوبٍ وَأَفْنَدَ الْهَنْدِيِّينَ مِنْ مُسْلِمِيْنَ أَوْ هَنَادِكَ لِمَا كَانُوا يَعْتَبِرُونَهُ رَمْزًا وَطَبِيًّا سَيِّدِيًّا مَقْدِسًا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَصَرَّفُ كَمَلْكٍ فِي كُلِّ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ بِيَادِلِ شَعْبِهِ حَبَّا بِحَبٍّ وَلَا يَعْطِي الدِّينَيَّةَ مِنْ نَفْسِهِ وَلَمْ يَهَادِنِ الْأَنْجِلِيزَ مُطْلَقاً، وَلَمْ يَعْدِ الْحَاكِمُ الْأَنْجِلِيزِيُّ يَوْمَذَاكَ الْلَّوْرَدَ كَائِنَكَ gnnneK يَطِيقُ وَجُودَهُ وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي بَلَغَ كَرْهَ النَّاسِ لِلْأَنْجِلِيزِ حَدَّا بَعِيدَا فِي النَّفُوسِ اصْدَرَ الْحَاكِمُ الْمُذَكُورُ امْرًا أَبْلَغَ بِمَقْتَضَاهِ سُلْطَانَ دَهْلِيَّ، بِهَادِرِ شَاهِ، وَهُوَ الْبَقِيَّةُ الرَّمْزِيَّةُ الْبَاقِيَّةُ مِنْ ذَكْرِيَّاتِ الْإِمْپَراَطُورِيَّةِ الْمُغْوَلِيَّةِ، بَانِهِ يَعْتَبِرُهُ آخَرَ شَخْصٍ يُسْمَحُ لَهُ بِحَمْلِ لَقْبِ سُلْطَانٍ، مِنْ هَذِهِ الْأُسْرَةِ، وَآخَرَ رَجُلٍ يَحْقِّقُ لَهُ عَقْدَ مَجَالِسِ سُلْطَانِيَّةٍ وَسَكَنِيَّةِ الْقَصْرِ السُّلْطَانِيِّ الْمُعْرُوفِ بِاسْمِ «قَلْعَةُ مَعْلَى».

أَوْ بِعِبَارَةٍ أُخْرَى عَنْ جَمِيعِ الْإِمْتِيَازَاتِ الَّتِي كَانَ يَتَمْتَعُ بِهَا، عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّهُ سُلْطَانٌ،

ص: ٣٢٣

تَنْتَهِي بِمُوْتِهِ، وَأَنْ وَلَدَهُ وَإِنْ كَانَ سَيِّعَتْبَرُ وَرِيَثَ هَذِهِ الْأُسْرَةِ وَسَيَعْطِي رَابِّتَهُ الْمُخَصَّصِ لَهُ، إِلَّا أَنَّهُ سَيَكُونُ فَرْدًا مِنْ أَفْرَادِ الْشَّعْبِ لِيُسَمِّي إِلَّا.

وَقَدْ نَزَّلَ هَذَا الانتِذَارَ عَلَى الْهَنْدِ نَزْوَلَ الصَّاعِقَةِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَبِرُونَ السُّلْطَانَ، عَلَى ضَعْفِهِ وَعَجَزِهِ، رَمْزَ السُّلْطَةِ الْوَطَنِيَّةِ. وَلَوْ نَظَرْنَا إِلَى هَذَا الْأَمْرِ بَعْدَ مَجْرِدَةِ لِمَا رَأَيْنَاهُمْ عَلَى حَقِّ فِيمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ، إِذْ مَاذَا يَفِيدُهُمْ وَجُودُ السُّلْطَانِ فِي قَصْرٍ وَالْبَلَادِ كُلُّهَا قَدْ خَرَجَتْ مِنْ أَيْدِيهِمْ؟ وَلَكِنْ لَا حِيلَةٌ فِي تَفْكِيرِ الْعَوْمِ.

فَلَمَّا تَجَمَّعَتْ كُلُّ هَذِهِ الْأَسْبَابِ أَصْبَحَتْ نَفُوسُ النَّاسِ مُضْطَرَّةً تَتَنَظَّرُ مِنْ يَشْعُلُ فَتْيَلَهَا لِتَنْفَجِرُ، وَقَدْ هِيَ الْأَنْكَلِيزُ أَنْفُسَهُمْ أَسْبَابُ ذَلِكَ إِذَا أَنَّهُمْ أَخْذُوا مِنْذَ سَنَةِ ١٨٥٧ يَسْتَعْمِلُونَ نُوعًا مِنَ الرَّاصِصِ لِهِ فَتْيَلٌ مَغْمُوسٌ بِالشَّحْمِ يَجِبُ أَنْ يُقطعَ طَرْفَهُ بِالْأَسْنَانِ قَبْلَ اسْتِعْمَالِهِ، فَشَاعَ فِي أَوْسَاطِ الْجَنْدِ أَنَّ الْفَتْيَلَ مَغْمُوسٌ بِشَحْمِ الْبَقَرِ وَالْخَنْزِيرِ، بِقَصْدِ إِفْسَادِ عَقَائِدِ الْهَنَادِكَةِ، الَّذِينَ يَقْدِسُونَ الْبَقَرَ وَلَا يَجِيِّزُونَ ذَبْحَهَا، وَعَقَائِدِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَا يَأْكُلُونَ الخَنْزِيرَ.

وَإِذَا هَذِهِ الشَّائِعَةُ امْتَنَعَ تَسْعُونَ جَنْدِيَا، مِنْ حَامِيَّةِ مَيْرَتِهَا «مَيْرَتُ» قَرْبَ دَهْلِيَّ، عَنْ اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الرَّاصِصِ، فَأَخْذُوا وَحْكُمُوا، وَحَكَمَتْ عَلَيْهِمُ الْمَحْكَمَةُ بِالسِّجْنِ عَشْرَ سَنَوَاتٍ مَعَ الْأَشْغَالِ الشَّاقَةِ، وَلِإِرْهَابِ الْجَنْدِ أَتَى الْأَنْكَلِيزُ بِهُؤُلَاءِ الْجَنْدِ وَجَرْدَوْهُمْ مِنْ لِبَاسِهِمُ الْعَسْكَرِيِّ وَوَضَعُوهُمْ فِي أَعْيُنِ رَفَاقِهِمْ ثُمَّ سَاقُوهُمْ إِلَى السِّجْنِ.

فَكَانَ لِهَذَا الْاسْفَرَازُ ردُّ فعلٍ فِي نَفُوسِ الْجَنْدِ، غَيْرُ مَا كَانَ يَتَوقَّعُهُ الْأَنْكَلِيزُ، إِذَا أَنَّهُ لَمْ يَرْهُمْ بِلَ بَعْثَ فِي نَفُوسِهِمْ حُبُّ الثَّأْرِ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي لِهَذَا الحادِثِ أَعْتَرَضُوا ضَبَاطِهِمُ الْأَنْكَلِيزُ وَهُمْ ذَاهِبُونَ إِلَى الْكِنِيَّسَةِ فَأَخْذُوهُمْ وَقَتْلُوهُمْ عَلَى بَكْرَةِ أَيْدِيهِمْ، وَانْطَلَقُوا إِلَى السِّجْنِ فَاخْرَجُوا مِنْ كَانَ فِيهِ مِنَ السِّجْنِ نَاءً جَمِيعًا وَأَعْلَنُوا الْعُصَيَانِ، وَانْضَمَ إِلَيْهِمُ الْمَدْنِيُّونَ وَأَخْذُوا يَقْتَلُونَ الْأَنْكَلِيزَ رِجَالًا وَنِسَاءً شَيْوَخًا وَأَطْفَالًا، وَأَشْعَلُوا النَّارَ فِي مَنَازِلِهِمْ، فَكَانَ ذَلِكَ إِيَّادِانَا بِنَسْوَبٍ ثُورَةٍ شَمَلَتْ الْهَنْدَ كُلَّهَا أَفْرَغَ خَلَالِهَا الْهَنْدِيُّونَ مَرَاجِلَ أَحْقَادِهِمْ، عَلَى الْأَنْكَلِيزِ الَّذِينَ سُلِّبُوهُمْ بِلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَكَرَامَتَهُمْ وَعَقَائِدَهُمْ، وَقَدْ ارْتَكَبَ الْفَرِيقَانِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْوَحْشِيَّةِ مَا لَا يَلِيقُ بِإِنْسَانٍ أَنْ يَرْتَكِبَهُ مَعَ حَيْوانٍ أَعْجَمَ بِلَهِ إِنْسَانٌ نَاطِقٌ، وَلَكِنَّ إِنْسَانَ كَانَ وَلَا يَزَالَ أَشَرَّ حَيْوانَاتِ الْأَرْضِ طَرَا وَأَكْثَرُهَا ضَرَوَةً وَضَرَا إِذَا مَا اسْتَفَرَ أَوْ

أثيর، و القليل من الامور يستفزه و يثيره.

فلم حدث ما حدث فى ميرتها فـّ من بقى من الحامية الانكليزية، يستجدون بدھلی، و لكن أخبار الثورة كانت قد سبقتهم إلى دھلی التي اقتدت بميرتها (ميرت) و نزلت على الانكليز تقتلهم حيّشما وجدوا، و طارت الانباء في الهند تحمل البشري بقرب الخلاص، فثار الجند في كل مكان و انتشرت الثورة في الهند اتشار النار في الهشيم، فكانت ثورة شعبية عامة ساهم فيها المسلمين و الہنادک سواءً بسواء، و توجه الشوار إلى دھلی مقر الملك المغولي الأخير سراج الدين بهادر شاه، و جعلوه قائداً للثورة و رمزاً للوطنية الموحدة و الكفاح الشعبي و نادوا به ملکاً لهند شرعياً، و خليفة آبائه ملوك الهند الصناديد المغول الأباطرة، و قاتل الثوار في كل بقعة من بقاع الهند تحت رايته و باسمه، ينظرون إليه كزعيم للجهاد الديني و الوطني، و ينظرون إلى دھلی كعاصمة الحكومة الهندية الدائمة و لم يشذ عن ذلك شاذ.

و بالرغم من أن هذه الثورة أو حرب التحرير - كما يصح أن تسمى - كانت شعبية عامة يقاتل فيها المسلمين و الہنادک جنباً بجنب، و لم تعرف الهند حماسة وطنية و وحدة شعبية قبل هذه، كان للمسلمين السهم الأكبر في القيادة و التوجيه، و كان منهم العدد الأكبر و الأهم من القادة و الزعماء.

و حيث ان الثورا نادوا باسم السلطان بهادر شاه و أرادوا أن يقاتلو تحت رايته أو أن يتخدزوه رمزاً لثورتهم، على الرغم من عدم رغبتهم هو نفسه بذلك لقلة همتة و كبر سنّه، فقد رأى الانكليز أن يقضوا على رأس الثورة في دھلی ليقضوا على آمال الثوار فيها ثم يتوجهوا إلى النواحي الثائرة، و هكذا كان و استولى الانكليز من جديد على زمام الامور في دھلی و لکھنؤ و کانبور و غيرها من المدن الرئيسية التي كانت المقاومة فيها قوية و منظمة، و ظلوا بعد ذلك نحو سنتين و هم يقاتلون الہنود في كل مكان حتى أعادوا فتح الهند من جديد و قضوا على جذور الثورة . و قد رافقت أعمالهم العسكرية أعمال انتقامية وحشية لا نستطيع تبريرها إلا بأنهم كانوا في حالة حرب مع العدو و الحرب لا تعرف قانوناً و لا تقيم لاعتبارات الإنسانية وزناً، و قد صبوا جام غضبهم على أهل دھلی و لکھنؤ و مدن كبيرة أخرىات اعتبروها مراكز للثورة، و صاروا يأخذون الناس بالشبهات فساقواآلافاً من الناس

إلى المحاكم، حكمت عليهم بالموت، بعد أن عذبوهم عذاباً أليماً.

و لم تكن المحاكم الا وسيلة لتبرير القتل بشكل مشروع لأن الحكم لم يكونوا يعرفون لغة من لغات الهند و المتهمون لا يعرفون الانكليزية ليدفعوا عن أنفسهم التهم، فكان مجرد إلقاء القبض على المرء و سوقه إلى المحكمة يعني الحكم عليه بالموت، و كان لا بد لمن دخل المحكمة من أن يساق إلى المشنقة، إلا من رحم ربک و قليل ما هم.

و قال أحد المؤرخين الانكليز «سألت مرة ضابطاً انكليزياً، كان أيام الثورة في معسكر قريب من مدينة بنارس، قائلًا: أظن إنكم كنتم تخافون أن يعتدى عليكم أهل بنارس؟

قال: بل كنا نود ذلك لكي يتبحوا لنا أن نوقع بهم و ننهب هذا البلد الذي لم ينهب منذ قرنين».

و يقول المؤرخ ذاته: «إن جنودنا لم يكونوا يبالغون بارواح العباد وأموالهم ولا يقيمون وزنا للكرامة والشرف».

و يقول أيضاً: «إن ما كانت تذكره البلاغات عن قتل الشوار لم يكن في الواقع يعني غير أولئك الفلاحين المسالمين الذين كانوا يؤخذون من حقولهم وهم عزل فيقتلون».

ويقول هذا المؤرخ في كتابه «بريطانيا العظمى»: «إن ما ارتكبه جنودنا من ظلم ووحشية ومن حرق وتقطيل لا نجد له مثلاً في أي عصر ومصر».

و قد أوجز السيد الندوى فضائع الانكليز في هذه الحرب ضمن نقاط استخلصها من المصادر الموثوقة بها عن هذه الثورة، و من ذلك، ما كتبه جون لورنس الحاكم الانجليزي في ديسمبر ١٨٥٧ إلى القائد الانجليزي.

١ - «اعتقد ان الطريقة التي انتبهنا بها جميع الطبقات من غير تمييز بينها ستتصب علينا السخط العام وستتصب علينا اللعنات الى الأبد و إننا نستحق ذلك»^{٣٧}.

و قامت سوق القتل والنهب في دلهي على قدم وساق، و الدماء تسفك، و الرقاب تضرب، و الرصاص يطلق من غير تمييز و البيوت تنهب، و قد خرج كل من استطاع أن ينجو بنفسه و أهله و عرضه، حتى أصبحت المدينة التي كانت عروس البلاد و عاصمة الهند

٣٢٦ ص:

مقرفة موحشة ليس فيها الا البيوت الخاوية، و الأنماط المتراكمة و الجثث المتعفنة، أو الجنود المفترسة، و إليك تصوير الحال من قلم قائد قوات الجيوش الانجليزية

)streboR droL(

و قد كان مسافراً بجيشه من دلهي إلى كانبور يقمع التورّة، و كان ذلك في اليوم الرابع والعشرين من سبتمبر ١٨٥٧ م بعد ما استولى الجنود الانجليز على دلهي و تملّكوا القلعة الحمراء^{٣٨} يقول روبرتس في كتابه «إحدى وأربعين سنة في الهند»:

٢ - كان المسير من دلهي في نور الصباح الباكر و كان منظراً هائلاً، خرجنا من القلعة من بابها الذي يسمى بباب لاهور، و مررنا بالشارع الكبير الذي هو مركز البلد و أكبر أسواقها «جاندنى جوك» لقد كانت دلهي في الحقيقة مدينة الأموات ليس بها داع و لا مجيب، فلا صوت إلا صوت سبابك الخيل، و لم يقع بصرنا على عرق ينبض أو عين تطرف، لم تكن هنا لک الا جثث هامدة مبعثرة هنا و هناك، و قد كانت هذه الجثث في أوضاع مختلفة خلفها صراع الحياة و الموت في أدوار مختلفة من التفكك، و كنا لا نتكلّم إلا همساً حتى لا نزعج هؤلاء الأشقياء الذين كانوا مستغرقين في نومة الموت، إن ما

(٣٧)

- V ecnerwaL droL fO efiL htimsaB2P-, 158.

(٣٨) (2) القلعة الحمراء بناها الامبراطور شاه جهان، وكانت مركز الحكومة المغولية، وكان فيها في العهد الأخير بمادر شاه.

رأينا من المناظر كانت هائلة مفزعه و كانت مؤسفة محزنة، وقد كانت بعض الجثث ينتهشها كلب، وكان عند بعضها نسر يرفرف جناحه و يحاول أن يطير فلا يستطيع بفرط الشبع و الثقل، وقد كان بعض الأموات يتراءون أحياه فقد رفع بعضهم يده في الاحتضار ففيقت مرفوعة كأنه يشير إلى جانب، لقد كان منظرا مهيبا موحشا لا يمكن تصويره، وكان خيلنا قد استولى عليها الذعر فكانت تجفل و تتنفس مناخرها، وقد كان المحيط كله مروع لا يمكن تصوره، وقد كان تعفن بروائح مرضية تولد الأمراض^{٣٩}.

لقد كانت المجازرة شعبية وطنية عامة، ولكن كان المسلمين بصفة خاصة هدف هذه الاتهامات و الفتك الذريع، لأن كثيرا من الانجليز المسؤولين كانوا يعتقدون أنها ثورة إسلامية، وأن المسلمين هم مصدر الثورة وأصحاب فكرتها و هم الذين تولوا قيادتها، يقول كاتب انجليزي (H yrneM daeM):

ص: ٣٢٧

٣- «إن هذه الثورة لا يصح في المرحلة الحاضرة أن تسمى ثورة الجنود لقد انفجرت الثورة منهم و لكن سرعان ما تجلت حقيقتها و ظهر أنها ثورة إسلامية».

و لذلك كانوا يخسرون المسلمين بالقتل و البطش، يقول مؤرخ معاصر:

٤- «قد كان شعار بعض رؤساء الانجليز أنهم كانوا يعتبرون كل مسلم ثائرا و كانوا يسألون الرجل أنت هندوكى أو مسلم؟ فإذا قال مسلم قتله بالرصاص»^{٤٠}.

٥- «ان هؤلاء الانجليز كلما رأوا مسلما عليه مسحة من جمال أو له جسم قوى اقتضوه و شفوا قلوبهم بقتله، وقد قتل عدد كبير من الوجاهاء و الأشراف و أصحاب البيوتات الذين بقوا في البلد، كانوا يقتلون الأبناء الشريان أمام آباءهم الشيوخ، و يقولون للوالد العجوز: أنج بنسك، و قلما أفلت من ايديهم مسلم جميل الوجه صاحب حسب و وجاهة حتى أثر ذلك في النسل، وأصبح لا يولد في دهلي مولود فيه الوسامه و الجمال، فإذا قارن أحد بين المسلمين قبل الثورة و المسلمين بعدها رأى فرقا واسعا بين الجيلين في الجمال و الوسامه»^{٤١}.

ثم جاء دور الشنق، و نصب مشانق و أعدوا على الطرق العامة و الشوارع، و أصبحت مواضع نزهة عامة يتفرج عليها الانجليز و يتمتعون بمناظر احتضار المشنوقين و هم يدخنون و يتحدون، فإذا تم عمل الشنق و لفظ المشنوق نفسه الأخير، استقبلوه بالضحك و الابتسام، و في هؤلاء الأشقياء أصحاب الامارات و كبار الأشراف، وقد شنق بعض الأحياء الإسلامية على بكرة أبيها، و يذكر مؤرخ معاصر:

P aidnI ni sraey eno ytroF :strebeR droL. 142(1) ^{٣٩}

(٤) الأستاذ ذكاء الله الدهلوi "عروج سلطنت انكلشية" ص 712.

(٥) الأستاذ ذكاء الله الدهلوi، عروج سلطنت انكلشية ص 712.

٦- إن سبعة وعشرين ألفا من المسلمين قتلوا شنقا، واستمرت المجازر سبعة أيام متواليات لا يحصى من قتل فيها، أما الساللة التيمورية فقد حاول الانجليز أن يستأصلوا شأفتها، فقتلوا حتى الصبيان، وعاملوا النساء معاملة همجية تقشعر منها الجلود»^{٤٢}.

٧- إن ضباط جيوشنا كانوا يقتلون المجرمين من كل نوع، وكانوا يشنقون من غير

ص: ٣٢٨

رحمة و ألم كأنهم كلاب أو بنات آوى أو حشرات خسيسة^{٤٣}.

و يقول قائد قواد الجيوش الانكليزية «streboR droL

٨- إن أهول طريقة للإعدام هو أن يرمي المجرم بالمدفع، إنه حقا منظر هائل ولكن لا نستطيع في هذا الوقت إلا أن نأخذ بالاحتياط، إن هدفنا أن ثبت للمسلمين الإشار أن الانجليز لا يزالون -بنصر الله- سادة الهند^{٤٤}.

و هكذا دفع المسلمون أبهظ ثمن وأغلاه لهذا الجهاد، وظل قادة الفكر والسياسة وقطاب الحكومة من الانجليز يعتقدون أن المسلمين هم المسؤولون عن ثورة ١٨٥٧ م، لا يتخلون عن تبعاتها جيلا بعد جيل، وقد قال هنرى هملتن تامسH samoHT notlimaH yrneH أحد كبار الموظفين الانكليز فى بنغال فى كتابه «ثورة الهند الماضية و سياستنا المستقبلة» yciloP erutuF ruO didnI nI noillebiR etaL() الذى ألفه فى سنة ١٨٥٨ م يعنى بعد الثورة بسنة فقط، و الكلمة تشرح عقيدة الانجليز وجهة نظرهم عن المسلمين بعد الثورة، يقول:

٩- «لقد قدمت أن الهنادك لم يكونوا أصحاب الفكرة فى ثورة ١٨٥٧ م ولم يكونوا مصدراها، وثبتت فى هذه المناسبة أن الثورة كانت نتيجة مؤامرة المسلمين، إن الهنادك إذا تركت لهم الحرية و كانوا محدودين فى وسائلهم لم يكونوا ليساهموا فى مثل هذه الثورة و ما كانوا يدونها، إن المسلمين لم يزالوا ولا يزالون منذ عهد الخليفة الأول مستكرين غير متسامحين، و ظالمين، لم يزل هدفهم الدائم أن تقوم الحكومة الإسلامية بأى وسيلة كانت، وأن ينشأ الناس على كراهية المسيحيين، إن المسلمين لا يستطيعون أن يكونوا رعية و فيه لحكومة تدين بغير دين الاسلام لأن ذلك مستحبيل فى ظل أحكام القرآن».

و قد كانت هذه هي السياسة المتتبعة فى الحكومة الانجليزية القائمة . و هي القاعدة التى يسير عليها موظفوها الكبار، و رؤساء المصالح، إقصاء المسلمين عن المراكز الكبيرة فى الحكم و الادارة، و سد أبواب الرزق الشريف عليهم، و مصادرة الأوقاف والأملاك التي تدر على مدارسهم و مؤسساتهم، و تأسيس مدارس و نظام تعليمي لا ينشط المسلمين للافادة منه.

ص: ٣٢٩

^{٤٢} (٣) السيد كمال الدين حيدر في "فيض التواریخ" المجلد الثاني ص 454.

^{٤٣} (٣) ميلى سن، ج 3 ص 177.

^{٤٤} (٤) تامس، ص 40.

وقد كان يعلن في بعض بلاغات رسمية أن الوظائف الفلاحية لا يقبل فيها إلا الهنادك، يقول هنتر:

إن المسلمين وإن كانوا يمسكون المؤهلات والكفاءة المطلوبة لوظيفة، ولكنهم يمنعون عن ذلك ببلاغ رسمي . وقد كان غضب الانجليز شديداً واضحاً في قضايا المسلمين كلها، فكانوا يؤخذون بأقل تهمة وأبعد وشایه، وكانوا يؤخذون بالظلة ويعاقبون أشد العقاب.

إن هذه المعاملة القاسية الشديدة التي استمرت مدة طويلة كانت سبباً لتختلف المسلمين في الثقافة والعلم، ومنتهم عن أن ينالوا قسطهم في الادارة ومصالح الحكومة، وقد شغلاهم الدفاع عن أنفسهم ونفي التهم التي كانت توجه اليهم بين حين وآخر، عن المساهمة في سياسة البلاد ومجاراة الشعوب الأخرى التي كانت تتقدم بخطى وساعة، وتنال من الحكم مئة كل تشجيع وعطاف في الوعي القومي والشعور الوطني.

امبراطورية المغول في نهايتها المفجعة:

ولما تم للإنكليز هذا النصر نفوا السلطان إلى رنكون وقضوا على آخر رمز للسلطة الوطنية، هذا مع العلم بأن السلطان لم يوح بالثورة ولا اشتراك بها ولا ارادتها ولا كان قادرًا عليها بالنظر إلى الظروف الموضوعية التي كانت تحيط به . ولو تسنى لهذه الثورة زعيم يحسن قيادتها لكان لها شأن غير مارأينا.

و على أثر هذه الثورة الحق الإنكليز الهند بإنكلترا مباشرةً من غير وساطة الشركة، وأقر البرلمان البريطاني، سنة ١٨٥٨، دستوراً جديداً للهند جعل من الملكة فيكتوريا ملكة إنكلترا والهند، وأحدثت وزارة باسم وزارة الهند، وحل محل مجلس رقابة الشركة مجلس أسموه مجلس الهند، مهمته استشارية، واصبح لقب حاكم الهند العام : نائب الملك، وبهذه المناسبة صدر عن الملكة ببلاغ جاء فيه:

«إننا نحيط أمراء الهند علماً بأننا نتقيد بجميع المعاهدات التي عقدوها مع الشركة أو عقدت في عهد حكومة الشركة، وسنعمل على تنفيذها، ونأمل من الأمراء أن يتقيدوا بها.

و نعلن بأننا لا نود أن نضم إلى ممتلكاتنا الحالية بلاداً آخر، كما وأننا لا نسمح لأحد

ص: ٣٣٠

بالاعتداء على ممتلكاتنا، و إننا نعترف لسكان ممتلكاتنا الهندية بحق الرعوية التي لغيرهم من رعايانا، و سنعمل للقيام بهذا الواجب بكل صدق وإخلاص.

إننا نؤمن بالدين المسيحي إيماناً صادقاً و لكننا لا نكره أحداً من رعايانا على قبول عقائدهنا».

و أكد البيان في نهايته عزم حكومة الهند على تحسين حالة أهل البلاد والترفيه عنهم والسعى في إرضائهم وسعادتهم.

و كان أول ما اتجه إليه نائب الملك، بعد صدور هذا البيان، أن اخذ بتأليف جيش جديد للهند الشمالية غير جيش الشركة الذي كان يتتألف من مئة وثمانية وعشرين ألف جندي، هلك في الثورة منهم مئة وعشرون ألفاً و من سلم منهم واستطاع

الفار فـ إلـى غـابـاتـ نـيـالـ خـوفـ العـقـابـ فـهـلـكـ فـيهـ وـ مـنـ اـسـطـاعـ انـ يـقاـومـ عـوـادـيـ الرـمـنـ وـ يـعـيشـ بـعـدـ أـنـ صـرـدـ العـفـوـ وـ عـادـ إـلـىـ بـلـادـهـ نـبـذـ وـ طـرـدـ، وـ لـذـاـ فـقـدـ اـخـذـ كـيـنـكـ يـعـملـ عـلـىـ تـنـظـيمـ جـيـشـ جـدـيدـ بـمـوـجـبـ قـانـونـ جـدـيدـ يـنـصـ عـلـىـ أـلـاـ يـزـيدـ عـدـدـ الـجـنـوـدـ الـهـنـدـ فـيـ آـيـةـ فـرـقـةـ عـلـىـ ثـلـاثـةـ أـضـعـافـ الـبـيـضـ، وـ أـلـاـ يـعـهـدـ إـلـىـ الـهـنـدـ بـأـعـمـالـ ذـاتـ مـسـؤـولـيـةـ فـيـ الـمـدـفـعـيـةـ .ـ وـ قـسـمـ الـجـيـشـ الـهـنـدـ إـلـىـ ثـلـاثـةـ جـيـوشـ هـيـ :ـ جـيـشـ بـمـيـ،ـ وـ جـيـشـ مـدـرـاسـ،ـ وـ جـيـشـ الـبـنـغـالـ،ـ وـ يـدـخـلـ فـيـ هـذـاـ جـيـشـ الـأـخـيـرـ كـلـ شـمـالـ الـهـنـدـ.

محاكمه بهادر شاه و نفيه:

حين سقطت دلهي التجأ بهادر شاه الى ضريح جده همايون، فقبض عليه هود سون nosdoH و قتل اثنان من أولاده رميا بالرصاص في الطريق، وفي اليوم التالي قبض على حفيده و اعدم بالنار ايضا و قطعوا رؤوسهم و قدموها في طبق الى والدهم الشيخ الذي قد نيف على السبعين من العمر، و وضع في السجن تمهيدا لمحاكمته بتهمة التحريض على القتل، و بدأت محاكمته في دلهي في ٢٧ يناير ١٨٥٨ م و حين تليت التهم أمام الملك نفاحاها تماما فقدم قادة الانجليز وثائق زعموا أنها تؤيد دعاوام و شهد على ذلك بعض من جندهم الانجليز للشهادة ضد الملك، فطالب المدعى العام باعدامه، ثم استبدل الحكم بالمعنى الى خارج الهند، فارسل كما تقدم الى مدينة (رنكون) عاصمة (بورما) يوم

ص: ٣٣١

الخميس ١٧ اكتوبر ١٨٥٨، و كان عدد المرحلين معه ينوف على الثلاثين شخصا من اقرب المقربين اليه و فيهم زوجته زينت محل و أولاده جوان بخت، و جمشيد بخت، كلثوم زمانی بخت، و رونق زمانی بيكم.

وفاته و قبره و مصير أسرته:

و في رنكون طيف به و باسرته في عربة مكشوفة ثم الى شارع كلكته حيث المكان المخصص لحبسه مع اسرته تحت حراسة شديدة و بقي في منفاه حتى وفاته في عصر يوم الجمعة ١٤ جمادى الأولى سنة ١٢٧٩ ه الموافق للسابع من نوفمبر ١٨٦٢، و حضر دفنه طبيبه، و حافظ محمد ابراهيم استاذ ابنه جمشيد، و لم يأذن الانجليز في تشييد مقبرة خاصة به حتى عام ١٩٤٦. أما زوجته زينت محل فقد توفيت هي الاخرى في ١٤ شوال ١٣٠٣ هـ الموافق للسابع عشر من يوليو ١٨٨٦، و دفنت بجواره، و توفيت بنته رونق زمانی بيكم في ٣٠ ذى القعدي ١٣٤٩، ابريل ١٩٣٠ و دفنت معهم،اما الامير جوان بخت فقد سجنها الانجليز في بلدة مولمين ثم ضاعت اخباره، و الامير جمشيد بخت الذي كان مسجونا في غرفة أمام سجن ابيه، افرج عنه فيما بعد و درس و تزوج من فتاة بورمية سنة ١٩٠٥ انجبت له ولدا سماه «اسكندر بخت». و قد توفى جمشيد بخت سنة ١٩٢١.

وابنه الملك كلثوم زمانی بيكم قيل أنها تزوجت من امير مسلم صيني طلقها فيما بعد، و في دلهي القديمة اليوم عدد من الاسر التي تتنسب الى بهادر شاه و قد يكون من الصحيح هو اتسابها لفروع اخرى من الاسرة التيمورية.

و عند قبر الملك بهادر شاه هذا الشاهد الكتابي و قد دونت فيه العبارات التالية:

«كل من عليها فان و يبقى وجه ربک ذو الجلال و الکرام»

آخر مصباح في أسرة المغول الملكية

حضره أبو ظفر سراج الدين محمد بهادر شاه ظفر رحمة الله عليه.

جلس على العرش من سنة ١٨٣٧ م إلى سنة ١٨٥٨ م.

اليوم بتاريخ ٧ نوفمبر سنة ١٨٦٢ م ١٤ جمادى الأولى ١٢٧٩ ه يوم الجمعة صعدت الروح التي استقرت في بهادر شاه ٨٩ سنة، و دعت جسده إلى الأبد، فغابت

ص: ٣٣٢

شمسمه، وفاحت كأس عمره، واحتضنت أرض «رنكون» آخر مصباح في الأسرة التيمورية. ولد في «جهاز آباد - دهلي» و لكنه عانى سكرات الموت بعيداً عن الوطن بآلاف الأميال، على سرير بسيط حقير، وكانت حياته ربيعاً حافلاً بالخدم والجسم، و لكنه مات و ما حوله إلا ثلاثة: زوجته و ولدها - و قبل أن تغرب شمس النهار فاحت روحه، بعد ما عرف العالم حالة اسرته المنكودة، فاستقر الجوهر اللامع من دهلي في أرض «رنكون» فاعتبروا يا أولى الأنصار.

و تحت هذا كتب تاريخ وفاته في بيته من الشعر بالأوردية ترجمتها:

«في أربعة عشر من جمادى الأولى يوم الجمعة وقت العصر».

«كانت هذه اللحظة حاسمة في تاريخ الغربة والسجن».

«قال فيها ملك الموت لملك الهند، وهو بعيد عن وطنه».

«إن جنة الخلد هي وطنك يا ظفر، يا غريب الوطن».

ثم كتب تاريخ وفاته بالإنجليزية هو ومن دفن معه، وتحته كتب بالعربي في أسفل اللوحة:

ملكة نواب زينت محل: أعلى الله مقامها: تاريخ الوفاة ١٤ شوال سنة ١٣٠٣ هـ مطابق ١٧ يوليو سنة ١٨٨٦ م. بنت الملك: رونق زمانى بيكم: أعلى الله مقامها: تاريخ الوفاة ٣٠ ذى القعدة سنة ١٣٤٩ هـ مطابق ٣٠ ابريل سنة ١٩٣٠ م.

شعره وأدبها:

مر علينا أن بهادر شاه كان عالماً و شاعراً و خطاطاً، وقد طبع ديوانه و شرحه لكتلستان سعدي و كتب جارسان ده erutaretiL inatsudniH fO nicraG ed yssaT نبذة عن بهادر شاه باسمه الشعري «ظفر» في كتابه ج ٣، ص ٣١٧، وأورد ترجمة لأحدى قصائده الغنائية (رخته)، و من المعروف ان استاذه و معلمه هو الشاعر الهندي الشهير أسد الله غالب و من المؤكد أنه هذا المعلم هو الذي غرس في (بهادر شاه) بذرة التشيع حتى نمت و اورقت و شبّ الأمير على محبة أهل البيت و كتب فيهم الشعر و لما تولى الملك كان الكثير من المقربين إليه من الشيعة و على أثر ذلك حظى بمساعدة و تكريمه مستمر من دولة اوده

الشيعية و ملوكها في لكتنوا.

و قد خلف الملك عده دواوين المعروف منها اليوم اربعه و هي:

١- كليات ظفر - مرتبه عمر فيضي - سنك ميل بيلي كيشتر، لاہور سنہ ١٩٦٩.

٢- بهادر شاہ ظفر - فن اور شخصیت - از خواجہ تھور حسین - مکتبہ نعیمیہ دلهی - سنہ ١٩٦٢ / اردو اکید می سندہ، کراچی سنہ ١٩٦٥.

٣- نوائی ظفر - مرتبہ خلیل الرحمن اعظمی - انجمن ترقیء اردو علی کرہ سنہ ١٩٥٩

٤- بهادر شاہ ظفر - از امیر احمد علوی - لكتنوا سنہ ١٩٣٥.

و من شعره (المغرب) الذى قاله فى محنته:

«ان القصر الذى اصبح الآن قفرا كان من قبل آهلا بالسكن . و المكان الذى استولى عليه ابن آوى كان عامرا بالإنسان، و المكان الذى لا نجد فيه الآن إلا الخزف و الحصى و التراب كان مملوءا بالجواهر و الياوacit، إن أحوال العـالم تتقلب دائما، فأين كنت من قبل؟ ! و أين أنا الآن؟ ! إن الذى لا يذكر الله في رغد العيش، أو في وقت الغضب و الطيش، لا يعد من الآدميين و له ايضا:

«يا رسول الله ما كانت أمنيتي الا أن يكون بيتي في المدينة بجوارك .. و لكنه أصبح في رنكون و بقيت أمنياتي مدفونة في صدرى «يا رسول الله» كانت أمنيتي أن أمرغ عيني في تراب أعتابك و لكنها أنت اترغ في تراب «رنكون»

و بدلا من أن أشرب من ماء زمزم، بقيت هنا أشرب الدموع، الدامية، فهل تنجدني يا رسول الله، و لم يبق من حياتي إلا عدة أيام؟!!

() () () ()

[سلالة تيمور لنك و عقبة أبطأ المغول في الهند](#)

() ()

[الفهرست](#)

تیمور لنک ١٩

فتح خراسان سنۃ ٩١٦ هـ ٢٥

غزو ماوراء النهر سنۃ ٩١٨ هـ ٢٦

بابر ٢٩

کلیدن بیکم ابنة بابر شاه ٣٢

خان زاده بیکم ٣٣

ہمایون ٣٥

جلال الدین اکبر ٤٤

حروب اکبر ٤٩

اکبر فی اوامره و وصایاہ ٥٤

اکبر فی قفص الاتهام ٥٩

اکبر فی نظر الغرب ٦٦

دعوى الدين الإلهي ٧١

الخزانة الأکبریة ٧٣

الحركة التألفیفیة فی عهد اکبر ٧٤

الحركة العماریّة و الفنیّة ٧٦

ازدهار الشعر الفارسی فی عهد اکبر ٨١

الشعر الهندی علی عهد اکبر ٨٣

وفاة اکبر و ذریته ٨٦

من أعلام الشيعة في عهد أكبر ٨٧

الأمير على قلی خان الشیبانی ٨٨

الأمير بیرم خان خانان ٩٠

الأمير عبد الرحيم بن بيرم خان ٩٤

منعم خان بن بيرم خان خانان ٩٥

الأميرة جانان بيكم ٩٦

كاظم بن عبد على الكيلاني ٩٧

تقى الدين التستري ٩٨

محمد رضا الأصفهاني ٩٨

محمد على الكشميري ٩٨

عبد الباقى النهاوندى ٩٩

فتح الله الشيرازى ١٠٠

محمد اليزدي ١٠٢

شريف الأملی ١٠٣

شمس الدين بن علاء الدين الخوافي ١٠٣

آصف خان ميرزا جعفر بيک ١٠٤

صدر الدين الشيرازى ١٠٥

مبیح الملک الشیرازی ١٠٦

همام بن عبد الرزاق الكيلاني ١٠٦

تقى الدين الشيرازى ١٠٧

حضر بن موسى اليماني ١٠٧

مبارك الله الناكورى اليماني ١٠٨

أبو الفيض الناكورى ١١٢

تفسير القرآن (سواطع الإلهام) ١١٧

أبو الفضل الناكورى ١٢٥

شجرة عائلة آل الناكورى العلمية ١٣٥

علماء السوء في عصر أكبر ١٣٧

آيين أكبرى ١٤٤

ص: ٣٤٢

أبو المكارم بن المبارك الناكورى ١٥١

عبد الرحمن بن أبي الفضل بن المبارك ١٥١

أبو تراب بن المبارك ١٥٢

عبد الله بن على الشيرازى ١٥٢

جهان كير نور الدين محمد سليم ١٥٥

نور جهان بيكى ١٦٠

زوجات الإمبراطور أوردنك زيب ١٦٣

جهان كير فى تركته الأدبية ١٦٣

صفحات من مذكرات الامبراطور جهان كير ١٦٥

اهتمام جهان كير بالتصوير ١٧٤

من أعلام عصر جهان كير ١٧٦

شجرة عائلة (آل الطهراني) أصهار الامبراطور جهان كير ١٧٧

غیاث الدین الطهرانی ١٧٨

اعتماد الدولة أبو الحسن آصف جاه الدهلوی ١٧٨

أبو طالب بن أبي الحسن الدهلوی ١٨٠

صفى بن بدیع الزمان الأکبر آبادی ١٨٠

على بن أبي الحکیم الکیلانی ١٨١

نور الدین الشوشتري ١٨٢

محمد حسین المنظوری التیسابوری ١٨٩

محمد تقی الدین الأوحدی ١٩٢

محمد شریف النجفی ١٩٣

طالب الأملی ١٩٣

صالح الأصفهانی ١٩٥

محمد شریف الإیرانی معتمد خان ١٩٥

شکر الله الشیرازی (أفضل خان) ١٩٦

محمد أشرف المشهدی ١٩٧

عبد السلام المشهدی ١٩٧

أحسن الله ظفر خان التربتی ١٩٨

محمد طاهر عنایت خان ٢٠٠

مرشد الشیرازی ٢٠١

الإمبراطور خرم شاه جهان ٢٠٣

الملكة ممتاز محل صاحبة الناج ٢٠٨

بناء تاج محل ٢١٠

وصف تاج محل ٢١٢

من هو مهندس تاج محل ٢١٥

شاه جهان و النهاية المؤلمة ٢١٨

من أعلام عصر شاه جهان ٢١٩

دارا شکوه ٢٢٠

دارا شکوه فى معرك الأحداث ٢٢١

آثار دارا شکوه ٢٢٤

جهان آرا جهان ابنة الإمبراطور شاه جهان ٢٢٥

قندهارى بيكم ٢٢٧

عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتى ٢٢٧

محمد بن جلال الدين الحسيني الكجراتى ٢٢٩

على بن على مردان خان ٢٣٠

ستى خانم ٢٣١

محمد سعيد الارdestani مير جمله ٢٣٢

محمد شفيع اليرذى ٢٣٢

ص: ٣٤٣

محمد طاهر ظفر خان آشنا التربتى ٢٣٣

على بن محمد جواهر رقم الخطاط ٢٣٤

٢٣٥ محمود الكيلاني البهستي

٢٣٥ صادق بن صالح الأصفهانى

٢٣٦ محمد جان القدسى

٢٣٦ داود بن عناية الله الأكبر آبادى

٢٣٧ شيدا ملا

٢٣٨ محمد معصوم التسنجي

٢٣٨ محمد معصوم الهندي

٢٣٨ محمد هاشم الكيلاني

٢٣٩ حسن بن أبي الحسن القزويني

٢٣٩ فتح الله الشيرازي

٢٤٠ علاء الدين الشوشتري المرعشى

٢٤٠ يحيى الحسيني الكاشي

٢٤٠ على رضا الشيرازي تجلّى

٢٤١ أبو المعالى الشوشتري

٢٤٢ شريف الدين الشوشتري

٢٤٢ اسماعيل البلكرامي

٢٤٣ دانشمند خان

٢٤٣ محمد سعيد الكرمرودى

٢٤٣ الملا محمد الكاشف

٢٤٤ الإمبراطور أورنك زيب

جلوسه على العرش ٢٤٥

كيف كان يقضى وقته ٢٤٦

حروب أورنک زیب ٢٤٨

الثورة الأفعانية ٢٤٨

الثورة الراجبوتانية ٢٤٨

ثورات الدکن ٢٤٩

ثورة المراطه ٢٥٠

من أعمال أورنکزیب ٢٥٢

وفاته و عقبه ٢٥٤

من مزايا أورنک زیب ٢٥٥

علاقته بالطوائف غير الإسلامية ٢٥٧

معاملة الهندوس ٢٥٧

مرسوم أورانکزیب ٢٥٨

أورنک زیب و الشیعه ٢٥٩

من أعمال عصر الإمبراطور أورنک زیب ٢٦٧

زينت النساء بنت الإمبراطور أورنک زیب ٢٦٨

الملا طغرائی المشهدی ٢٦٩

عزيز الله المجلسی ٢٦٩

هداية الله بن نعمة الله التستري ٢٦٩

شمس الدين بن صدر الدين الأصفهاني ٢٧٠

محمد على الأكابر آبادى (ماهر) ٢٧٠

ناصر بن حسن الجفى ٢٧١

قوام الدين المرعشى الخليفة سلطانى ٢٧١

عبد اللطيف خان الأصفهانى البنجالى ٢٧٢

محمد مهدى الاردستانى ٢٧٣

محمد سعيد المازندرانى ٢٧٤

محمد مؤمن الجزائرى ٢٧٥

ص: ٣٤٤

محمد بن فتح الله بن نعمة خان عالي ٢٨٠

إبراهيم على خان ٢٨١

حسين بن باقر الأصفهانى امتياز خان ٢٨١

محمد رفيع المشهدى (باذل) ٢٨٤

القادر المشهدى وزير خان ٢٨٥

سعد الله السلوانى ٢٨٥

حسين الشيرازى (حكيم الممالك) ٢٨٧

محمد رضا قرلباش خان الهمدانى ٢٨٨

حسن على خان ٢٨٩

بختاور خان ٢٨٩

حسين على خان ٢٩٠

محمد باقر البيجاپورى ٢٩٢

حسين بن نور الدين الجزائري ٢٩٢

الإمبراطور شاه عالم بهادر شاه ٢٩٣

منعم خان خانان ٢٩٧

إسماعيل بن إبراهيم الدهلوى ٢٩٨

ذو فقار نجف على ٢٩٩

محمد هاشم الشيرازي ٢٩٩

نعمه الله بن نور الدين الحائرى ٣٠٠

محمد بن إسحاق التستري ٣٠١

محمد باقر المشهدى ٣٠١

الإمبراطور معز الدين جهان دار شاه ٣٠٢

الإمبراطور فرخ سير بن عظيم الشان ٣٠٣

الإمبراطور رفيع الدرجات ٣٠٤

الإمبراطور رفيع الدولة ٣٠٥

الإمبراطور محمد شاه ٣٠٥

غزوء نادر شاه ٣٠٦

معركة كرنال ٣٠٨

الإمبراطور أحمد شاه مجاهد الدين ٣١٢

الإمبراطور عالم كير الثاني

عزيز الدين ٣١٣

الإمبراطور محي السنّة بن كام بخش ٣١٥

الإمبراطور شاه عالم الثاني ٣١٧

الإمبراطور أكبر شاه بن شاه عالم ٢٢١

الإمبراطور محمد بهادر شاه ظفر ٢٢٢

إمبراطورية المغول في نهايتها المفجعة ٣٢٩

محاكمة بهادر شاه و نفيه ٣٣٠

وفاته و قبره و مصير أسرته ٣٣١

شعره و أدبه ٣٣٢

نماذج من شعره ٣٣٥

سلالة تيمور لنك و عقبه أباطرة المغول في الهند ٣٣٩

الغلاف الخارجي الأول: ((صورة المجتهد الأكبر الشهيد الشوشتري ماثلاً أمام الإمبراطور أورنك زيب (١٦١٩ - ١٧٠٧ م) قبيل إعدامه بساعات))^{٤٥}

^{٤٥} طريحى، محمد سعيد، الشيعه في العصر المغولي، 1 جلد، أكاديمية الكوفة - هند، چاپ: اول، ١٤٢٧ هـ ق.